إهـــــــداء ٢٠٠٧

اسرة المرحوم الدكتور / عبد الجليل عبده شلبي
جمهورية مصر العربية

تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الخامس

تحقيق

عبد العزيز أحمد

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هـــذا الـكتاب بالتعـاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجـامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف العين

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات[1]

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن رَبيعة بن إهاب[2] بن صاب[3] ابن حُجَير بن عبد بن بغيض[4] بن عامر بن لؤيّ بن غالب .

وأمه قتيلة بنت وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدىّ بن مسْمر[5] بن ليث بن بكر بن عبد مناة[6] بن كنانة .

كان يقال لبنى بغيض[4] بن عامر بن لؤيّ وبنى محارب بن فهر الأجربان ، من أهل تهامة ، وكانا متحالفين .

وإنما قيل لهما الأجربان من شدة بأسهما وعرّهما مَنْ ناوأهما كما يُعرُّ البعيرَ الجرب[7] .

وإنما لُقِّب عبيدُ الله بن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة ، تَسمين جميعا رُقَيّة .

---

(١) أغانى ٥ : ٧٣ دار الكتب .

(٢) أهيب ٥ : ٧٣ .

(٣) فى ب : صاب أيضا وفى الأغانى ضباب .

(٤) فى ا ، ب وفى بعض نسخ الأغانى : معيص وفى بعضها معيض .

(٥) سعد (أغانى) .

(٦) مناف فى ب وفى الأغانى مناه .

(٧) فى الأصل كأمعر وفى الأغانى كما يعر الجرب .

منهم رُقية بنت عبد الواحد بن[١] أبي قيس بن وهب[٢]، وابنة عم لها يقال لها رقية أيضا .

وامرأة أخرى من بنى أمية يقال لها رقية أيضا .

وكان هواه فى رقية بنت عبد الواحد وإياها عنى ابن قيس بقوله :

ما خيرُ عَيْش بالجزيرة بعد ما غبر[٣] الزمانُ ومات عبدُ الواحد

وله فى الرقيات عدة أشعار .

وأما أبياته التى منها :

مَنَع اللهوَ والهوى وسُرَى الليلِ مُصعبُ
وسياطٌ على أكُفٍّ[٤] رجالٍ تقلَّبُ

يقولها فى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرىّ ، وكان صاحبَ شرطة مروان بن الحكم ، ولاه مروانُ المدينةَ فقال : إنى لا أضبط المدينة بحرس المدينة ، فابْغِنى رجالا من غيرها، فدعا له[٥] بمائة رجل من أهل أيلة ، فضبطها ضبطا شديدا ، فدخل المِسْوَرُ بن مَخْرَمة على مروان ، فقال : أما ترى ما يشكو الناس من مصعب؟ فقال :

ليس بهذا من سِياقٍ عَتْبُ يمشى القَطوفُ[٦] وينام الرَّكْبُ

وقيل : إنه ولى[٧] إلى أن ولى عمرُو بن سعيدٍ المدينةَ ، وخرج الحسينُ

(١) ابن أبى سعد بن أبى قيس (أغانى) .
(٢) ابن أهيان (أغانى) .
(٣) عثر (أغانى) .
(٤) فى الأصل ألف والتصويب عن الأغانى .
(٥) فأعانه بعثى ٥ : ٧٤ .
(٦) القطوف من الدواب : التى تسىء السير وتبطىء .
(٧) بقى (أغانى) .

وعبدُ الله بن الزبير ، فقال له عمرو : اهْـدِمْ دُورَ بنى هاشم وآل الزبير ، فقال : لا أفعل . فقال : انتفخ سَحْرُك يا ابن أم حريث !! ألق سيفنا . فألقاه ، ولحق بابن الزبير ، وولى عمرُو بن سعيد شرطتَه عمرو بنَ الزبير بن العوام ، وأمرَه بهدم دور بنى هاشم وآل الزبير ، ففعل ، وبلغ منهم كلَّ مبلغ ، وهدم دار ابن مُطيع التى يقال لها العنقاء ، وضرب محمدَ بنَ المنذر بن الزبير مائةَ سوط . ثم دعا بعُروةَ بن الزبير ليضربَه . فقال له محمد : أتضرب عروة ؟ قال : نعم ياسَبَلان إلا أن تَحْتَمِل ذلك عنه ، فقال : أنا أحتمله ، فضربه مائـةَ سوط أُخرى ، ولحق عروةُ بأخيه ، وضرب عمرُو الناسَ ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المِسْور بن مخرمة أحدَ من هرب منه ، ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه ، وضربه بالسوط ضربا مُبَرِّحا ، فمات فدفنه فى غير مقابر المسلمين ، وقال للناس : إن عمْراً مات مرتدا عن الإسلام .

قال الزبير : سألت عمى مصعبا ومحمدَ بن الضحاك ومحمدَ بن حسن عن شاعر قريش فى الإسلام ، فـكلهم قال[1] : قيس الرقيات .

وجاء ابن قيس إلى طلحة بن عبد الرحمن بن عوف فقال : ياعم إنى قلت شعراً فاسمعه ، فإنك تَنَصّح لقومك ، فإن كان خيراً قلت ، وإن كان رديئاً كففت . قال : أنْشِدْنى ، فأنشدَه قصيدته التى يقول فيها :

منع اللهو والهـوى وسُرى الليلِ مصعبُ[2]

فقال : قل يا ابن أخى فإنك شاعر .

وكان عبيدُ الله بنُ قيس زبيرىَّ الهوى .

---

(١) قالوا : ابن قيس (أغانى) .

(٢) حال دون الهوى ودو ن سرى الليل مصعب (تجريد ١ : ٦٣٢) .

وخرج مع مصعب على عبد الملك ، فلما قُتل مصعب وعبد الله لجأ إلى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبدَ الملك في أمره فأمَّنه . قال عبيـد الله بن قيس الرقيات : خرجت مع مصعب حين بلغه شخوصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلما نزل مصعب مَسْـكِن ورأى معالم[1] الغدر ممن معه دعانى ، ودعا بمال ومناطق ، فملأ المناطق مالًا[2] وألبسنى منها ، وقال : انطلق حيث شئت ، فإنى مقتول . فقلت : والله لا أَرِيمُ حتى أرى سبيلَك ، فأقمتُ معه حتى قتـل ، ثم أقبلت[3] إلى الـكوفة فأولُ بيت صرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان ، فرقيت إلى مشربة فقعدت فيها فأمرت لى المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فمـكثت كذلك عندها أكثر من حول ، تقتحم[4] لى بما يصلحنى ، وتغدو علىّ فى كل صباح ، فتسألنى بالصباح والحاجة ، ولا تسألنى من أنا ولا أسألها من هى . وأنا مع ذلك أسمع الصياح فىّ والجُعْل ، فلما طال المقامُ وفقدت الصياحَ فىّ وغَرِضْتُ[5] مكانى غدتْ علىّ تسألنى الصباح والحاجـة فأعلمتها أنى قد غَرِضْتُ وأحببت الشخوصَ إلى أهلى . فقالت لى : يأتيك[6] ماتحتاج إليه إن شاء الله تعالى ، فلما أمسيتُ رقت إلىّ وقالت: إذا شئت فانزل [فنزلت][7] وقـد أعدّت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ، ومعهما عبد ، وأعطَتِ العبدَ نفقةً لطريقه وقالت : العبد والراحلتان لك . فركبنا حتى طرَقْتُ أهلى بمكة ، فدققت منزلى ، فقالوا لى : من هذا ؟

(١) معالم فى ب والأغانى ، وكأنها مسالم فى الأصل .

(٢) من ذلك المال (أغانى).

(٣) مضيت (أغانى) .

(٤) تقيم لى ما يصلحنى (أغانى) .

(٥) يقال : غرض من المـكان : مل وضجر .

(٦) نأتيك بما (أغانى) .

(٧) ما بين القوسين (أغانى) .

قلت : عبيدُ الله، فبَكَوْا ووَلْوَلُوا ، وقالوا : ما فارقَنا طلبُك إلا فى هـذا الوقت . فأقمتُ عندهم حتى أسحرت ، ثم نهضت ومعى العبد فأتيت[1] المدينة فجئت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء ، وهو يُمَشِّى أصحابَه فجلست معهم ، وجعلت أتعاجم ، فلما خرج أصحابه كشفتُ عن وجهى ، فقال : ابنُ قيس ! ؟ فقلت : ابنُ قيس ، جئتك عائذا بك ، فقال : ويحك ، ماأجَدَّهُم فى طلبك ، وأحرَصهم على الظفر بك . ولـكنى سأكتب إلى أمِّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، وعبدُ الملك أرقُّ شىء عليها ، فكتب إليها يسألها أن تشفع لى إلى عَمِّها ، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتابا يسألها فيه الشفاعة. فدخل إليها عبد الملك كما كان يفعل ، وسألها : ألك حاجة ؟ فقالت : نعم لى إليك حاجة . فقال : قضيتُ كل حاجة لك إلا ابنَ قيسِ الرقيات . فقالت : لا تَسْتَثْنِ علىّ شيئا . فنفح بيده فأصاب وجهها فوضعت يدها على خدها فقال: يا بنتى[2] ارفعى يدك فقد قضيت كل حاجة لك وإن كان ابنَ قيس الرقيات . فقالت : إن حاجتى ابنُ قيس ، تؤمنه فقد كتب إلىّ يسألنى أن أسألك ذلك . قال : فهو آمن فمُرِيه أن يحضر مجلسى العشيةَ ، فحضر ابن قيس ، وحضر الناس ، حين بلغهم مجلس عبد الملك وأخَّر الإذنَ ، ثم أذن للناس ، وأخَّر إذنَ ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : يا أهل الشام أتعرفون هذا ؟ فقالوا : لا ، قال : هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذى يقول :

كيف نومى على الفراش ولمّا ... تشْمَلِ الشأمَ غـارةٌ شعواء

تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتبْدِى ... عن خِدَامِ العقيلةُ العـذراء

---

(١) حتى قدمت المدينة (أغانى) .

(٢) فى الأصل ا ء ب : يا أمى .

فقالوا : يا أمير المؤمنين اسْقِنا دمَ هذا المنافق . قال : الآن ، وقد أمَّنْته وصار في منزلي [وعلى بساطي][1] وقد أخرت الإذن اتقتلوه فلم تفعلوا ، فاستأذنه ابنُ قيس الرقيات أن يُنْشده مديحه فأذِن له فأنشده :

عادَ له عن[2] كثيرةَ الطربُ ‏ ‏ ‏ فعينُه بالدمــــوع تنسكبُ

حتى قال فيها :

إن الأغرَّ الذىَّ أبوه أبو الـ ‏ ‏ ‏ عاصى عليه الوقارُ والحُجُب

يعتدِلُ التـاجُ فـوق مَفْرِقِه ‏ ‏ ‏ على جبينٍ كأنّـه ذهبُ[3]

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحُنى بالتاج كأننى من العجم ، وتقول فى مصعب :

إنمـا مصعبٌ شهابٌ من اللـ ‏ ‏ ‏ ـه تجلّت عن وجهه الظلْماء

مُلْـكُه مُلْكُ عِزّةٍ ليس فيـه ‏ ‏ ‏ جَـبَروتٌ منـه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق ، ولـكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً . قال : فقال ابن قيس لعبدالله بن جعفر : ماينفعنى أمانى، تُرِكْتُ حيًّا كميّتٍ لا آخذ مع الناس عطاء أبداً ، فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة . قال : فعمِّرْ نفسَك . قال : عشرين ، فذاك ثمانون سنة . قال : كم عطاؤك ؟ قال: ألفا دِرهم. فأمر له بأربعين ألف درهم . وقال ذلك [لك] علَىَّ حتى تموت على تعميرك نفسك فقال عبيد الله يمدحه :

تقدّتْ[4] بي الشهباء نحو ابن جعفر ‏ ‏ ‏ سواء عليها ليلُها ونهــارُها

---

(١) الزيادة عن الأغانى .

(٢) فى ا ، به عن ، وفى الأغانى من .

(٣) الذهب (أغانى) .

(٤) تقدت : سارت سيرا ليس بعجل ولا مبطئ .

تَزورُ امرأً قد يعـلم الله أنه ... تَجُودُ له كفٌّ قليل غِرارهـا
أتيناكَ نُثْنِي بالذى أنت أهْلُهُ ... عليكَ كما أثْنَى على الروض جارها
ووالله لولا أن تَزورَ ابن جعفر ... لـكان قليلا فى دمشقَ قَرارُها
إذا متّ لم يُوصلْ صديقٌ ولم تقم ... طريقٌ من المعروف أنت منارُها
ذكرتك إذ فاض الفرات بأرضنا ... وفاض بأعلى الرَّقتين (١) بحارها
وعندىَ مما خوّلَ الله هجمةٌ (٢) ... عطاؤكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركةٌ كانت عطاء مُبـارك ... منائح كبراها وتنمى صغارها

قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس: [ويحك يا ابن قيس] (٣) أما اتقيت الله تعالى حين تقول لابن جعفر:

تزور امرأً قد يعلم الله أنه ... تجود له كف قليل غرارها

ألا قلت: قد يعلم الناس، ولم تقل: قد يعلم الله... فقال ابن قيس: قد والله علمه الله وأنت وأنا والناس.

ومما عيب على ابن قيس الرقيات هذا المعنى:

تَقَدّتْ بى الشهباء نحو ابن جعفر ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

وذلك أنه نقض صدره بعجزه، لأن (تَقَدّتْ) أى سارت سيرا غير عجل، ثم قال (سواء عليها ليلها ونهارها) وهذا غاية الدأب فى السير، فناقض المعنى فى بيت واحد.

---

(١) الرقتين (أغانى).

(٢) الهجمة من الإبل ما بين الأربعين أو السبعين إلى المائة ـ والشول: جمع شائلة وهى من الإبل التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن لها.

(٣) ما بين القوسين (أغانى) ٥ : ٨١.

وقال الأصمعي (كثيرة) التي ذكرها في شعره :

عاد له من كثيرة الطرب ... ...

هي المرأةُ التي آوته بالكوفة ، لما أقام عندها سنة . فلما كان بعد سنة إذ أشرف من جناح إلى الطريق . فإذا منادى عبد الملك ينادى ببراءة الذمّةِ ممن أصيبَ عنده ، فأعلمت المرأة أنني الرجل . فقالت لى : لا يرُعْك[١] ما سمعتَ ، فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا . فإن أردت المقامَ ففي الرحب والسعة ، وإن أردت الانصراف فأعلمني . فقلت : لابد من الانصراف ، فلما أحْضَرت لى الراحلتين والعبد قلت لها : من أنتِ لأكافِئك ؟ قالت : ما فعلت هذا لتكافئني ، فانصرفتُ ولا أعرفها ، إلا أنى سَمِعْتُها تُدْعى بكثيرة فذكرتها في شعري .

وقيل : إن ابن قيس لما منعه عبد الملك بن مروان عطاءه وطلَبه ليقتله ، واستجار بعبد الله بن جعفر ، دخل عليه وعرّفه خبرَه فدعا بظَبْيَةٍ[٢] فيها دنانير ، وقال لسائب خاثر : عدّ له منها، فجعلت أعدّ وأطَرِّب بجهدى، حتى بلغت ثلاثمائة دينار ، وسكتّ . فقال لى عبدُالله بن جعفر : مالك ، ويلك، سكتّ !! ما هذا وقت قطع الصوت الحسن . فجعلت أعدّ حتى نَفِدَ ما كان فى الظّبْية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتها إليه . فلما قبضها قال لابن جعفر : سَلْ أميرَ المؤمنين فى أمرى، قال : قم[٣] فإذا دخلتُ ودخلتَ معى إليه، ودعا بالطعام، فكل أكلا فاحشا، فركب ابنُ جعفر فدخل معه على عبدالملك، فلما قُدِّم الطعام جعل يسىء الأكل . فقال عبد الملك لابن جعفر : من هذا ؟ قال هذا إنسان لا يحرز[٤] إلا أن يكون صادقا إن استُبقىَ ، وإن قتل كان أكْذَبَ الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه يقول :

---

(١) لا يروعنك (أغانى) .

(٢) الظبية : الجراب ، أو الصغير خاصة .

(٣) نعم لى ! وفى الأغانى .

(٤) لا يجوز (أغانى) .

ما نَقَموا من بنى أُمية إلّـ ا أنهم يحْلُمون إن غَضِبوا
وأنهم مَعْدِنُ[1] الملوكِ فما تصلح إلا عليهم العَرَبُ

فإن قتلتَه لغضبك عليه أَكْذَبْتَه فيما مَدَحَكم به . قال : هو آمن ، ولكن لا أُعْطِيه عطاءً من بيت المال . قال : ولم ؟ وقد وهبْتَه لى ، وأُحبُّ أن تهب عطاءه لى أيضا ، كما وهبت لى دَمَه وغفرتَ ذنبه، قال : قد فعلت . قال : وتُعْطيه ما فاته من العطاء . قال : قد فعلت ، وأمر له بذلك .

وكان عبد الله بنُ جعفر قد فرض على نفسه عطاءً عبيد الله بن قيس أيامَ حياته ، وأعطاه غيرَ ذلك من عطايا ، أكثرَ منها ثم جاءته صِلةٌ من عبد الملك وابنُ قيس غائب ، فأمر عبدُ الله بن جعفر جارية[2] لتخبأ له صلته منها . فلما قدم دفعها إليـــه [وأعطاه][3] جارية حسناء فقال ابن قيس :

إذا زرتُ عبدَ الله نفسى فداؤه رجعتُ بفضلٍ من نداه ونائلِ
وإن غبتُ عنه كان للودِّ حافظا ولم يك عنى فى المغيب بغافلِ
تداركنى عبدُ الإله وقد بَدَتْ لذى الحقد والشَّنآن منى مقاتلى
فأنقذنى من غمرة الموت بعد ما رأيت حياضَ الموت جُمَّ[4] المناهل

اعترض الرشيدُ جاريةً فغنت :

ما نقموا من بنى أُمية إلّا ... ...

فلما ابتدأتْ به تغير وجهُ الرشيد ، وعلمت أنها قد غلطت وأنها إن مَرّتْ فيه قُتِلتْ فانتبهت وقالت :

... ... إلّا أنهم يَجْهلون إن غضبوا
وأنهم معـــدن النفاق فلا تفســـد إلّا عليهم العربُ

---

(١) سادة (أغانى) .
(٢) خازنه فخبأ له صلته (أغانى ٥ : ٨٢) .
(٣) عن الأغانى . (٤) جم (أغانى ٥ : ٨٢)

فقال الرشيد ليحيي بن خالد : سمعت يا أبا على ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبْتَاعُ هذه وتُسَنَّى لها الجائزة ويُعَجَّلُ لها الإذن(١) ليسكن قلبها. قال : ذاك جزاؤها ، قومى فأنت منى بحيث تحبين ، فأغمى على الجارية . فقال يحيي بن خالد :

جُزِيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنِهـا   من الله جناتٍ تفوزُ بِمَدْنِهـا

مر عبد الله بن قيس بابن أبى عتيق ، فسلم عليه ، فقال : عليك السلامُ يا فارسَ العمياء. فقال له : ما هذا الاسم الحادثُ يا أبا محمد؟ قال : سميت به نفسك حيث تقول :

. . .   .   سواء عليها ليلها ونهارها

فما يستوى الليل والنهار إلا على الأعمى. قال : إنما عنيت التَّعب . قال : فبيتك يحتاج إلى ترجمان يُتَرْجِمُ عنه.

أنشد كُثَيِّرٌ ابن أبى عتيق كلمته التى يقول فيها :

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائل   قليل ولا أرضَى له بقليـــل

فقـال له : هذا كلامُ مُـكافىءٍ وليس بعاشق . القرشيان(٢) أصدق وأقنع منك : ابن أبى ربيعة حيث يقول :

ليت حظِّى كطرفة العين منها   وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّى

وقوله :

فِعدى نائلا وإن لم تُنيلِى   إنه يُقْنِـعُ المحبَّ الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رُقَىَّ بعيشِـكم لا تَهجرينا   ومَنِّينا المُنَى ثمّ امطُلينـــا

عِدينا فى غـد ما شئت إنا   نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الواعدينا

فإما تُنْجِزِى وَعْدِى وإما   نعيشُ بمـا نُؤَمِّلُ منك حينا

(١) فى الأصل الآت .

(٢) فى الأصل القرشيات . . من كابن أبى ربيعة .

أغرّكِ أنني لا صَبْرَ عنــدى على هَجْرٍ وأنّك تَصْــبِرينا

فذكر ذلك لأبى السائب المخزومى فقال : صدق ابنُ أبىعتيق وفقه الله ، ألا قال المذنوب كما قال المجنون حيث يقول :

وأبكى فلا لَيْلَى بَكَتْ من صبابة لباكٍ ولا ليلَى لذى الرزء[1] تبذلُ

وأقنَــع بالمُعْتَــبَى إذا كنت مُذْنِبا وإن أذْنَبَتْ كنتُ الذى أتَنَصَّــلُ

حدّث فِنْد[2] قال : حجّتْ رقيةُ بنتُ عبد الواحد العامرية . فكنت آتيها وأُحَدِّثُها فتستظرفُ حديثى وتضحكُ منِّى ، وطافت ليلةً بالبيت ، ثم أهْوَتْ لتستلمَ الركنَ الأسودَ وتقبِّلَه ، وقد طُفْت مع عبيد الله بن قيس الرقيات، فصادف فراغُنا فراغَها ، ولم أشعر بها فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود [ويقبله][3] فصادفها قد سبقته إليه فنَفَحَته بُرِدْتها فارتدَع . وقال لى : من هذه ؟ فقلت: أَوَلا تعرفها ؟ هذه رقية بنت عبد الواحد. فعند ذلك قال:

مَنْ عَذِيرى ممن يَضِنُّ بمبــذو لِ القِرَى علىّ عنــد الطوافِ

يريد أنها تقبل الحجر الأسود وتضن عليه بقبلتها ، وقال فى ذلك :

حدثونى هل على رجــل عاشــقٍ فى قُبْلَةٍ حَرَجُ

* * *

كان عبد الملك بن مروان قد أراد البيعة لابنه الوليد ، بعد عبد العزيز بن مروان، فكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك ، فامتنع عليه وكتب إليه يقول له : لِىَ ابنٌ وليس ابنُك أحبَّ إلىّ منه ؛ فإن استطعت ألّا يُفرِّق بيننا الموت ، وأنت قاطع لى فافعل ، فَرَقّ له عبد الملك فكفّ عن ذلك فمات عبد العزيز بعد ستة أشهر .

(١) لذى الود (أغانى) .

(٢) فند مولى عائشة بنت سعيد بن أبى وقاص ٥ :٩٦ .

(٣) عن الأغانى : ٥ : ٩٦ .

ذكر عبد الرحمن دَحمان[1]

دَحمان لقبٌ غَلَبَ عليه ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى ليث بن بكر ابن عبد مناة، من كنانة . ويكنى أبا عمرو ، ويقال له دحمان الأشقر . وكان مع شهرته بالغناء صالحا كثير الصلاة مُعَدَّلَ الشهادة مُدْمِنا للحج. وكان يقول: ما رأيت باطلا أشْبَهَ بحق من الغناء .

وشهد دحمان لرجل عند عبد العزيز بن[2] عبد المطلب بن حنطب ، وهو يَلى القضاء على رجل من أهل العراق بشهادة ، فأجازها وعَدَّله فقال له العراقى: إنه دحمان. قال : أعرفه ، ولو لم أعرفه لسألت عنه . قال : إنه يغنى ويُعَلِّم الجوارىَ الغناء . قال: غفر الله لنا ذلك ، وأيُّنا لا يتغنى؟ أخْرُج إلى الرجل عن حقه.

وكان دحمانُ من رُواة مَعبد ، ومن جملة مَنْ كان من المُعَدّلين من المغانى مَعْبد فإنه كان فى ابتداء أمره مقبول الشهادة ، فلما خُصَّ بالوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَاتِ[3]، وغنّى له ، أُسقطت شهادته ، وعدالته ، لا لأن شيئا بان عليه من دخول فى محظور ، ولـكن لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

قيل إن المهدى أعطى دحمان فى ليلة واحدة خمسين ألفَ دِرهم[4] وذلك لما غَنَّاه فى شعرِ الأحوص بن محمد :

قَطوفُ المَشْىِ إذ تمشى ترى فى مَشْيِهـــا خَرَقا
وتُثْقِلُهــا عجيزتُهـــا إذا ولت لتَنْطَلِقا

---

(١) الأغانى ٦ : ٢١، فى الأصل رحمان والتصويب عن الأغانى .

(٢) ابن المطلب بن عبد الله بن حنطب ٦ : ٢١ .

(٣) فى الأصل الهيئات .

(٤) دينار (أغانى ٦ : ٢٣) .

فاستخفه السرور والطرب ، حتى قال لدحمان : سَلْني . قال : ريان[١] وغالب — ضيعتان بالمدينة — فأقطَعَهُ إياها ، فلما خرج التوقيع بذلك إلى [أبي][٢] عبيد الله وعمر راجعا المهدى ، وقالا له : إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة ، وقد استقطَعهما ولاة العهود فى أيام بنى أُمية [فلم يقطعوهما][٣] . فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ، فصولح على خمسين ألف درهم[٤] .

كان دَحمان جمّالا يُكْرِى إلى المواضع ويَتّجر ، وكانت له مروءة ، فبينا هو ذات يوم قد أَكْرَى وأخذ ماله إذ سمع رَنّةً ، فاتبعها فوجد جاريةً تبكى ، فقال لها : أمملوكة أنت ؟ قالت : نعم . قال : لمن أنت ؟ قالت : لفلانةَ امرأةٍ من قريش [وسمتها له][٥] فدخل فاشتراها منها بمائتى دينار ونقدها الثمن . قال : وأخذتُها وانصرفتُ بها . فأقامت عندى مُدّةً أطرحُ عليها أنا ومعبد والأَبْجَر وغيرنا ، ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشام ، وقد حذقت ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أُنزِلُ الحمول ناحيةً وأُنزِلُ بها معى ، معتزلا ناحية فى مَحْمِل ، وأطرح على المَحمِل من أعْبِية الجمّالين ، وأجلس أنا وهى تحت ظلها . فأُخرج شيئا آكلُه وأضع زُكرة[٦] فيها شراب فنشربُ وتُغنينى حتى نرحلَ ، فلم نَزَلْ كذلك حتى قَرُبْنا من الشام ، فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلقى عليها لحنى فى شعر إسماعيل بن يسار :

---

(١) فى الأصل دبار والتصويب عن الأغانى والتجريد .

(٢) الزيادة عن الأغانى . والنص فيه . . إلى أبى عبيد الله وعمر بن بزيغ .

(٣) الزيادة عن الأغانى ٦ : ٢٣ والتجريد .

(٤) دينار (أغانى) .

(٥) الزيادة عن الأغانى .

(٦) الزكرة بالضم : زق للخمر و الخل كما فى القاموس . وفى الاغانى ركوة وهى إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

لو رَدَّ ذو شَفَق حِمَـامَ مَنِيَّة ... لرَدَدْتُ عن عبد العزيز حِماما
صلى عليك اللهُ من مستودَع ... جاورت رمسا فى القبور وهاما[1]

فبينا هى تغنيه وإذا براكبٍ قد طلع فسلم علينا ، فرددنا عليه السلام ، فقال : أتأذنون لى أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة ؟ قلنا : نعم ، فنزل وعرضنا عليه طعاما وشرابا ، فأجاب . فقدمنا إليه السُّفرةَ والزُّكْرَة ، فأكل وشرب واستعاد الصوتَ مراراً ، ثم قال للجارية : أتغنين لدَحمان شيئاً ؟ قالت : نعم . فقال : غنِّينى من صَنْعَته شيئاً ، فغنته أصواتاً ، وغَمَزْتُها الا تُعَرِّفَه أننى دحمان ، فطَرب وامتلأ فرحاً وسروراً وشرب أقداحاً ، والجارية تغنيه ، حتى قَرُب وقتُ الرحيل ، فأقبل علىّ وقال : أتبيعنى هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . قال : بكم ؟ فقلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار . فقال : قد أخذْتُها ، فهلم قرطاساً ودواةً ، فجئتُ بذلك . فكتبَ : ادفع لحامل كتابى هذا ساعةَ تَقْرَأه عشرةَ آلاف دينار ، واستوص به خيراً وأعلمنى مكانَه ، وختم الكتاب . ثم قال : أتدفعُ إلىّ الجاريةَ أم تكونُ معك لتقبضَ مالَكَ ، فقلت : بل أدفعُها إليك . فحملها وقال : إذا جئت البَحْرَ أقبِل على فلانٍ وادْفع كتابى هذا إليه ، واقبض منه مالك. ثم انصرف بالجارية ومضَيت فدللت على الرجل فإذا دارُه دارُ مُلْك فدخلتُ عليه ، ودفعت التوقيعَ إليه فقبَّلَه ووضَعَه على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار ، ودفعها إلىّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين . وقال : اجلس حتى أُعلِم أميرَ المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنت فأنا عَبْدُك[2] ، وبين يديك ، وقد كان أمر لى بأنزال[3] وكان بخيلا فاغتنمت ذلك فارتحلت وكنت

(١) ينسب الشعر فى الأغانى لكثير يرثى عبد العزيز بن مروان وزعم بعض الرواة أنه لعبد الصمد بن على الهاشمى يرثى ابنا له، وهوفى تجريد الأغانى منسوب إلى ابن يسار وقد كانت فى الأصل ابن بشار .

(٢) فى الأصل أنا عندك . والتصويب عن الأغانى .

(٣) الأنزال : جمع نزل وهو ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه .

أُصيبت بجملين ، وكانت عدة جمالى خمسةَ عَشر فصارت ثلاثة عشر. قال : وسأل عنى الوليد بن يزيد فلم يَدْرِ القهرمانُ أين يطلبنى . فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسة عشرَ جملا ، ولم يعرف اسمى . وأقامت الجارية عنده شهراً ، لا يسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن استُبْرِئت ، وأصلح من شأنها فظل معها يومه حتى إذا كان فى آخر نهاره قال لها : غنى لدحمان ، فغنت . فقال لها : زيدى ، فزادت ، ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين أو ما سمعتَ غناءَ دَحمان منه ؟ قال : لا . قالت : بلى والله . فقال : وما ذاك ويحك ؟ فقالت : إن الرجل الذى اشتريتنى منه هو دحمان ، قال : أو ذلك هو؟ قالت : نعم [هو هو](١) قال : وكيف لم أعلم ؟ قالت : غمزنى بألا أعلمك. فكتب إلى عامل المدينة بأن يحملَ إليه دحمان ، فحمل فلم يزل عنده أثيراً .

وكان دحمانُ طيبا ظريفا . قال ابنُ جامع : تذاكروا يوما كِبَرَ الأيور بحضرةِ بعض الأمراء فأطالوا القولَ ، ثم قال بعضهم : إنما كِبَرُ أيرِ الرجل فى مقدار حِرِ أمه ، فالتفت الأمير إلى دَحمان فقال : يا دُحيم كيف أيرك ؟ فقال : أيها الأمير إنك لم ترد أن تعرف كبر أيرى وإنما أردت أن تعرف مقدار حر أمى .

وأول ما عُرِفَ من ظرف دحمان أن رجلا مرّ به فقال له : أَيْر حمارى فى حِرِ أُمك يا دُحَيْم . فلم يفهم ما قاله له ، وفهم رجلٌ كان حاضراً معه فضحك . فقال له : مِمّ ضحكت ؟ فلم يخبره . فقال له : أقسمت عليك إلا أخبرتنى . فقال : شتمك بما لا أحب أن ألقاك به . قال: والله لتخبرنّى به كائناً ما كان. قال : قال كذا وكذا مِن(٢) حمارى فى حر أمك . فضحك ثم قال : أعجبُ والله من شتمه كنايتُك عن أير حماره وتصريحُك بحِرِ أمى .

(١) عن الأغانى .

(٢) فى الأصل : أير حمارى والتصويب عن الأغانى وهو بالصواب أشبه لما فيه من الكناية المشار إليها بعد .

ذكر عبد الرحمن أعشى همدان[1]

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث ابن مالك بن عبد الحق[2] بن جشم بن حاشد بن خَيْران بن نَوْف بن همدان بن مالك ابن زيد بن أَوْسلة بن ربيعة بن الجناب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا المُصَبِّح ، شاعرٌ فصيح كوفيٌّ من شعراء الدولة الأُموية .

وكان زوجَ أُخت الشَّعْبِيّ الفقيه عامرِ بن شراحيل ، والشعبيُّ زوجُ أُخته . وكان أحدَ القراء والفقهاء ، ثم تركَ ذلك وقال الشعر ، وآخَى أحمد النصْبِيّ بالعشيرية [والبلدية][3] وكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمد ، وخرج مع ابن الأشعث فأُتى به الحجاج [أسيرا] فقتله صبرا .

وكان الأعشى قد أتى إلى الشعبي فقال له : إنى رأيت كأنى أُدخلت بيتا فيه حنطة وشعير ، وقيل لى: خذ أيَّهما شئت ، فأخذت الشعيرَ. فقال له الشعبيّ : إن صَدَقَتْ رُؤياك تركت القرآنَ وقراءتَه ، وقلتَ الشعرَ ، فكان كما قال .

روى حماد الراوية قال : كان أعشى همدان أبو المُصَبِّح ممن أغزاه الحجاج بَلَد الديلم ، فأُسر فلم يزل أسيراً مدة ، ثم إن بنتا للعِلْج الذى أسره هَوِيَته وصارت إليه ليلا ، فأمكنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمانى مَرات فقالت له الدَّيْلَمية :

---

(١) أغانى ٦ : ٣٣ .

(٢) فى ا ، به الحق ولعلها محرفة . وفى الأغانى : الحر . وفى التجريد : الجن.

(٣) فى الأصل العشرة ، والعشيرية وما بين القوسين عن الأغانى ٦:٣٣

يا معشر المسلمين ؛ أهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال : هكذا نفعلُ كلُّنا ، فقالت : بهـذا العمل نُصرتم ، أفرأيتَ إن خلصتك أتصْطَفِينى لنفْسك ؟ فقال : نعم ، وعاهدها ، فلما كان الليلُ حَلَّتْ قيودَه وأخذت به طريقا تعرفها حتى خَلَّصَتْه فقال شاعر من أسرى[1] المسلمين :

فمن كان يَفْديه من الأسر مالُه ... فهمدانُ يفديها الغداةَ أيورها

وقال قصائد يَذْكرُ فيها ما لَحِقه من أَسْر الديلم .

وأخرجه الحجاجُ أيضا على جيش الـكوفة إلى مُكْران[2] فطال مقامه بها وعمل فيها شعراً .

وكان خالدُ بن عَتّاب بن ورقاء الرِّياحىّ يَعِدُ الأعشى ويمنِّيه ويقول له : إن وُلِّيت عملا كان لك ما دون الناس جميعا ، فمتى استُعْمِلتُ فخُـذ خاتمى واقض فى الأمور كيف شئت . فاستُعْمِل خالدٌ على أصفهان وسار معه الأعشى ، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الـكوفة ، وهجاه بأبيات منها :

تُمنِّينى إمارتَها تمـيمٌ ... وما أُمّى وأُمُّ[3] بنى تميم

وكان أبو سليمانٍ أخاً لى ... ولـكن الشِّراكَ من الأديم

وأعطى خالدٌ الناسَ عطاء كثيراً ، وجعل الأعشى فى أقلّها وفضل عليـه آل عُطارِد ، فهجاه فحبسه مدة ثم أطلقه .

وكان الأعشى يمدح ابنَ الأشعث لما خرج ويُحَرِّض أهلَ الـكوفة، وكان له مع ابن الأشعث مواقفُ محمودة .

---

(١) فى الأصل: أشداء والتصويب عن الأغانى .

(٢) مكران: ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى ، وهى بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند شرقيها (مراصد الاطلاع) .

(٣) بأم .

وكان الأعشى من أخواله لأن أمّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمّ عمرو بنتُ سعيد[١] بن قيس الهمدانيّ .

ومن مدائح ابن الأشعث من قصيدة طويلة :

يأبى الإلـهُ وعزةُ ابنِ محمـد ... وخلود[٢] ملك قبل آل ثمود

إن يأنسوا بمُذَمَّمِينَ عروقُهم ... فى الناس إن نُسِبوا عروقُ عَبِيد

فلما صار ابنُ الأشعث إلى سِجِسْتَان جَبَى مالاً كثيراً فسأله أعشى همدان أن يعطيه [منه] زيادة على عطائه فامتنع فقال الأعشى فى ذلك يعدد عليه أموراً :

هـل تعرف الدارَ عفاَ رسمُهـا ... بالحضْر[٣] فالرَّوْضةِ من آمدِ

نحن حَمَيْناك وما تَحْتَمِى ... فى الرَّوْعِ من مَثْنًى ولا واحد

يـومَ انتصرنا لك من عـابدٍ ... ويـوم أنجيناك من خـالد

ووقعة الرَّىِّ التى نِلْتَهـا ... بجحفلٍ من خيلنـا عاقـد

وكم لَقِينا لك من واترٍ ... يصرفُ نابَىْ حَنِقٍ حـاردِ

ثم وَطِئْنـاه بأقدامنا ... وكان مثـل الحَيَّة الراصـدِ

إلى بـلاء حسنٍ قـد مَضَى ... وأنت فى ذلك كالزاهـد

فاذكر أيادينا وآلاءنا ... ودعوة[٤] من حَبْلك الراشد

ويومَ الأهْواز فلا تَنْسَه[٥] ... ليس الثنا[٦] والقول بالبائد

---

(١) فى الأصل سعد وما أثبتناه عن الأغانى ٦ : ٤٦ .

(٢) وجدود (أغانى ٦ : ٤٦) .

(٣) الحضر : مدينة بإزاء تكريت فى البرية بينها وبين الموصل والفرات .

(٤) بعوده من حاملك الراشد (٦ : ٤٧) .

(٥) فى الأصل : تنثه .

(٦) فى الأصل : الثنا — والثنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسيء .

إنا لنرجوك كما نرتجى صوبَ الغمام البارق[1] الراعد
فانفع بكفّيك وما ضمّتا وافعل فَعالَ السيدِ الماجد
ما لَك لا تُعطى وأنت امرؤٌ مُثرٍ من الطارِف والتالد
تَجْبِى سجستان وما حولها ممكنا[2] من عيشك الراغد
لا ترهب الدهر وأيامه وتجرُد الأرضَ مع الجارد
إن يك مكروهٌ تَهجّنا له وأنت فى المعروف كالراقد
ثم ترى أنا سنرضى بذا كلاَّ وربِّ الراكع الساجدِ
وحُرْمة البيت وأستاره [ومَنْ به من ناسكٍ عابدِ][3]
تلك لكم أُمنيَّة باطل وغفوة من حُلُم الراقد
ما أنا إن هاجك مِنْ بعدِها هَيْجٌ بآتيك ولا كابد[4]
ولا إذا ناطوك[5] فى حَلْقَة بحامل عنك ولا ذائد
فأعط ما أعطيته طَيّباً لا خير فى المنكود والناكد
نحن ولدناك فلا تَجْفُنا والله قد أوصاك بالوالد
إن تك من كِنْدَة فى بيتها فإن أخوالَك من حاشد[6]
شمُّ العرانين وأهلُ الندى ومنتهى الضِّيفان والرائد
كم فيهمُ من فارس مُعْلَمَ وسائس[7] للجيش أو قائد

(١) المبرق (أغانى) ٦ : ٤٨ .
(٢) متكئا فى عيشك .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى وهو بياض فى الأصل .
(٤) يقال : كابد الأمر مكابدة: قاساه وتحمل المشاق فى فعله ، والكابد: فاعل المكابدة .
(٥) فى الأصل ولا أرانا طول ، وناطه : علقه .
(٦) حاشد : حى من همدان .
(٧) فى الأصل ا ، ب كابس وفى الأغانى : سائس .

فارْتَحْ[1] لأخوالك واذكرهُمُ ... وارحمهمُ للسَّلَف العائد
فإنّ أخوالك لم يبرحوا ... يَرْبُونَ بالرِّفْد على الرافد
لم يجعل الله بأحسابنا ... نَقْصا وما الناقصُ كالزائد
ورب خالٍ لك فى قومه ... فرع طويل الباع والساعد
لم يبخلوا يوما ولم يجبنوا ... فى السلف الغازى ولا القاعد
ورب خال لك فى قومه ... حَمَّال أثْقالٍ لهـا واحد
مُعْتَرِفٍ للبر فى ماله ... والحق للسائلِ والقاصد[2]

خرج أعشى همدان إلى الشام، فى ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظا، فجاء إلى النعمان بن بشير فكلم اليمانية، فقال لهم: هذا شاعر اليمن، ولسانها واستماحهم له، فقالوا: نعم، يُعْطِيه كلُّ رجلٍ منا دينارين من عطائه. فقال: لا، بل أعطوه ديناراً ديناراً، واجعلوا ذلك معجلا. فقالوا: أعطه إياه من بيت المال، واحتَسِبْها على كل رجل من عطائه، وكانوا عشرين ألفا. ففعل النعمان ذلك، وأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعها منهم عند العطاء، فقال الأعشى يمدح النعمان ابن بشير:

[و] لم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمان نُعمانِ الندَى ابن بَشير
إذا قال أَوْفَى ما يقول ولم يكن ... بِمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرور

وله أيضا:

إنْ يك ذا الدهرُ قد أضرَّ بنا ... من غير رحل فربما نفعـا
أبكى على ذاك الزمان ولا ... أحسب شيئا قد فات مرتجعا
إذ نحن فى ظل نعمة سلفت ... كانت لها كل نعمة تبعـا

(١) فارتع (أغانى) وفى ا، ب تقرأ: فارع أو فادع.
(٢) فى الأغانى: للرزء (مكان للبر) والعامد (مكان القاصد) ٦: ٤٩.

وقال :

ألا مَنْ لنفس لا تموت فينقضي ... عناها ولا تحيا حياةً لها طعمُ

أأتْرُكُ إتيانَ الحبيبِ تأثُّماً ... ألا إن هجرانَ الحبيب هو الإثمُ

فذق هجرَها إن كنت تزعم أنه ... رشاد ألا يا رُبَّما كَذَبَ الزَّعْمُ

وتوفي سنة [١٠٢ هـ] اثنتين ومائة .

وقيل: مات بالمدينة سنة [٩٨هـ] ثمان وتسعين .

ذكر عمرَ بن عبد العزيز(١)

هو عمرُ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، ويكنى أبا حفص .

وأمه أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكان أحسنَ الناس صوتا ، حَسَنَ القراءةِ للقرآن .

قيل : إنه صَنَع ألحانا، والله أعلم .

قال محمد بن الحسن : رأيت عمر بن عبد العزيز فى النوم ، وعليه عمامةٌ ورأينا الشجَّةَ فى وجهه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين صوتٌ يزعم الناس أنك صنعتَه من شعر جرير :

قفا يا صاحِبَيَّ نَزُرْ سعادا ... لِوَشْكِ رحيلها وذَرِ البِعادا

فتبسم ولم يرد جوابا .

ذكر يحيى بن سعيد الأموى أن عبد الملك كان يُؤْثِر عمر بن عبد العزيز ويَرِقُّ له ويُدْنيه إذا دخل عليه ، ويرفَعُه فوق ولَدِه جميعا إلا الوليد ، فعاتَبه بعض بنيه على ذلك ، فقال له : أوَما تعلم لِمَ فعلتُ هذا ؟ قال : لا ، قال : إن هذا سَيَلِى الخلافةَ وهو أشَجُّ بنى مروان الذى يملأُ الأرض عدلا بعد أن تُملأَ جَوْراً ، فما لى لا أحبه وأدنيه؟ وكان قد خرج يلعب فرمَحَتْه بَغْلةٌ على جبينه ، فبلغ أمَّه ، أمَّ عاصم ، فخرجت فى خدمها ، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها ، فقالت : أما الكبيرُ فيكرم وأما الصغير فيُرْحَم وأما الأوسط فيَضِيع ، لِمَ [لا](٢) تتخِذُ لابنى حاضنا

(١) الأغانى ٩ : ٢٥٤ دار، تجريد ج ٣ ل ١ : ١٠٨٥ .
(٢) الزيادة من الأغانى والتجريد .

حتى أصابه ما ترى ؟ فجعل عبد العزيز يمسحُ الدم عن وجهه ثم نظر إليها وقال : ويحك ، إن كان هو أشَجّ بنى مروان إنه لسعيد .

وكانت بنتٌ لعبيدِ الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نُعَيْم[١] النَّحَّام فماتت ، فأخذ عاصم بيده ، فأدخله منزله ، فأخرج إليه بنتيه : حفصة وأُمّ عاصم وقال له : اختر ، فاختار حفصة ، فزوّجه إياها ، فقيل له : تركت أمَّ عاصم وهى أجملُهما فقال : رأيتُ جارية رائعة ، وبلغنى أن آل مروان ذكروها ، فقلت : لعلهم أن يصيبوا فى[٢] دنياهم فتزوّجها عبد العزيز بن مروان فولدت له أبا بكر وعمر ، فكانت عنده ، وقُتل إبراهيم يوم الحرة ، وماتت أُم عاصم عند عبد العزيز بن مروان ، فتزوّج أُختها حفصة بعدها فحملت إليه إلى مصر فمرت بأيْلة[٣] وبها معتوه أو مخنث ، وقد كان أهْدى لأُم عاصم فأثابته ، فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تُثِبْه فقال : ليست حفصةُ من رجال أُم عاصم ، فذهبت مثلا . فلما وَلِىَ عمر بن عبد العزيز [بدأ بلُحْمته][٤] وأهل بيته وأخذ ما كان فى أيديهم وسمى أعمالهم المظالم ، ففزعت بنو أُمية إلى فاطمة بنت مروان عمَّتِه ، فأرسلتْ إليه أنه قد دعانى[٥] أمر لابد من لقائك فيه ، فأتته ليلا ، فأنزلها عن دابتها ، فلما أخذت مجلسها قال : يا عمة ، أنتِ أولى بالكلام ، لأن الحاجة لك فتكلمى . فقالت : تكلم يا أمير المؤمنين ، فقال : إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لم يبعثه عذابا، إلى الناس كافة ، ثم اختار له ماعنده فقبضه إليه ، فترك لهم نهراً ، شِربهم فيه سواء ، ثم قام أبو بكر ، رضى الله عنه ،

---

(١) فى الأصل نعم والتصويب عن (أغانى ٩ : ٢٥٥) .
(٢) من (أغانى) .
(٣) فى الأصل : ـ بإبله وهى مصحفة .
(٤) ما بين القوسين عن الأغانى وهو بياض فى الأصل .
(٥) عنانى (أغانى) .

فترك النهر على حاله ، ثم وَلِيَ عمرُ رضى الله عنه ، فعمل على أمر صاحبه ، فلما وَلِيَ عثمانُ رضى الله عنه اشتق من ذلك النهر نهراً ، ثم وَلِيَ معاويةُ فشق منه الأنهار ، ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلىّ وقد يَبِس ذلك النهر الأعظم [ولن يَرْوَى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى][1] ما كان عليه ، فقالت له : لقد أردتُ كلامَك ومذاكرتَك فأما إذا كانت هذه مقالتُك فلست بذاكرة لك شيئاً أبداً ، ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامه .

وقيل : إنها قالت لهم : ذوقوا مَغَبَّة أمرِكم فى تزويجكم إلى عمر بن الخطاب .

قال حماد الراوية : دخلت المدينةَ ألتمس العلمَ فكان أولَ من لقيت كُثَيِّرُ عزة ، فقلت : يا أبا صخر ، ما عندك من[2] بضاعتى ؟ فقال : عندى ما عند الأحوص ونُصيب ، فقلت : وما هو ؟ فقال : هما أحق بأخبارك ، فقلت : إنّا لم نَحُثَّ المطىَّ نحوكم شهرا نطلب ماعندكم إلا ليبقى لكم [ذكر][3] وقَلَّ مَن فعل ذلك ، فأخْبِرْنى عما سألتك ليكون ما تخبرنى حديثاً آخذه عنك ، فقال : إنه لمّا كان من أمر عمر ابن عبد العزيز ما كان قدمت أنا والأحوص ونُصيب وكل منا يُدِلُّ بسابقة عند عبد العزيز [وإخائه لعمر][4] ، فكان أولَ من لقينا مسلمةُ بن عبد الملك وهو يومئذ فتى[5] العرب ، وكل منا ينظر فى عِطْفَيْه ولا يشك أنه شريك الخليفة فى الخلافة ، فأحسن ضيافتَنا وأكرم مثوانا ، ثم قال : [أما علمتم][6] أن إمامكم لا يعطى

---

(١) الزيادة عن الأغانى ٩ : ٢٥٦ .

(٢) فى الأصل : فى .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) فى الأصل وإحسانه وما بين القوسين عن الأغانى ٩ : ٢٥٧ .

(٥) فى الأصل : فى .

(٦) الزيادة عن الأغانى .

الشعراء شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فافتح لنا فى هذا الأمر فتحا ، فقال : إن كان ذو دين(١) آل مروان قد وَلِىَ الخلافة فقد بقى من ذى دنيا كم مَن يَقْضى(٢) حقّكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل ، فأقمنا على بابه [أربعة](٣) أشهر لا نصل إليه ، وجعل مسلمةُ يستأذن لنا فلا يؤذن له . فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة ، فتحفظت من كلام عمر شيئا ، فأتيت المسجد ، فأنا أولُ من سمع كلامَه ؛ سمعته يقول فى خطبته : لكل سَفَرٍ زاد لا محالة ، فتزوّدوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد اللهُ له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلباً لهذا أو خوفاً من هذا ، ولا يطولَنّ عليكم الأمدُ فتقْسُو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا مَن وَثِقَ بالنجاة من عذاب الله ، وأما من لا يداوى جُرْحا إلا أصابه جُرْح(٤) من ناحية أُخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى [وتبدو عِلّتى وتظهر مسكنتى](٥) وتجبر مسألتى يوم لا ينفع إلا الحق والصدق . فارتج المسجد بالبكاء وبكى عمر حتى بلّ ثوبَه ، وظننا أنه قضى نَحبه ، فبلغت إلى صاحِبَىّ فقلت: جَدِّدَا لعمرَ من الشعر مدحا غير ما أعددناه فليس الرجلُ بدنيائى(٦) .

ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بعد ما أُذِن للعامة ، فدخلنا كافة ، فسلمنا عليه بالخلافة ، فرد علينا فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثواء وقلت الفائدة ، وتحدّثتْ بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : يا كُثير ، أما سمعت قول الله تعالى « إنما الصدقاتُ

---

(١) فى الأصل دردير والتصويب عن الأغانى .

(٢) فى الأصل نقص والتصويب عن الأغانى وهى فيه (يقضى حوائجكم) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) فى ا ، ب: جارح.

(٥) الزيادة عن الأغانى .

(٦) بدنيوى (أغانى ـ تجريد) .

لِلفقراءِ والمساكينِ والعامِلين عليها ، والمؤلَّفةِ قلوبُهُمْ ، وفى الرِّقابِ والغـارمين وفى سبيل الله وابنِ السبيلِ فَرِيضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيم » أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له ؛ وأنا ضاحك : أنا ابن السبيل يا أمير المؤمنين ومُنْقَطَعٌ بى . فقال : أولسْتَ ضيفَ أبى سعيد ؟ قلت : بلى ، قال : ما أحسبُ من كان ضيفَ أبى سعيد ابنَ سبيل ولا مُنْقطعا به .

ثم إنى استأذنته فى الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا حقا ، فإن الله تعالى يُسائلك. فقلت :

وَلِيتَ ولَمْ تشتُم عليـا ولم تُخِفْ ... بريًّا ولم تَتْبَع مقـالة مُجْرِمِ
وقلتَ فصَدَّقْتَ الذى قلتَ بالذى ... فعلتَ فأمسى راضيـا كلُّ مسلم
فلمـا أتـاك الملكُ عفوا ولم يـكن ... لطـالب دنيـا بعده من تـكَلُّمِ
تركتَ الذى يَفْنَى وإن كان مُونقا ... وآثَرْتَ مـا يبـقى برأىٍ مُصَمِّم
فأضررتَ بالفانى[1] وشمرت للذى ... أمامك فى يوم من الشر[2] مظـلم
وما لَك إذ كنتَ الخليفةَ مـانعٌ ... سوى الله من مال رَغيبٍ ومن دم[3]
سما لك همٌّ فى الفؤاد مُؤَرِّقٌ ... صعـدتَ به أعلى المعالى بسُـلَّمِ
فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها ... منادٍ ينادى من فصيـح وأعجم
ينادى[4] أميرَ المؤمنين ظلمتـنى ... بأخذٍ لدينارٍ و [لا] أخـذِ لدرهم
ولا بَسْطِ كفٍّ لامرئٍ ظـالمٍ له ... ولا السفكِ منه ظالما مِلْءَ مِحْجَمِ
فلو يستطيع المسلمون لَقَسَّمُوا ... لك الشطرَ من أعمارهم غيرَ نُدَّمِ

(١) تجريد : ١٠٨٨ وفى الأصل : فأصدرت للفانى .
(٢) أغانى (من الهول) .
(٣) فى الأصل: رعيت وفى الأغانى والتجريد : رغيب ، ولادم .
(٤) يقول : (أغانى وتجريد) .

فأَرْبِحْ بها من صفقة لمبايعٍ ... وأعْظِمْ بها أعْظِمْ بها ثم أعْظِمِ

فقال له : يا كُثَيِّر ، إن الله تعالى يُسائلك عما قلت كلِّه .

ثم تقدم الأحوصُ فاستأذنه فقال: قل ولا تقل إلا حقا ، فإن الله عز وجل يسائلك فأنشده :

وما الشعر إلا خطبةٌ من مُؤَلِّفٍ ... بمنطقِ[1] حقٍّ أو بمنطق[1] باطلِ
فلا تقبلَنْ إلا الذى وافق الرضا ... ولا ترجعنَّا كالنساء الأرامــل[2]
رأيناك لم تعدِلْ عن الحق يَمْنَةً ... ولا يَسْرَةً فعلَ[3] الظلوم المخاتل
ولـكن أخذتَ القصدَ جهدَكَ كله ... وتقفو مثال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نـَكْذِب بما قد بدا لنـا ... ومن ذا يرد الحق من قول قائل[4]
ومن ذا يرد السهم بعــد مروقه ... على فُوقِه إن عَار[5] من نَزْعِ نابل
ولولا الذى قد عوَّدَتْنا خلائفٌ ... غطاريفُ كانوا كالليوث البواسل
لما وخدتْ شهراً بِرَحْلِى جَسْرَةٌ[6] ... تَفُلُّ متونَ البيدِ بين الرواحل
ولـكن رجونا منك مثل الذى به ... صُرِفنا قديما من ذويك الأفاضلِ
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائل
فإن لنا قربى وصدقَ[7] مودة ... وميراثَ آباء نَشَوا[8] بالمناصِلِ

(١) فى الأصل: لمنطق .
(٢) أغانى وتجريد وفى الأصل : ولا ترجعن إلا ثناء الأرامل .
(٣) فى الأصل: إلا والتصويب عن الأغانى وفيه: المجادل مكان: المخاتل.
(٤) عاذل (أغانى وتجريد) .
(٥) عار : طاش .
(٦) فى الأصل: حرة .
(٧) ومحض (أغانى وتجريد) .
(٨) نشوا فى ا، ب وفى الأغانى: مشوا وفى اللغة : نشى بالشيء : عاوده مرة بعــد مرة .

فذادوا عدو السلم عن عقْر دارهم ... وأرسَوْا عمود الدين بعد تمايل[١]

فقبلك ما أعطى الهنيـدةَ جِلّةً ... على الشعر كعبا من سديس وبازل[٢]

رسول الإله المصطفى برسالة ... عليه سلام بالضحى والأصائل

فـكلٌّ الذى عدّدت يكفيك بعضُه ... [ونَيْلك خير من بحور سوائل][٣]

فقال عمر : يا أحوص اللهُ تعالى مسائلك عن كل ما قلت ، ثم تقدم نصيبٌ فاستأذنه فى الإنشاد ؛ فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديداً ، وأمره باللحاق بدابق ، وأمر لى وللأحوص لـكل واحد منا بمائة وخمسين درهما ، وقيل إنه قال : ما عندى ما أُعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائى فأُواسيَكم . فانتظرناه[٤] حتى خرج عطاؤه فأمر لى وللأحوص لـكل واحد منا بثلاثمائة درهم ، وأمر لنُصَيب بمائة وخمسين درهما ، فما رأيت أعظم بركة من الثلاثمائة درهم التى أعطانى ، ابتعتُ بها وصيفةً فعلمتها الغناء ، فبعتها بألف دينار .

قال دُكَيْن الراجز : امتدحت عمر بن عبد العزيز ، وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة[٥] ناقةً كرائم فـكرهت أن أَرْمِىَ بهن الفِجاجَ ولم تَطِبْ نفسى ببيعهن ، فقدمت علينا رفقَة من مِصْر فسألتهم الصحبة ، فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلةَ ، فأتيته فودعْتُه ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لى : يا دكين ، إن لى نفسا تواقةً ، فإن صرتُ إلى أكثر مِمّا أنا فيه ، فأتنى ، فلك الإحسانُ. فقلت : أَشْهِدْ لى بذلك . قال: أُشهدُ الله عز وجل ، قلت : ومِنْ خَلْقِه . قال : هذين الشيخين

(١) فى الأصل : ا ، ب التمائل .

(٢) الهنيدة : المائة من الإبل . السديس : ما دخل من الإبل فى السنة الثامنة . والبازل من الإبل ما انشق نابه . وفى التجريد : فقبلك ما أعطى الرسول هنيدة بنبوبة (أغانى) .

(٣) الزيادة من الأغانى وهى بياض بالأصل ، وفيه وذلك مكان : ونيلك .

(٤) فى الأصل : فانتظروه .

(٥) فى الأصل : بخمس عشرة ناقة .

فاستسميتهما ، فإذا هما سالمُ بنُ عبد الله بن عمر ، وأبو يحيي مولى الأمير . فخرجت إلى بلدى بالنوقِ فربَّى الله تعالى بالبركة فى أذنابهن حتى اقتنيت[١] منهن الإبل والعبيد، فإنى لبصحراء فَلْج[٢] ، إذاناع ينعى سليمان، فقلت : من القائمُ بعدَه ؟ قال : عمر بن عبد العزيز، فتوجهتُ نحوه فلقينى جريرٌ منصرفامن عنده ، فقلت: ياأبا حَزْرَة من أين أقبلت ؟ قال : من عند من يعطى الفقراءَ ويمنعُ الشعراءَ . فانطلقتُ فإذا هو فى عرصة الدار ، وقد أحاط به الناس ، فلم أَخْلُص إليه فناديت :

يا عمرَ الخيراتِ والمكارمِ وعمرَ الدسائعِ[٣] العظائم
إنى امرؤ من قَطَنِ بن دارم طلبتُ دَيْنِى من أخى مكارمِ
إذ تَنْتَحِى واللهُ غيرُ نائم عند أبى يحيى وعندَ سالمِ

فقام أبو يحيي فقال : ياأميرَ المؤمنين عندى لهذا البدوى شهادةٌ عليك . فقال : أعْرِفُها يا دكين ، أنا كما ذكرت لك ، إنّ نفسى لم تنل شيئا إلا تاقَتْ إلى ماهو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسى تَتوق إلى الآخرة ، والله ما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئا ، وماعندى إلا ألفا درهم فخذ نِصْفَها. قال: فوالله مارأيت ألفا كان أبركَ منها .

ودكين هو الذى يقول :

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عِرْضُه فكل رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضَيْمَها فليس إلى حُسْنِ الثناء سبيلُ[٤]

---

(١) اعتقدت (أغانى) ويقال : اعتقد المال جمعه .
(٢) فى الأصل أفلج — وفلج : بين البصرة وحمى ضرية .
(٣) الدسائع (جمع دسيعة) وهى العطايا والشمائل .
(٤) تروى الأبيات للسموءل .

قال هارونُ بن صالح : حدثنى أبى قال : كنا نعطى الغَسَّالَ الدراهمَ الكثيرةَ حتى يغسل ثيابنا فى إثر[1] عمر بن عبد العزيز من كثرةِ طِيبها ومسكها ، ثم رأيته وقد وَلِيَ الخلافة فرأيت غيرَ ما كنتُ أعرف .

دخل عبدُ الله بنُ حسن على عمرَ بن عبد العزيز ، وهو حديث السن ، وله وَفْرَةٌ[2] فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ عُكْنةً[3] من عُكَنِه، فغمزها حتى أوجعه ، وقال له : اذكرها عندك للشفاعة ، فلما خرج لامه قومُه[4] . وقالوا : فعلت هذا بغلامٍ حديثِ السنِّ فقال : إن الثقة حدثنى حتى كأنى أسمعه مِنْ فِي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [قال] : إنما فاطمة بَضْعَةٌ منى يسُرُّنى ما يَسُرُّها ، وأنا أعلم أن فاطمة عليها الرضوان ، لو كانت حيّةً لسَرَّها ما فعلتُ بابنها . قالوا : فما معنى غَمْزِك بطنَه وقَوْلِك ماقلت . قال: إنه ليس أحدٌ من بنى هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون فى شفاعة هذا .

قال يزيد بن علىّ بن فورك[5] : كنت بالشام زمن وَلِيَ عمر بن عبد العزيز ، وكان يعطى الغُرَباء[6] مائتى درهم ، فوجدته متكئا على إزارٍ وكساء من صوف . فقال لى: مَن أنت ؟ فقلت: من أهل الحجاز . قال: من أىِّ الحجاز ؟ قلت: من المدينة. قال : من أيهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أىِّ قريش ؟ قلت : من بنى هاشم . قال : من أىِّ بنى هاشم ؟ قلت : مولى عَلِيّ . [قال : من علىّ][7] فسكت .

---

(١) فى الأصل فى باب وهو تصحيف والتصويب عن الأغانى .
(٢) الوفرة ــ الشعر الكثير .
(٣) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .
(٤) أمله (أغانى وتجريد) .
(٥) يزيد بن عيسى بن مورق (أغانى) يزيد بن عمر بن مورق (تجريد) .
(٦) فى الأصل العرفاء وما نقل عن الأغانى والتجريد .
(٧) الزيادة عن الأغانى والتجريد .

قال : من ؟ قلت : عليّ بن أبي طالب . فجلس وطَرَح الكساء ، ثم وضع يدَه على صدره ، وقال : وأنا والله مولى عليّ ، ثم قال : أشهد على عدد ممن أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن كنتُ مَوْلاه فَعَليٌّ مَوْلاه ، أين[1] مزاحم ؟ كم تُعْطِي مِثلَه ؟ قال : مائتي درهم . قال : أعْطِه خمسين ديناراً ، لولائه[2] عليا . ثم قال : أَفِي فَرْضٍ أنتَ ؟ قلت : لا . قال : فافرِض له . ثم قال : فالحق ببلادكَ فسيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرَكَ .

لما حضرَتْ عمرَ بنَ عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله ، فلما رآهم استعبر ، ثم قال : بأبي وأمي من خَلَّفْتُهم بعدي فقراء ، فقال مسلمة بن عبد الملك : فتعقب فعلك[3] وأَغْنِهِمْ فما يمنعُك أحدٌ في حياتك ، ولا يرتجِعُه [الوالي][4] بعد وفاتك . فنظر إليه نَظَرَ مُغْضَب متعجب ، ثم قال: يا مسلمة ، منعتُهم إياه في حياتي وأشقَى به بعد وفاتي، إن وَلَدِي بين رجُلين : إما مطيعٌ لله عز وجل فالله مُصْلِحٌ له شأْنَه ورازقُه ما يكفيه ، أو عاصٍ له فما كنت لأُعينَه على مَعصية الله . يا مسلمة ، إني حضرتُ أباكَ لمّا دُفِن فحملتني عيني عند قبره، فرأيته قد أفضى إلى أمر من أمر الله ؛ راعني وهالني ، فعاهدت الله عز وجل ألا أعمـلَ بمثل عملِه إن وُلِّيت ، وقد اجتهدت في ذلك طولَ حياتي ، فأرجو أن أُفضِيَ إلى عفو الله وغفرانه .

---

(١) في الأصل: أبا — وهو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .
(٢) من على (أغاني وتجريد) .
(٣) في الأصل : لعب عقلك واعنهم — والتصويب عن الأغاني ٩ : ٢٦٤ .
(٤) الزيادة عن الأغاني .

قال مسلمة : فلما دُفن حضرتُ دفْنَه فحملتنى عينى ، فرأيته وهو فى روضة خضراء نضرة فيحاء ، وأنهارها مُطَّرِدَة وعليه ثياب بيضٌ فأقبل علىّ فقال: يا مسلمة ، لِمثْلِ هذا فلْيَعْمَلِ العاملون .

كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الأسارى بقسطنطينية : أما بعد فإنكم تَعُدُّون أنفسكم أسارى ، معاذَالله ، أنتم الُحبساء فى سبيل الله تعالى ، واعلموا أنى لست أَقْسِمُ شيئا بين رَعِيَّتى إلا خَصَصْتُ أهلَكم بأوْفَرِ ذلك وأطيبه وقد بعثت إليكم خمسة دنانير ، خمسة دنانير ، ولولا أنى خشيت إن زدتكم وكثرتكم [أن يحبسه عنكم طاغية الروم] لأعطيت ذكركم وأنثاكم ومملوككم ما يسأل فأبشروا ثم أبشروا .

كتب الحسنُ البصرىُّ إلى عمر بن عبد العزيز ، وقد كان يكاتبه فلما استخلف كتب إليه كعادته فقيل له : إن الرجل قد وَلِىَ وتَغَيَّر فقال : لو علمتُ أن غيرَ ذلك أحبُّ إليه لاتبعت محبَّتَه ، ثم كتب : من الحسن إلى عمرَ بنِ عبد العزيز ، أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزَلْ .

قال سليمانُ بن أرقم : فمضيت بالكتاب إليه ، فلما قدِمْت عليه ، وإنى لَمنْدَه أتوقع الجواب ، إذ خَرجَ يَوما غيرَ الجمعة ، فصعد المنبر ، واجتمع الناس فلما كثرُوا قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس ، اعلموا أنكم لم تُخْلَقوا عبثا ولم تُتركوا سدى ، وإن لكم معادا يتولى الله ، عز وجل ، فيه الحكمَ فيكم والفصلَ بينكم. فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، التى وَسِعت كلَّ شىء ، وحُرِم الجنةَ التى عرضها السموات والأرض ، ثم إنكم فى أسلافِ الماضين وسَيَرِثُكم الباقون ، حتّى تصيروا إلى خير الوارثين . كلَّ يوم تجهزون غاديا إلى الله ، ورائحا قد حضر أجله ، وطُوِىَ أمله ، وعاين الحساب ، وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، ثم تَدَعُونه غيرَ مُوَسَّد ولا مُمَهّد ، ثم وضع يده على وجهه وبكى مَلِيًّا ، ثم رفعها ، وقال : أيها الناس

من وَصَل إلينا منكم بحاجته لم نألُه خيرا ، ومن عجز فوالله لوددت أنه وآل عمر في العَجْزِ سواء . ثم نزل وأرسل إلىّ فدخلت ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فكأنك [لست][1] بأوّلِ مَن كُتِبَ عليه الموتُ قد مات ، والسلام.

واشترى عمرُ بن عبد العزيز موضعَ قبره بعشرةِ دنانير .

قال مسلمة : كنا عند عمر بن العزيز ؛ أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك ، فقلنا له : يا أمير المؤمنين إنا قد منعناك النوم ، فلو تأخَّرْنا عنك شيئا عسى أن تنام ، فقال : ما أُبالي لو فعلتما. فتنَحَّيْنا عنه ، وبيننا وبينه سِتْر ، فلم نلبث أن سمعناه يقول : حَيّ الوجوه ، فابتدرناه أنا وهي ، فجئناه وقد أغْمَضَ ، وإذا هاتف يهتف في البيت لا نراه : «تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فساداً ، والعاقبةُ للمتقين».

وقد رَوَى عمر بن عبد العزيز الحديثَ ورُوِيَ عنه .

روى عمر بن عبد العزيز عن أُمه عن أبيها ؛ عاصم بن عمر ، عن أبيه ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الأُدْم الخلّ .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني ٩ : ٢٦٦

ذكر عَدِىّ بن الرِّقاع[1]

هو عَدِىٌّ بن زيد بن مالك بن عدىّ بن الرِّقاع بن عمرو[2] بن عبيد بن سعد بن معاوية بن الحارث ، وهو عاملة بن عدىّ بن الحارث بن مرة بن أُدد .

وأُم معاوية بن الحارث عاملةُ بنتُ وَدِيعة بن قضاعة ، وبها سُموا عاملة ، ونسبه الناس إلى الرِّقاع وهو جَدٌّ جَدِّه لشُهْرَته .

كان شاعراً مقدماً عند بنى أُمية ، مدّاحاً لهم ، خاصا بالوليد بن عبد الملك وله بنتٌ شاعرة ، يقال لها سَلْمى .

وجعله ابن سَلّام فى الطبقة الثالثة[3] من شعراء الإسلام .

وكان منزله بدمشق وهو من [حاضرة][4] الشعراء لا من باديتهم .

وتعرّض لجريرٍ وناقضه ، ولم تَتِمّ بينهم مهاجاة ، إلا أن جريراً هجاه تعريضاً فى قوله :

* حَىٌّ[5] الهِدَمْلة من ذاتِ المواعيس[6] *

ولم يصرِّح لأن الوليد حَلَف له ، إن هجاه أسْرَجَه وألْجَمَه وحَمَله على ظهره .

---

(١) الأغانى ٩ : ٣٠٧ ، دار والتجريد .

(٢) ابن أعصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث ، أغانى .

(٣) فى الأصل : الثانية والتصويب عن الأغانى والتجريد .

(٤) الزيادة عن الأغانى

(٥) فى الأصل حى وهو تحريف .

(٦) الهدملة والمواعيس : مكانان .

دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك ، وهو خليفة ، وعنده عَدِىُّ بن الرِّقاع العاملى ، فقال لجرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال الوليد : هذا عَدِىُّ بن الرِّقاع ، قال جرير : [فشر الثياب الرقاع قال:](١) ممن هو؟ قال : من عاملة قال جرير : الذى(٢) يقول الله عز وجل : عاملةٌ ناصبةٌ تصلَى ناراً حامية . ثم قال :

يَقْصُر باع العاملىِّ عن العُلا ولكنَّ أيْرَ العاملىّ طويلُ

فقال له عدىّ :

أأُمك كانت أخْبَرَتْك بطُولِه أم أنتَ امروٌ لم تَدْرِ كيف تقولُ

فقال : بل أدرى كيف أقول ، فوثب العاملىّ إلى الوليد ، فقبّل رجله وقال : أجرنى منه ، فقال الوليد لجرير : لئن شتمته لأُسرجَنَّك وأُلجمنَّك حتى يركبَك فيُعَيِّرَك الشعراء بذلك . فكنى جريرٌ عن اسمه ثم قال :

إنى إذا الشاعر المغرورُ جَرَّبنى جارٌ لقلبٍ على مُرَّانَ مَرموسِ
قد كان أشوسَ(٣) آباء فأوْرَثَنا شَغْبا على الناس فى أيامه الشوسِ
أقصِرْ فإن نزاراً لن(٤) يفاخرَهم فرعٌ لئيم وأصلٌ غيرُ مغروس
وابن اللبونِ إذا ما لُزَّ فى قَرَن لم يستطع صَوْلةَ البُزْل القعاعيس(٥)

وقيل : إنه لما قال له مقالته « عاملة ناصبة » قال الوليد : ليركبَنَّك شاعرُنا ومادِحُنا ، وراثى أمواتِنا ، تقول له هذه المقالة ، يا غلام علىَّ بإكافٍ(٦) ولجام ،

(١) الزيادة عن الأغانى .
(٢) هى التى يقول: (أغانى).
(٣) فى الأصل : أشرس وشعبا .
(٤) فى الأصل: لم والتصويب عن الأغانى وفيه : يفاخرها .
(٥) القرن حبل يقرن به البعير — والقعاعيس جمع مقعنسس : الشديد الممتنع. وفى الأغانى : القناعيس .
(٦) الإكاف : البرذعة .

فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيه ، فأعفاه . وقال : والله لئن هَجَوْته لأفعلن بك وأفعلن ، فلم يُصَرِّح بهجائه .

ذُكِرَ كُثَيِّرٌ وعديٌّ بن الرقاع العاملىّ فى مجلس بعض خلفاء بنى أُمية ، فامتروا فيهما أيهما أشعر ، فقال جرير : لقد قال كُثَيِّرٌ بيتاً واحداً هو أشهر وأعرفُ فى الناس من عديٍّ بن الرِّقاع نفسِه وهو :

أإن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غرابُ البينِ أنت حزينُ

قال : فحلف الخليفةُ إن كان عَدِىّ بن الرِّقاع أعرفَ فى الناس من بَيْتِ كُثَيِّر ليُسْرِجَنَّ جريراً ويُلْجِمَنَّه وليَحْمِلَنّ عدىّ بن الرقاع على ظهره . وكتب إلى واليه بالمدينة : إذا فرغت من خُطْبَتِك فسَلِ الناسَ مَن الذى يقول :

أإن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غرابُ البينِ أنت حزينُ

وسَلْهُم عن نسب عَدِىٍّ بن الرقاع ، فلما فرغ الوالى من خطبته قال : إن أميرَ المؤمنين كتب إلىّ أن أسألكم ، مَن الذى يقول :

أإن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ . . . . إلخ

فابتدروا من كل ناحية يقولون : كُثَيِّر كُثَيِّر . قال : وأمرنى أن أسألكم عن نَسَب عدىّ بن الرقاع ، فقالوا : لا ندرى ، حتى قام أعرابىّ من مُؤَخَّر المسجد فقال : مِن عاملة .

قال محمدُ بن موسى المُنَجِّم : ما أحَدٌ ذُكِرَ لى أحببتُ أن أراه ، فإذا رأيته أمرتُ بصَفْعِه إلا عديَّ بن الرقاعِ ، فقلت : ولِمَ ذاك ؟ قال: لقوله :

وعلمتُ حتى ما أُسائلُ واحداً(١) عن عِلْمِ واحدةٍ لكى أزْدَادَها

وكنت أَعْرِضُ عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مر به شىء لا يحسنه أمرتُ بصَفْعِه.

---

(١) عالما (تجريد) .

كان عديُّ بن الرقاع ينزل الشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعرَ فأتاه قوم من الشعراء ليماتنوه(١) ، وكان غائبا ، فسمعتْ ابنتُه وهى صغيرة ذَرْواً من وعيدهم فخرجت إليهم وأنشأت تقول :

تَجَمَّعْتُمُ من كل أَوْبٍ وبلدةٍ ... على واحد لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتهم . ولعدى بن الرقاع :

أَلِمْ على طللٍ عفا متقادمِ ... بين الدخيل وبين عَتْبِ الناعمِ

لولا الحياءُ وأنَّ رأسِيَ قدعسا(٢) ... فيه المشيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسمِ

وكأنها وسْطَ النساءِ أعارَها ... عَيْنَيْه أحورُ من جآذرِ(٣) جاسمِ

وسْنَانُ أقصدَه النعاسُ فرنَّقَتْ ... فى عينِه سِنَةٌ وليس بنائمِ

جرت هذه الأبيات بحضرة أبى عمرو الشيبانى . فاستحسنها ، وبالغ . فقال له رجل أعرابى كان بحضرته ، كأنه مدنى : أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعة ، وقُضبانُ الدِّفْلَى(٤) تأخذه لكنت له أشد استحساناً ، يعنى إذا كان يغنى به على العود .

عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأُردن وضربه وأقامه للناس وقال للموكلين به : من أتاه مُتَوَجِّعاً أو أثنى عليه فائتونى به . فأتاه عدىّ بن الرقاع ، وكان عبيدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقاً ولكن ... إلى الغاياتِ(٥) سبَّاقاً جوادا

وكنت أخى وما ولدتك أُمِّى ... وَصُولاً باذلا لى مستزادا

فقد هِيضَتْ لِنكبتك القُدامى ... كذاك اللهُ يفعل ما أرادا

(١) فى الأصل : ليباينوه . والتصويب عن الأغانى . والمماتنة : المعارضة .

(٢) عسا : اشتد ، وفى الأصل : فشا .

(٣) فى الأصل ا — ب : طاسم وروى : عاسم والتصويب عن الأغانى .

(٤) الدفلى شجر حسن المنظر يكون فى الأودية وهو مما يقدح به — وفى الأصل وقصبات .

(٥) الخبرات (أغانى) .

فوثب الموكَّلون به فأدخلوه إلى الوليد ، وأخبروه بما جرى فتَغيظ عليه الوليد ، وقال : أتمدح رجلا قد فعلتُ به ما فعلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه كان لك مُحبًّا ولى مؤثراً ، ففى أى وقت كنتُ أُكافئه بعد هذا اليوم ؟ فقال : صدقت وكَرُمْت ، قد عفوت عنك وعنه ، وهو لك فَخُذْه وانصرف . فأخذه وانصرف به إلى منزله .

قال جرير : سمعت عدى بن الرقاع ينشد :

تُزْجِى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوقِه . . . .

فرحمته من هذا التشبيه وقلت : بأى شىء يُشَبِّهُه ؟ فلما قال :

. . . . قَلَمٌ أصاب من الدواةِ مِدادَها

رحمت نفسى منه .

بلغ كُثَيِّرًا أن عدىَّ بن الرقاع يطعن على بشعره ويقول : هذا شعرٌ حجازى مقرورٌ إذا أصابتهُ قَرُّ الشام جَمدَ وهلك ، فحضر يوما مجلسَ الوليد وقد أنشد عدىٌّ ابنُ الرقاع قصيدته :

* عرفَ الديارَ توَهُّما فاعتادها *

فلما أتى إلى قوله :

وقصيدة قد كنت أجمع بيتها حتى أُقَوِّمَ مَيْلَهــا وسِنادها

فقال له كثير: لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها ثم أنشد قوله فيها :

وعَلِمت حتى ما أسائل واحدًا عن علم واحدة لـكى أزدادها

فقال له كثير : كذبت ورب الـكعبة فليمتحنْك أميرُ المؤمنين بأن يسأَلك عن صغيرِ الأُمورِ دون كبيرِها حتى يَبِينَ جَهلُك وما كنتَ قط أحمقَ منك الآن حين تظن هذا بنفسك، فضحك الوليد ومن حضره ، وقُطِـعَ بِعَدى بن الرقاع حتى ما نطق .

ذكر عُلَيّة بنت المهدى[1]

أمها أمُّ ولد مغنية يقال لها مَكْنونة ، كانت من جوارى المروانية المغنية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، وهى زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس ، مغنية ، وكانت أحسنَ جارية بالمدينة وجها وكانت رسحاء[2] ، وكانت حسنة الصدر والبطن وكان من يمازحها يعبث بها فيصيح : طَسْت طَسْت ، فاشتريت للمهدىّ فى حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول: ما مَلَكَ أمةً أغلظ[3] علىّ منها .

ولما اشتراها ستر أمرها عن المنصور حتى مات فولدت له عليّة، وكانت عليّة من أجمل الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة .

وكان بها عيب ، [كان][4] فى جبينها فضلُ سعة فاتخذت العصائب المكلّلة بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت ، والله ، شيئا ما رُئى فيما أعدّه النساء وابتدعْنه أحسنَ منه .

وكانت حسنة الدِّين لا تُغنى ولا تشربُ النبيذَ إلا إذا كانت معتزلةَ الصلاة ، فإذا طَهُرت أقبلت على قراءة القرآن والصلاة وقراءة الكتب ولم تك [تلذ][5] بشىء غير قول الشعر فى الأحيان إلا أن يدعوَها الخليفةُ إلى شىء فلا تقدر على خلافه .

---

(١) أغانى دار الكتب ١٠ : ١٦٢ ــ التجريد ٣ : ١٠٧١ .

(٢) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين.

(٣) فى الأصل : أغلى والتصويب عن التجريد .

(٤) زيادة عن الأغانى والتجريد .

(٥) فلا تلذ بشىء (أغانى) وما بين القوسين يقتضيه السياق .

وكانت ، رحمها الله تعالى تقول : ما حرّم الله شيئا إلا وقد جعل فيها حلل منه عوضا، فبأىّ شىء يحتج عاصيه والمنتهكُ لحرماته . وكانت تقـول : لا غفر الله لى فاحشةً ارتـكبتها قطُّ وماأقول[1] فى شعرى إلاعبثا. وكانت تحب أن تراسل بالأشعار من تختصُّه ، فاختصت خادما من خدم الرشيد ، يقال له طل ، فلم تره أياما ، فمشت على مِيزَابٍ وحدثته ثم قالت فى ذلك :

قـــد كان ما كُلِّفْتُهُ زمنا   يا طَلُّ من وجدٍ[2] بكم يكفى

حتى أتيتُـكَ زائراً عَجِـلا   أمشى عـلى حتـفى إلى حتفى[3]

فحلف عليها الرشيدُ ألا تـكلِّم طلا ولا تُسميه باسمه ، فضمنت له ذلك ، فدخل عليها يوما وهى تقرا[4] حتى بلغت إلى قوله تعالى « فإنْ لم يُصِبْهَا وابلٌ فطَلّ » ، فأرادت أن تقول : « طل » فقالت : فالذى نهى عنه أمـير المؤمنين ، فدخل فقبَّلَ رأسها ، وقال: قد وهبتُ لك طَلًّا ولاأمنعك بعد هذا من شىء تريدينه.

وكان طلّ قد حُجبَ عنها فقالت فيه وصَحَّفتْ اسمه فى أول بيت :

أيا سَرْوَةَ البستانِ طـال تَشَوُّقى   فهل لى إلى ظـل إليـك سبيل[5]

متى يلتقِى من ليس يُقْضَى خُروجُه   وليس لمن يَهْوَى إليـه رسول[6]

عسى اللهُ أن نرتاحَ من كُرْبةٍ لنا   فَيلْقَى اغتباطا خُلَّةٌ وخليل

---

(١) ولا أقول (تجريد ١١٧٢) .

(٢) وجدى (تجريد) .

(٣) حتف إلى حتف (تجريد) .

(٤) تدرس آخر سورة البقرة (تجريد) .

(٥) لديك مقيل (أغانى وتجريد) .

(٦) سبيل (تجريد) .

ومما قالت علية أيضا فى طل وصحفت اسمه[1] فيه قولها :

سلم على ذاكَ الغزالِ الأغيدِ الحسنِ الدلالِ
سلِّمْ عليــه وقــل له ياغُلَّ ألبــابِ الرجــالِ
خليت جِسْمِى ضاحيــا وسكنت فى ظِلِّ الحِجالِ
وبلغت منى غايــةً لم أَدْرِ فيها ما احتيالى

وكانت لأُم جعفر جارية يقال لهــا طُغْيان فوَشَت بعُلَيَّة إلى رشأ وحكت عنها مالم تقل فقالت علية :

لطغيان خُفٌّ مذ ثلاثين[2] حِجَّةً جديدٌ فــا يبلى ولا يتَخَرَّقُ
وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدهرَ كلَّه على قدَمَيْها فى السماء مُعلَّقُ
فما خَرَقَتْ خُفًّــا ولم تُبْــلِ جَوْرَباً وأما سَراويلاتُهــــا فتمزَّقُ

وكانت عُليّة أيضا تقول الشعر فى خادم اسمه رشأ وتــكنى عنه ، فما قالت فيه مصحّفا :

وجــد الفؤادُ بزينبا وجداً شديداً مُتْعِبــا
أصبحتُ من كَلَفِى بها أُدْعَى شَقِيًّا[3] مُنْصَبا
ولقد كَنَيْتُ عن اسمها عَمداً لــكيلا تَغْضَبــا
وجعلتُ زينبَ سُــتْرَةً وكتمت أمراً مُعْجِبــا
قالت وقد عَزَّ الوصا لُ ولم أَجِدْ لى مَذْهبا
والله لا نِلْتَ المــوَدْ دَةَ أو تنالَ الــكوكبا

---

(١) فى الأصل : اسمها وهو تحريف .
(٢) فى الأصل: ثلاثون .
(٣) سقيا (أغانى دار الـكتب ١٠ : ١٦٥) .

وحلَفَ رشأٌ لا يشربُ النبيذَ فقالت عُلَيّة فى ذلك :

قد ثبَتَ الخاتم فى خنصرى ... إذ جاءنى منك تَجَنِّيكا
حَرَّمْتُ شربَ الرَّاحِ إذ عِفْتَها ... فلست فى شىء أُعاصيكا
فلو تطوعتَ لعوَّضْتَنى ... منه رضابَ الريقِ من فيكا
فيالها عنــدىَ من نِعمة ... لستُ بها ما عِشْتُ أَجْزِيكا
يا رشأُ[1] قد أَرَّقْتَ مُقْلتى ... أمتعنى الله بحُبِّيكا

قال أحمد بن يزيد : حدثنى أبى قال : كنّا عند المنتصر فغنّاه بَنان :

يا ربةَ المَنْزِلِ بالفــدك[2] ... وربّةَ السلطانِ والمُـلْكِ
تحَرَّجِى بالله من قتلنا ... لسنا من الدَّيْلَمَ والتُّرْكِ

فضحِكتُ، فقال لى : لِمَ تضحك ؟ قلت : من شرَف قائلِ هذا الشعرِ وشرفِ مَن لحَّنَه وشرفِ مَن يَسْتَمِعُه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعرُ للرشيد ، والغناء لعُلَيَّة بنت المهدى ، وأمير المؤمنين يستمعه . فأعجبه ذلك ، وما زال يستعيده .

قال إسحاق الموصلى : عملت فى أيام الرشيد لحنا فى شعر بشار فى النساء :

سَقْياً لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نبَّهَنِى ... بعد الهُدوء بها قرعُ النوَاقِيسِ
كأَنَّ سَوْسَنَها فى كلِّ شارقةٍ ... على الميادين أذنابُ الطواويس

فأعجبنى ، وعملت [على][3] أن أباكِرَ به الرشيدَ ، فلقينى فى طريقى خادم [لعلية][3] بنتِ المهدى فقال: مولاتى تأمُرك بدخول الدِّهليز لتسمعَ من بعض جواريها غناءأخذ ته عن أبيك وشكَّتْ فيه الآن، فدخلتُ معه إلى حجرة قدأُفرِدَتْ لى كأنها كانت

---

(١) فى الأغانى : يازينبا وبذلك كان الخطاب فى الشعر لمؤنث والضمير يعود إليها .
(٢) بالبرك (أغانى) .
(٣) الزيادة عن الأغانى والتجريد .

مُعَدَّة ، فجلست ، وقُدِّمَ لى طعامٌ وشراب فنِلتُ حاجتى منهما ، ثم خرج إلىَّ خادمٌ فقال : تقول لك مولاتى : أنا أعلمُ أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوتٍ مُحْدَثٍ أعْدَدْتَه له فأسْمِعْنيه ، ولك جائزةٌ سَنِيَّة تتَعَجَّلُها ، ثم ما يأمُرُلك به أمير المؤمنين بين يديك ، ولعله لا يأمرُ لكَ بشيء ، أو لا يقعُ الصوتُ منه بحيث تَوَخَّيت فيذهب سعيُك باطلا . فاندفعتُ فغنيتها إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ثم أخرجتْ إلىَّ عشرين ألفَ درهم ، وعشرين ثوبا ، وقالت: هذه جائزتُك ثم قالت : اسمَعْه الآن ، فغنته غناءً ما خَرَق سمعى مثلُه ، ثم قالت : كيف ترى ؟ قلتُ: أرى ، والله ، مالم أرَ مثلَه. قالت: يا فلانةَ أعيدى له مثلَ ما أَخَذَ ، فأحضرتْ عشرين ألفا أُخرى ، وعشرين ثوبا ، فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، ولن أبدأ بغناء غيره وأُخبره أنه من صنعتى ، وأُعطى اللهَ عهداً لئن نطقتَ بأن لك فيه صنعةً لأقتلَنّك هذاإن نجوتَ منه ، إن عَلِم بمصيرك إلىّ . فخرجت من عندها فوالله إنى كالموقر[1] بما أكره من جائزتها أسَفاً على الصوت فاجسرت بعد ذلك أن أتنَغَّم به فى نفسى ، فضلا عن أن أُظهره ، حتى ماتت ، فدخلتُ على المأمونِ فى أولِ مَجْلِسٍ جَلَسَه للهو بعدها ، فبدأت به أولَ ما غنيتُ فتغير وجهُ المأمون وقال : من أين لك هذا ؟ قلت : ولِيَ الأمانُ على الصِّدْق؟ قال : ذاك ، فحدثته الحديثَ . قال : يا بغيض، فما كان لك فى هذا من النفاسة حتى شَهَرْتَه وذكرتَ هذا منه، مع الذى أخذتَه من العَوض، وهجَّنتَنِى فيه هُجْنة وَدِدْت معها أنِّى لم أذكره لك فآليت ألا أُغنِّيه بعدها أبداً .

أُهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال ، فخلا معها يوما ، وأخرج كلَّ قَيْنَةٍ فى داره . واصْطَبَح . وكان من حضر من جواريه للغناء والخِدْمة فى الشراب

(١) لكالموقن بما (أغانى) — تجريد — وفى الأصل كالموقر ما .

زُهاء أَلفَىْ جارية فى أحسن زى من كل نوع من أنواع الثياب والجَوْهَرِ . واتصل الخَبرُ بأم جعفر فغَلُظ عليها ذلك . فأرسلتْ إلى عُلَيَّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليةُ : لا يَهُولَنَّك هذا ، والله لأَرُدَّنَّه إليك ، قد عزمت أن أصنع شعراً وأصوغَ فيه لحنا وأطْرَحَه على جَوَارِىَّ فلا تَبقَى عندكِ جاريةٌ إلا بعثت بها إلىَّ وألْبِسِيهنّ أنواع[1] الثياب ليأخُذْنَ الصوت مع جوارىّ ، ففعلتْ أم جعفر ما أَمَرَتْها ، فلما جاء وقتُ صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعُلَيّة وأُمُّ جعفر قدخرجتا إليه من حُجرتهما، معهما[2] زهاء من ألفى جارية من جواريهما وسائرِ جوارى القصر عليهن غرائبُ اللباسِ وكلهن فى لَحْنٍ واحد هزج صنعته علية وهو :

مُنْفَصِلٌ عنى وما قلبىَ عنه مُنفصلْ
يا هاجرى[3] اليوم لمن نويتَ بعدى أن تَصِلْ

فطرب الرشيدُ ، وقام على رجليه ، حتى استقبلَ أُمَّ جعفر وعُلَيَّة ، وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قطُّ ، يامسرورُ ، لا تُبْقِيَنّ فى بيت المال درهما إلا نَثَرْته. فكان ما نَثَر يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سُمِعَ بمثل ذلك اليوم .

قال محمد بن يزيد المبرد : كانت علية تقول : من لم يُطْرِبْه الرملُ لم يطربه شىء ، وكانت تقولُ : من أصبح عنده طباهجة باردة ولم يَصْطَبِحْ فعليه لعنة الله .

تمارت خشف الواضحية وعريب فى غناء عُلَيّة[4] بحضرة المتوكل وغيره من الخلفاء . فقالت خشف: هى ثلاثة وسبعون صوتا وقالت عريب : اثنان وسبعون ، فقال المتوكل : غَنِّنا غناءها فلم يزالا يُغَنِّيان حتى مضى اثنان وسبعون صوتا ، ولم تَعْرِف خشفُ الثالثَ والسبعين ، فقطع بها واستَعْلَتْ عريبُ عليها ، وانكسرت،

(١) ألوان (أغانى ١٠: ١٧٢ تجريد).
(٢) فى الأصل معها — وجواريها .
(٣) فى الأغانى : ياقاطعى .
(٤) فى الأصل عريب والتصويب عن الأغانى والسياق يقتضيه .

فلما كان الليل رأيتُ عُلَيّة فى النوم . فقالت : يا خشف ، خالَفَتْك عريبُ فى غنائى ، قلت : نعم يا سيدتى ، قالت : الصوابُ معك ، فتَدْرِين ما الصوت الذى نسيتيه ؟ قلت : لا ، والله ، ووددت أنى فَدَيْتُ ما جَرَى بكلّ ما أملك . قالت : هو :

بُنِىَ الحبُّ على الجَوْرِ فلو ... أَنْصَف المحبوبُ[1] فيـه لَسَمُجْ

ليس يُسْتَحْسَن فى وصفِ[2] الهوى ... عاشقٌ يُحْسِنُ تأليفَ الحُجَجْ

لا تعيبَنّ من مُحِبٍّ ذِلّةً ... ذِلّةُ[3] العاشقِ مِفتاحُ الفرج

وقليــل الحب صرفا خالصا[4] ... لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِج

وكأنها قد اندفَعَتْ تُغَنّى فيه فما سَمِعْتُ أحسنَ مما غنّته ، وزادتنى فيه أشياء فى نومى لم أَكُنْ أعرفُها ، فانتَبَهتُ ، وأنا لا أعقِـلُ فرحا ، فباكرت الخليفةَ وذكرت له القصةَ . فقالت عريب : هذا شىء صنعتِه أنتِ لما جرى أمس ، وأما الصوتُ فصحيحٌ . فحلفتُ للخليفة بما رَضِىَ به أن القصةَ كما حكيتُ ، فقال : رُؤياكِ أعجَبُ ، ورحم الله عُلَيّة فما ترَكَتْ ظرفَها حية وميتة ، وأجازنى جائزةً سَنِيّةً .

قال مسرورٌ الـكبيرُ : اشتاقَ الرشيدُ إلى إبراهيم الموصلى يوما ، فركب حماراً يَقرُبُ من الأرض ثم أمر بعض خَدَمِ الخاصةِ بالسعى بين يديه ، وخرج من داره فلم يزل حتى دخل على إبراهيم الموصلى فلما أحس به استقبله ، وقبّـل رجليه ، وجلس الرشيد ، فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ، ثم نهضوا ، ورأى عيداناً كثيرةً . فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافعُ ، فقال : ويلك أَصْدِقْنى . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطْرَحُ عليهما . قال : هاتِهما . فأحضر جاريتين

(١) المعشوق (الأغانى ١٠ : ١٧٥ تجريد) .

(٢) فى حكم (الأغانى) .

(٣) فى الأصل زلة بالزاى، والتصويب عن الأغانى .

(٤) فى الأصل صرف خالص .

ظريفتين ، وكانتا لعُلَيَّة بنت المهدى بعثتْ بهما إليه ، يطارحهما . فقال الرشيد لإحداها : غَنِّى ، فغنتْ هذه الأبيات :

بُنِىَ الُحبُّ على الجَوْر فلو   أنصف المحبوبُ فيه لَسَمُجْ

فقال : أحسنت جدا . وقال : يا إبراهيم لمن الشعر ؟ ما أملحه!! لمن اللحن ؟ ما أطربه! فقال : لا أعلم . فسأل الجاريةَ فقالت : لسيدتى . فقال : ومن سيدتك ؟ قالت : عُلية أختُ أمير المؤمنين . قال : الشعر واللحن ؟ قالت : نعم ، فأطرق ثم رفع رأسه إلى الأُخرى ، وقال : غنى فغنت :

تحببْ فإن الحبَّ داعيــةُ الحب   وكم من بعيدِ الدار مُستوجِبُ القرب
تَبَصَّرْ فإن حُدِّثْتَ أن أخا الهوى[(١)]   نجا سالما فارجُ النجاة من الُحبِّ
إذا لم يكن فى الُحبِّ سُخْطٌ ولا رِضا   فأين حلاواتُ الرسائلِ والـكُتْبِ

فسأل إبراهيمَ عن الغناء والشعر فقال : لا أعلم . فسأل الجارية فقالت : لسيدتى ، قال : ومن سيدتُك ؟ قالت : علية أُخت أمير المؤمنين ، فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . [ومضى فركبَ حماره وانصرف إلى علية فقال : قد أحببت أن أشرب عندك اليومَ فتقَدَّمَتْ فيما تُصْلِحُه][(٢)] وأخذا فى شأنهما فلما كان فى آخر الوقتِ حَمل عليها بالنبيذ ثم أخَـذَ العودَ من حِجْر جارية فدفعه إليها فأكبرت ذلك فقال : بتُرْبَـة المهدىّ لتُغَنِّين ، قالت : وما أُغنى ؟ قال : غنى:

بُنِىَ الحبُّ على الجَوْر فـلو   أنصف المحبوبُ فيــه لسَمُجْ

فعلمت أنه قد وقفَ على القصة فغَنَّتْ ، فلما أَتَتْ عليه ، قال لها ، غنى :

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ   وكم من بَعيد الدار مستوجبُ القُرْبِ

(١) هوى (أغانى ١٠ : ١٧٦ تجريد) .

(٢) بياض فى الأصل وما بين القوسين عن الأغانى والتجريد .

فلَجْلَجَتْ ثم غنتْ ، فقام فقَبل رأسها ، وقال : ياسيدتى أهذا عندك ولا أعلم؟ وتمّمَ يومَه عندها .

قال محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد : شهدت أبى جعفرا ، وأنا صغير ، يحدِّث يحيى ابنَ خالد جدِّى فى بعض ما كان يُخْبِرُه به مِنْ خَلَواته مع الرشيد . قال : يا أبة ، أخذ أميرُ المؤمنين بيدى ، وَأقبل فى حُجْرةٍ يخترقُها حتى انتهى إلى حجرةٍ مُغْلَقة ، ففتحها بيده ودخلها ، ودخلنا جميعاً ، وأغلق بابَها من داخلٍ بيده ، ثم صِرْنا إلى رِواقٍ ففتحه بيده ، وفى صدره مجلس مُغْلَقٌ فقعد على باب المجلس ، فنقر الباب بيده [نقرات][1] فسمعنا حِسًّا ، ثم أعاد النقر ثانية . فسمعنا صوت عـود . ثم أعاد النقر ثالثة . فغنت جاريةٌ ما ظننتُ أن الله عز وجل خَلَقَ مثلَها فى حسن الغنـاء وجودةِ الضَّرْبِ ، فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا : غنى صوتى :

وَمُخَنَّثٍ شَهِدَ الزِّفافَ وقَبْلَه غَـنَّى الجوارىَ حاسِرا ومُنَقَّبا
لبس الدَّلَالَ وقامَ ينقرُ دُفَّه نَقْرًا أقرَّ به العيونَ وأَطْرَبا
إن النساء رَأَيْنَه فعَشِقْنَه فشكون شِدَّةَ ما بِهِنَّ فأَكْذَبا

قال : فطربت طربا هَمَمْتُ معه أن أنْطَحَ برأسى الحائطَ ، ثم قال لها غنى فغنَّت :

طال تَكذِيبى وتَصْـديقى لم أجـد عَهْـدًا لمخلوقِ
إن ناساً فى الهوى غَدَرُوا حَسَّنُوا نقضَ المواثيـق
لا ترانى بعـدهم أبداً أَشْتَكى عِشْقا لمعشـوقِ

فرقص الرشيد ورَقَصْتُ معه . ثم قال : امض بنا ، فإنى أخشى أن يبدوَ منا ما هو أكثرُ من هذا . فلما صرنا إلى الدِّهليز قال ، وهو قابض على يدى : هل عرفت هذه المرأة؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : إنى أعلم أنك ستسأل عنهـا ،

(١) ما بين القوسين (أغانى) .

ولا تكتم ذلك . وأنا أخبرك ، هـذه عُلَيَّة بنت المهدى ، ووالله إن لَفَظْتَ به بين يدى أحدٍ ، وبلغنى لأقتلنك . قال : فسمعت جدى يقول له : فقد ، والله ، لفظت به ، ووالله ليقتلنك ، فاصنع ما أنت صانع .

لما خرج الرشيد إلى الرىّ أخذ معه أُخته عُلَيَّة ، فلما صار بالمَرْج[1] عملَتْ شعراً، وصاغت فيه لحنا وغنّته :

وَمُغْتَرَبٍ بالمَرْج يبكى لشَجْوِه ... وقد غاب عنه المُسْعِدون على الحُبِّ
إذا ما أتاه الرَّكْبُ من نحو أرضِهِ[2] ... تَنَشَّق يَسْتَشْفِى برائحة الركب[2]

فلما سمع الصوت علم أنها اشتاقت إلى العراق وأهلها به فردّها .

قال أبو عيسى بن الرشيد: غنّت عُلَيَّة الرشيد فى يوم عيدِ فِطْر :

طالَتْ علىَّ ليالى الصوم واتصلَتْ ... حتى لقد خِلْتُها زادت على الأَبَدِ
شوقاً إلى مجلس يزهو[3] بصاحبه ... أُعِيذُه بجَلالِ الواحد الصَّمَدِ

وُلِدَت عُلَيَّة سنة ستين ومائة وتوفِّيت سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة . وقيل: ماتت سنة تسع وصلّى عليها المأمون .

وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبّل رأسها ووجهُها مُغَطًّى فشرقت من ذلك ، وسعلت ثم حُمَّتْ بِعَقِبِ هذا أياماً كثيرة ، وماتت رحمها الله تعالى.

---

(١) هو مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همذان .
(٢) أرضهم . . . القرب (تجريد) .
(٣) يزهى (تجريد) .

ذكر علي بن الجهم[1]

أبوه بدرُ بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنة بن كَرّاز [بن كعب][2] بن مالك ابن عُتْبة[3] بن حار بن الحارث بن عبد البيتِ بن الحارثِ بن أُسامة[4] بن لُؤَيّ بن غالب. وقريش تدفع هذا النسبَ وتسميهم بَنى ناجيةَ ينسبونهم إلى أُمهم ، وهى امرأة سامة[4] ابن لؤى بن غالب .

وكان سامة خرج إلى البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤى فى مُمَاظَّةٍ[5] فطأطأت ناقتُه رأسَها إلى الأرض لتأخـذ شيئا من العشب فعَلق بمشفرها أفعى ثم عطفت[6] على قَتَبها فحكَّتْه به فدبَّ الأفعى على القَتَبِ فنَهَشَ [ساقَ][7] سامة فقتله . فقال أخوه يرثيه :

عينُ جودى لسامةَ بن لُؤَيٍّ ... عَلِقَتْ ساقَ سامـةَ العَلّاقَهْ

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَها ابنَ[8] لُؤَيٍّ ... حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهْرَاقَهْ

وقال من يدفع بنى سامةَ من نَسَّابِى قريش : إنه كانت معه امرأتُه ناجيةُ ، فلما مات تزوجتْ رجلا من أهـل البحرين فولدتْ منه الحارث . ومات أبوه وهو صغير ،

---

(١) الأغانى ١٠ : ٢٠٣ ـ التجريد ٣ : ١٩٣ .

(٢) الزيادة عن الأغانى وفى الأصل : كدار مكان : كراز .

(٣) ابن عيينـة بن جابر (أغانى . تجريد) وفى الأصـل : حار فى النسختين كما هو مدون ٣ : ١١٩٣ .

(٤) ابن سامة (أغانى) وستأتى كذلك . وفى الأصل : أسامة فى النسختين .

(٥) فى الأصل مماطلة ، والمماظة المخاصمة .

(٦) فعطفته (مكان ثم عطفت) أغانى ١٠: ٢٠٣

(٧) الزيادة عن الأغانى والتجريد .

(٨) فى الأصل من .

فلما ترعرع طَمِعَتْ أُمُّه أن تُلْحِقَه بقُرَيْش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤى ، فرحل من البحرين إلى عمه كعب ، فأخبره[١] أنه ابن أخيه سامة فعرف كعبٌ أُمَّه ، وظنّ أنها صادقة ، فقَبِله وسكت[٢] فقدم مكة ركب من البحرين ، فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه فسألهم كعب بن لؤى ومن أين يعرفونه ؟ فقالوا : هذا ابن رجل من بلادنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره فنفاه كعب هو وأمه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك وتزوج الحارث فأعقب هذا العَقِب .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عَمِّى سامةُ لم يُعقِب » وكان بنو ناجية ارتدّوا عن الإسلام ، فلما وَلِىَ علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافةَ دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم ، وأقام الباقون على الرِّدَّة فسباهم واسترقهم فاشتراهم مَصْقَلةُ وأعتقهم وهَرب من تحتِ ليله إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزمه الثمنُ فبِيعَتْ عليه دارُه ، وقيل هَدَمها . ولم يدخل مصقلةُ الكوفةَ حتى قُتِلَ على رضى الله عنه .

وزعم ابنُ الكلبىِّ أن سامةَ بن لؤى وَلَدَ[٣] غالب بن سامة ، وأُمه ناجية ، ثم هلك سامةُ تخلفَ عليها ابنُه الحارثُ بن سامة ثم هلك ابنا سامة ولم يعقبا وأن قوما من بنى ناجية[٤] بنت جَرْم بن رَبّان بن عِلاف ادعوا أنهم بنوسامة بن لؤى وأن أُمهم ناجية هذه وانتموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من مصقلة ، ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جَرْم . قال علقمة الخصى التيمى أحد بنى ربيعة بن مالك :

زعمتم أن ناجية بن[٤] جَرْم عجوزٌ بعــد ما بَلِىَ السَّنامُ

---

(١) فى الأصل : فأخبرته .

(٢) ومكث عنده مدة حتى قدم (أغانى) .

(٣) فى الأصل : وان .

(٤) . . ناجى بنت جرم (أغانى ١٠ : ٢٠٥) .

فإن كانت كذلك فالبسوها ... فإن الحلْىَ للأُنثى تمامُ

وهذا أيضا قول الهيثم بن عدىّ. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم فى قريش وقال : هم قريش العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم ونسبوا إلى أُمهم ناجية بنت جَرْم ابن رَبّان وهم عِلاف وهم أول من اتخذ الرحال العِلافِيّة .

واسم ناجية ليلى، وإنما سميت ناجية لأنها سارت معه فى مفازة فعطشت فاستسقته فقال لها : الماء بين يديك وهو يريها السراب حتى جاءت الماء فشربت فسميت ناجية .

وللزبير فى إدخالهم فى قريش مذهب وهو مخالفة[1] فعل أمير المؤمنين على رضى الله عنه عليه وميله إليهم لاجتماعهم على بغضه عليه الرضوان حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير فى ذلك .

وكان علىُّ بن الجهم شاعراً فصيحاً ، وخُصَّ بالمتوكل حتى جالسه ثم أبْغَضه لما كان كثيرَ السعاية إليه بنُدَمائه وَذِكْرِهم بالقبيح عنده وإذا خلا به عرَّفه أنهم يعيبونه وَيَتَنَقَّصونه ويَثْلِبونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقةً فحبسه مدة ونفاه .

وكان ينحو نحو ابن أبى حَفْصةَ فى هجاء آل أبى طالب والإغراء بهم وهجاء الشيعة وهو القائل :

ورافضةٍ تقول بشِعْب رَضْوَى ... إمامٌ خابَ ذلك من إمامِ
إمامٌ مَنْ له عشرون ألفاً ... من الأتراك مُشْرَعةُ السهامِ

وفيه يقول البحترى :

إذا ما حُصِّلَتْ عُليا قريش ... فلا فى العِيرِ أنت ولا النَّفيرِ
ولو أعطاك ربُّك ما تمنَّى ... لزاد الخَلْقَ فى عِظَمِ الأُيورِ[2]

---

(١) فى الأصل : هو حالفة (والتصويب عن الأغانى) .

(٢) فى الأصل : الأمور .

عَلَامَ هجوتَ مُجتهدا عَلِيًّا ... بما لفَّقْتَ من كَذِبٍ وزورِ
أمالك فى استِكَ الوجعاء شُغْلٌ(١) ... يَكُفُّكَ عن أذَى أهلِ القُبورِ

وسمعه أبو العَيْناء يوما يَطعن على علىٍّ كرَّم الله وجهه ، فقال له : أنا أدْرى لم تَطعن على أمير المؤمنين . فقال له : أتعنى قِصَّةَ بَيْعةِ أَهْلِى من مصقلةَ بن هُبَيْرَةَ؟ قال : لا ، أنت أَوْضَعُ من ذلك ولكنه قَتَلَ الفاعل [فِعْلَ](٢) قوم لوط والمفعول [به](٢) وأنت أسفَلُهما .

وكان علىُّ بن الجهم قد هجا بختيشوع فحبسه المتوكلُ . فقال عِدَّةَ قصائدَ وكتب بها إلى المتوكل ، فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك ، إلى خراسان ، فما قاله هذه القصيدة وكتب بها إلى أخيه:

تَوَكَّلْنا على رب السماءِ ... وسلَّمْنا لأسباب القضاءِ
ووطَّنَّا على غِيَرِ الليالى ... نفوسا أسْمَحَتْ(٣) بعد الإباء
وأفنيةُ الملوك مُحَجَّباتٌ ... وبابُ اللهِ مبذولُ الفِنَاء
هى الأيامُ تَكْلُمُنا وتأسو ... وتأتى بالسعادةِ والشقاء
حلبنا الدهر أَشْطُرَه ومَرَّتْ ... بنا عُقَبُ الشدائدِ والرخاء
وجَرَّبْنا وجَرَّبَ أوَّلونا ... فلا شىءٌ أعزُّ من الوفاء
ولم نَدَعِ الحياءَ لِمَسِّ ضُرٍّ ... وبعضُ الضُّرِّ يذهبُ بالحياء
ولم نحزن على دنيا تَوَلَّتْ ... ولم نُسْبَقْ إلى حُسْنِ العزاء
تَوَقَّ الناسَ يا ابن أبى وأمى ... فَهُمْ تَبَعُ المخافةِ والرَّجاء

---

(١) فى اوب : حقا والتصويب عن الأغانى والتجريد .
(٢) فى الأصل : (ولكنه فعل الفاعل من قوم) وما بين القوسين عن الأغانى .
(٣) فى الأصل أصبحت .

ولا يَغرُرْكَ من وَغْدٍ إخاءٌ لأَمْرٍ مّا غدا حَسَنَ الإخاءِ
ألم تر مُظهِرين على عَيْباً[1] وهم بالأمسِ إخوانُ الصَّفاءِ
فلما أن بُلِيتُ غَدَوْا وراحُوا عَلَيَّ أشَدَّ أسبابِ البلاءِ
وما حَبْسُ الخليفةِ لى بعارٍ وليس بمُؤْيِسى منه التنائى
أبت أَخْطَارُهُمْ أن ينصرونى بمالٍ أو بجاهٍ أو ثَراءِ
وخافوا أن يقال لهم خَذَلْتُم صديقا فادَّعَوا قِدَمَ الجفاءِ
تضافرت[2] الروافضُ والنصارى وأهلُ الإعتزالِ على هِجائى
وعابونى وما ذنبى إليهم سوى علمى بأولادِ الزِّناءِ
إذا ما عُدّ مِثْلكمو رجالٌ فما فَضْلُ الرجالِ على النساءِ
إذا سُمِّيتُمُ فى الناسِ قالوا أُولئك شرُّ مَن تحتَ السماءِ
أنا المتوكلىُّ هوًى ورأيا وما بالْوَاثِقِيَّة من خفاءِ

وقيل كان سبب حبسه أن جماعة من الجلساء سعوا به إلى المتوكل وقالوا له إنه يُجَمِّشُ[3] الخدمَ ويغمزهم ، وأنه يطعن عليك إذا غاب عنك ، ويَعْبَثُ عليك ويزرى بك ، ولم يزالوا يوغرون صدرَه عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه أنه هجاه فنفاه إلى خراسان ، وكتب بأن يُصْلَبَ إذا وَرَدَها يوما إلى الليل . فلما وصل إلى الشاذِياخ[4] حبسه طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ بن طاهر ، ثم أُخرج فصلب يوما إلى الليل مجردا ثم أُنزل فقال فى ذلك :

---

(١) عتبا (فى الأصل) .

(٢) تضافرت : تعاونت وفى رواية: تظاهرت .

(٣) جمشه : قرصه ولاعبه .

(٤) الشاذياخ من ضواحى نيسابور كانت قديما بستانا لعبد الله بن طاهر بن الحسين فبنى هو بها ثم عمرت حتى اتصل بناؤها بنيسابور (ياقوت) .

لم يصلبوا[1] بالشاذياخ عشية الـ ... إثنين مسبوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم ... شرفاً وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد إلا رفعة بنكوله ... وازدادت الأعداء عنه نكولا
هل[2] كان إلا الليث فارق غيله ... فرأيته في محمل محمولا
لا يأمن الأعداء من شداته ... شداً يفصل هامهم تفصيلا
ما عابه أن بز عنه ثيابه[3] ... فالسيف أهول ما يرى مسلولا
إن يبتذل فالبدر لا يزري به ... أن كان ليل تمامه مبذولا
أو يسلبوه المال يحزن فقده ... ضيفاً ألم وطارقا ونزيلا
أو يحبسوه فليس يحبس سائر ... من شعره يدع العزيز ذليلا
إن المصائب ما تعدت دينه[4] ... نعم وإن صعبت عليك قليلا
والله ليس بغافل عن أمره ... وكفى بربك ناصراً وكفيلا
فلتعلمن إذا القلوب تكشفت ... عنها الأكنة من أضل سبيلا

وكتب المتوكل إلى طاهر بإطلاق علي بن الجهم فلما أطلقه قال :

أطاهر إني عن خراسان راحل ... ومستخبر عنها فما أنا قائل
أأصدق أم أكني عن الصدق[5] أيما ... تخيرت أدته إليك المحافل
وسارت به الركبان واصطفقت به ... أكف قيان واجتلته[6] القبائل

(١) لم ينصبوا (أغاني ـ تجريد) .
(٢) ما كان (أغاني ـ تجريد) .
(٣) لباسه .
(٤) ذنبه (أصل ا ، ب).
(٥) الحق (تجريد) .
(٦) اجتبته .

وإنى بغالِى الذَّمِّ والمدحِ عالمٌ ... بمـا فيهما نامى الرمية ناضلُ(١)

وحقًّا أقولُ الصدق إنى لمائلٌ ... إليك وإن لم يَحْظَ بالوُدِّ مائلُ

ألا حُرْمَةٌ تُرْعَى ألَا عَقْدُ ذِمَّةٍ ... لِجارٍ(٢) ألا قولٌ لفعلٍ يُشاكِل

ألا مُنصِفٌ إن لم نَجِد مُتَفضلا ... علينا ألا قاضٍ من الناس عادلُ

فـلا تقطعن(٣) غيظا عَلَيَّ أناملا ... فقَبلك ما عُضَّت علَيّ الأناملُ

أطاهرُ إن تُحْسِن فإنّىَ مُحْسِنٌ ... إليك وإن تَبْخَلْ فإنّىَ باخِلُ

فقال له طاهر : لا تقلْ إلا خيراً فإنى لا أفعلُ إلا ما تحب ، ووصَلَه وحَمَلَه وكساه .

وكان علىّ بن الجهم فى مجلس فيه قَيْنَة فَجَمَّشَها فباعَدَتْه وأعْرَضَت عنه فقال :

خَفِى الله فيمن قد سلبتِ(٤) فؤادَه ... وغادرتِه نِضْـواً كأن به وَقْرَا

دعى البُخْلَ لاأَسْمَعْ به منك(٥) إنما ... سألْتُكِ شيئا ليس يُعْرِى لكم ظَهْرَا

فقالت : صدقتَ يا أبا الحسن ليس يُعْرِى لنا ظَهرا وإنما يمْلأُ لنا بَطْنا .

أنشد رجُل إبراهيم بن المدبر لعَلِىّ بن الجهم قوله :

أَميلُ مع الذِّمام على ابن عمى ... وآخذ للصديق من الشقيقِ

وإنْ أَلْفَيْتَنِى حُرًّا مُطاعا ... فإنك واجدى عبدَ الصديقِ

أُفَرِّقُ بين معروفى ومَـنِّى ... وأجمعُ بين مالىَ والحقوقِ

فقال إبراهيم : كذب علىّ بن الجهم وأَثِمَ ، والله لهَـذا الشعرُ أشبهُ بإبراهيم ابن العباس .

(١) فى الأصل : تأتى البرية فاضل، والتصويب عن التجريد ـ أغانى .

(٢) فى اوب: تجار الاقول لفعل يشاكل. وفى الأغانى والتجريد : لجار الا فعل لقول مشاكل.

(٣) كذا فى الأغانى وفى الأصل : الا تقطعا .

(٤) تبلت (تجريد) .

(٥) فى الأصل : بيومك ـ وفى الأغانى أمرا (مكان شيئا) .

قال المتوكل : عليّ بن الجهم أكذبُ خلق الله ، حفظتُ عليه أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة فأخبرنى أنه أقام بالشام ومصر ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمرُه على هذا مائةً وخمسين سنة ، وإنما نراه فى سن الخمسين ، فليت شعرى أىُّ فائدة له فى هذا الكذب ؟

قال إبراهيم بن المدبر : كتب صاحبُ الخبر إلى المتوكل أن أبا الحسن بن عبدالملك ابن صالح أُحرق فمات ، فقال له على بن الجهم : قد بلغنى أن العامل قتله ، وصانَعَ صاحبَ الخبر حتى كتب بهذا ، وكان يسمى بالجلساء إلى المتوكل ، فأبغضه وألزمه بيته وحبسه .

وأحسن شعر قاله فى الحبس قوله :

قالت حُبِستَ فقلت ليس بضائرى ... حبسى وأىُّ مهنَّد لا يُغمدُ
أو ما رأيت الليثَ يألَفُ غيلَه ... كِبْراً وأوباشُ السباع تَرَدَّدُ
والبدرُ يدركه السِّرار فتنجلى ... أيامُه وكأنَّه يتجدَّدُ
والشمس لولا أنها محجوبةٌ عن ناظريك ... لما أُضيب(١) الفرْقدُ
والزاعِبيَّة(٢) لا يقيم كُعوبَها ... إلا الثقافُ وجذوة تتوقَّدُ
والنار فى أحجارها مخبوءةٌ ... لا تُصْطَلَى إن لم تُثِرْها الأزْنُدُ
والحبسُ ما لم تغشَه لِدَنِيَّة ... شنعاءَ نِعْمَ المنزلُ المُتَوَرَّدُ(٣)
بيتٌ يُجَدِّدُ للكريم كرامةً ... ويُزارُ فيه ولا يَزورُ ويُحْمَدُ
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه ... لا يَستَذِلُّك بالحجاب الأعبدُ

---

(١) أضاء (الأغانى ـ التجريد) .

(٢) الزاعبية : رماح تنسب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة .

(٣) المتورد : الذى يزار ويورد .

كم من عليل قد تَخَطاه الرَّدَى فنجــا ومات طبيبُــه والعُوَّدُ
يا أحمدُ بنَ أبي دؤاد إنما تُدْعَى لـكل عظيمةٍ يا أحمدُ
أبلغ أمــير المؤمنين ودُونَه خوفُ(١) الرَّدَى ومخاوفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عم النبي محمـــدٍ أولَى بما شَرَع النبيُّ محمدُ
ما كان من كَرَمٍ فأنتم أهلُه طَابَتْ(٢) مغارسُكم وطاب المَحْتِدُ
أمن السَّوِيَّة يا ابنَ عمِّ محمـد خَصْمٌ تُقَرِّبُه وآخرُ تُبْعِدُ
إن الذين سعوا إليك بباطلٍ حُسَّادُ نِعْمَتِك التي لا تُجْحَدُ
شهدوا وغبنا عنكمو فتحَكَّمُوا فينا وليس كغائب من يَشْهَدُ
لو يَجْمَع الخصماءَ عندك مجلسٌ يوما لبانَ لك الطريقُ الأَقْصَد
فبأي جُرْم أَصْبَحَتْ أعراضُنا نَهباً تَقَسَّمَها اللئيمُ الأوغدُ

وكان أحمد بن أبي دؤاد منحرفاً على عَلِيِّ بن الجهم لاعتقاده مذهب الحَشْوِيّة فلم يشفع له وقَعد عنه فلما نَفَى المتوكلُ أحمد بن أبي دؤاد شتمه عليُّ بن الجهم وهجاه فقال فيه من أبيات :

يا أحمدُ بنَ أبي دؤاد دعوةً بعثَتْ إليك جنادلا وحديدا
ما هذه البِدَعُ التي سَمَّيْتَها بالجهل منك العدلَ والتوحيدا
أفسدت أمرَ الدين حين وَلِيتَه ورَمَيْتَه بأبي الوليد وليدا

كتب عَلِيّ بن الجهم إلى طاهرٍ من الحَبْس :

إن كان لي ذنبٌ فلي حُرْمَةٌ والحقُّ لا يدفَعُه الباطلُ
وحُرْمَتِي أعظمُ من زَلَّتِي لو نالني من عَدْلِكَ(٣) النائلُ

(١) خوض (أغاني) .
(٢) كرمت (أغاني ـ تجريد) .
(٣) عدلكم نائل (أغاني) .

ولى حقوقٌ غيرُ مجهولةٍ يعرفُها العاقلُ والجاهلُ
وكل إنسانٍ له مَذْهَبٌ وأهلُ ما يفعله الفاعلُ
وسِيرةُ الأَمْلاكِ منقولةٌ لا جائرٌ يَخْفَى ولا عادلُ
وقد تَعَجَّلْتَ الذى خِفتُه منكَ ولم يَأْتِ الذى آمُلُ

كان على بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أُطْلِقَ من حبسه ، ورُدَّ من النَّفْى يتقاينون(١) ببغداد ويلزمون منزل مغن(٢) بالكرخ يقال له المفضل ، فقال فيه على بن الجهم :

نزلنا بباب الكَرْخ أطيبَ مَنْزِلِ على مُحْسِناتٍ من قِيان المُفَضَّل
فلا ابنُ سُرَيْجٍ والغريضُ ومعبدُ بدائعُ فى أسماعنا لم تُبَدَّلِ
أوانسُ ما للضيف مِنهنَّ حِشْمَةٌ ولا رَبُّهُنَّ بالجليل المُبَجَّلِ
يُسَرُّ إذا ما الضيفُ قَلَّ حياؤُه ويَغْفُلُ عنه وهو غيرُ مُغَفَّلِ
ويُكْثِرُ من ذَمِّ الوقارِ وأَهْلِه إذا الضيفُ لم يأْنَسْ ولم يَتَبَذَّلِ
ولا يَدْفَعُ الأيدى المُرِيبة غَيْرَةً إذا نال حظا من لَبُوسٍ ومأْكلِ
ويُطْرِق إطراقَ الشجاعِ مهابةً ليطلقَ طرفَ الناظِر المُتَأَمِّلِ
أَشِرْ بِيَدٍ واغمِزْ بطَرْفٍ ولا تَخَفْ رقيباً إذا ما كنت غير مُبَخَّلِ
وأَعْرِضْ عن المصباح والْهَجْ بذَمِّه(٣) وإن خَمَدَ المصباحُ فادْنُ وقَبِّلِ
وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ ونَمْ غير مذعورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ
لك البيتُ ما دامت هداياك جَمَّةً وكنت مليئا بالنبيذ المُعَسَّلِ
فبادِرْ بأيام الشبابِ فإنها تَقَضَّى وتَفْنَى والغَوايةُ تَنْجَلِى

---

(١) أغانى وفى الأصل : يتتابعون .
(٢) مقين (أغانى) .
(٣) بعثله (أغانى) .

ودع عنك قولَ الناس أَتْلَفَ مالَه فلانٌ فأضحى مُدْبِرًا غير مُقْبِلِ
هل الدهرُ إلا ليلةٌ طَرحَت بنا أواخرُها فى يوم لهوٍ مُعَجَّلِ
سقى الله بابَ الكرخ من مُتَنَزَّه إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ فبِرْكَةِ زَلْزَلِ (١)
مَسَاحِبُ أذيالِ القيانِ ومَسْرَحُ الـ ـحِسَانِ ومهوى كل خرق مُعَذَّل
لو أنَّ امرأ القيس بن حُجْر يَحُلُّها لأقصرَ عن ذكر الدَّخُولِ فحَوْمَلِ
إذًا لرأى أن يمنح الوُدَّ شادنا مُشَمِّرَ (٢) أذيالِ القَبَا غيرَ مُسْبِلِ
إذا الليلُ أدنى مضجعى منه لم يَقُل عَقَرْتَ بعيرى يا امرأ القيس فانْزِلِ

قال إبراهيم بن المدبر: أنشدنى على بن الجهم لنفسه :

وإذا جزى الله امرأً بفَعاله فجزى أخاً لى ماجداً سَمْحـا
ناديته عن كُرْبَةٍ فكأنما أطلعتُ عن ليلٍ به صُبْحـا

فقلت له : ويحك ! ! هذا لإبراهيمَ بن العباس ، يقوله فى محمد بن عبد الملك الزيات ، فجحدنى وكابر ، فدخل يوما علىّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده فلما رآنى قال: قد اجتمع الإبراهيمان ، فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين وقلت لإبراهيم: إن هذا يزعمُ أن هذين البيتين له ، فقال : كذب ، هذان البيتان لى فى محمد بن عبد الملك الزيات .

فقال على بن الجهم بقِحَة : ألم أَنْهَك أن تنتحلَ شعرى ؟ فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده: سوءة عليك، سَوْءَة لك، ما أوقحك! وهو لا يفكر فى ذلك ولا يخجل. ثم التقينا بعد مدة فقال لى: أرأيت كيف أخزيتُ إبراهيم بن العباس؟ فجعلت أعجب من صلابة وجهه ..

---

(١) قصر الوضاح : قصر بنى للمهدى قبل الرصافة بولاية الوضاح مولى المنصور (مراصد الاطلاع) وبركة زلزل : ببغداد بين الكرخ والصراة .
(٢) مقصر أذيال القبا .

كان لسليمان بن وهب نديمٌ يأنسُ به ويألَفُه فعربدَ ليلةً من الليالى عربدةً قبيحةً فاطَّرَحَهُ وجفاه مدة ، فوقف له على الطريق فلما مرّ به وثبَ إليه ثم قال: أيها الوزير الا تكون فى أمرى كما قال على بن الجهم :

القوم إخوانُ صِدْقٍ بينهم نسبٌ من المَوَدَّةِ لم يُعْدَلْ بها نسبُ

تراضعوا دِرَّةَ الصهباء بينهمو فأوجبوا لرضيع الكأسِ ما يَجِبُ

لا يحفظون [1] على السَّكْران زَلَّتَهَ ولاتَرِيبُك [1] من أخلاقه رِيَبُ

فقال له سليمان: رضيت عنك رضاء صحيحا فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتى.

وأول هذه القصيدة هو قوله :

الوردُ يضحك والأوتارُ تصْطَخِبُ والناى يندب أحيانا [2] ويَنْتَحِبُ

والراح تُعْرَضُ فى نَوْرِ الربيع كما تُجْلَى العروسُ عليها الدُّرُّ والذّهب [3]

واللهوُ يُلْحِق مَغْبوقا بِمُصْطَبِحٍ والدور سيّان محثُوثٌ ومُنْتَخَبُ

وكلما انْسَكَبَتْ فى الكأس آوِنَةً أقْسَمْتُ أنّ شُعَاعَ الشمس يَنْسَكِب

دخل علىّ بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر فى غداة من غدوات الربيع وفى السماء غيم رقيق والمطر يجىء طلاً [4] ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عَزَم على الصَّبوح فغاضبته حَظِيَّة له فتنغَّص عليه يومُه وفَترَ فخُبِّرَ علىٌّ بن الجهم وقيل له : قل فى هذا المعنى شيئا لعله يُنَشِّط الأميرَ للصبوح ، فأنشده :

أما ترى اليوم ما أحلَى شمائلَه غيمٌ وصحوٌ وإبراق وإرعادُ

كأنه أنت يا مَن لا شبيهَ له وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعادُ

---

(١) لا تحفظن ... ولا تريبنك (أغانى) .

(٢) أشجانا (تجريد) ١٢٠٠ .

(٣) فى الأصل : أزؤرذهب .

(٤) قليلا (تجريد) .

فباكِرِ الراحَ واشرَبْها مُعَتَّقَةً … لم يَدَّخِرْ مثلَها كِسرى ولا عادُ
واشرب على الرَّوْضِ إذ لاحت زَخارِفُه … زَهْرٌ ونَوْرٌ وأوراقٌ وأَوْرادُ
كأنما يومُنا فِعْلُ الحبيب بنا … بَذْلٌ وبُخْلٌ وإيعادٌ وميعادُ
وليسَ يذهبُ عنى كلٌّ فِعْلكمو … غَيٌّ ورُشْدٌ وإصلاحٌ وإفسادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار ، وحمله وخلع عليه وأمر أن يُغَنَّى فى الأبيات واصْطَبح .

وُجِد علىّ بن الجهم بعد أن أُطلق من محبسه جالسا فى المقابر فقيل له : ما أجلسك هاهنا ؟ فقال :

يَشْتاقُ كلٌّ غريبٍ عند غُرْبَتِهِ … ويذكُرُ الأهلَ والجيرانَ والسكنا
وليس لى وطن أمسيتُ أذكُرُه … إلا المقابرَ إذ كانت لهم وطنا[1]

ولعلىّ بن الجهم :

لو تَنَصَّلْتَ إلينا … لَغفَرْنا[2] لك ذَنْبَكْ
بأبى ما أبْغَضَ العيشَ إذا فارقتُ قُرْبَكْ
ليتنى أَمْلِكُ قلبى … مِثْل ما تملِكُ قَلْبَكْ
أيها الواثق باللـ … ـه لقد ناصَحْتَ ربَّكْ
ما رأى الناسُ إماماً … أنهبَ الأموال نَهْبَكْ
أصبحتْ حُجَّتُك العُلـ … ـيا وحِزْبُ اللهِ حِزْبَكْ

قال عبيدُ اللهِ بن عبد الله بن طاهر: دخل علينا على بن الجهم عقيب موت أبى ، والمجلس حافل بالمُعَزِّين فمَثَلَ قائما وأنشد مرثية :

(١) سكنا (التجريد) .
(٢) لوهبنا (أغانى) .

أى رُكْنٍ وهَى من الإسلامِ | أىُّ يومٍ أخــنى على الأيامِ
جَلَّ رزءُ الأمير عن كل رُزْءٍ | أدركتْــه خواطرُ الأوهــام
سَلَبَتْنا الأيامُ ظِلاً ظليـــلا | وأباحت حِمًى عزيزَ المرَام
يا بنى مُصْعَبٍ حللتم من النا | س مَحَلَّ الأرواحِ فى الأجسام
فإذا رابكم من الدَّهْرِ رَيْبٌ | عم ما خَصَّكم جميعَ الأنام
انظروا هل ترون إلا دموعا | شاهداتٍ على قلوبٍ دوامى
من يداوِى الدنيا ومن يكلأُ المُلْـ | ـكَ لَدَى فادحِ الخطوب الجسام(١)
نحن مِتْنا بموته وأجَلُّ الـــ | خَطْبِ موتُ السادات والأعلامِ
لم يَمُتْ والأميرُ طاهرُ حَىٌّ | دائمُ الإنتقامِ والإنعامِ
فهو من بعده نظامُ المعالِى | وقوامُ الدنيا وسيفُ الإمام

قال: فما أذكر أنى بكيت أو رأيت فى دورِنا باكيا أكثر منه يومئذ .

قال أبو الدهقانة(٢) : دخلنا يوما إلى المُعْتَزِّ وهو مصطبح على صَوْتٍ اختاره لعَلِىٍّ بن الجهم اقترحه على عَرِيب وهو :

العين بعدك لم تَنْظُرْ إلى حسنٍ | والنفس بعدك لم تَسْكُن إلى سَكَنِ
كأن روحى إذا ما غبتَ غائبةٌ | حتى إذا عدت لى عادَتْ إلى بَدَنى

فلم يزل يشرب عليه نهاره فلما سَكِرأمر لها بثلاثين ألفَ درهم وفرَّقَ على الجلساء كلِّهم الجوائزَ والخِلَع والطِّيبَ .

ولعلى بن الجهم، ويقال إنه آخر شعر قاله:

يارحْمَتا للغريب(٣) فى البلد النا | زحِ ما ذا بنَفْسِه صنعا
فارقَ أحبابَه فما انتفعوا | بالعَيْش من بعده ولا انتفعا

(١) العظام (تجريد) .
(٢) أغانى (و الأصل الدهقان).
(٣) يا رحمة ... بالبلد (تجريد) .

ولما حبس المتوكلُ على اللهِ علىّ بن الجهم واجتمع الجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كلّ مكروه ووصفهم مساوئَه، قال هذه القصيدة :

أقلــــنى أقالك من لَمْ يَزَلْ يَقيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدَى
وتَجرِى مقـــاديرُه بالذى تُريدُ إلى أن بلغتَ المَدَى
ويُعْليك حـــتى لَوَ انَّ السماءَ تُنالُ لجاوزتَها مُصْعِدا
فما بـــين ربِّـك جَـــلَّ اسْمهُ وبينكَ إلا نبيُّ الهُـدى
عفـا الله عنك ألَا حُرْمَـــةٌ تَعُودُ بفضلِك أَنْ أُبْعَدَا
لئن جَلّ خطبٌ[1] ولم اعتمـد فأنتَ أَجَلّ وأَعْلَى يدا
ألم تَرَ عَبْدا عدا طَوْرَه ومَولًى عفا ورشيدا هَـدَى
ومُفْسِـــد أَمْرٍ تلافيْتَه فعاد فأَصْلَحَ ما أفسدا
فلا عُدْتُ أَعْصِيك فيما أَمرْ تَ حتى أَزُورَ الثَّرى مُلْحَدا
وإلا فخالفتُ ربَّ السماء وخُنتُ الصديقَ وعِبتُ[2] النَّدى
وكنتُ كمروان[3] أو كابن عمرو مبيحِ العيال لمن أولدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قَبِيحَة[4] وقال لها: إن علىّ بن الجهم قد لاذ بك، وليس له ناصر سواك، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب، لأنه رجل من أهـــل السنة، وهم روافض، وقد اجتمعوا على الإغراء بقتـله، فدعت

(١) ذنب (تجريد) .
(٢) وغفت (الأغانى) .
(٣) كعزون (أغانى وتجريد) .
(٤) فى الأصل منيحة والتصويب عن التجريد ١١٩٨ والأغانى .

بالمعتز وقالت: اذهب بهذه الرقعة يابنى إلى سيدك ، وأوْصِلْها إليه ، فجاءه بها ووقف بين يديه ، فقال له : ماهذامعك، فَدَيْتك؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دفَعَتْها إلىّ أمى، فقرأها المتوكل، وضحك ، ثم أقبل عليهم، فقال: أصبح أبوعبدالله، فَدَيْتُه، خَصْمَكم. هذه رُقْعَةُ على بن الجهم يستقيلُ(١) ، وأبوعبد الله شفيعُه، وهو من لا يُرَدُّ. وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

وكنت كمروان أوكابن عمرٍو مبيح العيالِ لمن أوْلدا

وثب ابن حمدون ، ثم قال : يا سيدى من دفَعَ هذه الرقعةَ إلى السيدة ؟ قال بيدون الخادم [: أنا](٢) . فقال : أحسنت ، تعادينا وتوصل رقعةَ عدونا فى هجائنا ! وانصرف بيدون ، وقام المعتزُّ ، فانصرف ، فاستلب ابن حمدون قوله :

وكنت كمروان أوكابن عمرٍو مبيح العيالِ لمن أولدا

فجعل يُنْشِدُهم إياه وهم يشتُمونه ، والمتوكل يضحك ، ويصفق ، ويشرب حتى سكر ، ونام ، وسرقوا القصيدةَ من بين يديه وانصرفوا ، ولم يُوَقِّعْ بإطلاقه ونَسِيَه فقالوا لابن حمدون : ويحك ! تُعِيدُ هجاءنا وتَشْتُمنا؟ فقال : ياحمقى ! والله لو لم أفعل ذلك حتى ضحكَ وشرب وسكر ونام ، لوَقَّعَ بإطلاقه ولوَقَعْنا معه فى كلٍّ ما نكره .

لما فتحت أَرْمِينِيَّة وقُتِلَ إسحٰقُ بنإسمٰعيل دخل علىٌّ بن الجهم فأنشد المتوكلَ قصيدتَه التى يمدحُه ويهنئه بالفتح ، فقال فيها ، وأومأ بيده إلى الرسول الوارِد بالفَتْح وبرأسِ إسحاقَ بنِ إسماعيل :

أهلا وسهلا بك من رسولِ جئتَ بما يَشْفِى من الغليلِ

---

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

(٢) زيادة يتم بها الكلام .

بجُمْلَةٍ تُغْنِى عن التفصيلِ ... برأس إسحق بنِ إسماعيلِ
قَهْراً بلا خَتْلٍ ولا تطويلِ

فاستحسن من حضر ارتجالَه هذا وابتداءه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألفَ درهم ، ثم تمم القصيدة وقال فيها :

جَيش يَلُفُّ الحَزْنَ بالسهولِ ... كأنه مُعْتلج السيولِ
يَسوسُه كهـلٌ من الكهول ... لا ينثني(١) للصعبِ والذلولِ
على أغرَّ واضحِ الحجـولِ ... حـتى إذا أَصْحَرَ للخـذول
ناجزَه بصـارمٍ صقيـلِ ... ومَنْجَنيقٍ مثل حلق الفيلِ
يُرْقِلُ(٢) عن خرطومِه الطويلِ ... صواعقٌ من حَجَرِ السِّجِّيل
يترك كَيْدَ القومِ فى تضليـلِ ... ما كان إلا مثلَ رَجْعِ القيلِ
حتى انجلت عن حِزْبه المفلولِ ... وعن نسـاء حُسَّرٍ ذهولِ
صَوارخٍ يَعْـثُرْنَ فى الذيول(٣) ... ثواكِلِ الأولادِ والبعولِ
لا والذى يُعْرَفُ بالعقولِ ... من غير تحديدٍ ولا تمثيلِ
ما قام للهِ وللرسولِ ... بالدين والدنيا وبالتنزيلِ
خليفةٌ كجَعْفرٍ المأمولِ

قال محمد بن عبد السلام : رأيتُ مع على بن يحيى المُنَجِّم قصيدةً لعلى بن الجهم يمدح بها المتوكل ويصف الهارونى(٤) فقلت : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة ؟ فضحك ، وقال : قصيدةٌ لعلى بن الجهم سألنى أن أعرِضَها على أمير المؤمنين فعرَضْتُها. فلما سمع قوله :

(١) فى الأصل : لا ينسى الصعب .
(٢) يرقل : يسرع ، وفى رواية : ترفض.
(٣) فى الأصل يعصرن بالذيول .
(٤) الهارونى : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون بن الواثق بالله .

وَقُبَّةِ مُلْكٍ كأن النجو ... مَ تُصْغِي[1] إليها بأسرارِها
تَخِرُّ الوفود لها سُجدا ... إذا ما تَجَلَّتْ لأبصارها[2]
وفَوّارة ثأرُها فى السماء ... فليست تُقَصِّر عن ثارها
تَرُدُّ على المُزْنِ ما نَزَّلت[3] ... إلى الأرض من صَوْبِ مدرارها

تهلل وجهُه واستحسنها فلما انتهيتُ إلى قوله :

تبوأتُ بعدَك قَمر السُّجون ... وقد كنت أرثى لزُوَّارِها

غضب واربدّ وجهه وقال : هذا بما كَسَبَتْ يداه ، ولم يسمع تمَامَ القصيدةِ .

قال الحسن بن موسى : لما شاع فى الناس مذهبُ على بن الجهم وشَرُّه وذكرَه كل أحدٍ بسوء من صديقِه وعدوِّه تحاماه الناس ، فخرج من بغداد إلى الشام ، فاتفقنا فى القافلة إلى حلب ، وخرج علينا نفرٌ من الأعراب فتَسَرَّع إليهم قومٌ من المقاتلة ، وخرج فيهم فقاتل قتالا شديداً وهزَمَ الأعرابَ. فلما كان من الغد خرج علينا منهم خَلْقٌ كثيرٌ ، فتسرع إليهم المقاتلةُ ، وخرج فيهم فأصابته طعنة فجئنا إليه واحتملناه ينزف دمُه فلما رآنى بكى ، فقلت له : لا بأس عليك ، فلما أمسى قَلقَ قلقا شديداً وأحسّ بالموت فجعل يقول :

أَزِيدَ فى الليــــل لَيْلُ ... أم سال بالصُّبْحِ سَيْلُ
ذكرت أَهْلَ دُجَيْــلٍ ... وأين مِنِّى دجيلُ

وبكى فأبكى كلَّ من كان فى القافلة . ومات مع السَّحَرِ ودفن فى ذلك المنزلِ على يوم من حَلَب .

---

(١) فى بعض الأصول وفى التجريد (تفضى) .
(٢) عن الأغانى وفى الأصل لأسرارها .
(٣) أنزلت (تجريد) .

ذكر عبد الله بن المعتز(1)

أمرُه مشهورٌ، في فضائله، وآدابِه وجودةِ صَنْعَتِه، وحسن شعره، وإن كان في شِعرِه رِقّةُ الملوكية، وغَزَلُ الظرفاء وهَلْهَلَةُ المُحْدَث، فإنه لا يَقْصُرُ عن مَدَى السابقين، ويكفيه أنْ قُتِلَ ودَرَج، ولم يكن له خَلَفٌ يُقَرِّظُه ولا عَقِبٌ يَرْفَع منه وما يزدادُ تأدُّبُه وفضلُه وشعرُه وتَصَرُّفُه في كلّ فن من العلوم إلا رفعةً وعلوا. وانظر إلى أضدادِه لما طَعَنوا عليه إذا وقع عليه المحقق عدلوا عن مِلّته في الأدب إلى الشناعةِ بأمرِ الدين وهجاء آل أبي طالب.

كان لعبدِ الله بن المعتز خادمٌ يُحبُّه يقال له نَشْوانُ، وكان يُغَنِّي غناء صالحا مُجْدِر تجزِع عليه بعض أصحابه، وجاء يوما فقال له ابن المعتز: قد عُوفي نَشْوانُ، وخرج أحسنَ مما كان عليه، وقد قلتُ فيه بيتين وَغَنَّتْ زرياب فيهما رَمَلا ظريفا فاسمَعْهما إنشاداً قبل أن تسمَعهما غناء، وأنشده:

لي قمرٌ جُدِّر لما استوى   فزاده حسنا وزالت همومْ
أظُنُّه غَنَّى لشمسِ الضُّحى   فنقَّطتُه طرباً بالنجومْ

ثم خرجتْ زريابُ فغنته في الزيك(2) أحسن غناء، فشربا عليه عامة يومهما.

جاء عبدُ الله بن المعتز يوما إلى أبي عيسى بن المتوكل مُسَلِّما وسِنُّه، يومئذ، عشرون سنة، فدخل عَلِيّ بن محمد بن أبي الشوارب القاضي فأكْرَمه أبو عيسى ونهض له، فلما استَقَرَّ به المجلس قال لأبي عيسى: قد احتجتُ إلى معونتك

---

(1) أغاني دار الكتب ١٠ : ٢٧٤، وتجريد ١٢٢٤.

(2) الرمل، أغاني ١٠ : ٢٨١.

فى أمر دُفِعْتُ إليه ، ولا غَناء عن تـكليفك المعاونةَ فيه، قال: ماهو ؟ قال : زوَّجْتُ ابنةً من بناتنا رجلا من أهلنا ، نخرج عن مذاهبنا وأساء عشرة(١) أهله وجعل منزلَ عيسى بن هرون وطَنَه وتَهدَّدَنا به وتوعدنا بسَيْرِه حتى بسط عيسى بنُ هرون يدَه ولسانَه بالقبيح والقول ، وكثرت معاونته له على ما يُزْرِى بدينه ، وقد توعدنا بأنه يَكْشِف وجهَه لنا فى معاونة صهرنا العادى علينا ، ولولا نسبه الذى فَخْرُه لنا وعارُه علينا لا تنصفنا منه بالحق، إلا أنى أستمهدك منه. فقال له أبو عيسى : أنا أُوجه إليه فأُراسله بما أنا المتكفل بعده بأن لا يعود إلى عشرته ، والضامن أن أرُدَّ هذا الصهرَ إلى حيث تحبُّ ويقعُ بموافقتك. فشكَرَه وانصرف . فقال أبو عيسى: أما ترون إلى هذا الرجل النبيه السَّرِىّ الشريفِ الفاضِل يدفع إلى مثل هذا ؟ طوبى لمن لم تـكن له بنت . فقال له عبد الله بن المعتز : إن لى فى هذا المعنى بيتين(٢) ، وقد استحسنهما جماعة ممن يعلم الشعر ويقوله . فقال له هاتِ ، فأنشده :

وبِكْرٍ قلتُ موتى قبل بَعْـلٍ ... وإنْ أَثْرَى وعُدَّ من الصميمِ
أأمزُجُ باللـئام دَمِى ولَحْمِى ... فما عُذْرِى إلى النَّسب الـكريمِ

قال جعفرُ بن قُدامة: كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النُّمَيْرِى ، وحضر وقتُ الصلاة ، فقام النميرىُّ فصَلَّى صلاة خفيفة جدًّا ، ثم دعا بعد الصلاة ، وسجد سجدة طويلة، استثقله جميع من حضر ، وعبدُ الله ينظر إليه مُتَعَجِّبا، ثم قال :

صلاتُك بين الملا(٣) نقرةٌ ... كما اختلس الجَرْعَة الوالِغُ
وتسجُد من بعدِها سجدةً ... كما خُتِمَ المِزْودُ الفـارغُ

---

(١) فى الأصل تقرأ (ولنا عرة) والتصويب من الأغانى ١٠ : ٢٧٢ .

(٢) يروى أن سبب إنشادهما أن رجلا نبيها فاضلا احتاج إلى تزويج ابنته من دنىء ، فقال ابن المعتز البيتين (تجريد) .

(٣) الورى (تجريد) .

كانت بنتُ الكراعة تألف عبدَ الله بن المعتز ، وكان يحب غناءها، ويستظرفُها، ويواصل إحضارَها ، ثم انقطعت عنه فقال :

ليت شعرى بمن تشاغلتِ عنِّى وهو لا شكَّ جاهلٌ مغرورُ
هكذا كنتُ مثلَه فى سرورٍ وغداً بالهموم مثلى يصيرُ

قال جعفر بن قدامة: كنا عند ابن المعتز يوما، ومعنا النميرى، وعنده جاريةٌ لبعض بناتِ الكوفة تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها فى نهاية القبح . فجعل عبد الله يُجَمِّشها ويتعاشقُها، فلما قامت قال له النميرى : سألتك الله ، أتعشقُ هذه التى ما رأيت أقبحَ منها ؟ فقال عبد الله ، وهو يضحك :

قلبىَ وثّابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئــا فيأباهُ
يهيم بالحسنِ كما ينبغى ويرحمُ القبــحَ فيهواهُ

قال عبدالله بن المعتز: كانت خزامى جارية الضَّبْط المغنى(١) تنادمنى وأنا حَدَثٌ ، وكانت مغنية مُحْسِنةً شاعرةً ظريفةً ، ثم تركت النبيذَ وتابت فراسلتُها مراراً ، فتأخرت عنى فكتبت إليها :

رأيتُكِ قد أظهَرْتِ زهداً وتوبةً فقد سَمُجَتْ من بعد توبتك الخمرُ
فأهديتِ لى ورداً يذكر عيشةً(٢) بمن لم يُمَتِّعْنا ببهجتها الدهرُ

فأجابتنى :

أتانى قريضٌ يا أميرى مُحَبَّرٌ حكى لىَ نَظْمَ الدرِّ فُصِّلَ بالشَّذْرِ(٣)
أأنكرتَ يا ابن الأكرمين إنابتى وقد أفصحتْ لى ألسُنُ الدهرِ بالزَّجْرِ

---

(١) فى الأصل ا ، ب (الطط المتعن) والتصويب عن الأغانى ٩ : ١٣٨
(٢) رواية الأغانى والتجريد « فأهديت وردا كى يذكر عيشة » .
(٣) الشذر: خرز تفصل به الجواهر فى النظم .

وأدّبَني[1] شرخُ الشباب ببَيْنِه ... فياليت شعرى بعد ذلك ما عُذْرِى

كان مُؤنِسٌ قد استخْلَفَ محمدَ بن عبيدِ الله بن عبد الله ، فقال يهنئه :

فرحتُ بما أضْعَافُه دون قدرِكم ... وقلت عسى قد هَبّ من نومه الدهرُ

فتَرْجع فينا دولةٌ طاهريّةٌ ... كما بدأتْ والدهرُ من بعده الأمرُ

عسى اللهُ إنّ اللهَ ليس بغافلٍ ... ولا بدمن يُسْرَى إذاما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه محمد بن عبد الله قصيدة منها :

ونحن لكم إن مَسّنَا بعضُ جَفْوةٍ[2] ... فمنّا على لأْوَائِها الصبرُ والعذرُ

وإن رَجَعَت من نعمةِ الله دَوْلةٌ ... إلينا فمنّا عندها الحمدُ والشكرُ

ثم جاءه محمد بن عبيد الله شاكراً له .

وجفاه مدة طويلة فكتب إليه ابن المعتز :

قد جئتَنا مرةً ولم تَكَدِ ... فلم تَزُرْ[3] بعدَها ولم تَعِدِ[3]

لست ترى واجداً بنا عِوَضا ... فاطْلُب وجَرِّب واستقصِ واجتهدِ

ناوَلَنِى حبلَ وَصْلِه بيدٍ ... وهجْرَه جاذباً له بيدِ

فلم يكن بين ذا وذا أَمَدٌ ... إلا كما بين ليلةٍ وغَدِ

---

(١) وآذنى (أغانى — تجريد) .

(٢) ونحن إذا ما نالنا مس جفوة — أغانى ١٠ : ٢٨٦ .

(٣) فى الأغانى تعد بضم العين من عاد يعود ، والثانية بكسرها من وعد يعد .

ذكر عِمْلاق الملك وعَفيرة[1]

هى عَفِيرةُ بِنْت عِفار ، وقيل عَفيرةُ بنتُ عَبَّاد الجَديسيّة ويقال لها الشَّموس .

وعِملاق ملكُ طَسم بن لوذ[2] بن أزهر بن سام بن نوح .

وجديس بن عابر[3] بن إرم بن سام بن نوح .

وكانت منازلُهم فى موضع اليمامة ، وكان الظلم فى أيام عِملاق قد تمادى والغشمُ والشرهُ بغير الحق . وكانت امرأةٌ من جديس يقال لها هُزَيلة لها زوج يقال له قرقَس ، فطلقها وأراد أخذ ولدها منها ، فخاصمته إلى عملاق . وقالت : أيها الملك إنى حملته تسعا ، ووضعتُه دفْعا ، وأرضعته شفعا ، حتى تَمّتْ أوصاله ، ودنا فِصاله ، أراد أن يأخذه منى كَرْها ويتركنى من بعده وَلْهَى . فقال لزوجها : ما حجتك ؟ قال : حجتى ، أيها الملك ، أنى أعطيتُ المهر كاملا ، ولم أصبْ منها طائلا ، إلا وليدا خاملا ، فافعل ما كنت فاعلا . فأمر بالغلام أن يخرج منهما جميعا ويُجعلَ فى غلمانه . وقال لهُزَيْلة : ابغيه ولدا ، ولا تنكحى أحدا ، واجزيه صفدا ، فقالت هُزَيلة : أما النكاح فإنما يكون بالمهر ، وأما السفاح فإنما يكون بالقهر ، وما أرى فيهما من أمر . فلما سمع عملاق ذلك أمر أن تُباع [هى] وزوجها فيعطى زوجها خُمْس ثمنها وتُعْطَى هُزيلة عشر ثمن زوجها . فقالت هُزيلة :

أتينا أخا طَسْم ليحكم بيننا ... فأنفذ حكما فى هزيلةَ ظالما

(١) أغانى ١١ : ١٦٤ ـ تجريد ٣ : ١٢٧٥ وفيهما : عفيرة وعمليق الملك ، وهى فى الأصل : عقيرة بالقاف وعملاق .

(٢) لاوذ بن إرم (أغانى) .

(٣) فى الأصل : عامر والتصويب (عابر بن إرم) من الأغانى .

لعَمْرِى لقد حُكِّمتَ لا متورعا ولا كنتَ فيمن يُبْرِمِ الحكمَ عالما

ندمتُ ولم أندم وأنّى لعَثْرَتى وأصبح بَعْلِى فى الحكومة نادما

فلما سمع عملاق قولها أمر ألا تزوجَ بِكْرٌ من جديس وتُهْدَى إلى زوجها حتى يَفْتَرِعها هو قبل زوجها . فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلاًّ فلم يزل كذلك حتى زُوِّجَت الشَّموسُ وهى عَفِيرةُ بنت عَبّاد الجديسيّة ، أختُ الأسودِ الذى وقع إلى جَبَلَىْ طَـيّ ء فقتلته طيّ ء ، وسكنوا الجبلَ من بعده . فلما أرادوا حَمْلَها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِملاقِ الملِك لينالها قبلَه ومعها القيان يتغنين ويقلن :

ابْدَىْ بِعِمْليقٍ وقومِى واركَبِى وبادرى الصبحَ لأمرٍ مُعْجِبِ

فسوف تَلْقَيْنَ الذى لم تَطْلُبِى وما لِبِكْرٍ عنده من مَهْرَبِ

فلما دخلت عليه واقعها وخَلّى سبيلَها فخرجت إلى قومها فى دمائها شاقّةً دِرْعها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ ، والدم يَبينُ وهى فى أقبحِ مَنْظر وهى تقول :

لا أحدٌ أذلّ من جَديسِ أهكذا يُفعلُ بالعروسِ[(١)]

لأَخْذَةُ الموتِ كذا بنفْسِه خيرٌ مِنَ أنْ يُفعَلَ ذا بعِرْسِه

وقالت تحرّض قومها :

أيَجْمُل ما يُؤْتَى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكمُو عددُ النمل

وتصبحُ تمشِى فى الديار عَفيرةٌ عفيرةُ زُفَّتْ فى النساء[(٢)] إلى بعل

فلو أننا كنَّا رجالا وكنتمو نساءً لكنا لا نُقِرُّ بذا الفعلِ

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوَّكم ودِبُّوا النار الحربِ بالحطَبِ الجَزْلِ

---

(١) بعده :

يرضى بهذا يالَقَومى حُرٌّ أهدَى وقد أعطَى وسيق المَهْرْ

أغانى ١١ : ١٦٦

(٢) فى الدماء إلى البعل — تجريد ١٢٧٦ .

وإلا تخلوا بطنَها وتَحَمَّلوا   إلى بلد قَفْرٍ وموتوا من الهُزْلِ
فَلَلْبَيْنُ خير من مُقامٍ على أذى   وللمَوْتُ خيرٌ من مُقامٍ على ذُل
وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هذه   فكونوا نساءً لا تعابُ[1] من الكُحْل
ودونكمو طيبَ العَروس فإنما   خُلِقْتم لأثواب العروس وللغِسْلِ[2]
فبُعْدا وسُحْقا للذى ليس دافعا   ويختال يمشى بيننا مِشْيَةَ الفحل

وكان أخوها الأسودُ سيداً مُطاعاً ، فلما سمع مقالها، قال لقومه : يامعشرَ جديس ، إن هؤلاء القومَ ليسوا بأعزَّ منكم فى داركم إلا بما كان من مُلْكِ صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزنا وإدهاننا[3] ما كان له فضلٌ علينا وعليكم ، ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَف ، فأطيعونى فيما آمرُكم به فإنه عزُّ الدهرِ وذهابُ ذُلِّ العُمْر ، واقبَلوا رأيى. وكان قَوْله[4] قد أحمى جديسا فقالوا : نطيعك ، ولكن القومَ أكثرُ وأقوى رِحمًى. قال : فإنى أصنعُ للقوم طعاما ثم أدعوهم إليه جميعا ، فإذا جاءوا يرفُلون فى الحُلل ثُرْنا إلى سُيوفنا ، وهم غارون[5] فأهْمَدْناهم بها . قالوا : نفعل . فصنع لهم طعاما كثيراً ، وخرج بهم إلى ظَهْر بلدهم ، وأتى عملاقا[6] يسأله أن يتغدى عنده هو وأهلُ بيته فأجابه. وخرج معه أهله يَرْفُلون فى الحُلِىِّ والحُلَل حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشد الأسودُ على عملاق ، وكل رجلٍ منهم على رَجُلٍ حتى أبادوهم ، فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السِّفْلة ، فلم يَدَعُوا منهم أحداً. فقال الأسود فى ذلك :

---

(١) فى الأصل : لا تعب
(٢) فى الأصل: للغل ، (والتصويب عن الأغانى) .
(٣) فى الأصل: واهدائنا . والإدهان : المصانعة واللين، مثل المداهنة .
(٤) فى الأصل : قولها . وهى فى الأغانى والتجريد : قوله، والسياق يقتضيه .
(٥) غارون = غافلون .
(٦) عمليقا وسأله (أغانى) .

ذوقى ببَغْيِكِ يا طَسْمُ مُجَلَّلَةً ... فقد أتيتِ لعمرى أَعْجَبَ العَجَبِ
إنا أَتَيْنا فلم ننفل بقتلهمو[١] ... والبَغْىُ هَيَّج منا سَوْرَةَ الغضبِ
ولن يعود علينا بغيُهم أبدا ... ولم يكونوا لدى أنفٍ ولا ذَنَبِ
فإن رَعَيْتُم لنا قربى مُؤَكَّدَةً ... كنا الأقاربَ فى الأرحامِ والنَّسَبِ

ولجأ بقية طَسْمٍ إلى حسان بن تُبَّع فغزا جديساً فقتلها وأَخْرَب بلادها ، فهرب الأسودُ قاتلُ عملاق وأقام بجبَلَىْ طَيِّئٍ قبل نزولِ طَيِّئٍ إياها ، وكانت طيء تسكن الجرف من أرض اليمن ، وهى اليوم محل مراد وهمدان ، وكان سيدُهم يومئذ سامة ابن لُؤَى بن الغوث بن طيء .

وكان الوادى مسبعة وهم قليل عددهم ، وكان يأتيهم بعيرٌ فى زمان الخريف ولا يرونه إلى قابل .

وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام العَرِم، فلما هموا بالظَّعْن قالوا لأسامة: إن هذا البعيرَ يأتينا فى كل خريف من بلدٍ ريفٍ وخِصْب وإنا نرى فى بَعْرِه النوى، فلوأنا نَتَعَهَّدُه عند انصرافه ، فَشَخَصْنا معه لعلنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا. فأجمعوا أمرهم على ذلك .

فلما كان الخريف جاء البعيرُ فضَرب فى إبلهم ، فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون [بسَيْرِه] حتى هبط على الجَبَلَيْن فهجمت طيء على الفحل فى الشِّعابِ فإذا هم برجل فى شِعْب مِن تلك الشعاب وهو الأسودُ قاتل عملاق فهالهم مارأوا من عظم خِلْقته وتخوَّفوه، ونزلوا ناحية من الأرض فاسْتَبَرَوها[٢] هل يرون بها أحدا ، فلم يروا بها

---

(١) انا أبينا فلم ننفك نقتلهم .
(٢) استبروها : اختبروها من السبر وهو الاختبار، وفى الأصل: اسبروها .

أحداً غيره ، فقال أسامة[1] بن لؤى لابن له يقال له الغَوْث : إن قومَك قد عرفوا فضلَك عليهم ، ولو كفَيْتَنا هذا الرجلَ سُدْتَ قومَك آخرَ الدهر ، وكنتَ الذى أنزَلْتَنا هذا البلدَ . فأتى إلى الأسود فكلَّمَه وسألَه ، فعجب الأسودُ من صِغَر خَلْق الغَوْث وقال : من أين أقبلتم ؟ فقال : من اليمن . وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه وأنهم رهبوا ما رأوا من عظم خَلقه وصِغَرهم عنه ، وشَغَلَه بالكلام ، ورماه الغوثُ بسهم فقتله . وأقامت طيء بالجبلين بعده ، فهم هناك إلى اليوم .

(١) كذا فى الأصل وفى التجريد ـ وقد سبق أن ذكر فى مواضع أخرى أن اسمه سامة من غير همز أوله (انظر ترجمة على بن الجهم) .

ذكر عائشة بنتِ طلحة[1]

عائشةُ بنتُ طلحة بن عُبَيْد الله بن عُثمان بن عامر بن عَمْرو بن كعب بن سعد ابن تيم . أُمُّها أُم كلثوم بنتُ أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه . كانت لاتَسْتُر وجْهَها من أحد ، فعاتبها زوجُها مصعبٌ فى ذلك فقالت : إن الله تبارك وتعالى وَسَمَنى بميسم الجمال ، فأحببت أن يراه الناسُ ويعرفوا فَضْلى عليهم ، وما كنتُ لأَسْتُرَه ، ووالله ما فيَّ وصمةٌ يَقْدر أن يذكرنى بها أَحَد . وطالت مُرادَّةُ مُصْعبٍ لها .

وكانت شرسةَ الْخُلُقِ ، وكذلك نساء بنى تميم هنّ أشرسُ خلق الله ، وأحظاهن عند أزواجهن .

وكانت أُمُّ إسحقَ بنتُ طلحةَ عنـد سيدنا الحسن بن علىّ ، رضى الله عنهما . وكان يقول : والله لربما حَمَلَتْ ووضَعَتْ وهى مُصارِمَةٌ لا تـكلمنى .

آلَتْ عائشةُ من مُصْعَبٍ أن تُكَلِّمَه ، وقالت : أنت علىّ كظَهْرِ أُمِّى . وقعدتْ فى غُرفة ، وهيأت لها ما يُصْلِحها ، فجهد مصعبٌ أن تـكلمه فأَبَتْ ، فبعث إليها ابنَ قيسِ الرقيّاتِ فَسَأَلَها كلامَه فقالت : كيف بيمينى ؟ فقال : الشعبىُّ فقيهُ العراقِ فاستَفْتيه . فدخل عليها فأخبَرَتْه . فقال : ليس هذا بشىء ، فقالت : ما تخرجُ خائبا . وأمرت له بأربعة آلاف درهم .

وقال ابن قيس الرقيات لما رآها :

إنَّ الخليطَ قد أزمعوا تَرْكى ‏ ‏ ‏ فوقفتُ فى عَرَصاتِهم أَبْكى

---

(١) الأغانى ١١ : ١٧٦ (دار الـكتب) والتجريد ٣ : ١٢٧٩ ـ مهذب الأغانى ٦ : ١٧٣

جِنِّيَّةٌ بَرَزَتْ لتقْتُلَنِى(١) مَطْلِيَّةُ الأثواب(٢) بالمسك
عجبـــا لمثلك لا يكونُ له خَرْجُ العراق ومنْبَرُ المُلْك

وقيل إن مُصْعبا لمـا غَضِبَتْ عليه عائشةُ أَنْفَذَ إليها أَشْعَبَ فقال له أشْعب(٣) : ما لى إن رَضِيَتْ؟ قال : حُـكْمك. قال : عشرة آلاف درهم . قال : هى لك . فأتاها ، فقال : جعلتُ فداكِ قد علمتِ حُبى لك ومَيْلى قديما وحديثا إليك من غير منالة(٤) ولافائدة، وهذه حاجة قد عَرَضَتْ تَقضين بها حَقِّى . قالت : وما هى ؟ قال : قد جعل لى الأميرُ عشرةَ آلاف درهم إن رَضِيتِ عنه . قالت : ويحك ! لا يمكننى ذلك . قال : بأبى أنت وأمى إرضَىْ عنه حتى يُمطيَنى المـــال ، ثم عودِى إلى ما عَوَّدَكِ الله من سُوء الخلق . فضحكت منه ، ورضيت عن مصعب ، وأخذ أشعبُ المالَ .

كان بالمدينة امرأة يقال لها عزةُ الميــلاء تألفها الأشرافُ وغيرهم من أرباب المروءات . وكانت من أظرف الناس، وأعلمهم بأمور النساء ، فأتاها مصعبُ بن الزبير، وعبدُ الله بنُ عبـد الرحمن بن أبى بكر ، وسعيد بن العاص ، فقالوا : إنا خَطَبْنا فانظُرِى لنا . فقالت لمصعب : يا أبا عبد الله ومَن خَطَبْتَ ؟ قال : عائشة بنت طَلحة . قالت : فأنت يا ابنَ أُحيحة . قال : عائشة بنت عثمان بن عفان . قالت : فأنت يا ابن الصديق . قال : أُم الهيثم بنت زكريا بن طَلحة . فقالت: يا جارية هاتى مَنْقَلَىَّ، تعنى خُفَّيْها ، فلبستهما ، وخرجت ، ومعها خادم لها ، فبدأت بعائشةَ بنتِ طلحة ، قالت : فديتك ، كنا فى مَأْدُبَة أو مأْتم لقريش ، فتذاكروا جمال النساء ، وخَلْقَهُنَّ فذكروكِ ، فلم أَدْرِ كيف أَصِفُك ، فأَلْقِى ثيابَك ، ففعلت ، فأقبلت وأدْبَرَتْ فارْتَجَّ

---

(١) لتقتلنا (تجريد) .

(٢) الأقراب (تجريد) وهى جمع قرب بالضم : الخاصرة ، والجمع للتوسع .

(٣) فى الأصل : فقال لأشعب ، والسياق غير هذا .

(٤) فى الأصل: مقالة .

كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزَّة : خذى ثوبَك ، فَدَيْتُك . فقالت عائشةُ : قد قضيتُ حَقَّك وبَقِي حَقِّي . قالت عزة : وما هو ؟ قالت عائشة : تغنيني صوتا، فغنتها :

خليلي عُوجا بالمحلة من جُمْل ... ...

فقامت عائشة فقبّلت بين عينيها ودعت لها بعشرةِ أثوابٍ وطرائفَ من أنواع الفِضة فأخذتها ، وأتت النسوةَ على مثل ذلك . وأتت القوم فى السَّقيفةِ ، فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا ابن أبى عبد الله ، أما عائشةُ فلا والله ما رأيت مثلَها مُقبلةً ولا مدبرةً ، مخْطوطةُ المَتْنَيْن ، عظيمةُ العَجُز ، ممتلئة التَّرائب ، نقيّة الثَّغْرِ وصفحة الوَجْه ، فرعاء الشَّعْر ، ممتلئةُ الصدر ، خميصةُ البطن ، ذات عُكَن(١) ، ضخمةُ السُّرَّة يَرْتَجّ ما بين أعلاها إلى قدميها ، وفيها عيبان ؛ أحدُها يواريه الخمارُ ، والآخر يواريه الُخفُّ ـ أى عظيمةُ القدَمِ والأُذُنِ .

ثم قالت عزة : وأما أنت يا ابن [أبى] أُحَيْحَة ، فإنى والله ما رأيت مثل خَلْقِ عائشة بنت عثمان لامرأةٍ قط ، ليس فيها عيب ، كأنما والله أُفرِغَت إفراغا ، ولكنّ فى الوجه رَدَّةً(٢) وإن استشرْتَنى أشرتُ عليك ، قال : هاتى . قالت : عليك بوجه تستأنس به .

وأما أنت يا ابنَ الصِّدِّيق ، فوالله ما رأيت مثل أُم الهيثم كأنها خُوطُ بانٍ(٣) تَثَنَّى ، أو كأنها جانٌّ يتثنى على رَمْل ، ولو شئت أن تَعْقِد طَرَفَاها لَفَعَلْت فإنها شَخْتَةُ(٤) الصدر وأنت عريضُ الصَّدْر فإن كان كذلك كان قبيحا ، لا واللهِ حتى يملأَ كلٌّ شىء مثلَه .

قال : فوصلها الرجالُ والنساء وتزوّجوهن .

---

(١) العكن جمع عكنة وهو ما انطوى وتثنى من لحم البطن .
(٢) يقال فى الوجه ردة : أى قبح مع شىء من الجمال .
(٣) الخوط : الغصن الناعم .
(٤) فى الأصل: سخيفة والتصويب عن الأغانى ١١ : ١٧٩ .

وكانت عائشة بنتُ طلحة تُشَبَّه بخالتها عائشةَ أُمِّ المؤمنين رضى الله عنها .

وكانت عائشة قد زوَّجَتْها لعبدِ الله بنِ عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهو ابن أخيها، وابن خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرَتِها ، ولم تلد من أحد من أزواجها إلا منه . ولدت له عِمرانَ وبه كانت تُكْنَى ، وعبدَ الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة تزَوَّجها الوليدُ بن عبد الملك وكُلُّهم أعْقَب ، وكان ابنُها طلحةُ أجودَ أجواد قريش وله يقول الحزين[1] الدِّيلىّ :

فإن تك يا طَلْحُ أعطيتَنى ... عُذَافِرةً[2] تستخفُّ الضِّفارا
فما كان نَفْعُك لى مَرَّةً ... ولا مرّتين ولكن مرارا
أبوك الذى صَدَّق المصطفى ... وسار مع المصطفى حيثُ سارا
وأُمك بيضاء تيْمِيَّةٌ ... إذا نُسِبَ الناسُ كانت نُضارا

فصارمت عائشة زوجها عبد الله ، وخرجت من داره غضبى ، عليها مِلْحَفَة تريد عائشة أمَّ المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فسبَّح الله وقال : سبحانَ الله ، كأنها من الحور العين ، فمكثت عند عائشةَ قريبا من أربعة أشْهُر ، وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت عائشة : إنى أخاف عليك [الإيلاء][3] ، فضمها إليه فقيل له : طلقها ، فقال من أبيات :

وإن فراق أهل بَيْتٍ أُحِبُّهم ... لهم زلفةٌ عندى لإحدَى العظائمِ

فتوفى عبد الله بعد ذلك ، وهى عندَه فما فَتَحَتْ فاها عليه ، فكانت عائشة أم المؤمنين تَعُد هذا عليها فى ذنوبها التى تُعَدِّدُها .

---

(١) فى الأصل : الحسن بن الدئلى ، وما أثبتناه عن الأغانى ١١ : ١٧٩ .

(٢) العذافر بالضم : العظيم الشديد من الإبل .

(٣) الزيادة عن التجريد .

ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، فمهرها خمسمائة ألفِ درهم ، وأهدى لها مثلَ ذلك ، فبلغ ذلك أخاه عبدَ الله . فقال : إن مصعبا قدّم أيرَه وأخر خَيْرَه . فبلغ قوْلَه عبدَ الملك بن مروان. فقال : لـكنه هو أخَّر أيره وأخَّر خيرَه ، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب يُؤَنِّبه على ذلك ، ويقسم عليه بأن يلحق به إلى مكة ، وكان لا ينزلُ بالمدينة ، ولا ينزل إلا البَيْداء . وقال له : إنى لأرجو أن تـكون الذى يُخْسَفُ[1] به بالبيداء ، فما أمرتك نزولها إلا لهذا ، فصار إليه وأرضاه من نَفْسِه فأمسك عنه .

وكان مصعبُ بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتَلاحٍ ينالُها منه وبضَرْبها، فشكا ذلك إلى أبى فَرْوة كاتِبه . فقال له : أكفيك هذا إن أَذِنْت لى . قال : نعم ، افعل ماشئت، فإنه أفضل شىء تناله فى الدنيا . فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستأذن عليها فقالت له : أفى مثلِ هذه الساعةِ ؟ قال : نعم، فأدخلته. فقال للأسوَدَين: احفرا هنا بئرا ، فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شؤم مولاتك[2] ، أمرنى هذا الظالمُ أن أدفِنَها حيةً ، وهو أسفكُ خَلْق الله لدَمٍ حرام . قالت عائشة : فأنظِرْنى أذهبْ إليه . قال : هيهات لا سبيل إلى ذلك . وقال للأسودين : احفرا ، فلما رأت الجدَّ منه بكت ، وقالت : يا ابن أبى فروة إنك لقاتلى[3] قال : نعم ، وإنى لأَعْلَمَ أن اللهَ ، عز وجل ، سيَجْزيه بعدك ، ولـكنه قد غضب ، وهو كافرُ الغضب ، قالت : وفى أى شىء غَضَبُه ؟ قال: من امتناعِك عليه ، وقد ظن أنك تُبْغِضينه وتتطلعين إلى غيره ، فقد جُنَّ . فقالت: أَنْشُدُك اللهَ إلا عاودْتَه . قال : أخاف أن أُقتل ، فبكت وبكى جواريها ، فقال : قد رققتُ إليك ، وحلف لها أنه يُغَرِّر بنَفْسِه . وقال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضْمَنُ عنى

---

(١) فى الأصل : تخف والصواب عن الأغانى والمهذب

(٢) فى الأصل : مواليك (تجريد) .

(٣) فى الأصل : لتأتلى .

أنى لا أعودُ أبدا. قال : فما لى عندك ؟ قالت : قيامى بحَقِّك ما عشتُ. فأخذَ المواثيقَ عليها ، وقال للأسودين : مكانَكما ، وأتى مُصعبا فأخبره . فقال : استوثق منها بالأَيْمان ، قال : قد فعلت . وصلحت بعد ذلك لمصعب .

ودخل ، يوما عليها ، مصعب وهى نائمة ، ومعه ثمانى لؤلؤاتٍ قيمتُها عشرون ألفَ دينار ، فأنبهها و نثر اللؤلؤَ فى حِجْرها، فقالت له: نومتى كانت أحبَّ إلى من هذا اللؤلؤ .

وكان مصعب من أشد الناس إعجاباً بعائشة ، ولم يكن لها شبيه فى زمانها حُسْنا ودَمَاثةً وجمالا وهيأةً وشارةً وعِفَّةً .

وإنها دعت نسوة من قريش يوما ، وأجلستْهن فى مجلس ، قد نضد فيه الريحانُ والفواكهُ والطيبُ والمجْمَرُ ، وخلعتْ على كل امرأة منهن خِلْعةً من الوَشْى والخبر ونحوها ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضْعَفته لها ثم قالت لعزة : هاتى ياعزّ فغنينا، فغنتْهن لامرئ القيس :

ونَغْرٍ أغَرَّ شتيتِ النباتِ   لذيذِ المُقَبَّلِ والمُبْتَسم
ومــا ذُقْتُه غيرَ ظَنٍّ به   وبالظن يَقْضِى عليك الحكم

وكان مصعب قريبا منهن ومعه إخوانٌ له فقام حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح بهـــا : يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة .

ذكر عَلُّويَه[1]

هو عليّ بنُ عبدِ الله بن سَيْف .

وكان جده سيفٌ من الصُّغْدِ الذين سباهم الوليدُ بن عثمان بن عفان ، واسترَقَّ منهم جماعة ، اختصَّهم بخدمته ، وأعتق بعضَهم ولم يُعْتق الباقين ، فقتلوه .

وقيل : إنه من أهل يثربَ ، مولًى لبنى أميــة ، وكنيته أبو الحسن .

كان مغنيا حاذقا وضاربا متقدما مع خفة رُوح وطيبِ مُجالسة ومَلاحَة نوادر .

غنى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيامِ المتوكل ، ومات بعد إسحاق المَوْصلى بمدة يسيرة .

وكان سببُ موتِه أنه خرج عليه جَرَبٌ فشـكاه إلى يحي بْن ماسَوَيْه فبعث إليه بدواء مُسْهِلٍ وطلاء فشربَ الطلاء واطّلى بالدواء فقتله ذلك .

وكان الواثقُ يقول : غناء عَلُّويه مثل نقر الطّسْت ، يبقى ساعة فى السمع بعد سكوته . وكان مع هذا أعْسَر . وكان عودُه مطربا فى يد غيره . البَمّ أسفلُ الأوتار ، والمثلثُ فوقَه ، والمثنى فوقه ، والزِّيرُ فوقَه . وكان العود فى يده اليمنى ، ويضربُ باليسرى .

كان عبد الله بن محمد الخَلَنْجيّ القاضى بن أُخت عَلُّويه المغنى وكان تيّاها صَلِفاً ، فتقلد فى خلافة الأمين قضاءَ الشَّرقية[2] وكان يجلس إلى أُسطوانة من الأساطين فيستند إليها بجَميع جسده ، فإذا جاءه الخَصْمان ترك الاستناد حتى يفصل بينهما ،

---

(١) أغانى (دار الـكتب) ١١ : ٣٣٣ .

(٢) الشرقية : محلة بغربى بغداد ، شرقى باب البصرة (مراصد) .

ثم يَعود إلى حالته . فعمد بعض المُجّانِ إلى رُقْعة من الرِّقاع فألصقها فى موضع ذَنَبته بالدِّبْق[1] ومكن منها الدبق . فلما جاء وقعد وجلس إليها على عادته والتصقت ذَنَبَتُه بالدِّبْق تقدم إليه خصمان ، فأقبل عليهما على عادته بجميع جسده فانكشف رأسُه وبقيت الذَّنَبَةُ ملصوقة فقام الخلنجىّ مُغْضبا ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، فغطى رأسه بطيلسانه ، وقام وانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال فيه الشعراء :

إنّ الخلَنْجىّ من تَتايُهِهِ أثقلُ بادٍ لنا بطَلْعَتِهِ
يصالح الخصمُ من يُخاصِمُه خوفا من الجَوْر فى قَضِيتِه
لو لم تُدَبِّقْه كَفّ قانِصِه لطار تيها على رَعيتِهِ

واشتهرت الأبيات والقصة فى بغداد ، وعمل له علويه حكايةً أعطاها بعضَ المُخَنَّثين ، فأخرجوه فيها ، وكان علويه يعاديه لمُنازعةٍ كانت بينهما ، ففضحه ، فاستعفى الخلنجىّ من القضاء ببغداد ، وسأل أن يولَّى بعضَ الكُوَرِ البعيدة فوُلِّىَ جندَ دِمشقَ أو حِمْص . فلما ولى المأمون الخلافة غنّاه علويه بشعر الخلَنْجىّ :

برئتُ من الإسلام إن كان ذا الذى أتاكِ به الواشون عَنّى كما قالوا
ولكنهم لما رأوكِ غَرِيَّةً بهَجْرى تواصوا بالنميمة واحتالوا
وقد صِرتِ أذنا للوشاة سميعةً ينالون من عرضى ولو شئتِ مانالوا

فقال له المأمون : مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : قاضى دمشق ، فأمر بإحضاره ، فوصل وجلس المأمون للشرب ، وأحضر علويه ودعا بالقاضى فقال : أنشدنى قولك :

برئتُ من الإسلام ... ...

(١) الدبق : غراء أخضر اللون ينشر على قضبان توضع فى الأشجار فينخدع الطير بها ويجثم عليها فتلصق به .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة ، وأنا صبى ، ووالذى أكرمك بالخلافة ، ووَرَّثك ميراثَ النبوة ، ما قلت شعراً من عشرين سنة إلا فى زهد أو عتاب صديق ، فقال له : اجلس، فجلس فناوله قدحَ نبيذ كان فى يده ، وقال له : اشرب، فأُرْعِد وَبكى وأخذَ القدح من يده ، فقال : والله ياأمير المؤمنين ما غيرتُ الماء بشىء قط مما يُخْتَلفُ فى تَحليله. فقال: لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئا منهما ، فأخذ القدح من يده وقال: أَمَ والله لو شربتَ شيئا من هذا لضربتُ عنقك ، ولقد ظننت أنك صادق فى قولك كله ولكن لا تتولى لى القضاء أبداً لأنك رجل بدأ فىقوله بالبراءة من الإسلام ، انصرف إلى منزلك . فانصرف وأمر علويه فغير الكلمة وجعل مكانها : حُرِمْتُ مرامى منك .

كان علويه يوما يغنى بين يدى الأمين فغنى فى بعض غنائه :

ليت هنداً أنجزَتْنا ما تَعِد   وشَفَت أنفسنا مما تجد

وكان الفضلُ بن الربيع يَطْعن عليه أشياء ، فقال للأمين : إنما يُعَرِّضُ بك ويستبطىء المأمونَ فى محاربَتِه إياكَ ، فأمر به فضرب خمسين سوطا ، وجُر برِجْلهحتى أُخرج ، وجفاهمدة حتى ألقى نفسه على كَوْثر فتَرَضَّاه له ، وأقره على خدمته ، وأعطاه خمسةَ آلاف درهم. فلما قدم المأمون تقرب بذلك إليه ، فلم يقع بحيث يحب . وقال: إن الملكَ بمنزلة الأَسَدِ أو النَّارِ فلا تتعرضْ لما يغضبه ، فإنه ربما جرى عليك ما يُقْلِقُك ولا تَقْدِر بعد ذلك على تلافِى ما فَرَط منك. ولم يعطه شيئا .

ومثلُ هذه الحكاية ما حكاه إسحاق الموصلى ، قال : دخلت يوما على الأمين فرأيته مُغْضَباً كالِحاً ، فقلت : ما لأمير المؤمنين تمم الله سرورَه ولا نَغَّصه ؟ قال : أغاظنى أبوكَ ، لارحمه الله ، والله لو كانحيا لضربته خمسمائة سوط ، ولولاكَ لنَبَشْتُ عظامه ، وأحرقتها فى قبره . فقمت على رِجْلَىَّ ، وقلت : أعوذ بالله من سُخْطِك

يا أمير المؤمنين ، ومن هو أبي ؟ وما مقـداره حتى تغتاظ منه ؟ وما الذى أغاظك ؟ فلعلى أعذر عنه . قال : شدةُ محبَّتِه للمأمون وتقديمُه عليّ حَتى قال فى الرشيد شعراً يُقَدِّمُه فيه عليّ وغناه فيه ، وغُنيتُه الساعة ، فأفقد منى هـذا الغيظَ . فقلت : والله ما سمعت بهذا قط ، ولا لأبى غِناء إلا وأنا أرويه، فما هو ؟ قال : قوله :

أبو المأمونِ فينـــا والأمينِ　　　له كَنَفَانِ من كرمٍ ولِينِ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لم يُقَدِّم المأمون فى هذا لتقديمه إياه ، ولا لتفضيله فى الموالاة ، ولـكن الشعرَ لم يصح له وزنُه إلا هكذا . فقال : ينبغى له إذا لم يصح له إلا هكذا أن يَدَعَه إلى لعنة الله. فلم أزل أُداريه حتى سَـكَت ، فلما قدم المأمون سألنى عن هذا الحديث ، فحدثته به فجعل يضحك ويعجب منه .

قال عبد الله بن طاهر : لو خُيِّرتُ لونا من الطعام لاخترتُ الدُّراجة(١) لأنى إن زِدْتُ فى خَلِّها صارت سِكْباجةً(٢) ، وإن زدتُ فى مائها صارت إسْفيدياجَة ، وإن زِدْتُ فى تَشْبيطها صارت مُطَجَّنة(٣) . ولو اقتصرتُ على رَجُلٍ واحد لاقتصرتُ على عَلُّويه ؛ لأنه إن حدَّثنى ألهانى ، وإن غنانى أشجانى ، وإن رجعت إلى رأيه كفانى .

قال علويه : أمرنى المأمونُ يوما أن نُباكِرَه ليَصطبح ، فلقينى عبدُ الله بن إسماعيلَ المراكبى ، مولى عَريب ، فقال : أيها الظالم المعتدى ، أما ترحم ولا تَرِقُّ ؟ عريب

---

(١) الدراج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر ؛ على خلقة القطا إلا أنه ألطف. وفى الأصل : الدحراجة.

(٢) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٣) مطجنة : مقـلوة بالطاجن وكانت الـكلمة فى الأصل تقرأ (اسطمحمه)، وماأثبتناه عن الأغانى : ٣٤٢ .

هائمةٌ من الشوق إليك ، تدعو الله وتستحكمه عليك ، وتحلُمُ بك[1] فى يومها وليلتها ثلاث مرات ، قال علويه : فقلت : أَمْرُ الخلافة[2] ومضيتُ معه ، فحين دخلت عليها ، قلت : استوثقوا من الباب فإنى أَعْرَفُ الناسِ بفضولِ الحجابةِ ، وإذا عريبٌ جالسةٌ على كرسى تطبخ ثلاثَ قدورٍ من دجاج ، فلما رأتنى قامت ، وعانقتنى ، وقبلتنى ، وقالت : أىَّ شيء تشتهى ؟ فقلت : قدراً من هذه القدور ، فأفرغت بينى وبينها قِدْراً ، فأكلنا ، ودعت بالنبيذ فصبَّت رطلا ، فشَرِبَتْ نصفَه وسقتِنى نصفه ، فما زلت أشرب حتى كدتُ أسكر . فقالت : يا أبا الحسن ، غنيت البارحةَ فى شعرٍ لأبى العتاهية فأعجبنى فاسمعه وأصلحه ، وغنت :

عَذيرِى من الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُهُ صفا لى ، ولا إن صِرْتُ طَوْعَ يديهِ
وإنى لمشتاقٌ إلى ظِلِّ صاحبٍ يَرِقُّ ويصفو إن كَدُرْتُ عليهِ

فقالت : قد بقى فيه شىء ، فلم أزل أنا وهى حتى أصلحناه ، ثم قالت : أختارُ أن تغنى أنت أيضا فيــه لحنا ، ففعلت ، وجعلنا نشرب على اللحنين مليا ، ثم جاء الحُجَّاب ، وكسروا الباب ، واستخرجونى ، ودخلتُ على المأمون ، وأقبلت أرقصُ من أقصَى الإيوان ، وأصفق وأُغنى الصوت ، فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : ادْنُ يا عَلُّويه ورُدَّه ، فرددته سبع مرات ، فقال لى فى آخرها عند قول الشاعر :

... ... يرقُّ ويصفو إن كدرت عليه

يا علويه خذ الخلافةَ وأعطنى هذا الصاحب .

قال علويه : قال لى إبراهيم الموصلى يوما : إنى صَنعتُ صوتا، وما سمعه منى أحد،

---

(١) فى الأصل : وتحــكمه والتصويب عن الأغانى وفيه (نومها) مكان يومها ١١:٣٤٦ .
(٢) فى الأغانى (أم الخلافة زانية) .

وقد أحببت أن أنفعَك به وأرفعَ منك ، بأن أُلْقيَه عليك وأهَبَه لك ، ووالله ما فعلتُ هـــذا بإسحاق قط ، وقد خصصتك به فانقله وادَّعِه ، فلست أَنْسُبه لنفسى ، وستكسب به مالا .

فألقى علىَّ فى شعرِ حاتمٍ الطائى :

إذا كان لى نَفْسَان يا أُمَّ مالك ‏ ‏ ‏ فإن لجارى منهما ما تَخَــيَّرَا

فأخذته عنه ، وادّعيته ، وسترته ، طول أيام الرشيد والأمين ، خوفاً من أن أُتهم فيه ، فلما حدث ما حدث وقدم المأمونُ من خراسانَ كان يخرج إلى الشماسيّة[1] دائما يتنزّه ، فركبت يوما فى زَلَّال[2] وجئت أُتْبِعه فرأيت حَرَّاقة[3] علىّ بن هشام فقلت للملاح : اطرد زَلَّالِى على الحرَّاقة ، ففعل ، واستؤذن ، فدخلتُ ، وهو يشرب مع الجوارى ، وما كانوا يحجبون جواريَهم ، فغنيته الصوت فاستحسنه جدًّا وطرب عليه ، وقال : لمن هذا ؟ فقلت : هذا صوت صَنَعْته وأهديته لك ، ولم يسمعه أحد قبلك ، فازداد به عجبا وطربا ، وقال لجواريه : خُذْنَه عنــه ، فألقيته عليهن حتى أخذنه فسرّ بذلك وطرب ، وقال : ما أجد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن أتحوّل عن هذه الحرَّاقة بما فيها وأُرسِلَها إليك . فتَحَوّلَ إلى أُخرى وسُلِّمَتْ إلىّ بما فيها ، وجميع آلاتها ، فبعت من ذلك بمائة وخمسين ألف درهم ، واشتريت به ضيعتى الصالحية .

كان المعتصمُ يوما يشرب ، والخيل تُعْرَضُ عليــه ، فعُرِض عليه فرسٌ كميتٌ أحمرُ لم يُرَ مثلُه ، وبين يديه علويه ومخارق فتغامزا على الفرس فغنى علويه :

---

(١) الشماسية : صحراء كانت فى أعلى بغداد .

(٢) الزلال : ضرب من الزوارق .

(٣) الحراقة : السفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

إذا ما شربوها وانْتَشَـوْا ... وهَبُوا كلَّ جـوادٍ وطِمِرّْ

فتغافل عنه ، فغَنّى مخارق :

يهب البِيضَ كالظباء وجُرْدًا ... تحت أجْلالها وعُنْسَ الركابِ

فضحك ثم قال : اسكتا يا ابنى الزوانى فليس يملكه أحدٌ منكما .

ثم دار الدور فغنى علويه :

وإذا ما شَربوها وانتشوا ... وهبوا كل بِغالٍ وحُمُرْ

فضحك وقال : أما هذا فنعم . وأمر لأحدها ببغل والآخر بحمار .

قال محمد بن محمد الأنزارى : كنت عند زليهدة[1] النخاس ، وكانت عنده جارية ، يقال لها خشف ، ابتاعها من علويه ، ومعنا رجل هاشمى من ولد عبد الصمد ابن علىّ يقال له عبد الصمد ، وإبراهيم بن عمر بن نَهْبُون وكان يحبها ، وأعطى زليهدة فيها أربعةَ آلاف درهم ، فلم يبعها منه وبقيت عنده ، حتى توفيت ، فغنتنا أصواتا ، ونحن عندها فى رمضان فكان من غنائها :

أشارتْ بطرفِ العين خيفةَ أهلِها ... إشارةَ محزونٍ ولم تتَكلَّمِ

فأيقنت أن الطَّرْفَ قد قال مَرْحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيبِ المُتَيَّمِ

وأبرَزْتُ طَرفِى نحوَها لأُجيبَها ... وقلت لها قَوْلَ امرئٍ غيرِ مُعْجمِ

هنيئاً لكم قَتْلى وصَفْو مودتى ... وقد سِيطَ فى لَحْمِى هواكم وفى دَمِى

ثم وثَبْتُ للانصراف ، فقال : قد اشتد الحر ، فأقيموا عندى ، فوجهت غلاما معى ، وأعطيته دينارا ، وقلت له : ابتع لنا فراريج بعشرة دراهم ، وثلجا بخمسة دراهم ، وعزمنا على الإفطار عندها ، فلما جاء الغلام بالفراريج والثلج دفعه إلى زليهدة ، وأمرناه بإصلاح الفراريج ألوانا ، وكتبتُ إلى علويه فعرَّفتُه خبرنا فجاء ، وأقام معنا ،

---

(١) فى الأغانى : زلبهزة ١١ : ٣٥٣ وجاء فى الأصل مرة زليهده ومرة زلهدة .

وجاء العشاء ، وأفطرنا عند زلهدة وشرب منا من استخار الشرب ، وغنى علويه ، وقام عبدالصمد ليبول ، فقال علويه : كلُّ شيء عرفت معناه ، أما أنت فصديق الجماعة ، وهذا يَتَمَشّق هذه ، وهذا مولاها ، وأنا رَبَّيْتُها وعلمّها ، وهذا الهاشمىُّ [أَيْشٍ معناه؟ فقلت لهم :](١) دعونى أُحَكِّهُ وآخذ لزلهدة منه شيئا . فقال : والله لا أريد منه شيئا فقال له : أنت أحمق ، أنا آخذ منه شيئا لا يستحى القاضى من أخذه . قال : إن كان هذا فنعم . فقال : إذا جاء عبدُ الصمد فقل لى : ما فعل الآجُرُّ الذى وعدتنى به ، فإن حائطى قد مال ، وأخاف أن يقع ، ودعنى والقصة . فلما جاء الهاشمى قال لى زلهدة ما أمرته به . فقلت : ليس عندى آجر ، ولكن اصبر حتى أطلبَ لك من بعض أصدقائى ، وجعلت أنظر إلى الهاشمى نَظَرَ مُتَعَرِّضٍ به . قال الهاشمى : يا غلامُ دواةً ورقعةً ، فأحضرَ ذلك ، فكتب له بعشرة آلاف آجرة إلى مُعَامِلٍ له ، وشربنا حتى السحور ، وانصرفنا . فجئت برقعته إلى الآجرى ، ثم قلت له : بِكَمْ تبيع الآجر؟ قال : بسبعة وعشرين درهما الألفُ . قلتُ : بكم تشتريه [منى]؟ قال بنقصانِ ثلاثة دراهم فى الألف . قلت : هات ، فأخذت منه مائتين وأربعين درهما ، فاشتريت بها نبيذاً وفاكهة ولحما وثلجا ودجاجاً بأربعين درهما ، وأعطيت زلهدة مائتى درهم ، وعرفتُه الخبَر ، ودعونا علويه والهاشمىَّ ، وأقمنا عند زلهدة ليلتنا الثانية فقال علويه : الساعة كما عرفت معنى الهاشمى(٢) .

جرى حديثُ المأمونِ يوما عند علويه فقال : كدتُ ، علم الله ، أَهْلك على يده دفعة ، لولا أن الله عز وجل سلمنى ، ووهب لى حِلْمه . فقيل له : كيف كان السبب ؟ فقال : لما خرج إلى الشام كنتُ معه فدخلنا إلى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعلنا نطوف قصور بنى أُمية ، ونتَّبع آثارهم ، فدخلنا صحنا من صحونهم ، وإذا هو مفروشٌ بالرخام الأخضر

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى ١١ : ٣٥٤ .

(٢) فقال علويه : نعم الآن صار للهاشمى عندكم موضع ومعنى (أغانى) ١١ : ٣٥٤ .

كلّه وفيه بِركةُ ماءٍ يدخل إليها الماء ويخرج منها ، وعين تَصُبُّ إليها ، وفي البركة مسمار ، وبين يديها بستان ، على أربع زواياه أربعُ سرَوات(١) ، كأنها قصت بمقراض ، مارؤى أحسن من التفافها ، قَدًّا وقَدْرًا . فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح وقال : هاتوا لى الساعةَ طعاما خفيفا . فأُتى ببَزْماورد(٢) فأكل ودعا بالشراب ، وأقبل علىّ وقال : غنِّنى ونَشِّطْنى . فكأن الله عز وجل أنسانى كل غِناء أعرفه إلا هذا الصوتَ لعبيد الله بن قيس الرقيات :

لو كان حَوْلِي بنــو أُميــة لم ... تنطقْ رجالٌ أراهمو نَطقوا

من كل قَرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه ... عن مَنْـكِبَيْه القميص يَنْخَرِقُ

فنظر إلىّ مغضبا وقال : عليك وعلى بنى أُمية لعنةُ الله ، ويلك ! ألم يكن لك وقتٌ تذكر فيه بنى أُمية إلا هذا الوقت تُعَرِّضُ بى ؟ فتجلدت عليه ، وعلمت أنى قد أخطأت ، فقلت : أتلومنى على أن أذكر بنى أُمية ؟ هذا مولاكُم زرياب عندهم يركب فى ثلاثمائة مملوك ، ويملك ثلاثمائة ألف دينار ، سوى الضياع والخيل والرقيق ، وأنا عندكم أموت جوعا . فقال : ألم يكن لك وقت تُذَكِّرُنى به نَفْسَك غير هذا ؟ قلت : هكذا حضر فى حين ذَكَرْتُهم . فقال : اعدل عن هذا ، وتنبه وغَنِّ . فأنسانى الله عز وجل كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت فى شعر عمرو الوادى :

الحينُ ساق إلى دمشق ومــا ... كانت دمشق لأهلنــا بلدا

قادتك نَفْسُك فاستَقَدْتَ لها ... ورأيتَ أَمْرَ غوايــةٍ رَشَــدا

فرمانى بالقدح فأخطأنى وانكسر القدَح ، وقال : قم إلى لعنة الله وحَرِّ سَعيره . وقام فركب ، فكانت تلك الحال آخرَ عهدى به حتى مرض ومات .

---

(١) السروة : واحدة السرو وهو ضرب من الشجر حسن الهيئة قويم الساق .

(٢) البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلى بالزبد والبيض — أو هو الرقاق الملفوف باللحم .

قال علويه : كنت أحفظ خمسةَ آلاف صوت وأغنى ، والله ، أكثَر من ذلك ، ذهب الجميعُ عنى حتى كأنى لم أعرف غـــيرَ ما غَنَّيْته. ولقد ظننت أنه لو كانت لى ألفُ رُوحٍ ما نَجَتْ لى واحدةٌ منها ، ولـكنه كان حليما وكان فى العمر بقية .

قال إسحٰق بن إبراهيم: دعانى الرشيد لما حج ، فقال: صر إلى موضع كذا وكذا من المدينة فإن هناك غلاما مجنونا يغنى صوتا حسناً وهو :

هما فتاتانِ لمَّا يَعْرِفا خُلُقى وبالشباب على شَيْبِى يَدُلَّان
كلٌّ الفَعال الذى يَفْعَلْنَه حسنٌ يُضْنِى فؤادى ويُبْدِى سِرَّ أشجانى
بل أحذَرا صولةً من صَوْلِ شَيْخِكُما مهلا عن الشيخ مهلا يا فتاتان

وله أُم فَصِرْ إليها . وأَقِمْ عندها ، واحْتَل أن تأخذه منه ، قال : فجئت أستدل حتى وقفت على بابها ، فخرجت إلىَّ فوهبت لها مائتى درهم . وقلت: أريد أن تحتالى لى على ابنِك حتى آخذَ منـه الصوتَ الفلانى . فقالت : نعم ، وأدخلتنى إلى منزلها وأمرتنى فصعدت إلى عِلِّيَّةٍ لها ، فلم ألبث أن جاء ابنها . فقالت له : ياسليمان فَدَتْكَ أُمك قد أصبحتُ اليومَ حاسرةً مهمومةً فأُحب أن تغنينى :

هما فتـــاتان ... ...

فقال لها : ومتى حدث لك هذا الطرب ؟ قالت : ما طربت ، ولـكنى أحببت أن تُفَرِّجَ من همى. فاندفع فغناه . فارأيت أحسن من غنائه . فقالت له أمة : فديتك قد كَشَفْتَ قطعة من همى ، فأسألك أن تعيده ، فقال : لا ، والله ما بى نشاط ، ولا أشترى هَمِّى بفرحِك . فقالت له : أعده مرتين ولك درهم صحيح تشترى ناطفا[1] ، فقال : من أين لك درهمٌ ؟ ومتى حدث لك هذا الطرب والسخاء ؟ فقالت: هذا فضول لا تحتاجُ إليه. وأخرجت إليه درهما وغناه مرتين فدار لى وكاد يستوى . فأومأت إليها من فوق

---

(١) الناطف : ضرب من الحلوى يقال لها القبيطى .

أن تستزيده ، فقالت له : بحقى عليك يا بنى إلا أَعَدْتَه . فقال : أظنك تريدين أن تأخذيه وتَصِيرى تُغَنِّينه ، قالت : نعم ، هكذا هو فقال : لا وحق القبر لا أَعَدْتُه إلَّا بدرهم آخر . فأخرجت الدرهم فأخذه وقال : أظنك قد تزندقتِ وعَبَدْتِ الكَبْشَ فهو يَنْقُدُ لكِ هذه الدراهمَ أو قَدْ وجدتِ كنزا ، فغناه مرتين ، فأخَذْتُه واستوى لى، ثم قام فخرج يعدو على وجهه ، فجئت الرشيد فغنيته وأخبرته القصة فضحك وأمر لى بألفى دينار[1] وقال : هذه عِوَضُ مائتى الدرهم .

ثم غناه إسحق بعد ذلك بين يدى الرشيد ، فطرب وأمر له بألف دينار ، فقال له ابن جامع ، وكان أحسدَ الناس : اسمع غناء العُقلاء ودَعْ غناء المجانين ، وغنى :

ولقد قالت لأتراب لهـــا كالمَهَا يَلْعَبْنَ فى حُجْرَتِها
خُذْنَ عنى الظِّلَّ لا يَتْبَعُنى وعَــدَتْ تَسْعَى إلى قُبَّتِها

فطرب وأمر له بألفٍ وخمسمائة درهم، ثم تغنى:

يمشون فيها بــكل سابِغَةٍ أُحْــكِمَ فيها القتيرُ والحَلَقُ

فاستحسنه وأمر له بخمسمائة دينار، ثم تغنى علويه:

وأرى الغوانى لا يواصلن امرأً فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا

فدعا به الرشيد وقال : يا عاضَّ كذا وكذا من أمه ، تُغَنِّى فى مدح المُرْدِ وذَمِّ الشِّيبِ ، وستارتى منصوبة ، وقد شِبْتُ كأنك تُعَرِّضُ بى . ثم دعا بمسرور وقال: اضربه ثلاثين دِرّة[2] ولا يرد إلى مجلسه ، ففعل ذلك . ولم ننتفع بالرشيد بقيــة يومنا ولا انتَفَع بنفسه ، وجفا علويه شهراً ، ولا أذن له حتى سألناه فيه فأذن له .

---

(١) بألف دينار (أغانى) ١١ : ٣٦٢ .

(٢) الدرة : السوط يضرب به .

عبد الله بن الحَشْرج[1]

هو عبدُ الله بن الحَشْرج بن الأشهب[2] بن وَرْد بن عَمْرو بن ربيعة بن جَعْدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن .

كان سَيِّدًا أميرا ، وَلِيَ أكثر أعمال خراسان وفارس وكرمان.

وكان جواداً مُمَدَّحا . وفيه يقول زياد الأعجم :

إذا كنتَ مرتاد السما خير رائد　　　فسَائِلْ تُخَبَّر عن ديار الأشاهب

نسبة إلى الأشهب جده .

وفي بني الأشهب يقول النابغة الجعدي :

أبِـــد فوارسِ يوم السَّدِ　　　فِ أمسِي وبَعْدَ بني الأشْهَبِ

وكان أبوه الحشرج سيداً شاعراً ، وأميراً كبيراً .

وكان غلب على قُهسْتان[3] في أيام المسَيّب بن أبي أوفى القُشَيْرى فقتلَ الحشرجَ وأخذ قُهستان .

وكان عمُّه زياد بن الأشهب أيضا سيداً شريفاً .

وكان قد صار إلى أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، ليصلح بينه وبين معاوية ، على أن يُوَلِّيه الشام ، فلم يجبه ، وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يَمْتَدِ على معاوية :

قام زيادٌ عنــد باب ابن هاشمٍ　　　يريد الصلاحَ بينكم ويُقرِّبُ

---

(١) أغاني ١٠ : ١٤٤ ـ مهذب ٤ : ١٩٦ .

(٢) في الأصل الأشيب والتصويب عن الأغاني ـ المهذب .

(٣) ويقال قوهستان : قصبة من قصبات خراسان .

جاء قدامة بن الأحرز إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقهستان فدخل عليه وامتدحه بأبيات ، فأعطاه أربعةَ آلاف درهم . وقال : اعذرنى فإنى فى حالةٍ اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطلابِ، وأنت أحق مَنْ عذرنى. فقال : والله لو لم تُعْطنى شيئا مع ما أعلمه من جَهْل رأيك فى عشيرتك ، ومن انقطع إليك لمذرتك ، فكيف وقد أجزلت العطاء وأرغمت الأعداء ؟

وقال عبد الله بن الحشرج فى ابن عم له يعاتبه :

أَطِلْ حَمْلَ الشناءة لى وبُغْضى — وعِشْ ما شئتَ فانظُرْ من تضير

فما بيديك خيرٌ أَرتجيه — وغَيْرُ صدودِكَ الخطْبُ الكبير

إذا أبصَرْتنى أعرضتَ عنى — كأن الشمس من قِبَلى تدور

وكيف تعيبُ من يمشى إليه — فقيرٌ حين تَحْزُبُك الأُمور

ومن إن بعتَ منزلةً بأخرى — حللت بأَمْرِه وبه بشير

أعطى عبدُ الله بن الحشرج بخراسان ، حتى أعطى مِنْشفة كانت عليه ، وفراشه ولحافه ، فقالت امرأتُه: ماأشدَّ ما تلاعبَ بك الشيطان ، فصرتَ من إخوانه مُبَذِّرًا كما قال الله عز وجل « إن المُبَذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين » فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعةَ بن دوَى —وكان صديقاله وأخاً— ألاتسمعُ إلى ماتقول هذه النَّوكَى ، وماتتكلم به؟ فقال : صَدَقَتْ وبَرَّتْ، إنك لمُبَذِّرٌ وإن المُبَذِّرين إخوانُ الشياطين . فقال عبد الله ابن الحشرج :

سأجعل مالِى دونَ عِرْضى وقايةً — من الذمِّ إن المال يَفْنَى ويَنْفَدَ

ويُبْقِى لىَ الجودُ اصطناعَ عشيرتى — وغيرهمو والجودُ عِزٌّ مُخلَّدُ

ومتَّخِذٍ ذنباً علىَّ سماحتِى — بمالِى ونارُ البخلِ بالذمِّ تُوقَدُ

يَبيدُ الغِنَى والحمدُ ليس ببائدٍ — ولكنه للمرء فضلٌ مُؤَكَّدُ

ولا شيءَ يَبْقى للفتى غيرُ جوده ... بِما ملكت كفّاه والقومُ شُهَّدُ
ولا أئمةٍ في الجودِ نَهْنَهتُ غَرْبها ... وقلت لها يبنى المكارمَ أَحْمَدُ
فلما أَلَحَّتْ في الملامةِ واعْتَرَتْ ... بذلك غَيْرى واعتراها التَّبَلُّدُ
عَرَضْتُ عليها خَصْلَتين سماحتى ... وتطليقَها والكفُّ عنِّى أَرْشَدُ
فلَجَّتْ وقالت أنت غاوٍ مُبَذِّرٌ ... قرينُك شيطانٌ مَرِيدٌ مُفَنِّدُ
فقلت لها بِينى فما فيك رغبةٌ ... ولى عنكِ فى النسوانِ ظِلٌّ ومَقْعَدُ
وعيشٌ أنيقٌ والنساءُ معادنٌ ... فمنهن غُلٌّ ضُرُّها يتجدَّدُ
لها كلَّ يومٍ فوقَ رأسى عارضٌ ... من الشرِ بَرَّاقٌ مدى الدهرِ مُرْعِدُ
وأُخرى يلذُّ العيشُ منها ضجيعُها ... كريمٌ يغاديها من الطير أسْعدُ
فيا راحلا حُرًّا اخذِ القصدَ واتركْ الـ ... بلايا فإن الموتَ للناس مَوْعِدُ
فمش واحداً واترك مقالةَ لائمٍ (١) ... يلومك فى بَذْلِ الندى ويفنِّدُ
وجُدْ باللُّهى إن السماحَةَ والندَى ... هى الغايةُ القُصْوى وفيها التَّمجُّدُ
وحسبُ الفتى مجداً سماحةُ كَفِّه ... وذو المجد محمودُ الفَعالِ مُحَسَّدُ

فقالت له امرأته : والله ماوفَّقك اللهُ لحظك ، أنهبتَ مالك وبذَّرته وأعطيته فلانا وفلانا ، ومن لا تدرى من أى هاوية هو ، فغضب وطلَّقها . وكان لها محبا فعنَّفه حنظلة بن الأشهب ابنُ عمه وقال له : نَصَحَتْك فكافأتها بالطلاق . فوالله ما وُفِّقْت لرُشْدك ولا نلتَ حظك ، ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوى الألباب ، فهلّا مضيت لطيَّتك ورجعت على مَبْدَئك ولم تلتفتْ إلى امرأة من أهل الجَهالة والطيش لم تُخْلَقْ للمشورة ولا يمثل رأيها يُهْتَدَى وإنما خُلقت للباءة ، وإن الرَّشَد واليُمْنَ فى خلاف المرأة . فقال له الحشرج يخاطب حنظلة ويمدح بها محمد بن مروان :

(١) ناعما (مهذب) وعاذل مكان (لائم) .

أحنظلُ دع عنك الذى نال مالَه ... ليَحْمَدَه الأقوامُ فى كل مَحْفِل
فكم من فقير بائس قد جَبَرْتَه ... ومن عائل أغْنَيْتَ بعد التَّمَيُّلِ
ومن مُقْرِفٍ عن مَنْهَجِ الحق جائرٍ ... علوتَ بعَضْبٍ ذى غِرارين(١) مفصل
فثلك قد عاصيتُ دهراً ولم أكن ... لأسمعَ أقوال اللئيم المُبَخِّل
أبَى لى جَدّى البخلَ مذ كنت يافعا ... صغيرا ومن يَبْخَل يُلَمْ ويُضَلَّل
ويستغْنِ عنه الناسُ فاركب مَحَجَّةَ الـ ... ـكرام ودع ما أنت عنه بمعزِل
ومستحمق غاوٍ أتَتْه نذيرتى ... فَلَجَّ ولم يعرف مَعَرَّة مقْولى
نفحت ببيت يملأ الفم شاردٍ ... له خبرٌ كأنه غير مقول
وليل دجوجى كأن ظلامه ... بناجية كالريح وجناء عيهل
إلى ملك من آل مروان ماجد ... كريم المُحَيَّا سيدٍ متفضِّل

---

(١) الغرار : حد السيف .

عبد الله بن جعفر الطيار[1]

[حدثنا أحمدُ بن محمد بن سعيد : قال أخبرنا يحيى بن الحسن ، قال : بلغنى أن أعرابيا وقف على مروان بن الحكم ، أيام الموسم بالمدينة يسأله ، فقال : يا أعرابى ما عندنا][2] ما نَصِلك به ، ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابىُّ بابَ عبد الله ابن جعفر ، فإذا بغلة بالباب عليها متاعها ، وسيف مُعَلَّق ، فخرج عبد الله من داره فأنشده الأعرابى :

أبو جعفر من أهل بيتِ نُبُوَّةٍ ... صلاتُهمُ للمسلمين طَهورُ
أبا جعفر ضَنَّ الأميرُ بماله ... وأنت على ما فى يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ فى هاشمٍ من صَميمِها ... إليك يصير المجدُ حيث تصيرُ
أباجعفرٍ ما مثلُك اليومَ أرتجى ... فلا تتركَنِّى فى الفلاة أدُورُ

فقال : يا أعرابى [سار الثقلُ][3] فدونَك الراحلةَ وما عليها ، وإياك أن تُخْدَع عن السيف ، فإنى أخذتُه بألفِ دينار . فأنشأ الأعرابى يقول :

حباني عَبْدُ الله نَفْسِي فداؤُه ... بأعْيَسَ مَوَّار سِباطٍ مشَافِرُه
وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهابٌ بدا والليلُ داج عَسا كِرُه
وكلُّ امرئٍ يرجو نوالَ ابنِ جَعْفر ... سيُجْزَى له باليُمْن واليُسْرِ[4] طائرُه

---

(١) أغانى ١٢ : ٢١٥ ـ تجريد : ١٤٠٦ .

(٢) ما بين القوسين بياض فى الأصل وما أثبتناه هو صدر الخبر المروى ووصل لما أنقطع (أغانى ١٢ / ٢١٧) .

(٣) ما بين القوسين يوضح المعنى ويتفق مع السياق ، وهى عن الأغانى وجاءت الثقل بدل كلمة (البغل) فى الأصل .

(٤) والبشر (أغانى) .

فياخيرَ خَلْقِ اللهِ نَفْساً ووالدا   وأكْرَمَه للجارِ حِينَ يُجاوِرُه
سأُثْنِي بما جاوَرْتَني[1] يا ابنَ جعفرٍ   وما شاكرٌ عُرْفاً كمن هو كافِرُه

جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر فى المنام   كسانى من الخزِّ دُرَّاعه
شكوت إلى صاحبى أمْرَها   فقال سَتُؤْتَى بها الساعَه
سَيَكْسُوكَها الماجدُ الجَعْفَرِىُّ   ومَنْ كَفُّه الدَّهْرَ نَفَّاعه
ومن قال للجود لا تَعْدُنى   فقال له السمعُ والطاعه

فقال عبد الله لغلامه : ادفع إليه دراعتى الخز ، ثم قال له : كيف لم تَرَ جُبَّتى المنسوجةَ بالذهب التى اشتريتُها بثلاثمائة دينار ، فقال له : دعْنِى أُغْفِى غَفْوةً أخرى لعلى أراها فضحك منه ، وقال يا غلام : ادفع إليه جُبَّتى الوَشْى .

كان أهلُ المدينة يتداينون بعضُهم من بعض إلى أن يأتى عطاء عبد الله بن جعفر .

قال ابن سيرين : جَلَبَ رجلٌ إلى المدينة سُكَّراً فكَسَد عليه . فقيل له : لو أهْدَيْتَه إلى عبد الله بن جعفر ، ليقْبَلَنّه منك ، وليعطيَنّك الثمن ، فأتى ابن جعفر ، فأخبره ، فأمره بإحضاره فبُسِطَ ثم أمر به فنُثِر ثم قال انتهبوه . فقال صاحِبُه: جعلت فداكَ ، آخذُ معهم قال : نعم ، فجعل الرجل يَهيلُ فى غرارة . ثم قال له عبد الله : كم ثمنُ سُكَّرِكَ ؟ قال : أربعةُ آلاف درهم . فأمر له بها فأخذها . ثم قال الرجل : إن هذا لا يَعْقِلُ أَخَذَ أم أَعْطَى ، لأُطالِبَنّه بالثمن ، ثم غدا عليه فقال : أصلحك الله ثمنُ سُكَّرِى فأطرق ابن جعفر مَلِيّا ثم قال : يا غلام أعْطِه أربعةَ آلافِ درهم، فأعطاه إياها ثم غدا عليه فقال: أصلحك الله ثمنُ سُكرى فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال : يا غلام أعْطِه أربعةَ آلاف درهم ، فلما ولى ليقبضها قال له عبد الله : يا أعرابىُّ هذه تمام اثنى عشرَ ألف درهم، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله.

(١) بما أوليتنى .

وروى مثل هذا عن أعرابى باع راحلته من عبد الله ، وعاوده فى ثمنها ثلاثا ، وهو يأمر له به : فقال له الأعرابى :

لاخير فى المُجْتَدِى فى الحين[١] يسألُه ... فاستَمْطَروا من قريش كل مُخْتَدِع
تخـالُ فيـه إذا حاورتـه بلَهاً ... من جُودِه وهو وا فى العقلِ والوَرَعِ

وروى هذا الشعر لابن قيس الرقيات

لما وَلِيَ عبدُ الملك الخلافة جفا عبدَ الله بن جعفر فراح يوماً إلى الجمعة ، وهو يقول : اللهم إنك عوّدْتَنِى عادةً جريتُ عليها فإن كان ذلك قد انقضى ، فاقبضْنى إليك ، فتوفى بعد الجمعة الأُخرى وهو ابن تسعين سنة فى عام ثمانين بالجَحّاف ، وهو سيل كان بمكة ، أجْحَفَ بالناس ، فذهب بالإبل عليها الحُمُول .

وكان والى المدينة أبانَ بن عثمان ، وصلى عليه أبانٌ وشهده أهلُ المدينة كلُّهم .

وكان رحمه الله مأوى المساكين وملجأَ الضعفاء فما تَنْظُر إلى ذى حجاً إلا رأيتَه مستعبراً قد أظهر الجَزَع والهلعَ عليه .

فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان على شَفِيرِ القبر[٢] وقال : رحمك الله يا ابن جعفر ، فوالله إنك كنت لرَحِمك وصولا ، ولأهل الشر مُبْغِضا ولأهل الريبة قاليا ، ولقد كنتَ فيما بينى وبينك كما قال الأعشى :

رَعَيْتَ الذى [قد] كان بينى وبينكم ... من الوُدِّ حتى غيَّبَتْك المقـابر

فرحمك الله يومَ ولدتَ ، ويوم كنت رجلا ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا ، والله إن[٣] كانت هاشمٌ أُصيبتْ بك ، لقد عم قريشا كلها هُلْكُك ، فما يُظَنُّ أن يُرَى بعدك مثلك

(١) فى الأصل (الحب) والتصويب عن الأغانى ١٢ : ٢٢٠ .
(٢) فى الأصل المنبر والتصويب عن الأغانى .
(٣) لئن (أغانى) .

وقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقال : لا إله إلا الله، الذى يرث الأرض ومن عليها ، وإليه ترجعون . ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر ، وما أقبح[١] ما أصبح بعدك ، والله لو كانت عينى دامعة على أحد لدمعت عليك . كان والله حديثك غيرَ مشرب بكذب وودُّك غير ممزوج بكدر .

فوثب ابن المغيرة بن نوفل فقال يا عمرو بمن [تُعَرِّض]؟[٢] بمزج الود شَوْب الحديث أَفَبِابْنَىْ فاطمة رضى الله عنهما ؟ فهُما والله خير منك . فقال : على رسلك ، أردت أن أُدخلك معهم ، هيهات لستَ هنالك ، والله لو مت أنت، ومات أبوك ، ما مدحت ولا ذممت ، فتكلم بما شئت فلست واجدا مجيبا فما هو إلا أن سمعهما الناس يتكلمان إذ حجزوا بينهما وانصرفوا .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات فى علة عبد الله التى مات فيها :

بات قلبى تشفه الأوجاع ... من هموم تُجِنُّها الأضلاع
من حديث سمعتُه مَنَع النـو ... مَ فقلبى مما سمعتُ يُراعُ
إذ أتانا بما كَرهنا أبو اللَّسْلاَ ... سِ كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريعا[٤] ... أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو سقيم ... بك لا بالذى عَنيت الصداع
ابن أسماء لا أبالك تعنى ... إنه غير هالك نفاع

---

(١) ما أسمج (أغانى) .
(٢) ما بين القوسين عن الأغانى .
(٣) فى الأصل اللباس وما أثبتناه عن الأغانى ج ١٢ : ٢٢٢ .
(٤) فى الأصل : (قال ما كان من أراح سريعا . .) وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب .

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار (١)

[هو عبد الله بن معاويةَ بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف] وأمُّ معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر أمُّ ولد ، ولم يكن فى ولد عبد الله مثلُه. ولما ولد معاوية كان أبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك ، وعرف معاويةُ الخبرَ فقال له: سَمِّه معاوية، ولك مائةُ ألفِ درهم ، ففعل وأعطاه المالَ فأعطاه عبدُ الله الذى بَشَّرَ به .

قال المدائنى: وكان عبد الله بنُ جعفر لا يؤدب ولده ، ويقول : إن يرد الله بهم خيرا يتأدبوا ، فلم يَنْجُب فيهم غيرُ معاوية .

كان معاويةُ بن عبد الله صديقا ليزيد بن معاوية ، فسمى ابنه يزيد معاوية أيضا .

ولما حضرت عبدَ الله الوفاةُ دعا ابنه معاوية ، فنزع شَنْفًا (٢) كان فى أُذنه وأوصى (٣) إليه ، وفى ولده من هو أسنّ منه ، وقال له : إنى لم أزل أُؤَهِّلك لها ، فلما توفى احتال لدين أبيه حتى قضاه ، وقسَّم أموال أبيه بينه وبين وَلَدِه ، ولم يستأثر عليهم بشىء .

وأم عبدِ الله بن معاوية أمُّ عون ، وهى أسماء بنتُ عياش (٤) بن أبى ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب ، وعياش ممن رَوى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه حنينا ، وثبت معه فيها .

---

(١) الأغانى ١٢ : ٢١٥ وما بين القوسين عنه وهو بياض فى الأصل .

(٢) الشنف : القرط .

(٣) فى الأصل : وأفضى : والتصويب عن الأغانى ١٢ / ٢٢٥

(٤) ويقال : بنت عباس (أغانى) .

وكان عبدُ الله من فتيان بنى هاشم وأجوادهم وشعرائهم ، ولم يكن محمودَ المذْهَبِ فى دِينه ، وكان يُرْمَى بالزندقة ، واستولى عليه من يُعْرَفُ بها . استخدم عمارة ابن حمزة كاتبا ، وكان زِنديقا ، ونادم مطيعَ بن إياس ، وكان زنديقا مأبونا ، ونادم شخصا يعرف بالبقلى ، وإنما سمى بذلك لأنه كان يقول الإنسان كالبَقل ، فإذا مات لم يَرْجِع ، فقتله المنصور لما ولى الخلافة ، [وكان هؤلاء الثلاثة خاصته][1] وكان له صاحبُ شُرْطة يقال له قيسٌ وكان دهْرِيًّا لا يؤمن بالله تعالى ، معروفا بذلك ، وكان يَعس[2] بالليل فلا يَلْقى أحداً إلا قتله ، فدخل على ابن معاوية يوما فقال :

إن قَيْساً وإن تَقَنَّعَ شَيْبا ... لخبيثُ الهوى[3] على شَمَطِه
ابنُ تسعين منظراً ومَشِيبا ... وابنُ عَشْرٍ بعدُ فى سَقَطِه

وأقبل على ابن مطيع فقال له : أَجِزْ ، فقال :

وله شُرْطَةٌ إنْ أَجَنَّه الليلُ ... فعوذوا بالله من شُرَطِه

وكان ابنُ معاوية أقسى خلقِ الله قَلْباً ، كان يأمرُ بالرجل فيُضرب بالسياط ويتغافلُ عنه بالحديث حتى يموت ، تحت الضرب ، وضرب رجلا فجعل يستغيثُ ولا يلتفت إليه . فقال له : يا زنديق! أنت الذى تزعم أن الله يوحِى إليك؟ فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

وغضب يوما على غلام وهو فى غُرْفة له بإصبهان ، فأمر أن يرمى به منها إلى أسفل ، ففعل به ذلك فسقط وتعلق بدرابزين كان على الغرفة ، فأمر فقطعت يده التى تعلق بها ، ومر الغلام يَهْوِى إلى الأرض فمات .

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .
(٢) عس يعس : طاف بالليل .
(٣) فى الأصل : لحبيب .

وخرج بالكوفة فى آخر أيام مروان ، ثم انتقل منها إلى نواحى الجبل ، ثم إلى خراسان فقتله أبو مسلم هناك .

وكانت كنيةُ عبد الله بن معاوية أبا معاوية .

وكان عبدُ الله بنُ معاوية قدم زائراً ومستميحا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فتزوج بالكوفة بنت الشَّرْقِيِّ بن عبد المؤمن بن شبث[١] بن رِبْعى الرياحى ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بنى أمية ، وقالوا له : أنت أحق بهذا الأمرِ ، واجتمع له جماعة ، فلم يشعر عبد الله بنُ عمر إلا وقد خرج عليه ، وبايَعَه[٢] جماعةٌ من أهل الكوفة ولم يجتمع أهل المصر كلهم عليه ، وقالوا له : ما فينا بقية وقد قُتِل جمهورُنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس ، ونواحى المشرق ، فجمع جموعا وخرج معه عبد الله بن العباس التميمى ، ودس ابن عمر إلى رجل من أصحاب عبد الله بن معاوية يقال له [ابن][٣] حمزة وعَدَه بمواعيدَ على أن ينهزم عنه ، وتنهزم الناس بانهزامه ، فبلغ ذلك عبدَ الله بن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال لهم: إذا انهزم [ابن] حمزة فلا يهُولَنَّكم ذلك ، فلما التقوا انهزم [ابن]حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غيرُ عبد الله بن معاوية وحده ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تَفَرَّقَتِ الظباءُ على خراش[٤] فما يدرى خَراش ما يَصيد

ثم ولى وجهه منصرفا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحى من أجابه ، حتى صار فى عِدَّةٍ وغَلَب على مياه البصرة ، وماء الكوفة[٥] ، وأقام هو بإصبهان ،

---

(١) شبث (تجريد) ١٤١١ .

(٢) فى الأصل : مالعه .

(٣) زيادة (ابن) عن التجريد والأغانى .

(٤) خداش (التجريد) .

(٥) فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة (تجريد) — وماه الكوفة : الدينور ، وماه البصرة: نهاوند .

وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محارب(١) بن موسى ، مولًى لبنى يشكر ، فدخل دار الإمارة بنَعْلٍ ورداء ، واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة . فقالوا: عَلَامَ نُبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وأردتم(٢) . فبايعوه على ذلك .

وكتب إلى سائر الأمصار يدعو إلى نفسه ، لا إلى الرضا، واستعمل أخاه الحسنَ على إصْطَخر ، وأخاه يزيد على شيراز ، وأخاه عليا على كِرْمان وأخاه صالحا على قُمّ ونواحيها ، وقَصَدَهُ بنو هاشم جميعا ، منهم السفاحُ والمنصورُ وعيسى(٣) بن على ، ووجوه بنى أمية : سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز ابن مروان ، فمن أرادصِلَتَه وَصَلَه، ومن أراد عملا ولَّاه، ولم يزل مقيما بهذه النواحى حتى وَلِىَ مروانُ بن محمد الحمارُ ، فوجه إليه عامرَ بن ضُبَارَةَ فى عسكر كثيف ، فسار إليه حتى قرب من إصبهان ، فندب ابنُ معاوية أصحابَه للخروج لقتاله ، فلم يفعلوا ، فخرج هو وإخوته على دَهَش ، قاصدين خراسان وقد خرج أبو مسلم بها ، ونفى عنها نَصْرَ بن سَيّار ، فلما صار إلى بعض الطريق نزل على رجل من التُّنّاء(٤) ذى مروءة ونعمة وجاه فسأل [ذلك الرجل] ابنَ معاوية . فقال له : أنت من ولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قال : فأنت إبراهيمُ الإمام(٥) الذى يُدْعَى إليه بخراسان؟ قال: لا. قال: فلا حاجة لى فى نُصْرَتِك، فخرج إلى أبى مُسْلم فحبسه عنده، وجعل عنده عَيْناً عليه يرفع إليه أخبارَه ، فرَفَعَ إليه أنه يقول : ليس على وجه الأرضِ أحقُ من أهل خراسانَ ، فى طاعتهم لهذا الرجل ، وتسليمِهم مقاليدهم إليه ،

---

(١) فى الأصل محمد وما أثبتناه عن الأغانى والتجريد .

(٢) وكرهتم (تجريد) .

(٣) فى الأصل : موسى وما أثبتناه عن الأغانى والتجريد .

(٤) التناء جمع تانئ وهو الدهقان زعيم فلاحى العجم أورئيس الإقليم .

(٥) فى الأصل ابن الإمام والتصويب عن الأغانى والتجريد .

من غير أن يراجعوه فى شىء ، أو يسألوه عنه ، والله ما رضيَت الملائكةُ بهذا ، من الله عز وجل ، حتى راجعوه فى آدم عليه السلام ، فقالوا : « أتجعَلُ فيها من يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدماء » حتى قال لهم « إنى أعْلَمُ مالا تعلمون » .

ثم كتب عبدُ الله بن معاوية إلى أبى مسلم يَسْتعطفه برسالته المشهورة ، التى يقول فيها : إلى أبى مسلم من الأسير فى يده بلا ذَنْب إليه ، ولا خِلافٍ عليه ، أما بعد فإنك مُستَوْدَع ودائع ومُوَلَّى صَنائعَ . وإن الودائعَ مَرْعِيَّةٌ ، وإن الصنائع عارِيَةٌ ، فاذكر القصاصَ واطلب الخلاصَ ، وأنْبِه للفكر قَلْبَك ، واتق الله ربك ، وآثِر طاعَتَه فيما يلقاك أبدًا[1] ، فإنك لاقٍ ماأسْلَفْتَ وغيرُ لاقٍ ماخَلَّفْتَ . فلما قرأ كتابه رمى به ، ثم قال : لقد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتنا ، وهو محبوس فى أيدينا ، فلو خرج ومَلَكَ أمْرَنا لأهْلَكَنا . ثم أمضى تدبيرَه فى قَتْلِه ، وقيل دَسَّ إليه سَمًّا فمات منه ، ووجه برأسه إلى ابن ضُبارة ، فحمله إلى مروان .

ولما قاتل مروانُ عبدَ الله بن على بقربِ الزَّابِ سأل عنه ، فقيل : هو الشابُّ المُصْفَرُ[2] الذى كان يَسُبُّ عبدَ الله بنَ معاوية يوم جيء برأسه إليك ، فقال : والله لقد هَمَمْتُ بقتله مراراً ، كل ذلك يحال بينى وبينه ، وكان أمر الله قدراً مقدورا .

ومن شعر عبدالله بن معاوية فى صديق له يقال له قُصَىُّ بن ذكوان ، وكان قد عتب عليه فقال :

رأيت قُصَيًّا[3] كان شيئًا مُلَفَّفاً فَحَصَّه التكشيفُ حتى بدا لِيا
فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما بَلَوْتُك فى الحاجات إلا تماديا

---

(١) غدا .
(٢) المصفر (تجريد) وفى الأصل الأصفر .
(٣) حسينا (أغانى) ١٢ : ٢٣٣ .

وعين الرضا عَنْ كُلِّ عيب[١] كليلةٌ ولكن عينَ السخطِ تُبْدى المساويا
وأنت أخى مـا لم يكن لى حاجَـةٌ فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليـا

وقيل : إن هذه الأبيات قالها الحسين بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكانا متصافيين[٢] فتهاجرا وأن أولها :

وإن حسينا كان شيئا ملففـا ... ...

ومن شعره :

إذا افتقرت نفسى قَصَرْتُ[٣] افتقارَها عليها فلم يَظْهَرْ لها أبـداً فقْرِى
وإنْ تَلْقَنى فى الدهر مندوحة الغِنى يكن لأخِلاَّئى التوَسُّعُ فى اليُسْرِ
فلا العُسْرُ يُزرى بى إذا هو نالنى ولا اليسرُ يوما إن ظَفِرْتُ به نَخْرِى

قال إبراهيمُ الموصلى : بينا نحن عند الرشيد ، أنا وابنُ جامع ، وعمرو الغزَّال إذ قال صاحبُ الستارة لابن جامع: تَغَنَّ فى شعر عبد الله بن معاوية، ولم يكن ابن جامع يُغَنِّى فى شىء منه، فأُرْتِجَ عليه وفَطِنْتُ لما أراد من شعره ، فلما رأيت ما حَلَّ به اندفعتُ فغنيت فيه :

ألا تَزَعُ القلبَ عن جَهْلِه وعما تُؤَنَّبُ مـن أجْلِه
فأبْدِلَ[٤] بعد الصبا حِلْمَه وأقْصَرَ ذو العذلِ عن عَذْلِه
فلا تَرْكَبَنَّ[٥] الصنيعَ الذى تـلومُ أخـاكَ على فِعْلِه
ولا يُعْجِبَنَّك قولُ امرئٍ يخـالف مـا قال فى فِعْلِه
ولا تُتْبِعِ الطرفَ ما لا تنال ولكن سَلِ اللهَ من فَضْلِه

(١) فى الأصل: سخط .
(٢) فى الأصل : وكانا متضافين فيها خيراء، والتصويب عن الأغانى.
(٣) فى الأصل : فضرب .
(٤) تبدل (تجريد) .
(٥) فى الأصل: تتركن — مثله : (مكان فعله) .

فكم من مُقِلٍّ ينال الغِنَى　　ويحمَدُ فى رزقــه كلِّه
يهيم بجُمْلٍ وما إن يرى　　له من سبيــل إلى جُمْلِه
كأن لم يكن عاشقاً قبلَه　　وقدعشِقَ الناسُ مِن قبْلِه
فنهم مَن الحبُّ أودى به　　ومنهم [من] اشفَى على قتْلِه

فإذا يد قد رَفعَتِ الستارة فنظر إلىّ وقال : أحسنتَ والله فأعِدْ ، فأعَدْتُه ، ففعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً ، فدعا صاحبُ الستارة غلاما فكلمه ، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرَةُ دنانير ، قد جاءت يحملها فرّاشٌ ، فوضعت تحت فخذِى اليُسْرى ، وقال لى : اجعلها تكاءك ، فلما انصرفنا قال ابن جامع : هل كنت وضعتَ لهذا الشعر غناء قبلَ يومك ؟ قلت : ما من شعرٍ قيل فى الجاهلية والإسلام يدخلُ فى الغناء إلا وضعتُ له لحنا خوفاً من أن ينزل بى ما نزل بك. فلما كان المجلس الثانى وحضرنا قال صاحبُ الستارة : يا ابن جامع تغَنَّ فى شعر عبد الله ابن معاوية، فوقع فى مثل الذى وقع فيه بالأمس فلما رأيت ما حل به اندفعت أُغنى :

يا قومُ كيف سِواغُ عَيْــ　　ـشٍ ليس تُؤْمَنُ فاجعاتُه
ليست تزال مُطِــلَّةً　　تغدو عليــك مُنَغِّصاته
الموتُ هولٌ داخــلٌ　　يومــاً على كُرْه أناته
لا بُدَّ لِلْحَــذِرِ النفو　　رِ مِنَ أَنْ تَقَنَّصَه رُماتُه
قد أمنح الود الخليــ　　ل بغير ما شىء رزاته
وله أُقيــم قنــاةَ ودْ　　دِى ما استقامت لى قناتُه

قال: فأومأ إلى صاحبِ الستارةِ أن أَمْسِكْ ووضع يدَه على عينيه كأنه يُورِى إلى أنه يبكى فأمسكتُ وانصرفنا ثم حضرنا بعد ذلك ، فلما اطمأن بنا المجلس ، قال ابنُ جامع بكلام خفى ، اللهم أنْسِه ذكرَ ابن جعفر . فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحبُ الستارة : يا ابن جامع تَغَنَّ فى شعر عبد الله بن معاوية ، فقال ابن جامع :

لو كان فى عبدِ الله بن معاوية خيرٌ لطار مع جَدِّه ولم يقل الشعرَ ، فسمعنا ضحكةً من وراء الستارة واندفعت أغنى :

سَلَا رَبَّةَ الخِدْرِ ما شأنُها ... ومن أيِّما شأنِنا تَعْجَبُ
فلست بأوّلِ مــن فاتَه ... على رأيه[1] بعضُ ما يَطلبُ
وكائن تَمرَّضَ من خاطبٍ ... فزُوِّجَ غيرَ الذى يَخطُبُ
وكنا حديثاً صَفِيَّيْنِ لا ... نخاف الوشاةَ وما سَبَّبوا
فإن شَطَّتِ الدارُ عَنَّا بِها ... وبانَتْ ففى الناس مُسْتَعْتَبُ
فأصبح صَدْعُ الذى بَيْنَنا ... كصدعِ الزجاجة لا يُشْعَبُ
وكالدَّرِّ ليسَتْ له رَجْعَةٌ ... إلى الضَّرْعِ من بعدما يُحْلَبُ

فقال صاحبُ السِّتارة: أَعِدْ، فأَعَدْت ، فأَحْسِبُ الرشيدَ نظر إلى ابن جامع كاسفَ البالِ فأمر له بمثل ما أمر بالأمس ، فجاءوا ببَدْرَةٍ دنانير فوضِعَتْ تحت فخذه اليُسْرى ، وكان ابن جامع حسوداً : فلما انصرفنا قال : اللهم أرِحْنا من ابن جعفر هذا ، فما أشد بُغْضِى له ولقد بَغَّضَ إلىَّ جَدَّه ، فقلت له : ويحك ما تدرى ما تقول ؟ قال : فمن يدرى ما يقول ؟ وددت أنى لم أر إقباله عليك ، ولا على غنائك فى شعر هذا البَغيض، وإنى تَصدقتُ بها ـ يعنى البَدْرَة.

هذا الصوت الذى هو :

سلا رَبَّةَ الخِدْرِ ماشأنها ... ...

يقوله عبدُ الله بن معاوية فى زوجته، أمِّ زيد بنت على بن الحسين ، رضى الله عنهم، فإنه كان خطب ربيحةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بَكّار بن عبد الملك بن مروان فتزوجت بَكّارا فشمِتَتْ أُمُّ زيد بزوجها عبدالله بن معاوية ، فقال هذا الشعرَ فيها ، فقالت له: والله ما شَمِتُّ ، ولكنى نَفِسْتُ عليك . فقال لها : لا جَرَم والله لأسوءنَّك ما حييت .

(١) إربه (أغانى ومهذب) .

عَقيلُ بن علَّفة[1]

هو عَقيلُ بن عُلّفة بنِ الحارثِ بن معاوية بنِ ضِباب[2] بن جابر بن يربوع بن غَيظ بن مُرّة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الرَّيْث بن غطفان بن سعد بن قيس ابن غيلان بن مضر .

ويكنى أبا العَمَلَّس وأبا الجَرْباء .

وأُم عقيل بن علفة هي عَمْرة العوراء بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة ابن نُشْبة بن غيظ بن مرة .

وأُمها زينب بنت حصن بن حُذيفة .

وعمرة العوراء هذه أُخت البَرْصاء ، أُم شَبيب بن البرصاء واسم البرصاء قرصافة .

أُمها بنت نجبة بن ربيعة بن رَباح بن مالك بن سَمْح .

وعَقيل شاعر مجيد ، فصيح مقل ، من شعراء دولة بني أُمية ، وكان أعرجَ جافيا شديد الهَوَج والفخر بنسبه من بني مرة ، لا يرى أن له كفئا . وهو في بيت شَرُفَ في قَوْمِه من كِلا طَرَفَيْه .

وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، وتزوج إليه خُلفاؤُها وأشرافُها .

تزوج يزيدُ بن عبد الملك ابنته الجرباء ، وكانت قبله مع ابن عمها مطيع بن قُطْمَة بن الحارث بن معاوية .

وولدت ليزيد .

وتزوج مَسْلمةُ بن عبد الله بن المغيرة ابنته عَمْرة ، فولدت له يعقوبَ بن مسلمة ، وكان [من] أشراف قريش وأجوادها .

---

(١) أغاني ١٢ : ٢٥٤ تجريد ١٤٢١ .

(٢) أغاني وتجريد ، وفي الأصل : صاب .

وتزوج ابنته أمَّ عمرة ثلاثةٌ من بنى الحكم بن أبى العاص؛ يحيى والحارث وخالد .

دخل عَقيلُ بن عُلَّفة على عثمان بن حَيَّان ، وهو يومئذ على المدينة، فقال له عثمان : زوجنى ابنتك . قال : أبَكْرَةً [من إبلى] تعنى ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنون أنت ؟ قال : أىَّ شىء قلتَ لى ؟ قال : قلت لك : زوجنى ابنتك. قال : إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرَةً من إبلى فنعم . فأمر به فوُجِئَتْ عُنقه ، فخرج وهو يقول :

كنَّا بنى غيظ الرجال فأصبحت ... بنو مالكٍ غَيْظا وصِرْنا كمالِكِ
لحا الله دهراً ذَعْذَعَ[1] المالَ كُلَّه ... وسَوَّدَ أشباهَ الإماءِ العَوارِكِ

كان لعقيل جارٌ من بنى سَلامان بن سَعْد ، فخطب إليه ابنتَه فغضِبَ عقيلٌ وأخذ السلامانىَّ فكَتَفَه ودهن استه بشحم وألقاه فى قرية النمل ، فأكل النمل خُصاه ، وورم جسده ، ثم حله . وقال: خطب إلىّ عبدُ الملك فرَدَدْتُه وتجترىء أنت علىّ !!

أجْدَبَتْ مراعى بنى مُرَّةَ فانتجع عقيلٌ أرض جُذَامٍ ، وقربهم عُذْرَة . قال عقيل : فجاءنى هُنَىٌّ مِثْلُ البَعْرَة ، فخطب إلىَّ ابنتى أمَّ جعفر ، فخرجت إلى أَكَمة قريبة من الحى ، فجعلت أنبح كما ينبحُ الكلب ، ثم تَحَمَّلْتُ فخرجت ، فاتبعنى جمعٌ من حُنٍّ من بطون عُذْرَةَ فقالوا : اختر ؛ إن شئتَ حبسناك وإن [شئت] حدَرْناك وبَعْرَة من رأس الجبل ، فإن سَبَقْتَها خلَّينا عنك ، فأرسلوا بعرةً فسبقتُها ، فخلَّوا سبيلى ، فقلت لهم : ما طمِعْتم بمثل هذا من أحَد قط ، فقالوا: أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنا . فقال فيهم :

لقد هزئت حُنٌّ بنا وتلاعَبَتْ ... وما لعبت حُنٌّ بذى حَسَبٍ قبلى
رويداً بنى حُنٍّ تَسيحوا[2] وتأْمَنوا ... وتَنْتَشِرُ الأنعام فى بلد سَهْلِ
والله لأموتن قبل أن أضع كرائمى إلا فى الأكفاء

(١) ذعذع المال : فرقه وبدده ، وسوده : جعله سيدا . والعوارك : الحيض .

(٢) فى الأصل تسيئوا وهذه عن الأغانى .

خرج عَقيلُ بن عُلَّفة وابناه عُلَّفَة وجَثّامةُ وابنته الجرباء حتى أتوا بنتا له [ناكحا](١) بالجماء ، فى بنى مروان بالشامات ، ثم قفَلوا بها فلما كانوا ببعض الطريق قال عقيل :

قضت وطَراً من دَيْرِ سَعْد وطالما ... على عُرُضٍ ناطَحْنَهُ بالجماجم
إذا هَبَطَتْ أرضا يموتُ غرابُها ... بها عطشا أَعْطَيْنَه بالخزائم

ثم قال : أجز يا عُلَّفة . فقال :

فأصبحن بالمَوْماةِ يحملن فِتْيَةً ... نشاوَى من الإدلاج مِيلَ العمائم
إذا عَلَمٌ غادَرْنَه بتَنُوفَةٍ ... تذارَعْن بالأيدى لآخرَ طاسمِ

ثم قال: أجيزى يا جرباء: قالت : وأنا آمنة؟ قال : نعم. قالت:

كأن الكرى سَقَّاهم صَرْخَدِيَّةً(٢) ... عُقاراً تَمَشَّى فى المطا والقوائم

فقال عقيل : شربتِها وربِّ الكعبة ! ولولا الأمانُ لضربتُ بالسيف تحت قُرْطَيْك ، أمَا وجدتِ من الكلام غير هذا ؟

فقال جثامة: وهل أساءتْ؟ إنما أجازتْ ، وليس غيرى وغيرُكَ ، فرماه عقيلٌ بسهم فأصاب ساقه فأنفذَ السهمُ ساقه والرحْلَ ثم شَدَّ على الجرباء فعقر ناقتها ، ثم حملها على ناقة جثامة ، وترك جثامة عقيرا مع ناقة الجرباء .

ثم قال: لولا أن تَسُبَّنى مُرّةُ ماذقت الحياةَ بعد اليوم ، ثم توجه إلى أهله ، وقال: إن أخبرتِ أهلك بشأن جثامة ، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك . فلما قدموا على أهل أُبَيْرٍ ، وهم بنو القَيْن ، قالت لهم : الزموا أَثَر هذه الراحلة حتى تجدوا

(١) عن الأغانى والمهذب .

(٢) نسبة إلى صرخد : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة من أعمال دمشق وينسب إلى صرخد الخمر الجيد (مراصد) .

الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدمُ فاحتملوه ، وتقسموا الجزور وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى ألحقوه بقومه ، فلما كان فى الطريق تغنى جثامة :

أيمذر لاهينا ويُلْحَيْن فى الصبـا   وما هُنّ والفتيانُ إلا شقائـق

فقال له القوم : إنما أفلتّ من الجراحة التى جرحك أبوك آنفا ، وقد عاوَدْت ما يكرَهُه فأمْسك عن هذا ونحوه إذا لقيته ، لا يَلْحَقْك منه شر ، فقال : إنما هى خَطْرَةٌ خطرتْ ، والراكب إذا سار تغنى .

قدم عقيل بن علفة المدينة ، فنزل عـلى ابن بِنْتِه يعقوبَ بن سَلَمة المخزومى ، فمرض فأصابه القولنج ، فوصفت له الُحقْنَة فأبى ، وقدم ابنه عليه فبلغه ذلك فقال :

لقد سرنى والله يَكْفيك شَرَّهـا   تجاوُزك منها حين جـاء يَقُودها

كفى خِزْيـةً ألا نراك مُجنَّبا   على شَكْوة تُوكى وفى استِك عُودُها

غـدا عَقيلُ بن عُلَّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ، ثم رجع فإذا بنوه مع بناته وأمهم فشد على عَمَلَّس فحادَ عَنْه وتغنى علفة :

قفى يا ابنـة المُرِّى أسألك ما الذى   تريدين فيما كنت تَمْشِيْننا(١) قبلُ

يُخَبِّرْكِ إن لم تنجزى الوعدَ أننا   ذوا خُلَّة لم يبق بينهما وَصْـل

فإن شئت كان الصرم ماهبت الصَّبا   وإن شئت لا يَفْـنَى التكارمُ والبذلُ

فقال عقيل : يا ابن اللخناء متى مَنَّتْك نفسك بهذا ؟ وشَدّ عليه بالسيف ، وكان عَمَلَّس أخا عُلَّفَةَ لأُمِّه فحال بينه وبينه ، فشد على عَمَلّس بالسيف ، وترك علفـةَ لا يلتفتُ إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب رُكْبَتَه فسقط عَقيل يَتمَمّك بالتراب ، ويقول :

---

(١) منيتنا (أغانى ــ مهذب) .

إن بَنِيَّ زَمَّلونِي بالدمِ ... من يَلْقَ أبطال الرجال يُكَلَّم
ومن يكن ذا أوَدٍ يُقوَّمِ ... شنشنةٌ أعرِفُها من أَخْزَم

وأخزم فحل مُنْجِب ، كان لرجل من العرب ، فضرَبَ فى إبلِ رجل آخرَ ، ولم يعلم صاحبه ، فرأى ذلك فى نَسْله فقال :

شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَم

ولما رمى عَمَلّسٌ أباه عقيلا ، وأصاب رُكبَتَه غَضِبَ ، وأقسم لا يساكن بَنِيه ، فاحتمل ، وخرج إلى الشام ، وجرت بينهما مكاتبات ، ثم رضى عنهم وقدم عليهم .

عاتب عمرُ بنُ عبد العزيز رجلاً من قُرَيش ، أُمُّه أُختُ عَقيل بن عُلّفة فقال له : قَبَحَك الله ، أشبهتَ خالك فى الجفاء ، فبَلَغَتْ عقيلا ، فجاء حتى دخل على عمر ، فقال له : ما وجدتَ لابن عمك شيئا تُعَيِّره به إلا خئولتى فقبَحَ اللهُ شَرَّ كما خالا ، فغضب عمر بن عبد العزيز ، فقال له صخر بن أبى الجهم العدوى : وأُمه قرشية أيضا : يا أمير المؤمنين ، فقبَحَ اللهُ شرّ كما خالا وأنا معكما أيضا ، فقال له عمر : إنك لأعرابىٌّ جِلْفٌ جافٌّ ، أما لو كنتُ تقدمتُ إليك لأَدَّبْتُك ، والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيئا ، قال : بلى إنى لأقرأ « فمَنْ يعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهْ ، ومَنْ يَعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهْ » فقال له عمر : ألَمْ أقُلْ لك إنك لا تحسنُ أن تقرأ؟ فقال : أو لَمْ أَقْرَأْ ؟ قال : لأنَّ الله عز وجل قدم الخَيْر ، وأنت قدمت الشر ، فقال عقيل :

خذا بَطْنَ هَرْشي أو قفاها فإنه ... كِلَا بطنِ هَرْشَى والقَفَاء طريقُ[(١)]

فضحك القومُ من عَجْرفته .

---

(١) كلا جانبى هرشى لهن طريق (أغانى) ١٢ : ٢٩١ .

قدم عَقيلٌ المدينةَ فدخل المسجدَ ، وعليه خفان غليظان ، فجعل يَضْرِبُ برجليه فضحكوا منه ، فقال : ما يُضْحِكُكُم ؟ فقال له يحي بن الحكم ، وكانت ابنة عقيل تحته : إنهم يضحكون من خُفَّيْك وضَرْبِك برجليك ، وشدَّةِ جفائك . فقال عقيل : لا ، ولكن يضحكون من إمَارَتِك ، فإنها أعجب من خُفَّيَّ . فجعل يحي يضحك منه .

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن عُلفة : إنك تخرج إلى أقاصى البلاد وتدعُ بناتك فى الصحراء لا كالئ لهن ، والناس يَنْسُبُونك إلى الغَيْرةِ ، وتأبى أن تُزوجهن إلى الأكفاء . قال : إنى أستعين عليهن بخَلَّتَيْن تكلؤهن وأستغنى عن سواهما قال : وماهما ؟ قال : العُرْىُ والجُوعُ .

دخل عقيلُ بن عُلَّفَة على يحي بن الحكم ، وهو أميرُ المدينة ، فقال له يحي : أَنكِحْ ابنَ خالى ، يعنى ابنَ أبى أَوْفَى ، فلانةَ ابنَتَك . فقال له : إن ابن خالك يرضى مِنِّى بدون ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أن أَكُفَّ عنه سنن الخيل إذا غُشِيتْ سَوامُه . فقال يحي لحرَسِيَّيْن بين يديه : أخرجاه ، فأخرجاه . فلما وَلَّى قال : أعيداه، فأعاداه . فقال : مالك تُكَرِّرُنى تكرارَ الناصح ؟ قال : أمَ والله إنى لأراك أهوجَ جافيا . قال عقيل : كذلك قلت ، وأنشد قوله :

تَعَجَّبَتْ إذ رَأَتْ رأسى تَجَلَّلَه ... من الروائع شَيْبٌ ليس من كِبَر
ومن أديم تولى بعد جِدَّتِه ... والجفنُ يَخْلَقُ فيه الصارمُ الذَّكر

فقال له يحي : أنشدنى هذه القصيدة كلَّها . قال : ما انتهيت إلا إلى ما سمعتَ . قال: أمَ والله إنك لتقولُ فتَقْصِر[1] فقال: إنما يكفى من القلادة ماأحاط بالرَّقَبة: قال : فأنكِحْنى أنا إحدى بناتك. قال: أمَّا أنت فنعم . قال : أَمَ والله لأَمْلأَنَّك مالا وشرفا .

---

(١) يقال : قصر الشيء يقصره بكسر الصاد جعله قصيرا .

قال : أما الشرفُ فقد حَمَلَتْ ركائبى منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشم مالا تطيق ، ولكن عليك بهذا المال ، فإن فيه صلاحَ الأيم ورضا الأبىّ. فزوجه ، ثم خرج فأهداها إليه ، فلما قَدِمَتْ عليه ، بعث إليها يحيى مولاةً له ، لتنظر إليها ، فجاءتها فجَمَلَتْ تَغمِزُ عَضُدَها ، فرفعت يدها فدَقّت أنفها ، فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثتَنى إلى أعرابيةٍ مجنونةٍ فصنعَتْ بى ما ترى ، فنهض إليها يحيى ، فقال لها يحيى: مالك ؟ فقالت : ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نظرُكَ إلىّ قبلَ كُلِّ ناظر ، فإن رأيت حَسَناً كنتَ أولَ من رآه وإن كان قبيحا كنتَ أولَ من واراه . فسر بقولها ، وحَظِيتْ عنده .

خطَبَ يزيدُ بن عبدالملك إلى عقيلٍ ابنته الجرباء . فقال له عقيل : قد زَوَّجْتُكها على أن لا تَزُفَّها إليك أعلاجُك بل أكونُ أنا الذى أجىء بها إليك . قال : ذلك لك. ومكثوا ما شاء الله ، ثم دخل الحاجبُ يوما على يزيد فقال له : بالباب رجلٌ على بعير معه امرأةٌ فى هَوْدج فقال : أراه والله عقيلا . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرَها على بابه ثم أخذ بيدها فأذْعَنَت فدخل بها على الخليفة ، فقال له: إن كنت بها مُتَمَسِّكاً فبارَكَ الله لكما ، وإن كرِهْتَ شيئا فضع يَدَها فى يدى كما وضَعْتُ يدَها فى يدك ، ثم برِئَتْ ذِمتُك . فحمَلَت الجرباء بغلام ففرح به يزيدُ ونَحَلَهُ وأعطاه ، ثم مات الصَّبىُّ فورثت أُمه منه الثلثَ، ثم ماتت الجرباء فورِثَها زوجُها وأبُوها . فكتب يزيدُ إلى عقيل : إن ابنك وابنَتَك قد هَلَكا وقد حَسِبتُ ميراثَك منهما فوجدته عَشرةَ آلاف دينار فهلم فاقْبِضْه . فكتب إليه: إن مصيبتى بابنى وبنتى تشغلنى عن المال وطلبه ، فلا حاجةَ لى فى ميراثهما ، وقد رأيت عندك فرسا سَبَقَت عليه الناسَ فأعطنيه أجْعَلْه فحلا لخيلى . فبعث إليه يزيد بالفرس فأخذه ، ولم يأخذ المال .

خطب رجلٌ من بنى مرة يقال له داودُ إلى عقيلِ بن عُلَّفة بعضَ بناته ، فنظر إليه عقيل ، وقد أقبل على ناقة له ، فإذا السيف لا يناله فطَعَنَ ناقته بالرمح ،

فسقطت ، وصرعه وشد عليه عقيلٌ فهَرَب ، وثار عقيل إلى ناقته ، فنحرها وأطعمها أصحابَه وقال :

ألم تَقُل يا صاحبَ القَـــلوصِ ... داودَ ذا الساجِ وذا القميصِ
كانت عليه الأرض حِيصَ بيصِ ... حتى يَلُفَّ عِيصَه بعِيصِي
ولست بالسنان ذا بَنيصِ

فقال داود فيه من أبيات :

لئيمٌ يرى أن الحـــلالَ بِبِنْتِه ... حرام ويَقْرِي الضيفَ عَضْباً مُهَنَّدا

وخطب إليه رجل من بنى مرة كثيرُ المال يُغْمَزُ فى نَسَبه فقال :

لعمرى لئن زَوَّجْتُ من أجلِ مالِه ... هَجِينــا لقد حُبَّتْ إلىَّ الدراهمُ
أأُنكِحُ عَبدا بعـــد يحيى وخالدٍ ... أولئك أكفائى الرجالُ الأكارمُ
أَبى لِيَ أنْ أَرْضَى الدَّنِيَّةَ أنَّنِى ... أُمُـــدُّ عِناناً لم تَخُنْه الشكائمُ

لما نشبتِ الحربُ بين جَوْشَن وبين بنى سهم ، وهم إخوةُ رهطِ عَقيل بن عُلَّفة المرى هو وبنى غَيْظ بن مرة ، وسهم من بنى مرة وإخوتهم واقتتلوا فى أمر يهودى خمَّارٍ كان جاراً لهم فقتله بنو جَوْشن من غطفان .

وكانوا متقاربى المنزل ، وكان عقيل بن علفة بالشام غائبا فكتب إلى بنى سهم يُحرِّضُهُم :

إمّا هَلَكْتُ ولم آتِكمْ ... فأبلغْ أماثِلَ سَهْمٍ رَسـولا
بأنَّ الذى ساءكم قَوْمُكم ... لقـــد جعلوها عليكم عُدولا(١)
هـــوانُ الحياة وضَيْمُ المماتِ ... وكلاًّ أراه طعاما وَبيلا
فإن لم يكن غـــيرُ إحداهما ... فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبـــكم مُنَّةٌ ... كفى بالحوادث للمرء غُـولا

---

(١) بأن التى سامكم قومكم ... هم جعلوها عليكم دليلا (تجريد) .

فلما وردت الأبيات تكفل بالحرب الحصين بن الحمام المرىّ أحد بنى سَهْم وقال: لى كَتَبَ وبى نوَّه فإنه خاطبَ أماثلَ بنى سهم ، وأنا من أماثلهم ، فأبْلَى فى تلك الحرب بلاء شديداً وقال من قصيدة طويلة :

تأخرتُ أستبقى الحياةَ ولم أجد ... لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدما

وكان عقيل فى إبلِه وحدَه ، فمر به ناسٌ من بنى سلامان فأسَرُوه ومَرُّوا به فى طريقهم على ناس من بنى القين فانتزعوه منهم وخلَّوْا سبيله .

ولما مات علفة قال أبوه عقيل يرثيه لما أتاه خبره :

لعمرى لقد جاءت قوافلُ خَبَّرَتْ ... بأمرٍ من الدنيا علىَّ ثقيلِ

وقالوا ألا تَبْكى لمصرعِ فارسٍ ... نَمَتْه جنودُ الشامِ غيرِ ضئيلِ

كأن المنايا تبتغى فى[1] خيارنا ... لها سُببا[1] أو تهتدِى بدليلِ

فأقسمتُ لا أبكى على هُلْكِ هالكٍ ... أصاب سبيلَ اللهِ خير سَبيلِ

نحلّ[2] المنايا حيث شاءتْ فإنها ... مُحَلَّلَةٌ بعد الفتى ابنِ عقيلِ

فتًى كان مولاه يَحُلُّ بِرَبْوَةٍ ... نحلَّ الموالى بعده بمَسيلِ

كان عقيل قد طرد بَنيه ، فتفرقوا فى البلاد ، وبقى وحده ، ثم إن رجلا من بنى صرمة يقال له بَجيلٌ ، وله ماشية ومال كثير ، فحَطَّمَ بجيلٌ هذا بيوتَ عقيلٍ بماشيته ، ولم يكن قبلَ ذلك أحدٌ يقربُ من بيوت عقيل إلا لَقِىَ شراً ، فطردتْ صافية ابنةُ عقيل الماشيةَ فضربها بَجيلٌ بعصا كانت معه ، فشجّها ، فخرج إليه عقيل وحده ، وقد هَرِمَ يومئذ ، وكَبِرَتْ سِنّه فزَجَرَه فضَرَبه بعصا واحتقره ، فجعل عقيلٌ يَصيح: يا عُلَّفة يا عَمَلَّسُ يافلانُ بأسماء أولاده ، يستغيث بهم ، وهو يَحْسَبهم لهَرَمه أنهم معه ، فقال أرطاة بن سهية:

---

(١) من . . . نسبا تجريد ١٤٢٧ .

(٢) تحل (تجريد) .

أَ كَلْتَ بنيك أَ كْلَ الضَّبِ حتى وجَـدْتَ مرارةَ الـكلأ الوبيل
ولو كان الأُلى غابوا شُهودا مَنَعْتَ فِنـاءَ بَيْتِكَ من بَجيل

وبلغ خبر عقيل ابنَه العَمَلَّس ، وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عَمَدَ إلى بجيلٍ فضربَه ضربا مُبَرِّحا ، وعقر عِدَّةً من إبله ، وأوثقه بحبل وجاء به يقوده ، حتى ألقاه بين يدى أبيه ، ثم ركب راحلته وعاد إلى الشام من وقته لم يَطْعَم لأبيه طعاما ، ولم يشرب له شرابا .

نزل أعرابى على المُقَمْشَر بن عقيل بن علفة فشربا حتى سَكِرا وناما فانتبه الأعرابى فى الليل مُرَوَّعا فقال له المقمشر : مالك ؟ فقال : هذا مَلَكُ الموت يَقْبضُ روحى ، فوثب ابن عقيل . فقال : لا والله ، ولا كرامة ولا نعمة عَيْنٍ ، أيقبضُ رُوحَك وأنت ضيفى فى بيتى وجـارى ؟ فقال : بأبى أنت وأُمى ، طالَما منعتم عن الضيف الضَّيْم . وتلَفَّف ونام .

العُجَيْرُ السَّلولى(١)

هو العُجَيْر بن عبيد الله بن عبيدة(٢) بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبيط ابن جابر بن عبد الله بن سلول .

وقيل العجيرُ بن عبد(٢) الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سَلول ابن مُرة بن صعصعة أخى عامر بن صعصعة .

شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، جعله ابنُ سَلّامٍ من طبقة أبى زُبَيْد الطائى ، وهى الخامسة من طبقة شعراء الإسلام .

هجا العجيرُ قوما من بنى حنيفةَ وسَبَّهم ، فأقاموا عليه البَيِّنَةَ عند نافع بن عَلقمة الكِنانى ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم الحدَّ عليه . وقال لهم : إن وجدتموه أنتم فأقيموا الحدَّ عليه ، وليكن ذلك فى ملأٍ يشهدون به ، لئلا يدعى عليكم تجاوزَ الحد ، فهرب العُجَيْر منهم ليلا حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ثم تعلق بثوبه فقال :

إليك سَبَقْنَا السَّوْطَ والسِّجْنَ تَحْتَنا ... حِيالٌ يُسامِينَ الظِلالَ(٣) ولُقَّحُ
إلى نافـعٍ لا نَرْتجى ما أصابنـا ... تحومُ علينا السانحاتُ وتَبْرَحُ
فإن كنتُ مجلوداً فكن أنت جالِدى ... وإن كنت مذبوحا فكن أنت تَذْبَح

فسأله عن المطر كيف أثره فقال :

يا نافع يا أكرم البَرِيّـه ... والله لا أَكْذِبُكَ العَشيّه

---

(١) أغانى ١٣/٥٨ - المهذب ٤ : ١٦٢ - التجريد ق ٢ جـ ١/ ١٤٥٨ .
(٢) فى الأصل عبيد وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب والتجريد .
(٣) فى الأصل الظلام وما أثبتناه عن الأغانى .

إنا لقينا سَنَـةً قسيَّـه(١) ثم مُطِرْنا مطْرَةً رَوِيَّـه
فنبتَ البقـــلُ ولا رَعِيّه

يعنى هَلَـكَت المواشى قبل نبات البَقْلِ .

فقال : انج بنفسك فإنى سأرضِى خصومَك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم ، وضمن لهم ألا يُعاود هجاءهم.

اصطحب العجيرُ وصاحبٌ من خُزاعة لوُدٍّ كان بينهما ، فقصد الُخزاعىُّ الحسنَ ابنَ الحسنِ بن على رضى الله عنهم ، وقصد العجير رجلا من بنى عامر بن صعصعة ، كان قد نال سلطانا ، فأما الحسن فإنه أعطى الخزاعىَّ وكساه ، وأما العجير فإنه أتى إلى صاحبه العامرىِّ فما أعطاه شيئا ، فلما التقيا قال الخزاعىُّ للعجير : أىُّ شىء كان منك مع العامرى ؟ قال : أتيت رجلا حسنَ الزىِّ حسن الصورة له نِعْمَـةٌ ، فلم أَشُكَّ أن لى عنده ما أُحبّ ، وتلقانى بالرَّحْبِ وقربنى وأدنانى ، وقال : ما جاء بك يا عجير؟ فقلت : شوقا إلى الأمير ولأُنشِده مديحا فيه ، قال: هات ، فأنشدتُه قصيـــدتى ، فاستحسنها ، فلما فرغت سكت ساعة ، وأمر لى بشىء ، فقلت: أيها الأمير إن رأيت أن تأمر لى بما أنت أهله ؟ قال : وما هو ؟ قلت : شىء أُنفقه وأكتسى منه وأتجمل به فى طريقى . فقال : لا ، وحقك ما يحضرنى فى هذا الوقت شىء ، فورَدَ علىّ مَوْرِدٌ عظيم ، وقلت له : فإنى قد أتيتُ من طريق شاسع إليك وقد لزمتْنى مُؤْنة غليظةٌ . قال : فأى شىء يلزمنى من ذلك ؟ فبقيت لا أحير جوابا ، وفرغت منه وانصرفت ، فأنت ما خبرك ؟ قال : أتيت الحسنَ فأصبت رجلا كريماً جواداً . فقلت له : إنى قد أتيت بأبيات أمدَحُ بها سيدَنا . فقال : هات ، فامتدحته فاستحسن ما أتيتُ وكسانى ومَوَّلَنِى وما قصَّر فى أمرى ، وحملنى على نجيبٍ ، واعتذر إلىّ من تقصيره.

---

(١) يقال : عام قسى شديد من حر أو برد أو قحط .

فورد على المُجير من ذلك أمرٌ عظيم . وقال : لقدقصدتَ قوماقلَّ من قَصَدَهم نخاب، وقصدتُ قوما قل من قصدهم فأفْلَح. ثم قال العجير :

يا ليتنى يومَ حزمتُ القلوصَ له   يمَّمْتُها هاشميًّا غير ممذوقِ[1]

محْضَ النِّجارِ من البيتِ الذى جُعلَتْ   فيه النبوةُ يَجْرِى غيرَ مسبوق

لا يُمْسكُ الخير إلا رَيْثَ يُسْأَلُه   ولا يُلاطِم عند اللحم فى السُّوقِ

فبلغت أبياتُه الحسنَ وقِصَّتُه مع العامرى ، فضحك وقال : لو أتانا لأعطيناه ، وإذا لم يأتنا فإنا لا نَحْرِمه ، ووجه إليه بصِلَةٍ إلى مَحِلَّة قومه وقال له ، قد أتاك حظُّك، ولم تقصدله، فورد على المُجير سرورٌ عظيم وقال : هل رأيتم أهل بَيْتٍ أكرمَ من هؤلاء القوم ، وأجمل فعلا ؟ ومدحه بأبيات واعتذر من تأخُّرِه عنه . وقال : أبَيْتَ يا ابن رسول الله إلّا كرماً وجوداً .

مر العجير بقوم يشربون فسَقَوْه ، فلما انتَشَى قال : انحروا جَمَلِى وأطْعِمونا منه . فقالوا : كُفَّ عن هذا . قال : لا والله لابد لى من ذلك. ففعلوا ، ونحروا الجمل وجعلوا يطعمونه ويسقونه فلما سكر أنشأ يقول :

علِّلانى إنما الدنيا عَلَلْ   واسقيانى عَلَلاً بعد نَهَلْ

وانْشُلاَ ماا غْبَرَّ[2] من قِدريكما   وأصبَحانى أبْعَد الله الجَمَل

أصحبُ الصاحبَ ما صاحَبِنى   وأكُفُّ اللومَ عنه والعَذَلْ

وإذا أتْلَفَ شيئا لم أقُلْ   أبداً يا صاحِ ما كان فَعَلْ

فلما أصبح وصحا سأل عن جمله فقيل له نَحَرْتَه البارحة . فجعل يبكى ويصيح : واغُرْبتاه ! ويحكم نَحَرْتم جَمَلِى، فعَلَى أىِّ شىء أركب؟ ويَطْلُبُ إليهم: أَهَلْ ذلك حق؟

---

(١) غير ممذوق : غير مشوب وده بكدر .

(٢) وانشلا لى اللحم من قدريكما (أغانى) ١٣ : ٧٦ .

فيقولون له : يا هـذا ، واللهِ أنتَ حملتنا على نحره ، وأبرَمْتنا ، وما أردنا ذلك. فيَلْطِم ويرْقُص، ويقول : هَلَكتُ والله، وأين رَحْلُه؟ هو عندكم؟ فيقولون : نعم فيقول : لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ ، واغُرْبَتاه ! فلما رأوه قد كاد عَقْلُه أن يزولَ جَبَوْا له من بينهم ثمَنَ جَمَلٍ ثم دعوه وقالوا له: أنت رجل جاهل وقد حذرناك فأبيت إلا نَحْرَه وقد رَحمناك مما رأيناه بك ، فإياك أن تعود إلى مثل ذلك ، فقال لهم : هى التوبةُ ، فأتوه بجمل فركبه ، وفرح وسرّ وارتحله وانصرف . وقيل إنه لم يبك ولم يصح ، وأنه لما أصبح ساق إليه قومُه مائةَ بعير .

خرج العجير فنظر إلى امرأة وهى تَلْحَظُ رجلا من بُعْدٍ وتُكلمه فقال فيها :

أيا رب لا تغفر لِعَثْمةَ ذَنْبَهـا ... وإن لم يعاقِبْها العُجَيْرُ فعاقِبِ
أشارت وعَقْدُ الله بينى وبينها ... إلى راكبٍ من دونه ألفُ راكبِ
حرامٌ عليـكِ الحجُّ لا تقْرَبِنَّه ... إذا حان حَجُّ المسلماتِ التوائبِ

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : إذا رَوَّيتهم الشعرَ فلا تُرَوِّهم إلا مثل شعر العجير :

يبيـنُ الجـارُ حين يبيـن عَنِّى ... ولم تَأْنَسْ إلىَّ كلابُ جارى
وتَظْعنُ جـارتى من جَنْب بيتى ... ولم تُسْتَرْ بسِتْرٍ من جِـدارى
وتأْمَنُ أن أُطالعَ حين آتى ... عليهـا وهى واضعـةُ الخمـارِ
كذلك هَـدْىُ آبائى قديمـا ... تَوارثَه النِّجارُ(١) عن النجارِ
فهَدْيِى هَدْيُهُمْ وهُمُ افتَلَوْنِى(٢) ... كما افْتُلِىَ العَتيقُ من المهـارِ

كان العجير يتحدث إلى امرأةٍ من بنى عامر ويَفْرحُ بحديثها وكان فى نفسه

---

(١) النجار : الحسب والأصل .

(٢) افتلى الصبى أو المهر : فطمه وعزله عن أمه .

من حبها أمر عظيم ، وكان يقال لها جُمْل فأَلِفهَا إلفاً عظيما ، وكان ملازما لها ، ثم انتجع أهلُها نواحى نَصيبين ، فتبعتْها نفسُه فسار إليهم ، فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه ملازما محادثته تلك المرأة ، فنهوه عنها وقالوا : قد رأينا أمْرَكَ مع هذه المرأة، وفى هذا علينا غَضَاضَةٌ ، فإن ارتحلتَ أو انتهيتَ وإلا فأْذَنْ بحرب ، فقال : يا قوم ما بينى وبينها ما يُنكَر ، وإنما كنتُ أتحدثُ إليها كما يتحدثُ الرجل الكريمُ إلى المرأة الحرّةِ الكريمةِ ، فأما الريبةُ فحاشَ لله منها ، فقالوا له : إنك ما تركتَ أهلك ونساءهم وجئتنا لشيء من الخير ، فإن انتهيت وإلا كان ما وعدْناك . فرجع إلى نفسه فوجدها تصبرُ على فراقها ، فعاودها وأتاها فلما رأوه انتهبوا ماله وطردوه ، فأتى محمد بن مروان، وهو يومئذ مُتَوَلِّى الجزيرةِ لأخيه عبدالملك، مُسْتَعْدِياً على بنى عامر، وقال : أيها الأمير خذ بيدى فإن الذى تولى أخذَ مالى منهم حليفٌ فيهم من بنى كلاب، يقال له ابنُ لِجام. وأنشده من أبيات :

أحقا عبادَ الله [أن] لست ناظراً   إلى وجهها إلا عَلَىَّ رقيبُ
أيؤكل مالى وابنُ مروانَ شاهدٌ   ولم يَقْضِ لى وابنُ الحُسَام قريبُ
فتى محضُ أطرافِ العروقِ مساورٌ   حبالَ العلا طَلْقُ اليدين وهوبُ

فقال محمد بن مروان ، وقد أعجبته القصيدة : إيش الذى تُحب؟ قال : تنتصفُ لى من خَصْمِى أيها الأمير ، فأحضره محمدُ بن مروان فقال له : ويلك ما حملك على ظلم هذا ، وهو خادمى ووَلِيِّي ؟ فقال له : يا سيدى إنه قد أفسد امرأةً منا فنهيناه عنها ، مرتين وثلاثا ، فلم ينته ، فلما كثر ذلك منه طردناه ، وأخذنا ماله على طريق التأديب له. فرَدَّه عليه ، وأمره بالانصراف إلى بلده ونهاه عن النزول على المرأة والإلمامِ بحيِّها .

عبدُ الله بن الحجاج[1]

عبدُ الله بنُ الحجاج بن مِحْصَن بن جُندُب بن نصر بن عمرو بن عبد الله بن غَنم ابن جحّاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضر .

وكنيته أبو الأَقْرع .

شاعرٌ فاتِكٌ ، صعلوكٌ من صعاليك العرب ، شجاعٌ من معدودي فرسانِ مُضَر ، ذوى البأس والنجدة فيهم .

وهو ممن خرج مع عَمْرو بن سعيد عَلَى عبد الملك بن مروان ، فلما قتَلَ عبدُ الملك عَمْراً هرب ، فلحق بابن الزبير ، فكان معه إلى أن قُتِلَ ، ثم جاء إلى عبد الملك ابن مروانَ متنكراً ، فقال: يا أميرَ المؤمنين صنعتُ ما صنعتُ ، وجنَيتُ ما جنيت ، وقد أتيتُك مستجيراً ، إذ لا يحميني إلا الله ، فأَقِلْني أقالَك الله ، وإلا فاصْنَع بي ما بدالك ، فأمّنه .

ثم قيل له بَعدَ ذلك في أمره ، فقال: هذا رجل استجار بي ، ولم يتَوَسَّلْ إليّ بسِواىَ ، وحقيق عليّ أن أغفر ذنبه ، وأُقيلَه عثْرَتَه .

وقيل : إنه بعد أن قُتِلَ ابنُ الزبير وأمَّنَه عبدُ الملك خرج مع نَجدة بن عامر الحنفي ، فلما انقضى أمرُه هَرَب ثم ظَفِرَ به الوليدُ بن عبد الملك فكُلِّم فيه فأمَّنه .

وقيل : إنه لما قُتِل عبدُالله بن الزبير هرب عبدُ الله بن الحجاج واحتال حتى دخل على عبد الملك وهو يُطْعِم الناس بمجلس حَجْرة[2] فقال له عبد الملك : ما لك يا هذا

---

(١) أغاني ١٣/١٥٨ ، تجريد ق ٢ ج ١ : ١٤٨٧ ، مهذب ٤ : ١١٣ .

(٢) حجرة : ناحية .

لا تأكلَ؟ قال: استحْيَيْتُ أن آكل حتى تأذنَ لي . قال: إني قد أذنتُ للناس جميعا . قال: لم أعلم، أفآكلُ بإذْنِك؟ قال: كُل. فأكَلَ وعبدُ الملك ينظرُ إليه ويَعْجَب من فعاله. فلما أكلَ عبدُ الملك بعد أن أكل الناس جلس في مجلسه وجلس خواصُّه بين يديه، وتفرق الناس، جاء عبدُ الله بنُ الحجاج فوقف بين يديه واستأذَنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده قوله :

أبلغ أمير المؤمنين بأنني ... مما لَقيتُ من الحوادث مُوجَعُ
مُنِعَ القَرارُ فجئت نحوك هارباً ... جَيْشٌ يَجُرُّ ومِقْنَبٌ(١) يَتَلَمَّعُ

فقال له عبدالملك: وماخَوْفُكَ لا أُم لك؟ لولا أنك مُرِيب. فقال :

إن البلاد عليَّ وهي عريضةٌ ... وَعُرَتْ مذاهِبُها وسُدَّ المَطْلع

فقال عبد الملك: ذلك بما كسَبَتْ يداكَ، وما اللهُ بظَلَّامٍ للعبيد، فقال :

كنا تَنَحَّلنا البصائر مَرَّةً ... وإليك إن عَمِيَ البصائرُ نَرْجِعُ
إن الذي يَعْصيك منَّا بعدها ... من دينه وحياته(٢) مُتَوَدِّع
آتِي رضاكَ ولا أعودُ لمثلها ... وأُطيع أمرَكَ ما أَمَرْتَ وأَسْمَع
أُعطِي نصيحتيَ الخليفةَ باخِعاً(٣) ... وخِزامةَ الأنف القَوْدِ فأتبَعُ

فقال عبد الملك: هذا لا نقبلُه منك إلا بعد المعرفة بك، وبذنبك، فإذا عرفنا الحَوْبة(٤) قبلنا التوبة. فقال :

ولقد وَطِئْتَ بني سعيد وَطْأَةً ... وابنَ الزبير فعَرْشُه مُتَضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : لله رب العالمين الحمد والمنة على ذلك . فقال :

---

(١) المقنب : جماعة الخيل زهاء الثلاثين ـ يتلمع: تبرق سيوفه ورماحه .

(٢) في الأصل : من ذنبه وجنانه. وما ذكر عن التجريد.

(٣) باخعا : مطيعا ذليلا. وفي المهذب والأغاني: ناجعا.

(٤) الحوبة : الإثم .

مازلتَ تَضرب مَنكبا عن منكبٍ   تَعلو ويسفُل غيركم[1] ما يُرفَعُ
وُضِعَتْ أُميةُ واسِطِين لقومهم   ووُضِعْتَ وَسْطَهمُ فنعم الموضعُ
بيتٌ أبو العاصى بناه بِرَبْوةٍ   عالى المشارفِ عِزُّه ما يُدْفَعُ

فقال له عبدالملك: إن توريتك[2] عن نفسك لَتُريبنى ، فأى الفَسَقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال :

حُرِمَتْ أُصَيْبِيَتى يدٌ أرْسَلْتَها   وإليك بعدَ مَعادِها ما تَرْجِعُ
وأرى الذى يرجو تُراثَ محمد   أفلَتْ نُجومهُم ونَجْمك يَسْطَعُ

فقال عبد الملك: ذلك جزاء أعداء الله . فقال :

فانعش أُصَيْبِيَتى الأُولاء كأنهم   حَجَلٌ تَدَرَّجَ بالثوية[3] جُوَّعُ

فقال عبد الملك : لا نَعَشَهُمُ اللهُ ، وأجاع أكبادَهم ولا أبقى وليداً من نَسْلِهم ، فإنهم نسل كافرٍ فاجر لا يبالى ما صَنَع . فقال :

مَالٌ لهم مما يُضَنُّ جَمَعْتَه   يومَ القَلِيبِ لِحِيزَ[4] عنهم أجمع

فقال عبد الملك : أخذته من غير حِلِّه ، وأنفقته فى غير حقِّه وأرصدته لمُشَاقَّةِ أولياء الله ، وأعْدَدْته [لمعاونة] أعدائه[5] فنزعه الله منك إذ اسْتَظْهَرْتَ به على معصية الله . فقال :

أَدْنو لترحمنى وتَجْبُرَ فاقتى   وأراك تَدْفَعُنى فأين المدفعُ

فتبسم عبد الملك ، وقال له : إلى النار المُؤْصَدَةِ التى أُعِدّت لك ، ولأشباهك ،

---

(١) فى الأصل : غيركما .

(٢) فى الأصل : توبتك ، وما أثبتناه عن التجريد .

(٣) بالشربة (تجريد) .

(٤) حيز : أبعد ، وفى الأصل : فحين .

(٥) فى الأصل: لا لأعدائه وما بين القوسين والتصويب عن الأغانى .

فمن أنت الآن ؟ قال : أنا عبدُ الله بن الحجاج التَّغْلَبي وقد وطِئْتُ دارَكَ وأكلت طعامَك وأنْشَدْتُك ، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنت عارف بما عليك فى هذا ، وعاد إلى إنشاده فقال :

ضاقت ثياب المُلْبسين وفَضْلُهُم عَنِّى فألْبِسْنى فثوبُك أوسع

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لَبِسْت. فالتحف به . ثم قال له عند ذلك : أولى لك ، والله لقد طاولتك طمعا فى أن يقوم إليك أحد هؤلاء فيقتلك ، فأبى اللهُ ذلك ، ولا تجاورْنى فى بلد وانصرِفْ آمنا فأقم حيث شئت من بلاد الله ، فما أبْقيت ، لعنك الله ، فى ولاء ، وإنى والله لمُتَعَجِّبٌ من عفوى عنك غيرُ آمنِك على ثلاثة ، يكون عفوى للطريق إلى أن تُصيبها . فقال له : يا أمير المؤمنين فأين أذهب إذا طَرَدْتنى ومفاتيحُ خزائن الله قد جعلها الله إليك ، فأين المذهب ؟ ومن لصبيتى الصغار ؟ قال : لك ولهم النارُ ، ويلك ! ماحدَّثَتْ نفسك بهذا وأنت تحَزِّبُ الأحزابَ ، وتجمع علىّ الجيوشَ ، اخرجْ عنى فقد عفوت عنك . ويلك ! ما أصنع بعد أن تكون معى فى دار مملكتى ؟ أما تَرْضَى أنى قد جعلت الفعل فى عفوى عنك حتى تطالبَنى بما تجاورنى فى بلد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين إن قتلى لأهونُ من حياتى فقيراً لا شيء معى. فأمر له بشيء وصرَفَه وقال : لا تُرِنى وجهك. فخرج من بين يديه .

ولما خرج على الوليد مع نجدة بن عامر الحنفى الشارى ، وهرب ، طلَبَه الوليدُ وقال : رأيتم إلى عدو الله عبدِ الله بن الحجاج كيف عفا عنه أبى مَرَّةً بعد مرة ، ولا يزيده ذلك إلا تمرداً علينا ، فلما انقضى أمر نجدة طلبَهُ الوليدُ أشَدَّ طَلَبٍ ، ووجه إلى سائرِ عُمَّالِه أن يجتهدوا فى طلبه ، وحيثما أصابوه قتلوه ، وأتوا برأسه ،

فبلغه هذا فضاقت عليه الأرض ، ولم يدر أين يتوجه ، ولاما يَصنع فاستَجَار ببعض العَرَبِ فأجاره ، فكان يأوى عنده على أشرِّ حال من الجَزَع ثم قال :

رأيت بــلادَ اللهِ وهى عريضةٌ ... على الخائفِ المطلوبِ كِفَّةَ حابلِ
تؤدى إليـــه أنَّ كلَّ ثَنيِّةٍ ... تيمّمَها ترْمِى إليـــه بقَاتِلِ

ثم لجأ بعد ذلك إلى أُحيح بن خالد بن عُقْبة بن أبى ربيعة ، فأطعمه وآواه أياما ، فلما استوطن كتب إلى الوليد : اعلم أميرَ المؤمنين أن عبدَ الله بن الحجاج عندى وأنا محتفظٌ به إلى أن يجىء رسولك ، فأُسْلِمَه إليه ، فأتى الكتاب إلى الوليد بذلك فسُرَّ به ووَجَّه فى الوقت من أخذَه وحمله إليه . فلما دخل سلَّم عليه فقال له الوليد : لا سَلَّمَ الله عليك ولا ملائكتهُ ولا أنبياؤُه ولا رسلهُ ، ولعنك فى الدنيا والآخرة ، ويلك ! ألستَ المُؤَلِّبَ علينا عمرو بن سعيد بن العاص ؟ أو لستَ المؤَلِّبَ علينا عبدَ اللهِ ابن الزبير ؟ ثم عفا عنك أميرُ المؤمنين ، فما أقنَعَك ذلك حتى صِرْتَ مع الشُراةِ علينا . فقال له : يا أمير المؤمنين فأين عفوُك ومغفرتُك فإنك وأباك ما رأيتما فى العفو إلا خيراً . وما رأيتُ فى الغدرِ إلا شرا فاعفُ عنى إذ قَطَعَنِى العالمُ عفا الله تعالى عنك . قال : هيهات. وأمرَ به إلى السجن، وأمر أن يوضع فى رجليه الحديد الثقيلُ . فقال وهو فى الحبس أبياتا منها :

فإن يُعْرِضْ أبو العباس عنى ... ويرْكَبْ بى عَروضا فى عَروضِ
ويجعل عُرْفَه يوما لِغَيْرِى ... ويُبْغِضْنى فإنى من بغيضِ
كأنى إذ فَزِعْتُ إلى أُحَيْحٍ ... فزعت إلى مُقَوْقِيَةٍ بيَوضِ

قال : فدخل أُحيحٌ على الوليد فقال : يا أميرَ المؤمنين إن عبدَ الله بن الحجاج قد هجاك ، فقال: بماذا ؟ فأنشده البيتين الأولين ، فقال الوليد : وأىّ هجاء هــذا ؟ هو من بغيضٍ إن أعرضتُ عنه أو أقبلتُ عليه أو أحببتهُ أو أبغضتهُ ، ثم ماذا ؟ فأنشده البيت الثالث ، فضحك الوليدُ وقال : ما أراه هجا غيرَك فأردتَ أن تُحَرِّضَنى عليه ،

لآخذ بثأرك منه . فقال: يا أمير المؤمنين، أنت تعلم أنه ما هجانى إلا فى رضاك ، ولو أردتُ أن أستره لسترْتُه ، ولـكن كان حقُّ أميرِ المؤمنين أوجبَ علىّ ، وهذا رجل قد ثبت غدرُه وفعلُه معك ومع أبيك . فقال : هذا مالا نَشُكّ فيه منه . فلما خرج شاور الوليد فى أمره من حضر مجلسَه فحضره جليس خُيَّر فقال : يا أمير المؤمنين إن الله قد ملّـكَكَ وبلّغَك ماأردتَ، ومارأيتَ أنت وأبوك من العفو قط إلا خيراً فاعف عنه. فعفا عنه وخلّاه .

وقال عبد الله بن الحجاج قصيدته التى منها :

نأتْـك ولم تخش الفراقَ جنوبُ   وشطت نوًى بالظاعنـين شعوبُ
كُمَيْتٌ إذا شُجّتْ وفى الـكاس وَرْدَةٌ(١)   لهـا فى عظامِ الشاربين دَبيبُ

كان كثير بن شهاب بن الحصين عـلى ثَغْر الرّىِّ ، ولاه إياه المغيرةُ بنُ شعبة إذ كان خليفةَ معاوية على الـكوفة ، وكان عبدُ الله بن الحجاج معه فأغار الناس على الديلم ، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلا منهم ، وأخذ سَلَبَه فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائةَ سوط وحُبِس فقال عبد الله بن الحجاج فى ذلك وهو محبوس :

تُسَائِلُ سَلْمَى عن أبيها صحابةً   وقد عَلِقَتْه من كثيرٍ حبائلُ
فـلا تسألى عنه الرِّفاقَ فإنه   بأبهرَ لا غازٍ ولا هـو قافلُ

فمكث فى الحبس مدة ثم خلى سبيله فقال :

سأترك ثغرَ الرّىِّ مادمتَ واليا   عليـه لأمر غالَنى وشجانى
فإن أنا لَمْ أُدركْ بثأرى واتئد   فلا تَدْعُنِى للصِّيدِ من غَطَفانِ
تَمَنّيْتَنِى ياابنَ الحصينِ سفاهةً   ومالَكَ لى ياابنَ الحُصَيْنِ يدانِ

(١) جاء فى التجريد مكان هذا الشطر :
فبتُّ أسَقّاها سلافا مدامة

فلما عزل كثير ، وقدم الكوفة ، كمن له عبد الله بن الحجاج فى سوق التمّارين ، فكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يُحَدِّثُ المغيرة، فخرج يوما من داره فحادثه ، فأطال ، وخرج من عنده عَشيًّا يريد منزله ، فضربه عبدُ الله بن الحجاج بعمود حديد على وجهه فهَشَمَ مقاديمَ أسنانه كلها . وقال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبُك بالرى ، وقد قابلتُك بما فعلت بى ، ولم أكن لأكتُمَك نفسى ، وأُقسم بالله لئن طالبت فيها بقود لأقتلنك ، فقال له : أنا أقتصُّ منك أو من مثلِك ؟ والله لا أرضى بالقصاصِ إلا من أسماء بن خارجة . وتكلمت اليمانية ، وتجارت الناسُ فكتب إلى معاوية فكتب إلى المغيرة : أحْضِرْ كثيرا وعبد الله بن الحجاج ، ولا يبرحان من مجلسك حتى يَقتَصّ كثيرٌ أو يعفو . فأحضرهما المغيرةُ فقال : قد عفوتُ، وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . فقال له : والله يا أبا الأقرع لا نلتقى ونحن جميعا أهتمان ، وقد عفوت عنك .

وكتب ناسٌ من أهل الكوفة إلى معاوية أن سيِّدنا ضربه خَسيسٌ من غطفان ، فإن رأيت أن تُقِيد فإنه من أسماء بن خارجة ، فلما قرأ معاوية الكتابَ قال : ما رأيت كاليوم كتابَ قومٍ أحمقَ من هؤلاء . وكتب : إن القود ممن لم يَجْنِ محظورٌ فليُقتَصّ من الجانى . فقال كثير بن شهاب : لا أستقيدها إلا من سَيِّدِ مضر، فبلغ قولُه معاويةَ فغضب وقال : أنا سيدُ مضر فليستقدها منى . وآمَنَ عبدَ الله ابن الحجاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابن شهاب ، فلم يقتصّ ولا أخَذَ منه عَقْلا .

وقال عبد الله بن الحجاج :

من مبلغ قيساً وخِنْدف أننى ... أدركتُ مَظْلِمتِى من ابنِ شهابِ
خُضْتُ الظلامَ وقد بَدَتْ لى عورةٌ ... منه فأضرِبه على الأنيابِ
وتركته يَكْبو لفِيـهِ وأنفِه ... ذَهِلَ الجنانِ مضرجَ الأثواب

وكان له ولدان يقال لهما حُوَيْن وجُندب ، فمات جُندب فى حياته .

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثارَ عبد الله بن الحجاج وبلاءه في محاربته إياه ، وما حرض عليه مع ابن الزبير ، ويقول : يا أميرَ المؤمنين ، رجل قد أساء فيما بينك وبينه مرة ، فعفوت عن ذنبه ثم خرج ثانية مع ابن الزبير وماأبق ، والله ، ولا وَزَر ، فلما قتل اللهُ ابن الزبير ولم يكن له فى الأرض مَذْهبٌ وافَى إليك فاعتصم بك ، والله ما يُؤْمَنُ عبدُ الله بن الحجاج على فَعْلة ثالثة ، هى أعظم من الأوليَين ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُنفِذَه إلىّ لأتولَّى أمرَه وقتْلَه فليفعلْ . وبلغ ذلك عبدَ الله بن الحجاج ، فجاء ووقف بين يدى عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل ساقنى برحمته إليك ، إذ لم أجد فى الأرض مَذْهبا حتى عَفوتَ عن زَلَلِى وأصْبَيْتُك(١) أكرمُ من ولدته النساء وأعفى من نَسَلَه الرجال، وقد أعطيتنى عهداً ومَوْثقا ، وقد بلغنى أن عاملَك الحجاجَ كتب إليك يحرضك علىّ ويعلمك من أمورى أشياء أنت أعرف منه بها ، وأمير المؤمنين أولى الناسِ بالإقامة على العفو ، أو قتلى بين يديه ، وأنشد :

أعــوذ بثَوْبَيْك اللذَيْن ارتداهما   كريمُ الثَّنا من جَيْبِه المسكُ ينفحُ
فإن كنتُ مأكولا فكنْ أنت آكلى   وإن كنت مذبوحا فكن أنت تَذْبح

فقال عبد الملك : ما صنعت شيئا، فقال من أبيات :

تداركَنِى عفوُ ابنِ مروان بعد ما   جرى لى من دون الحياة سَنِيحُ(٢)
رَفَعْتُ مُرِيحاً ناظِرَىَّ ولم أكَدْ   من الكَرْبِ والغَمِّ الشديدِ أُرِيحُ

فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إنى قد عَرَفْتُ من أمر عبدِ الله بن الحجاج التغلبىّ ومن فِسْقه وإقدامه على المنكراتِ مالا تزيدُنى عِلْماً به ، إلا أنه اغْتَفَلَنِى

(١) يقال : أصبى الرجل : إذا كان له صبى .

(٢) السنيح : السانح مما يتفاءل به ، ورواية الأغانى (من بعد الحياة) .

متنكراً ، فدخل داری ، وأكل طعامی ، واستكسانی فكسوتُه ثوبا من ثيابی ، وأنشدنی وعاذ بی فأعَذْتُه ، وقلت له : من أنت ؟ فعرفنی بنفسه ، فلما عرفته ورد علیّ منه أمر عظيم ، ولم يَحْسُن بی بعدَ ما جرى أن أقتلَه وفی دونِ هذا ما حظَرَ علیَّ دَمَه ، وعبد الله أقل وأذل من أن يَنْكُثَ عهدا ، فإن شكر على النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه ، وإن كفر ما أُوتی وشاقَّ الله ورسوله وأولياءه ، فالله قاتلُه بسيف البَغْیِ الذی قُتِلَ به نظراؤُه ، ومن هو أشدُّ شكيمةً منه من الملحِدين. فلا تَعْرِضْ له ولا لأحدٍ من أهله بسَيِّئة إلا بخير ، والسلام .

فلما ورد الكتاب على الحجاج ورد عليه منه مَوْرِدٌ عظيم، وكان قد مد يده إلى أسبابه نخلى يده عنهم . وقال: من يعفُ عنه أميرُ المؤمنين فلا سبيل لنا عليه، وكف عن أهله وأطلقهم .

عبد الصمد بن المَعَذَّل[1]

هو عبدُ الصمد بن المُعَذَّل بن غيلان بن الحكم بن البَخْتَرِيّ بن المُختارِ بن ذَرِيح وقيل دريح بن أوس بن هام بن ربيعة بن بشر بن حُمْرَان بن حِدْرِجان بن عِسَاس ابن ليث بن حُداد بن ظالم بن زهر[2] بن عِجْل بن عمرو بن وَديعة بن لُكَيْز بن أفصى ابن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وقيل ربيعة بن الليث بن حمدان .

قال غيلانُ بن المُعَذَّل أخو عبد الصمد : كان أبي يقول : أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جَدِيلَة بن أسَد ، وأفصى جديلة بن وائل هو أفصى بن دُعْمِيّ .

والنسابون يَغْلطون فى قولهم عبدُ القيس بن أَفْصى بن دُعْمِيّ .

وكان عبدالصمد بن المعذل يُكْنَى أبا القاسم .

وأمه أُمُّ ولد يقال لها الزَّرْقاء .

وهو شاعرٌ فصيح من شعراء الدولةِ العباسية .

بصريُّ المَوْلِد والمَنْشأ .

هجَّاءٌ خبيثُ اللسانِ ، شديد العارِضَة .

وأخوه أحمد أيضا شاعر ، إلا أنه كان عَفيفاً ، ذا مروءة ودين ، وتَقَدُّم فى المنزلة ، وله جاه واسع فى بلده ، وعند سلطانه ، لا يقارنُه عبدُ الصمد فيه .

وكان يَحْسُده ويهجوه ، فيحلم أحمدُ عنه ، وعبد الصمد أشعرُهما .

---

(١) الأغانى ١٣ : ٢٢٦ والتجريد ق ٢ ج ١ : ١٥٠٧ .

(٢) (ذهل) تجريد ٥ أ كبر .

وكان المعذل أبوه ، وغيلان جده ، شاعرين ، وقد رُوِي عنهما شىء من الأخبار والغة والحديثِ ليس بالكثير .

والمُعَذَّل بن غيلان هو الذى يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناسِ أننى ... أرى صالحَ الأعمالِ لا أستطيعُها
أرى خَلَّةً فى إخوةٍ وأقارب[1] ... وذى رحم ما كان مِثْلِى يُضيعها
فلو ساعدتنى فى المكارم قُدْرَةٌ[2] ... لفاضَ عليهم بالنوال رَبيعُهـا

وهو القائل أيضا :

ولست بمَيّالٍ إلى جـانبِ الغِنَى ... إذا كانت العَلْياءُ فى جـانب الفَقْرِ
وإنى لصَبَّارٌ على ما يَنوبنى ... وحسْبُك أن اللهَ أثنى على الصَّبْرِ

هجا أبانٌ اللاحقِىُّ المعذلَ بن غيلان فقال :

كنت أمشى مع المُعَذَّل يوماً ... ففَسَا فسوةً فكدتُ أطيرُ
فتَلَفَّتُّ هل أرى ظَرِبانا ... من ورائى والأرض بى تستدير
فإذا ليس غَيْرُه وإذا إعـ ... ـصارُ ذاك الفساء منه يفور
فتعجبتُ ثم قلتُ لقد أعْـ ... ـرِفُ هذا فيما أرى خِنْزِيرُ

فأجابه المعذل فقال :

صحفت أُمُّكَ إذ سمْـ ... ـمَتْكَ فى المهـدِ أبانا
قـد علمنـا ما أرادَتْ ... لم تُرِدْ إلا أتانا
صَيَّرَتْ باء مكان الـ ... ـتاء والله عيـانا
قَطَعَ اللهُ وشيكا ... مِنْ مُسَمِّيك اللسانا

---

(١) وقرابة (تجريد) .
(٢) إخوة (تجريد) .

مر المُعَذَّل بن غيلان بعبد الله بن سَوَّارٍ العَنْبَرِيّ القاضي فاستنزَله عنده، وكان من عادة المُعَذل أن ينزل عنده، فأنشده :

أمن حَقِّ المودةِ أن نُقَضّى ... ذمامَكُم ولا تَقْضُوا الذماما

وقدقال الأديب مَقَالَ صِدْقٍ ... رآه الآخرون لهم إماما

إذا أكْرَمْتُكُمْ وأهَنْتُمُونى ... ولم أغْضَب لذالكُمُ فَذَاما

قال، وانصرف، فبكر إليه عبدُ اللهِ بن سَوَّار فقال له : رأيتُك يا عَمُّ مُغْضَباً . فقال : أجل، ماتت بنتُ أُختى، ولم تأتنى . قال : ما علمتُ ذلك . قال : ذنبُك أشدُّ من عُذْرِك، وما لى أنا أعرف خبَرَ حقوقك، وأنت لا تَعْرِفُ خبرَ حقوقى . فما زال عبد الله بن سوار يعتذر إليه حتى رضى عنه .

كان شروين المُغَنِّى حسنَ الغناء والضَّرْب، وكان مَنْ أراد أن يُغَنِّيَه حتى يخرجَ من جِلْدِه جاء بجُوَيْرِية سوداءَ فأمرها أن تطالعَه أو تُلَوِّح له بخِرْقة حمراءَ ليظنها امرأةً تطالعه، فكان حينئذ يغنى أحسن غناء، يقدر عليه، تَصَنُّعاً لذلك، فغضب عليه عبدُ الصمد بن المعذل فى بعض الأمور، لأنه دعاه يوما فتملل عليه، فقال : والله لأَسِمَنَّه سمةً لا يدعوه بعدَها أحدٌ بالبصرة إلا بعد أنيَبْذُلَ عِرْضَه وحَرِيمَه . فقال يهجوه :

من حَلَّ شروينُ له منزلا ... فلتَنْهَه الأولى عن الثانيه

فليس يدعوه إلى بَيْتِه ... إلى فتًى فى بَيْتِه زانِيه

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطر إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ من رأى .

نظرعبدُ الصمد إلى جارٍ له فقيرٍ رَثِّ الحال يختالُ فى مَشْيِه ويخطر خَطْرَةً مُنْكَرَةً، فقال فيه :

يتمشى فى ثوب عصْب من العُرْ ... ى على عَظْمِ ساقِه مَسْدولِ

دبّ فى رأسه خُمارٌ من الجو ع سُرى خَمْرَةِ الرحيق الشَّمولِ
فبكى شَكْوَةً(١) وحَنَّ إلى الخبـ ز ونادى بزَفْرَةٍ وعَويلِ
من لقلبٍ مُتَيَّمٍ برغيفيـ ن ونَفْسٍ تاقَتْ إلى التَّطفيلِ
ليس تَسْمُو إلى الولائم نفسى جَلَّ قَدْرُ الأعراسِ عن تأْميلى
هاتِ لَوْنا وقُلْ لتلك تُغَنِّى لست أَبْكى لدارسات الطُّلُولِ

كان بالبصرة طُفَيْلِيٌّ يُكْنَى أبا سَلَمة ، وكان إذا بلغه خبرُ وليمةٍ لَبِسَ لِبْسَ القضاة ، وأخذ بنيه معه ، عليهم القلانسُ الطوالُ والطيالسةُ الرِّقاقُ ، فيُقدِمُ ابنيه فيدُقّ أحدهما البابَ ويقول : افتح يا غلام لأبى سلمة ، ثم لا يلبث البوابُ حتى يتقدم الآخرُ فيقول: افتح ويلك فقد جاء أبو سَلمة . ويتلوهم هو فيدُقّون جميعاً الباب، ويقولون: بادِرْ ، ويلك ، فإن أبا سلمة واقف . فإن لم يكن يعرفهم فتح لهم ، وهاب منظرَهم ، وتركَهم يدخلون ، وإن كان البوابُ قد تقدمَتْ له بهم معرفةٌ لم يلتفت إليهم ، ويستخفُّ بهم ويقول: انصرفوا فلست أفتحُ لكم . وكانوا إذا حضروا وليمة فى بعض هذه المواضع ، أخذوا معهم فِهْرَين(٢) مدورين يسمون كل واحد منهما كيسان، فإذا وافى أحدُ المدعوين وفتح له شد أحدُهما على فهر فيحُطّه فى دوارة الباب عند العتبة فلا يقدِرُ البوابُ على غَلْقِه ، فيهجمون على الدار فيدخلون ، وكان إذا رآهم أهل الحيِّ أعْظَموهم لموضع القضاء . لأنهم يرون زيّة القاضى ، ويرون خلفه اثنين ، فلا يَشُكُّون أنه قاض فيُوَسَّعُ له إلى أن يصير فى الصدر .

وكان أبو سلمة حسن الكلام عذب الألفاظِ طَيِّبَ المحادثةِ ، فكان إذا دخل وجرى الحديث ، أتى بكل ظَريفةٍ ، وأقبل الناس عليه .

---

(١) شجوه (تجريد ـ أغانى) . .

(٢) الفهر بالكسر : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ، ويؤنث .

وكان هذا أبو سلمة من عجائب الدهر ، ولم يكن فى البصرة للطفيلية مثلُه ، فحضر يوما من الأيام فى عُرسٍ من الأعراس فتخطّى إلى أن صار فى الصدر ، وأقبل يُحدِّثُ الناس ، وهم مقبلون عليه إلى أن قرب الطّشتُ فغسل الناسُ أيديهم وقُدِّمَت المائدة وعليها كلُّ طعامٍ فأكل الناسُ وأكل أبو سلمةَ أكلا عظيما ، ثم قُرِّبَت الحلواء فأول ماوافى الفالوذجُ ضَرَب بيده إلى لُقمة حارّة ، وألقاها إلى فمه ، فأحْرَقَتْ فمه ، فابتلعها لحرارتها ، فسقطت فى جوفه ، فجمعت أحشاءه فمات على المائدة ، فورَدَ على الناسِ مَوْرِدٌ عظيم فأقبل ابناه يبكيان عليه ، والناس ينظرون إليهم ويعجبون مما تَمَّ على الشيخِ ، وحُمل إلى منزله وكُفِّنَ ودُفِن ، فقال عبد الصمد بن المعذّل يرثيه من أبيات :

أحزانُ نفسى عليها غيرُ مُنْصَرِمَه ... وأدمعى من جُفونى الدَّهْرَ مُنْسَجِمه

على صديقٍ ومولًى لى فُجِعْتُ به ... ما إن له فى جميع الصالحين لُمَه(١)

كم جَفْنَةٍ مثلِ جوفِ الحوضِ مُتْرَعَةٍ ... كَوْماءَ جاء بها طبّاخُها رذِمه(٢)

قد كللتها شحومٌ من قلايتها ... ومن سنام جزورٍ عَبطة سَنِمه

غُيِّبْتَ عنها فلم تَعْرِفْ لها خبرا ... لَهفِى عليك ووَيْلى أبا سَلَمَه

ولو تكون لها حيًّا لما بَعُدَت ... يوما عليك ولو فى جاحِمِ الحُطَمَه

قد كنت أعلم أن الأكل يَقْتُله ... لكننى كنت أخشى ذاك من تُخَمَه

إذا تَمَمَّمَ فى شبليه ثم غدا ... فإن حَوْزَةَ من يأتيه مُصْطلِمَه

كان عبد الصمد يتعشق فتى من المغنين يقال له أحمد ، فغاضبه الفتى وهَجَره فكتب إليه :

---

(١) اللمة : المثل والشكل .

(٢) الرذمة التى تسيل دسماً .

سَلْ جَزَعِى مذ صَدَدْتَ عن حالى هــل خَطَرَ الصبرُ لى على بالِ

لا غـــيَّرَ اللهُ سوءَ فعلك بى إن كنتُ أَعْتَبْتُ فيــك عُذَّالِى

ولا ذَمَمْتُ البـكا عليــــك ولا حَمِدتُ حسنَ السُّلُوِّ من سالِى

لو كنت أبغى سواك ما جَهِلَتْ نفسىَ أنَّ الصدودَ أَعْفَى لِى

قال أبو شراعة: لما هجا الجمَّازُ عبدَ الصمد بن المعذَّل جاءنى وقال : أَنْقِذْنى منه ، فقلت له : أمثلك يَفْرَقُ من الجمّاز ؟ قال : نعم ، لأنه لا يبالِى بالهجاء ، ولا عِرْضَ له ، وشعره يَنفُقُ على من لا يدرى . فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فى عبد الصمد وهو :

ابن المُعَذَّلِ مَنْ هُــوَ ومن أبـــوه المُعَذَّلُ

سألت وهبــان عنه فقال : بَيْضٌ مُحَوَّلُ

ووهبانُ هذا هو رجل يبيع الحمام ، فجمع جماعة من أصحابه وجعل يَغْشَى المجالسَ والمحافلَ ويَحْلِفُ لهم أن الجمازَ ماسأله عن عبد الصمد ، وأنه ما قال : أنه بَيْضٌ مُحَوَّل – ويسألهم أن يعتذروا إليه ، وصار هــذا منه نادرة وطُرْفَة . فجاءنى عبدُ الصمد يستغيثُ وقال : ألم أقل لك إن آفَــتِى منه عظيمةٌ ، وأن دَورانَ وَهْبانَ على الناسِ يَحْلِفُ لهم أنه ما قال : بَيْضٌ مُحَوَّلُ – أشد علىّ من هجائه لى ، فبعثتُ إلى وَهبانَ فأحضرتُه ، وقلت : ياهذا قد عَلِمْنا أن الجمازَ كَذَبَ عليك ، وعَذَرْناكَ فنحبُّ ألا تتكلفَ العُذْرَ إلى الناسِ فإنا قد عذرناك ، فانصرف وقد لقى عبد الصمد منه بلاء .

كان عبد الصمد يقول : هجانى الجمازُ ببيتين مُنْتَجِمَيْن فسارا فى أفواه الرجال حتى لم يبق حاضرٌ ولا بادٍ إلا رواها . فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كلُّ أحدٍ فما رواه أحد وذلك لضَعته ، وهو:

نَسَبُ الجَمَّازِ مقصو ... رٌ إليه مُنْتَهاه
يتراءى نسب النا ... س فما يخفى سواه
يَتَحاجَى فى أبى الجَمّ ... از مَنْ هُــو كاتباه
ليس يَدْرِى من أبو الجم ... ازِ إلّا من يراه

بَلَغ أَبا جعفر مضرطان أنَّ عبد الصمد بن المعذل هجاه ، فاجتمعا عند أبى واثلة السَّدوسِي فقال له مضرطان : بلغنى أنك هجوتنى فقال له عبد الصمد : من أنت حتى أهْجُوَكَ ؟ قال : هذا شرٌّ من الهجاء ، ووثب إلى عبدالصمد يَضْرِبُه، فقال إسمعيل ابن إبراهيم بن حَمْدويه الحمدونى :

ألَذُّ من صحبــة القنانى(١) ... أو اقتراحٍ عــلى قيـانِ
لــكْزُ فَتًى من بنى لُكَيْزٍ ... يُهدَى له أهْوَنُ الهــوانِ
يَهْوِى له بازلٌ خِدَبٌّ(٢) ... يَطْحَنُ قَرْنيــه بالجِرانِ
ينالُ منـــه ثُؤُورَ قَوْمٍ ... باليدِ طَــوْراً وباللسانِ
وكان يَفْسو فصار حَقًّا ... مُضَرَّطامن خَوف مضرطانِ

فبلغ عبدَ الصمد شعرُ الحمدونىّ فقال : أنا له ، ففزع الحمدونى منه فقال :

تَرِحٌ طُعِنْتُ بــه وَهَمٌّ واردُ ... أن قيل إن ابن المُعَذَّل واجِـدُ
هيهات أَنْ أَجِدَ السبيلَ إلى الـكَرَى ... وابنُ المُعَذَّلِ من مِزاحى حاردُ

وكان عبدُ الصمد بن المعذل يعاشر عبــدَ الله بن المُسَيّب ويألَفُه فبلغه عنه أنه اغتابه يوما ، وهو سكران ، وعاب شعره ، وقال إن عبدَ الصمد يأتى بأشياء باردةٍ غَثَّةٍ ليست بحَسَنَةٍ ، فتَرْكُه لها أحسنُ من قولها. فقال عبد الصمد فيه وكتب إليه من أبيات :

(١) الأصل محنة القنان والتصويب عن الأغانى ١٣/٢٣٦ .
(٢) فى الأغانى أهوى ... خدب .

عتبى عليك مُقـارِنُ العُذْرِ   قد زاد عنك حَفيظتى صَبْرِى
لك شافع منى إلىّ فـا   يَقْضِى عليك بهَفْوَةٍ فِكْرِى
لمـا أتانى ما نَطقْتَ بـه   فى السُّكْرِ قلت جناية السُّكْرِ
حاشا لعبـد الله يَذْكُرُنى   مُسْتَمْدِيا بنقيصتى ذِكْرى
إن عاب شعرى أو تَحَيَّفه   فليَهْنِه ماعاب من شِعْرِى
يا ابن المسيب قد سَبَقْتَ بما   أَصْبَحتُ مرتَهِنا به شُكْرِى
فتى خَمِرْتَ فأنت فى سَعَـةٍ   ومتى هَفَوْتَ فأنتَ فى عُذْرِ
ترك العتابِ إذا استَحَقَّ أخٌ   منـك العتابَ ذريعةُ الهَجْرِ

كان عبد الصمدِ بنُ المُعَذَّل قد وقع بينه وبين ابن وَهْب، فقال يهجوه من أبيات:

هـو والله مُنْصِفٌ   زَوْجُه زَوْجُ زوجته
يقْسِمُ الأَيْرَ عادلا   بين حِرِها وفَقْحَتِه(١)

قال محمد بن يزيد المبرد: نظر عبدُ الصمد بن المعذل إلى الأفشين بسُرّ من رأى، وهو غلام أمْرَدُ، وكان من أحسن الناس، وهو واقف على باب الخليفة، مع أولاد القواد، فأنشدنا لنفسه من أبيات:

أيها اللاحِظى بطرف كليـلِ   هل إلى الوصْلِ بيننا من سبيلِ
علـم الله أنّنِى أتمنّى   زورةً منك عنـد وقت المَقِيلِ
بعدما [قد] غدوت فى القُرْطَق الجَوْ   نِ تهادَى وفى الحُسَامِ الصقيلِ
وتكَفّيْت فى المواكب تَختـا   لُ عليها تميـل كلّ مَمِيلِ
وأطلتَ الوقوفَ منك بباب ا   قصر تَلْهو بكل قالٍ وقيـلِ
وتحدَّثْتَ فى مطاردةِ الصيـ   ـد بخُبْرٍ به ورَأْيٍ أصيـلِ

---

(١) الفقحة حلقة الدبر.

ثم نازعتَ فى السنانِ وفى الرُّمْـ ح[١] وعِلْمٍ بمرهَفاتِ النُّصولِ
وتـكلمت فى الطِّرادِ وفى الطعْـ نِ ووثبٍ على صِعابِ الخيولِ
وإذا ما تفرق القــومُ أقبلْـ ت كريحـانةٍ دنَتْ لذبولِ
وقد كساكَ الغبـارُ منه رداء فوق صَدْغ وجفن طرفٍ كَحيلِ
وبدَتْ وُرْدةُ البَشامةِ[٢] من خَدْ دِكَ فى مُشْرِقٍ نَقىٍّ أسَيلِ
يَرْشَحُ المِسك منه سالِفَةُ الظَّبْـ ى وجيــدُ الأدمانةِ المُطْبولِ
فأسوف[٣] الغبارَ ساعــةَ ألقا كَ بِرَشْفِ الخدَّيْنِ والتقبيلِ
وأَحُلُّ القَبـاءَ والسيفَ من خَصْـ رِكَ رِفقاً باللُّطْفِ والتعليلِ
ثم نُؤْنَى بمـا هَويتَ من التشـ ريف عندى والبرِّ والتبجيلِ[٤]
ثم أجلوكَ كالعروسِ على الشَّرْ ب تهادَى فى مُجْسَدٍ[٥] مصقولِ
ثم أسقيك بعد شُرْبىَ من ريـ قِك كأساً من الرحيق[٦] الشمولِ
وأُغَنِّيك إن هَـوِيتَ غنـاءً غـير مُسْتَنْـكَرٍ[٧] ولا مَمْـلولِ
لا يزال الخَلْخَالُ فــوق الحشايا مثل أثنـاء حَيَّةٍ مفتولِ
فإذا ارتاحت النفوس اشتياقـا وتمنى الخليــلُ قربَ الخليل
كان ما كـان بيننا لا أُسمـ يه ولـكنه شفـاءُ الغليلِ

---

(١) الدرع (تجريد) ١٥٠٩ .
(٢) القسامة (التجريد) ـ والوردة بالضم الحمرة ـ والقسامة : الحسن ـ أسيل : أملس .
(٣) أسوف: أشم وكانت في الأصل : أسرق، والتصويب عن التجريد .
(٤) التدليل (تجريد) .
(٥) المجسد : الثوب المعصفر .
(٦) المدام (تجريد) .
(٧) مستكره .

قال جامعُ هذا المُختار : سمعتُ بعضَ الفضلاء يحكي على أنه وجد فى الأغانى عن ابن المُذَّل أن زَوْجَتَه كلفته أن يتَرَدَّد إلى يحيى بن أكثم القاضى ، ويستَمْنِحَه ويستعْطِيَه وهَوَّنَتْ عليه ذلك ، فقال لها :

تُكَلِّفُنى إذلال نفسى لغَيْرِها ... وهان عليها أن أُهان لتَكْرُما
تقول سَلِ المعروفَ يحيى بنَ أكثمٍ ... فقلت سَليه ربَّ يحيى بنِ أكثمَا

ومن شعره :

صرفت الوُدَّ فانصرفا ... ولم تَرْعَ الذى سَلَفا
وبِنْتَ فلم أُمُتْ كَمَداً ... عليك ولم تمت أَسَفا
كلانا واجد فى الناس ... ممن مَلَّهُ خَلَفا

كان لبعض وجوه أهل البصرة جارية يقال لها مُتيّم فَعَلِقَها عبدُ الصمد وكانت لا تخرج إلا مُتَحَجِّبةً(١) ، فخرج عبد الصمد يوما إلى نزهة وقَدِمَتْ متيمُ إلى أبى عُبَيْدِ اللهِ بن الحسنِ القاضى ، فاحتاج أن يُشْهِدَ عليها ، فأمرها أن تُسْفِرَ ، فلما قدم عبد الصمد قيل له : لو رأيت مُتَيَّماً وقد أسْفَرَها القاضى لرأيت شيئا حسناً لم يُرَ مثلهُ . قال : فحدثونى كيف كان ؟ قال فحدثوه كيف أتى بها وأسْفَرت وأشْهَدَ عليها، فقال عبد الصمد : لقد جددتم علىّ أحزانا ، وقال :

ولما سَرَتْ عنهـا القِناعَ مُتَيَّمٌ ... تَرَوَّحَ منها العَنْبَرِىُّ مُتَيَّمـا
رأى ابنُ عُبَيْدِ اللهِ وَهْوَ مَحَكَّمٌ ... عليها لها طَرْفاً عليه مُحَكَّماً
وكان قديما كالِحَ الوجهِ عابساً ... فلما رأى منها السفورَ تَبَسَّمَا
فإن يَصْبُ قَلْبُ العَنْبَرِىِّ فَقَبْلَه(٢) ... صبا باليتامَى قلبُ يحيى بنِ أكثما

---

(١) منقبة (ب) .
(٢) فربما (تجريد) .

فبلغ قولُه يحيى بنَ أكثم ، فكتب إليه: عليكَ لعنةُ الله ، أيُّ شيء أردتَه منى، حتى أتانى شعرُك من البصرة ؟ وأين لك هذه الشهادةُ التى قطعتَ علىَّ بها فى شعْرك؟ فقال لرسوله : قل له : مُتَيَّمٌ أقعَدَتْكَ على طريق القافية .

جَمَعَ بين أبى تمّام الطائىِّ وعبدِ الصمد مجلسٌ ، وكان عبدُ الصمد سريعاً فى قولِ الشِّعْرِ ، وفى أبى تمام إبطاء، فأخذ عبدُ الصمد القرطاسَ وكتب فيه :

أنت بين اثنتينِ تَبْرزُ للنـــا   س وكلتاهما(١) بوَجْهٍ مُذالِ
لستَ تَنْفَكُّ طالبـا لوِصـالٍ   من حبيبٍ أو طالبا(٢) لنوالِ
أىُّ ماءٍ لحرِّ وجْهِك يبـقَى   بين ذُلِّ الهوى وذُلِّ السؤالِ

فأخذ أبو تمام القرطاسِ وخلا طويلا وجاء به وقد كتب :

أفِىَّ تَنْظِمُ قـــولَ الزورِ والفَنَدِ   وأنت أنْزَرُ من لا شَىْءَ فى العددِ
أشْرَجْتَ قَلْبَكَ من بُغْضى على حُرَقٍ   كأنها حركاتُ الروح فى الجَسَدِ
أقْدَمْتَ وَيْحَكَ من هَجْوِى على خَطَرٍ   كالعَيْرِ يَقْدُم من خوفٍ على الأَسَدِ

فقال له عبد الصمد : ياعاضّ بَظْرَ أمه ، يا غَثّ ، أخبرنى عن قوْلك :

...   . أنزَرُ من لا شيء فى العَدَدِ

كيف يكون لا شيء فى العَدَدِ ـ وأخبرنى عن قولك : أشرَجتَ قلبَك . قلبى مَفْرَشٌ أو عَيْبَةٌ أو خُرجٌ فأشْرِجه، عليك لعنةُ الله فما رأيت أغثَّ منك ـ فانقطع أبو تمام انقطاعا ما يُرى أقبحُ منه وقام وانصرف وما راجعه بحرف .

(١) بكلتيهما (تجريد) .
(٢) أو راغبا فى (تجريد) .

شرب عليّ بنُ عيسى بن جعفرٍ وهو أميرُ البصرة الدُّهْنَ فدخل عليه عبدُ الصمد بعد خروجه مما شَرِبَه فقال :

بأيْمَنِ طائرٍ وأسَرِّ بالٍ وأعلَى رتبةٍ وأَجَلِّ حالِ
شربتَ الدُّهْنَ ثم خرجتَ عَنْه خروجَ المَشْرَفيِّ من الصِّقالِ
تَكَشَّفَ عنك ما عايَنْتَ منه كما انكشف الغمامُ عن الهلالِ
وقد أهديت رَيْحانا ظريفا به حاجيتُ مُسْتَمعا سُؤالِي
وما هو غيرُ ياءٍ قبل[1] حاءٍ وقد سبقا بميم قَبْلَ دالِ
وريحانُ النبات يَعيشُ يوما وليس يموت ريحانُ المَقالِ
ولم يك مُؤْثِراً تُفّاحَ شَمٍّ على تُفّاحِ أسماعِ الرجالِ

ودخل رجل على أبي المُسْتَهِلّ الاسكافى ، وكان عبد الصمد حاضراً ، فدفع إليه رقعة ، فدفع أبو سهل الورقة إلى عبد الصمد فقرأها ، فإذا فيها :

هذا الرحيلُ فهل فى حاجتى نَظَرٌ أولا فأعْلَمَ ما آتى وما أذَرُ

فقال: أجب عنها. فكتب عبد الصمد :

النفسُ تسخو ولكن يَمْنَع العُسرُ والحرُّ يَعْذُرُ من بالعُسْرِ يَعْتَذِرُ

ثم قال عبد الصمد لأبى سهل هذا الجواب قولًا ، وعليك أعزك اللهُ الجوابُ فِعْلا ونُجْحُ سَعْيِ الآملِ واجبٌ على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائةِ دينار .

كان لأحمدَ بنِ المُعَذّل ابنٌ تَيّاهٌ شديد الذهابِ بنفسه مُبَغَّضٌ عند أهل البصرة، فمر يوما بعَمِّه عبد الصمد فقال :

لو كان يُعْطَى المُنَى الأعمامُ بابن[2] أخٍ أصبحتُ فى جَوْفِ قُرْقُور إلى الصين

(١) فى الأغانى : بعد مكان قبل .
(٢) فى ابن (أغانى ١٣ : ٢٠٧) والقرقور : السفينة .

قد كان هما طويــــلا لا يُقـامُ له لو كان رؤيَتُنـا إياكَ[1] في الحين

فكيف بالصبرِ إذا أصبحتَ أكْثَرَ في مجالِ أعيُنِنا من رَمْلِ يبرين

يا أبغضَ الناس في عُسْرٍ[2] ومَيْسَرةٍ وأقذَرَ الناسِ في دنيــا وفي دِينِ

لو شاء رَبِّي لأضحَى واهباً لأخِي بمُرِّ ثُكْلِكَ أجراً غــيرَ مَمْنونِ

وكان خــيراً له لو كان مــؤتزراً في السالفاتِ عــلى غُرْمول عِنّينِ

وقائلٍ لِيَ : ما أضْنَاكَ ؟ قلتُ له : شخصٌ تَرَى وجْهَه عيــني فيُضْنِيني

إن القلوبَ لتُطْوَى منك يا ابن أخي إذا رأتك على مِثْلِ السكاكين

---

(١) قد كان هم طويل لا ينام له لو ان رؤيتنا ... (أمالي) .

(٢) فقر (أمالي) .

عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَم[1]

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

وأمه ، أم أخيه مروان ، آمنةُ بنتُ صفوان بن أمية بن مُحَرِّق بن شِقّ ابن رقية[2] بن مذحج بن كنانة .

وكنيته عبد الرحمن أبو مُطَرِّف .

شاعر إسلامى متوسط الحال ، فى شعراء زمانه .

وكان يهاجى عبدَ الرحمنِ بنَ حسانِ بن ثابتٍ فيقاوِمُه وينتصفُ كلٌّ واحد منهما من صاحبه .

رئى مروانُ بن الحكم يطوفُ بالبيت وهو يقول : اللهم أَذْهِبْ عنى الشِّعر .

وأخوه عبد الرحمن ، يقول : اللهم إنى أسألك ما استعاذ بك منه . فذهب الشعرُ عن مروان وقاله عبدُ الرحمن .

لما عزَلَ معاويةُ بن أبى سفيان مروانَ بن الحكم عن الحجاز ، ووَلّى سعيدَ ابن العاص قَدِمَ عبدُ الرحمن بن الحكم على معاوية لأن أخاه قال له : إلقَه أمامى وعاتِبْه لى واستَصْلِحْه .

وقيل : بل كان عبدُ الرحمن فى دمشق فلما بلَغَهَ خبرُ أخيه خرج إليه فتَلَقَّاه وقال له : أقِمْ حتى أدخل على الرَّجُلِ ، فإن كان عَزَلك عن مَوْجِدَةٍ دخلتُ إليه منفرداً وإن كان عن غير مَوْجِدة دخلتُ إليه مع الناسِ . فأقام ومضى عبد الرحمن أمامه .

---

(١) أغانى ١٣ : ٢٥٩ والتجريد ١٥١٢ ومهذب ٧ : ٤٣ .

(٢) فى الأغانى : شق بن رقية بن مخدج وفى الأصل ا ، ب : ابن سورقية .

فلما قدم على معاوية دخل إليه وهو يُعَشِّى الناسَ فقال :

أَتَتْكَ العِيسُ تَنفُخُ فى بُراهــا   تَــكَشَّفُ عن مناكِبِها القُطوع
بأبيضَ من أُمية مَضْرَحِىٍّ (١)   كأن جبينَه سيفٌ منيعٌ (٢)

فقال له معاوية: أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ قال : أى ذلك شئتَ . قال : ما أشاء من ذلك شيئا ، وأراد معاوية أن يقطع عَنْ كلامِه الذى عَنَّ له فقال : على أى الظَّهْرِ أتيْتَنا ؟ قال : على فَرَس ، فقال : فما صنعت ... ... فلالة أجش هزيم ... ...

يُعَرِّضُ بقول النجاشى له :

ونَجَّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالة   أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّمَاحُ دَوانى
إذا خِلْتَ أطرافَ الرماح تَنَاله   مَرَتْه به الساقان والقــدمانِ

فغضب معاوية وقال: أما إنه لا يَرْكَبُه صاحِبُه فى الظُّلَمِ إلى الرِّيَبِ ولا هو مِمَّنْ يَتَسَوَّرُ على جاراتِه ولا يتوثبُ على كَنَائِنِه بعد هَجْمَةِ الناسِ .

وكان عبد الرحمن مُتَّهما بذلك فى امرأة أَخيه ، فخجل عبدُ الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ما حمَلَك على عَزْل ابن عمك ؟ ألجناية أوْجَبَتْ سُخْطا ؟ أم لرأى رأيْتَه وتدبير أصْلَحْتَه ؟ قال : بل لرأى رأيْتُه وتدبير أصْلَحْتُه ، قال : فلا بأس بذلك . فخرج فلقى أخاه مروانَ فأخبره بما جرى فاستشاط غيظا . وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ما أضْعَفَك ، عرضْتَ للرجل بما أغْضَبَه حتى إذا انتصف منك أحْجَمْتَ عنه . ثم لَبِسَ حُلَّتَه وتقلد سيفه وركب فَرَسَه ودخل على معاوية ، فقال له حين رَآه وتبينَ الغضبَ فى وجهه : مرحبا بأبى عَبْدِ الملكِ ، لقد زُرْتَنا بعد اشتياق منا إليك ،

---

(١) المضرحى : السيد الكريم .
(٢) صنيع (أغانى) .

فقال : لا والله ما زرْتُك لذلك ولا قَدِمْتُ عليك فألْفَيْتُك إلا عاقًّا قاطعا . والله ما أنصَفْتَنا ولا جَزَيْتَنا جزاءنا. لقد كانت السابقةُ من بنى عبد شمس لآل أبى العاصى والصهْر برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، والخلافةُ فيهم ، فوصَلُوكم يا بنى حَرْب ، وشرفوكم ووَلَّوْكُم فما عَزَلُوكم(١) ولا آثَرُوا عليكم حتى إذا وُلِّيتم وأفضى الأمرُ إليكم أبَيْتُم إلا أثَرةً وسوءَ صنيعةٍ وقُبْحَ قطيعةٍ ، فرويداً رويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين ، وإنما هى أيام قلائل حتى يَكْمُلوا أربعين ، ويعلم امْرُؤٌ أين يكونُ منهم حينئذ ، ثم هُمْ للجزاء بالحُسْنَى والسُّوءى بالمرصاد .

وقيل : قال له معاوية : عَزَلْتُك لثلاثٍ لو لم يكن إلا واحدةٌ منهن لأوْجَبَتْ عزلَك ، إحداهن أنى أمَّرْتُك على عبد الله بن عامر ، وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تَشْتَفِى منه ، والثانية كراهِيَتُك لأمرِ زياد ، والثالثة أن ابْنَتِى رملةَ استعْدَتْك على زوجها عَمرِو بن عثمانَ فلم تُعْدِها ، فقال مروان : أما ابْن عامر فإنى لا أَستَنْصِرُ منه فى سلطانى ولكن إذا تساوت الأقدامُ عَلِمَ أين مَوْقِعُه . وأما كراهتى أمرَ زياد فإن سائرَ بنى أمية كَرِهوه ، ثم جعل الله لنا فى تلك الكراهة خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عَمْرٍو فوالله إنه لتأْتِى عَلَىَّ سنةٌ أو أكثرُ وعيبتى(٢) بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يُعَرِّضُ بأن رَمْلَةَ إنما تَسْتَعْدِى عليه طلباً للنكاح . فقال له معاوية : يا ابن الوَزَغِ ، لستَ هناك. فقال مروان: هو ذاك الآن ، والله إنى لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وقد كاد ولدى أن يُكْمِلُوا العِدَّةَ — يعنى أربعين — ولو قد بلغوها لعلمت أين تَقَعُ منى. فانخزلَ معاويةُ ثم قال :

فإن أكُ فى شِرارِكُمو قليلا ... فإنى فى خيارِكُمو كثيرُ
بغاثُ الطَّيرِ أكثرُها فِراخا ... وأم الصَّقْرِ مقلاتٌ نَزورُ

---

(١) فى الأصل (وعزلوكم) والتصويب عن الأغانى وبه يستقيم المعنى .

(٤) عيبة الرجل: موضع سره . وفى التجريد والأغانى (وعندى).

فلما فرغ مروانُ من كلامه استخذَى معاوية في يده وخضع له وقال: لك العُتبَى وأنا رادُّك إلى عمَلك. فوثب مروانُ وقال: كلا، والله. وعَيْشِك، لا رأيتني عائداً إليه أبداً. وخرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيتُ لك سَقْطةً مِثْلَها قطّ. ما هذا الخضوع لمروان؟ وأىّ شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأىّ شىء تخشاه منهم؟ فقال: ادنُ منى أُخبِرْك بذلك، فدنا منه، فقال له: إن الحكمَ بن أبى العاصى كان أحدَ من وفَدَ معَ أُختى أمّ حبيبة، لما زُفّتْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وهو تولى نقْلَها إليه، فجعل النبىُّ صلى الله عليه وسلم يحُدّ النظر إليه، فلما خرج من عنده قيل له: يا رسولَ الله، لقد حدَّدْتَ النظرَ إلى الحكم فقال: ابن المخزومية؟ ذلك رجُلٌ إذا بلغ ولدُه ثلاثين — أو قال أربعين — ملَكوا الأمرَ بَعْدِي، فوالله لقد تلَقّاها مروانُ من عينٍ صافية. فقال له الأحنف: لا يَسْمَعَنّ هذا منك أحَد، فإنك تَضَع من قَدْرِك وقَدْرِ ولدِك بَعْدَك، وإن يَقْضِ الله عز وجل أمراً يكُنْ. فقال له معاوية: فاكْتُمها علىّ يا أبا بحر إذاً فقد، لعمْرِى، صدَقْتَ ونَصَحْتَ.

كان عبدُ الرحمن بن الحكم عند يزيد بن معاوية، وقد بعثَ إليه عبيدُ الله ابنُ زياد برأسِ الحسين بن على، رضى الله عنهما، فلما وضع بين يدى يزيد فى الطست بكى عبدُ الرحمن ثم قال:

أَبْلِغ أميرَ المؤمنين فلا تكن ... كموترِ أقواسٍ وليس لها نَبلُ
لهَامٌ بجَنْب الطَّفِّ أدْنَى قرابةً ... من ابن زياد الوغدِ ذى الحسب الرذْلِ
سُمَيّةُ أمسى نسلُها عددَ الحصَى ... وبنتُ رسولِ الله ليس لها نَسْلُ

فصاح به يَزيد: اسكت يا ابن الحمقاء، وما أنتَ وهذا.

قال ابن أبى مليكة: رأيت بنى أمية يتتابعون نحو ابن عباسٍ من حِين نفى

ابنُ الزبيرِ بنى أُمية عن الحجازِ ، فذهبت معهم ، وأنا غلام ، فلقينا رجلا خارجا من عنده ، فدخلنا عليه فقال له عُبَيْدُ بن عُمَيْر : مالى أراك تَذْرِفُ عيناك ؟ فقال : إن هذا ، يعنى عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتا أبكانى وهو :

وما كنتُ أخشى أن ترى الذلَّ نِسْوَتِى وعبدُ منافٍ لم تَغُلْها الغوائلُ

فذكرت قرابةً بيننا وبين بنى عمِّنا بنى أُمية ، وأنَّا إنما كنا أهل بيت واحد فى الجاهلية حتى جاء الإسلامُ فدخل الشيطان بيننا أيَّما مَدْخل .

كان عبد الرحمن بن الحكم مُولَعا بجارية لأخيه مروان يقال لها شنباء ، ويَهيمُ بحبها ، فبلغ ذلك مروانَ فنهَرَه وتوَعَّده وتحفظ منه فى أمر الجارية ، وحجبها عنه ، وقال عبد الرحمن فيها :

لَعَمْرُ أبى شَنْباءَ إنى بذِكْرِها وإن شَحَطَتْ دارٌ بها لَحَقيقُ

وإنِّى لها ، لا يَنْزَعِ اللهُ ما لَها لَدَىَّ[1] ، وإن لم تَرْعَهُ ، لصديق

ولما ذَكَرْتُ الوصلَ قالتْ وأعْرَضَتْ متى أنت عن هذا الحديثِ مُفيقُ

لما ادعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم فى ذلك والناس ينسبونها إلى ابن مُفَرِّغٍ وذلك غلط :

ألا أبلِغْ مُعاويةَ بنَ حرب مُغَلْغَلةً من القَرْمِ الهِجانِ[2]

أتغضبُ أن يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زانى

فأشهَدُ أن رَحْمَكَ من زيادٍ كرَحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ

وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سُمَيَّة غيرُ دان

---

(١) على (أغانى) .

(٢) القرم: السيد العظيم — الهجان من كل شىء : خياره وخالصه، ورجل هجان : كريم حسيب .

فبلغ ذلك معاوية فحلف ألا يَرْضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج عبدالرحمنُ إلى زيادٍ فلما دخل عليه قال: إيه ياعبد الرحمن، أنت القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... ...

فقال: لا أيها الأمير ما كذا قلت ولكنى قلت :

ألا مَنْ مُبلِغٌ عنى زياداً مغلغلةً من القَرْمِ[1] الهجانِ
من ابن القَرْمِ قَرْمِ بنى قُصَىٍّ أبى العاصى بن آمنةَ الحصانِ
حلفت بِرَبٍّ مكة والمُصَلَّى وبالتوراة أحلفُ والقُرانِ
لأنت زيادةٌ فى آل حَرْب أَحَبُّ إلىَّ من وُسْطَى بنَانِى
سُرِرْتُ بقُرْبه وفَرِحْت لما أتانى الله منه بالبيانِ
وقلت له أخو ثِقَةٍ وعَمٌّ بعون الله فى هذا الزّمانِ
كذاك أراك والأهواء شَتَّى فما أدرى بغيبٍ ما ترانى

فرضي عنه زياد ، وكتب بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب ، قال: أنشدنى ما قلت لزياد، فأنْشَده فتبسم ثم قال :

قبح الله زياداً ما أجهله والله لما قلتَ له حيث تقول :

لأنت زيادة فى آل حرب ... ...

شرٌّ من القولِ الأولِ ولكنك خَدَعْتَه فجازَتْ خديعتُك عليه .

استعمل معاويةُ بن أبى سفيان الحارثَ بن الحكم بن أبى العاصى على غَزاة البَحْرِ فنكَصَ واستعْفَى فوجَّهَ مكانه ابن أخيه عبدَ الملك بنَ مروانَ وهو يومئذ شاب ، فمضى وأَبْلَى بلاءً حسنا . فقال عبدُ الرحمن بنُ الحكم لأخيه الحارث :

---

(١) الرجل (أغانى) .

شَنَأْتُك إذ أرأيتك حُوتَكِيًّا(١) قريبَ الخُصْيَتين من التُّرابِ
كأنك قَمْلَةٌ لقحت كشافا لبُرْغُوثٍ بيِمْرَةَ أو صُؤابِ(٢)
كفاك الغزوَ إذ أحجمتَ عنه حديثُ السن مُقتبِلُ الشبابِ
فليتكَ حَيْضَةٌ ذهبت ضلالا وليتك عند مُنْقَطَعِ السرابِ

نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى وأنشأ يقول :

أيا عين جودى بدَمْعٍ سَرِبْ على فِتْيَةٍ من خيار العَرَبْ
وما ضَرَّهُم عند حَيْنِ النفوسِ أىُّ أَميرَىْ قريشٍ غَلَبْ

عرض معاويةُ على عبد الرحمن بن الحكم خَيْله فمر به فرسٌ فقال له : كيف تراه ؟ قال : سابح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو عُلالة، ثم مر به آخر فقال : هذا أجشُّ هَزِيم. فقال له معاوية: قد علمتُ ما أردت إنما عَرَّضْتَ بقول النجاشى فىَّ:

ونجى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ أجشُّ هَزِيمٌ والرماحُ دَوانى
سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى سَنْجُ النَّسَا كَسِيدِ الغَضَا باقٍ على النَّسَلانِ

أُخرج عنى ولا تساكِنّى فى بلد ، فتلقى عبدُ الرحمن أخاه مروانَ فشكا إليه معاويةَ فقال له عبدُ الرحمن : حتى متى نُسْتَذَلّ ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عَمَلُك بنفسك فقال :

أَتقطُرُ آفاقُ السماء لنـا دَمًا إذا قلتُ هذا الطِّرْفُ أجردُ سابحُ
فحتى متى لا نَرْفَعُ الطرفَ ذِلَّةً وحتى متى تَعْيَا عليك المنائحُ

فدخل مروانُ على معاوية فقال له : حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبى العاص ؟ أما والله إنك لتَعْلم قول النبى صلى الله عليه وسلم فينا ، ولقل ما بَقِى من الأجل . فضحك معاوية ، وقال : لقد عفوتُ لك عنه يا أبا عبد الملك .

---

(١) الحوتكى: القصير الضاوى (قاموس — حتك) وهى فى الأصل حوبكيا .

(٢) الصؤاب جمع صؤابة وهى بيضة القمل .

ديك الجن[1]

ديكُ الجنِّ لقبٌ غَلَبَ عليه .

وهو عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغْبان[2] ابن زيد بن تميم .

وكان جَـدُّه تميمٌ ممن أنعم الله ، عز وجل ، عليه بالإسلام من أهل مؤتة[3] على يد حَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِيّ .

وكان شديدَ التَّشَعُّبِ والعَصَبِـيَّةِ على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضلٌ ، جَمَعَنا وإياهم وِلادةُ إبراهيمَ ، وأسْلَمْنا كما أسْلَموا ومَنْ قَتَلَ منهم رجلًا قُتِلَ به ، ولم نَجد الله ، عز وجل ، فَضَّلَهم علينا إذ جَمَعَنا الدين .

وهو شاعر مُجيد ، يذهب مَذْهَبَ أبى تمام والشاميين فى شعره .

من شعراء الدولة العباسية ، [وكان من] ساكنى حِمْص ولم يَبْرَحْ نواحى الشام ولا وَفَد على العراق ، ولا على غيره منتجعا بشعره إلى أحد .

وكان ماجنا خليعا ، منعكفا على اللهو والقصف ، متلافا لما وَرِث عن أبيه .

وكان مُتَشَيِّعًا تَشَيُّعًا حسنا ، وله مراثٍ كثيرةٌ فى الحسين ، رضى الله تعالى عنه ، وعدة أشعار فى هذا المعنى .

وكانت له جاريةٌ يهواها فاتَّهَمَها بغلام له فقتلها ، واستنفد شِعْرَه بعـد ذلك فى مراثيها .

---

(١) أغانى ١٤ : ٥١ ـ التجريد ق ٢ ج ١ ـ ١٥٤١ .

(٢) فى الأصل : عنان بن يزيد .

(٣) مؤتة : قرية من أرض البلقاء من الشام وكانت بها غزوة فى جمادى الأولى سنة ثمان . التقى فيها المسلمون بالروم . وكانت كلمة مؤتة فى الأصل (بيته) .

ومن شعره :

أنتِ حديثي في النومِ واليَقَظَه أَتْعَبْتُ مما أَهْذِي بك الحفَظَه

كم واعظٍ فيك لي وواعظةٍ لو كنتُ ممن تنهاه عَنْكِ عِظَه

وكان عبدُ السلام قد اشتهر بجارية نصرانيةٍ ، من أهل حمص هَوِيَها ، وغلبَتْ عليه ، وذَهَبَتْ به ، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ، فأجابته لعلْمِها بِرغبته فيها فأسلمت على يده فتزَوّجها وكان اسمها وَرْداً ففي ذلك يقول :

انظر إلى شمسِ القصورِ وبَدْرِها ولِلَوْنِ حُمرتها[1] وبَهْجَةِ زَهْرِها

لم تَبْكِ[2] عينُك أبيضاً في أَسْوَدٍ جمع الجمال كوجْهِها في شَعْرِها

وَرْدِيَّةُ الوجنات يَخْتَبِرُ اسْمَها من نَعْتِها من لا يُحيطُ بخُبْرِها

وتمايلتْ فضَحِكْتُ من أردافها عَجَباً ولكنى بَكَيْتُ لخصْرِها

تَسْقيك كأسَ مدامةٍ من كفِّها وردية ومُدامة من ثغرِها[3]

وكان قد أعْسَرَ واختلَّت حالُه فرحل إلى سَلَمْية[4] قاصداً لأحمد بنِ على الهاشمى ، فأقام عنده مدة طويلة وحمل ابنَ عَمِّه على بغضِه إياه [بعد مودته وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أنه أذاع على تلك المرأة التى تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاما له ، وقرر ذلك جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه . . .][5] فشاع الخبر حتى انتهى إلى عبد السلام فكتب إلى أحمد بن على شعراً يَسْتأذِنُه فى الرجوع إلى حمص ، ويعلمه ما بَلَغَه من خَبَرِ المرأةِ من قصيدة أوّلُها :

---

(١) وإلى خزاماها (أغانى ١٤ : ٥٥ وتجريد : ١٠٤٢) .

(٢) لم تبل (تجريد) .

(٣) فى الأصل تقديم وتأخير فى وضع أشطر البيتين الأخيرين والتعديل عن التجريد .

(٤) سلمية من أعمال حماه .

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، ونقلناه عن الأغانى لما يقتضيه السياق .

إن رَيْبَ الزمانِ طال انتكاثُه كم رَمَتْنِي بحادثٍ أَحْدَاثُه

[يقول فيها] :

ظَبْيُ إنْسٍ قلبي مَقيلُ ضُحاه وفؤادى بَرِيرُه وكَبَاثُه(١)

[وفيها يقول] :

خيفةً أن يخون عهدى وأن يُضْـ ـحِى لغيرى حُجُوله ورِعاثُه(٢)

ومدح أحمدَ فيها ، فأمره بالرجوع ، فرجع إلى حمص وفر ابنُ عمِّه ، وقت قدومه ، فأرصدَ له قوما يُعْلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه ، خَرَجَ إليه مُسْتَقْبِلًا ومُعَنِّفًا على تمسُّكه بهذه المرأة بعد ما شاع أمرُها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقِها ، وأعلمه أنها أحْدَثَتْ فى مغيبه حادثةً لا يَجْمُلُ [به] معها القيامُ عليها ودَسَّ الرجلَ الذى رماها به ، وقال : إذا قدم عبدُ السلام فقِفْ على بابه ، كأنك لم تعلم بقدومه ، ونادِ باسم وَرْدٍ فإذا قال : من أنت ؟ فقل : أنا فلان ، فلما نزل عبدُ السلام مَنْزِلَه وألقى ثيابَه سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جوابَ من لمْ يَعرف من القصةِ شيئا، فبينا هو فى ذلك إذ قُرِعَ البابُ فقالت : من هذا ؟ فقال : أنا فلان ، فقال لها عبدُ السلام : يازانية زعمتِ أنك لا تعرفين مِنْ هذا شيئا ، واخْتَرَطَ سيفَه وضربَها فقتلَها وقال :

ليتنى لم أكُنْ لعطفِك نِلْتُ وإلى ذلك الوصالِ وَصَلْتُ

فالذى منى اشْتَمَلْتُ عليه العارُ ما قَدْ عليه اشتَمَلْتُ

قال ذو الجهلِ قَدْ حَلُمْتَ ولا أعلم أنى حلُمتُ حتى جَهِلْتُ

---

(١) البرير: من ثمر الأراك ، والكباث ما نضج منه .

(٢) الحجول جمع حجل : وهو الخلخال ـ والرعاث : ما يعلق فى أذن المرأة من القرطة والواحدة رعثة .

لائمٌ لى بجَهْلِه ولماذا أنا وحدى أَحْبَبْتُ ثم قَتَلْتُ
سوف آسى طولَ الحياةِ وأَبكيـ ـكِ على ما فَعَلْتِ لا ما فَعَلْتُ

وقال أيضا فيها :

لك نَفْسٌ مواتيه والمنايا مُعَادِيَه
أيها القلب لا تَعُد لهوَى البيض ثانيه
ليس بَرْقٌ يكون أخـ ـلَبَ مِنْ بَرْقِ غانيه
خُنْتِ سِرِّى ولم أَخُنْـ ـكِ فموُتِى عَلانِيه

ثم بلغ السلطانَ خَبَرُه فطَلَبَه ، فخرج إلى دمشق ، فأقام بها ، وكتب أحمدُ ابن عَلِيٍّ إلى أميرِ دمشقَ يَسْأَلُه أن يُؤَمِّنَه ويحمل عليه بإخوانه حتى يَسْتوهبوه جنايَته ، فقدم حمص ، وبلغه الخبرُ على حقيقته وصِحَّته فندِم ، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ، ولا يطعم من الطعام إلا ما يُمْسِكُ رَمَقَه .

وقال فى ندبه عليها :

ياطَلْعَةً طلع الحِمامُ عليها وجنى لها ثمرَ الردى بيدَيْها
رَوَّيْتُ من دمِها الثرَى ولطالما رَوَّى الهوَى شَفَتَىَّ من شفتيْها
مَكَّنْتُ سيفِى(١) فى مجالِ وشاحِها ومدامعى تَجْرِى على خَدَّيْها
فوحَقِّ نَعْلَيْها فما وطِىء الحَصَى شىءٌ أعزُّ علىَّ من نَعْلَيْها
ما كان مقتلُها(٢) لأنّى لم أكن أبكِى إذا سقط الذبابُ عليها
لكن ضَنَنْتُ على العيون بحُسْنِها وأنِفْتُ من نَظَرِ الحسودِ إليها

وتروى هذه القصيدة لغيره .

---

(١) قد بات سيفى (أغانى) .
(٢) قتلِها (أغانى) .

قيل كان فى غَطَفانَ فَتًى يقال له السُّلَيْكُ بن مجمّع ، وكان من الفُرْسان ، وكان مطلوبا فى سائر القبائل بدماء قَوْمٍ قَتَلَهُم وكان يَهْوَى بنتَ عَمٍّ له ، فكان يَخْطُبُها مُدَّةً ، فيمنعُها أبوها ، ثم زَوَّجَها خوفا منه ، فدخل بها فى دار أبيها ثم نَقَلَها بعد أسبوع إلى عَشيرتِهِ ، فلقيه من فزارة ثلاثون فارسا كلهم يَطْلُبُه بدَمٍ فقاتلهم فقتَل منهم عددا ، وأَثْخَنَ بالجراح آخرين وأُثْخِن هو حتى أيْقَن بالموت ، فعاد إليها فقال : ما أَسْمَح بكِ نَفْساً لهؤلاء ، وإنى أُحِبُّ أن أُقَدِّمَك قَبْلى . قالت : افعلْ ، ولو لم تَفْعَلْه لفَعَلْتُه أنا بَعْدَكَ . فضربها بسيفه حتى قَتَلها وقال :

يا طلعة [طلع] الحمام عليها … … … الأبيات

ثم نَزَلَ إليها وتَمَرَّغ بدمها ، وتخضب به ، ثم تَقَدَّم فقاتل حتى قُتِلَ . وبلَغ قَوْمَه خبرُه فحملوه وابنةَ عَمِّه ودفنوهما وحَفِظَتْ فزارةُ عليه الأبياتَ فنقَلوها ، وقيل : إن قَوْمَه أدركوه وبه رَمَق فسمعوه يُرَدِّد الأبياتَ فحفظوها ، وبقى عندهم يوما ومات .

وقال ديك الجن فى هذه المقتولة :

أشفقْتُ أن يَرِدَ الزمانُ بِغَدْرِه … أو أُبْتَلَى بعد الوِصال بهَجْرِهِ
قمر أنا استَخْرَجْتُهُ من دُجْنِه … لبَلِيَّتِى وجَلَوْتُه من خِدْرِهِ
فقَتَلْتُهُ وبه علىَّ كرامةٌ … مِلْءُ الحشا ، وله الفؤادُ بأَسْرِه
عهدى به مَيْتًا كأحسنِ نائمٍ … والحزنُ يَسْفَحُ[1] عَبْرَتِى فى نَحْرِه
لو كان يَدْرِى الميتُ ماذا بَعْدَه … بالحىِّ[2] كان بكَى له فى قَبْرِه
غُصَصٌ تكاد تغيظ منها نَفْسُه … ويكادُ يخرج قلبُه من صَدْرِهِ

---

(١) يسفح دمعتى (أغانى) .
(٢) بالحى حل (أغانى) .

كان ديك الجن يَهوَى غلاما من أهل حمص يقال له بكر بن رُهم(١) ، وكان شديدَ التمنُّعِ والصَّوْنِ ، فاحتال عليه قوم من أهل حمص فأخرجوه إلى منتزه لهم يعرف بميماسَ فأسكَروه وفسَقُوا به جميعا ، وبلغ ذلك ديكَ الجنّ فقال فيه :

قـل لهضيم الـكَشحِ ميَّاسِ أُنتقِضَ العهدُ من الناسِ
ياطاقةَ(٢) الآسِ التى لم تعـد إلا أَذَلَّتْ قُضُبَ الآس
وَثِقْتَ بالكاسِ وشُرَّابِها وحَتْفُ أمثالِك فى الكاس
وَرَدْتَ(٣) ميماساً ويا بُعْدَ ما بَيْنَ مُغيثيك وميماس
تُقَطِّعُ أنفاسَك فى إثرهم ومُلْكُهُم قَطَّع أنفاسى
لا بأس مولاى على أنَّها نِهايةُ المكروهِ والباسِ
بَيْنا أنافَتْ وعَلَتْ بالفَتَى إذ قيل حَطَّتْه على الراس
فالهُ ودَعْ عنـك أحاديثَهم سيصبح الذاكرُ كالنَّاسِى

وقال فيه وقد جلسا يتحادثان حتى غاب القمر :

دَعِ البَدْرَ فليَغْرُبْ فأنت لنا بَدْرُ إذا ما تَجَلَّى من محاسنك الفَجْرُ
إذا ما انْقضَى سِحرُ الذين ببابلٍ فطَرْفُك لى سِحرٌ وريقُك لى خَمْرُ
ولو قيل لى قُمْ فادْعُ أحسنَ من ترى
لصِحْتُ بأعْلَى [الصوت] يا بَكْرُ يا بَكْرُ

وقال فيه أيضاً :

يا بَدْرُ ما فعلت بك الأرطال(٤) يا دارُ ما فَعَلَتْ بك الأيامُ

---

(١) فى الأغانى والتجريد : بكر بن دهمرد .
(٢) يا طلعة (أغانى) .
(٣) وحال ميماس (أغانى) .
(٤) فى الأصل (الأبطال) والتصويب عن الأغانى، ويريد بها أرطال الخمر .

فى الدارِ بَعْدُ بقيــة نستامهـا ... إذ ليس فيك بقيــةٌ تُسْتام
عَرِمَ الزمانُ على الديارِ برَغْمِهِمْ ... وعليـك أيضا للزمانِ عُرام
شغل الظلام كراك عن ديوانهم(١) ... وتفرغت لدواتك الأقــلام

وقال فيه أيضاً :

قولا لبكرِ بن دَهْمَرْد(٢) إذا اعتكرت ... عساكرُ الليلِ بين الطاسِ والجامِ
أَلمْ أَقُلْ لك إن البَغْىَ مَصْرَعَةٌ(٣) ... والبَغْىُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقــوام
قدْ كُنْتَ تَنْفِرُ(٤) من سَهْمٍ بغانية ... فصِرْتَ غير ذَميمٍ جَعْبة الرامى
وكنت تَفْزَعُ من لَمْسٍ ومن قُبَلٍ ... فقد ذَلَلْتَ لإسراجٍ وإلجــامِ
وإن تَدُمْ فَخُذَاك من رَكْضٍ فرُبَّتَما ... أُمْسِى فؤادى عليلٌ موجعٌ دامى(٥)

وقال يُعَزِّى جعفرَ بن عَلِيٍّ الهاشمِىَّ من قصيدة :

نَغْفُلُ والأيامُ لا تَغْفُلُ ... ولا لنا من زَمَنٍ مَوْئِلُ
إذا عفا عنك وأَوْدَى بنا ... ذا الدهرُ فهْوَ المُحْسن المُجْمِلُ

ثم مات جعفرُ بن عَلِيٍّ فقال يرثيه :

على هــذه كانت تدورُ النوائبُ ... وفى كل جَمْع للذهابِ مَـذاهِبُ
ألا أيُّها الركبــانُ والردُّ واجبٌ ... قفوا خَبِّرونا ما تقول النَوادِبُ
إلى أى فتيانِ الندى قَصَدَ الرَّدَى ... وأَيّهمُ نابَتْ حِمـاهُ النوائبُ

---

(١) فى ديوانه (أغانى) .
(٢) فى الأصل : رهم والتصويب عن الأغانى .
(٣) مهلكة (تجريد) .
(٤) تفرق (تجريد) .
(٥) أمسى عليك وقلبى الموجم الدامى (أعانى ـ تجريد) .

فيا قَبْرَه جُد كلَّ يومٍ بجودِه ... ففيك سماءٌ ثَرَّةٌ وسحائبُ
فإنك لو تَدْرِى بما فيك من عُلًا ... عَلَوْتَ فباتَتْ فى ذُراك الكواكبُ
أأسعى لأحظى فيه بالأجر إنه ... لَسَعْىٌ إذنْ مِنّى إلى اللهِ خائبُ
وما الإثمُ إلا الصَّبْرُ عنك وإنما ... عواقبُ حَمْدٍ أن تَدومَ العواقبُ
يقولون مِقْدارٌ على المرء واجبٌ ... فقلتُ وإعْوالٌ على المَرْء واجِبُ
تَرَشَّفْتُ أيامى وهُنَّ كوالحٌ ... إليك وغالَبْتُ الرَّدَى وهو غالبُ
فدافعتُ فى صَدْرِ الزمانِ ونَحْرِه ... وأىَّ يَدٍ لى والزمانُ محاربُ
لو أن يدى كانت شفاءك أو دمى ... دمَ القلب حتى ينصبَ القلب ناصب[1]
لسلمت تسليم الرضا وتَخِذْتُها ... يداً للرَّدَى ما حَجَّ لِلّهِ راكبُ
فتى كان مثلَ السَّيْفِ من حيث جِئْتَه ... لنائبةٍ نابَتْك فهو مُضَارِبُ
بكاكَ أخٌ لم تَحْوِه بَقرابةٍ ... بَلَى إن إخوان الصفاء أقاربُ
فَتًى هَمُّه حَمْدٌ على الدهرِ رابحٌ ... وإن غابَ عنه ماله فهو عازب
نزلنا على حكم الزمان وأمْرِه ... وهل يقبل النَّصفَ الألَدُّ المُشاغِبُ
شمائل إن يشهد فهن مَشاهِدٌ ... عظام وإن يرحَلْ فهن كتائب
وتَضحكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ... ويرضَى الفتَى عن دَهْرِه وهو عاتب
وأظلمت [الدنيا][2] التى كنتَ جارَها ... كأنك للدنيا أخٌ ومناسِبُ
يُبَرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنّنى ... أرى زمَنًا لم تَبق فيه مَصائبُ

---

(١) يقضب القلب قاضب (أغانى) .

(٢) مابين القوسين عن الأغانى .

كان خطيب حمص يُصَلِّى عـــلى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثَ مراتٍ فى خُطْبَتِه ، وأهل حمص كلُّهم من اليَمَن [لم يكن فيهم من مضر][1] إلا ثلاثة أبيات فتعصبوا على الخطيب وعزلوه فقال فيهم ديك الجن :

سَمِعُوا الصلاةَ على النَّبِىّ تَوالَى ⁂ فتفَرَّقوا شِيَعًا وقالوا لَا لَا

ثم استمر عـــلى الصلاةِ إمامُهم ⁂ فتَحَزَّبوا ورَمَى الرجالُ رِجالا

شاهَتْ وجوهكمُ وُجُوهٌ طالمــا ⁂ رَغِمَتْ معاطِسُها وساءت حالا

(١) ما بين القوسين من الأغانى .

عليّ بن الخليل[1]

مولًى لمعن بن زائدة الشيباني .

كوفيٌّ كنيته أبو الحسن .

كان يعاشر صالحَ بن عبد القدوس ، ولا يفارقه فاتُّهِم بالزندقة وأخذ مع صالح ثم أُطلق لما انكشف أمره .

لما جلس الرشيد بالرّافِقَة[2] للمظالم ، دخل عليه علي بن الخليل وهو مُتوَكِّئٌ على عصا وعليه ثياب نِظافٌ ، وهو جميلُ الوجهِ والثياب وفي يده قِصَّةٌ فلما رآه أمر بأخذ قصته . فقال : يا أمير المؤمنين أنا أحْسَنُ عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت ، فقال : اقرأْها ، فاندَفع يُنْشد ما فيها من الأبيات :

إنِّي لجأتُ إليك من رَهَبٍ ... قد كان شرّدَني ومن لَبْس
واخترتُ حكمك لا أجاوِزُه ... حتى أُوَسَّد في ثرَى رَمْسِي
كم قد قَطَعْت إليــك مُدَّرِعا ... ليــلاً بَهِيمَ اللونِ كالنِّقْسِ
إن هاجــني من هاجِسٍ جَزَعٌ ... كان التَّوَكُّلُ عنده تُرْسِي
ما ذاك إلا أنَّنِي رَجُلٌ ... أصْبُو إلى بَقَرٍ من الإنْسِ
بقرٍ أوانسَ لا قرونَ لها ... نُجْلِ العيون نواعمٍ لُمْسِ
رَدْعُ العبير عــلى ترائِبهــا ... يُقْبِلن بالتقبيلِ[3] والخَلْس
وتشاهد الفتيانَ بينهمو ... صَفْراء عند المَزْجِ كالوَرْسِ

---

(١) أغاني ١٤ : ١٧٤ .

(٢) الرافقة بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات (مراصد) وكانت في الأصل: بالرافعة . (٣) الترحيب (أغاني) .

للماء فى حافاتها حَبَبٌ نَظْمٌ كرَقْمِ صحائفِ الفُرْسِ
والله يَعْلَمُ فى بَقِيَّتِه ما إن أَضَعْتُ فَرائضَ[1] الخَمْسِ
يا خيرَ من وَخَدَتْ بأرحُلِه نُجُبٌ تَخُبُّ بمَهْمَهٍ جَلْسِ
تَطْوِى السباسِبَ فى أزِمَّتها طَىَّ التجارِ عمائمَ البِرْسِ[2]
لما رأتك الشمسُ إذ طَلَعَتْ كَسَفَتْ بوجهكَ طَلْعَةَ الشمْسِ
خيرُ البرية أنتَ كلُّهمُ فى يومك الغادِى وفى أَمْسِ
لله ما هارونُ مِن مَلِك برٌّ السريرةِ طاهرِ النَّفْسِ
ملك عليه لرَبِّه نِعَمٌ تزدادُ جِدَّتُها على اللُّبْسِ
تحكى خلافتَه ببَهْجَتها أَنَقَ السرور صَبيحةَ العُرْسِ
من عِتْرَةٍ طابت أَرومَتُها أهلُ العفافِ ومُنْتهى القُدْسِ
نُطُقٌ إذا احتُضِرَتْ مجالِسُهم وعن السفاهةِ والخَنا خُرْسِ

فأطلقه الرشيد وقتلَ صالحَ بن عبد القدوس واحتج عليه فى أنه لا تُقْبَلُ له توبةٌ بقوله :

والشيخ لا يَتْرُكُ أخلاقَه حتى يُوارَى فى ثرى رَمْسِه

وقال : إنما زعمت أنك لا تترك الزندقة ولا تَحُولُ عنها أبداً .

وقال محمدُ بن الجَهْم الرَّمْلى : قال لى المأمون يوما : أنْشِدْنى بيتا جيدا فى المديح فاخِراً عربيا مُحْدَث حتى أُوَلِّيك كورةً تختارُها قال قلت : قولُ عَلِى بن الخليل :

فَمعَ السماء فروعُ نَبْعَتِهِمْ ومع الحضيضِ منابتُ الغَرْسِ
مُتَهَلِّلِينَ على أَسِرَّتِهِمْ ولدى الهياج مَصَاعِبُ الشُّمْسِ[3]

---

(١) إقامة (الأغانى).

(٢) البرس بالكسر والضم : القطن أو شبيه به .

(٣) الشمس (جمع شموس) من الرجال : الصعب الخلق .

فقال : أحسنتَ ولَّيْتُك الدِّينور ، فأنشِدْنى بيت هجاء على هذه الصفة ، حتى أوليك كورة أُخرى فأنشدته :

قَبُحَتْ مناظِرُهم فحين خَبَرْتُهم حَسُنَتْ مناظِرُهم لقُبْح المَخْبَرِ

قال : أحسنتَ ولَّيْتُـك هَمَذَان . فأنشِدْنِى مَرْثِيةً حتى أُوَلِّيك كورةً أُخرى فأنشدته :

أرادوا ليُخْفوا قَبْرَه عن عَدُوِّه فطِيبُ تُرابِ القَـبْرِ دَلَّ على القَـبْرِ

قال: أحسنت وليتك نَهاوَنْد ، فأنشِدْنى بيتا من الغَزَلَ ، على هذا النَّمَط ، حتّى أُوليك كورة أُخرى ، فأنشدته :

تَعالَ نُجَدِّدْ دارسَ العَهْدِ بيننا كلانا على طولِ الجفاءِ مَـلومُ

فقال : أحسَنْتَ قد جعلت الخِيارَ إليك ، فاخترتُ السُّوسَ من كُوَرِ الأَهوازِ فولانى ذلك أجْمَع ووجهتُ إلى السُّوسِ بعضَ أهلى .

نزل أبو دُلامة بِدِهْقانٍ يقال له أبو بِشْرٍ فسقاه شرابا أعْجَبَه فقال :

سقانى أبو بِشْرٍ من الراحِ شَرْبَةً لها لَذَّةٌ ما ذُقْتُهـا بشَرابِ

وما طَبَخوها غـير أن غُلامَهم سعى فى نواحى كَرْمِها بِشِهابِ

فأُنشِدَ عَلِىّ بن الخليل هذين البيتين ، فقال : أحْرَقَه العبدُ أحْرَقَه الله تعالى .

ولد ليَزِيدَ بن مَزْيَدَ ابنٌ ، فوافاه علىُّ بن الخليل ، فقال : اسْمَعْ منى أيها الأميرُ تهنئةً بالفارسِ الوارِدِ فتبسم وقال : هات ، فأنشده :

يزيد يا ابن الغُرِّ(١) من وائلٍ أهلِ الرياساتِ وأهلِ المَعالْ

يـا خيرَ من أَنْجَبَه والدٌ ليَهْنِـك الفارسُ ليثُ النِّزالْ

جاءتْ به غــراء ميمــونةٌ والسعْدُ يبدو فى طُلوع الهِلالْ

---

(١) الصيد (أغانى) ١٤ : ١٨٠ .

عليه من مَعْنٍ ومن وائلٍ   سِيما تباشـــير وسِيما جَلالْ
فالله يُبقيه لنا سَيِّدا   مُدافعاً عنّا صروفَ الليـــالْ
حتى نراهُ قد علا مِنْبَرا   وفاض فى سؤاله بالنَّوالْ
وسَدَّ ثغراً فـكفى شَرَّه   وقارعَ الأبطالَ تحْتَ العوالْ
كما كفانا[1] ذاك آباؤه   فيَحْتَذِى أفعالَهم عن مِثالْ

فأمَرَ له عن كلِّ بيتٍ بألف درهم .

دخل عَلِيُّ بن الخليل على المَهْدِىِّ فقال له : يا علىُّ ، أنت على معاقَرَتِك الخمرَ وشرْبِك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين. قال : كيف ذلك ؟ قال: تُبْتُ منها . قال: فأين قولُك فيها :

أولِعَتْ نَفْسِى بلَذَّتِهـا   ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك :

إذا ما كنتَ شاربَهـــا قَسرًا   ودع قول العـواذلِ واللواحى

قال : هذا شىء قلتُه فى شبابى يا أمير المؤمنين ، وأنا القائلُ بعد ذلك:

على اللذاتِ والراحِ السلامُ   تَقَضَّى العهدُ وانقطع النِّدامُ
مضى عَهْدُ الصِّبا وخَرَجْتُ عنه   كما من غِمْدِه خرج الحُســامُ
وَقَرْتُ[2] على المشيبِ فليس منِّى   وِصالُ الغانيـات ولا المُدَامُ
ووَلَّى اللهوُ والقَيْنـــاتُ عَنِّى   كما ولى عن الصُّبْـحِ الظلامُ
حلبت الدهرَ أشْطُرَه فعندى   لصَرْفِ الدَّهرِ محمـودٌ وَذامُ

---

(١) فى الأصل (كفتنا) وما أثبتناه عن الأغانى .
(٢) وقر على وزن كرم ووعد : رزن .

دخل عليٌّ بن الخليل ذاتَ يومٍ على زائدةَ بن مَعْنٍ فحادثه وناشده ، ثم قال له زائدةُ: هل لك فى الطعام ؟ قال : إذا نَشِطَ الأميرُ، فأُتِيا بالطعامِ فأكلا ، ثم قال : هل لك فى الشراب ؟ فقال : إن سقيتنى [ما أريد شربت][1] وإن سقيتنى من شرابك فلا حاجة لى فيه . فضحك ثم قال : قد عرفتُ الذى تريد ، وأنا أسقيكَ منه فأُتى بشراب عتيق ، فلما شَربَ منه ، وطابت نَفْسُه أنشأ يقول :

يا صاحِ قد أنْعَمْتَ إصباحى ... فبادر[2] السلسالَ بالراحِ
قد دارَتِ الكأسُ بِرَقْراقةٍ ... حياةُ أبدانٍ وأرواحِ
تَجْرى على أغيدَ ذى رَوْنَق ... مُهَذَّبِ الأخلاقِ جَحْجَاحِ
ليس بفحَّاشٍ على صاحبٍ ... ولا على الراحِ بِفضَّاحِ
تَسُرُّه الراحُ إذا أقبلَتْ ... بريح أُتْرُجٍّ وتُفَّاحِ
يسعى بها أزْهَرُ فى قرْطَقٍ ... مُقَلَّدِ الجيدِ بأوْضاحِ
كأنها الزَّهْرَةُ فى كَفِّهِ ... أو شُعْلَةٌ أو ضوءُ مِصْباحِ

كان لعلىِّ بن الخليلِ صديقٌ من الدَّهاقين يُعاشِره ، فغاب عنه غيبةً طويلة ، وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا فدَفَنَه ، وقَوِيتْ حاله وادَّعى أنه من بنى تَميم ، فجاءه علىٌّ بن الخليل فلم يَأْذَنْ له ولَقِيَه فقال يهجوه :

فرشتُ له قريحَ المِسْـ ... ـكِ والنِّسرينَ والغَرَبا
فأمْسَكَ أنفَه عنها ... وقام مُوَلِّياً هَرَبا
يَشُمُّ الشيحَ والقَيْصو ... مَ كى يَسْتَوجِبَ النَّسَبا
وقام إليه ساقينا ... بكأسٍ تَنْظِمُ الحَبَبا

---

(١) الزيادة عن الأغانى ١٤ : ١٨٠ .

(٢) فى الأغانى : ببارد .

مُمَتَّقةٍ مُرَقْرَقةٍ(١) تُسَلِّى هَمَّ من شَرِبا
فآلى لا يُسَلْسِلُهـــا وقال أصبب لنــا حَلَبا
وقد أبْصَرْتُه دَهْراً طويــــلا يَشْتَهى الأدَبا
يروحُ بنِسْبَة المولى ويُصْبِــحُ يَدَّعِى العَرَبا
فلا هـــذا ولا هـــذا ك يَدْرِكُه إذا طَلَبـــا
أتينـــاهُ بشَبُّوطٍ(٢) يرى فى ظَهْرِه حَـدَبا
فقالَ أما لِخلِّك(٣) فى طَعامٍ يُذْهِبُ السَّغَبا
فصِدْ لأخيك يَرْبُوعاً وضَبّا واتْرُكِ اللَّعِبا
فصار تَشَبُّهَا بالقَوْ مِ جِلْفاً جافياً جَشِبا(٤)
إذا ذُكِرَ البَرِيرُ(٥) بَكَى وأبْدَى الشوقَ والطربا
وليس ضَميرُه فى القو م إلا التِّينَ والعِنبا
جَحَدْتَ أباك نسْبَتَه وأرجو أن تُفيدَ أبا
أترغبُ عن بنى كِسْرَى وما عن مِثْلِهم رَغِبا

كان على بن الخليل جالسا مع ولد المنصورِ وكان الفتى يَهْوَى جاريةً لعتبةَ مولاةِ المهدى ، فمرَّت عتبةُ فى مولاتها ، والجاريةُ معها فوقَفَتْ وسَلَّمَتْ وسأَلَتْ عن خبره، فلم يُوَفِّها حقَّ الجوابِ لشغله(٦) بالجارية فلما انصرف أنشده على بن الخليل :

---

(١) مروقة (أغانى) .
(٢) الشبوط : سمك نهرى صغير الرأس عريض الوسط .
(٣) أما لبخلك من (أغانى) .
(٤) الجشب : الخشن الغليظ .
(٥) فى الأصل (الزبير) والتصويب عن الأغانى ، والبرير: ثمر الأراك .
(٦) لشغل قلبه (تجريد) .

راقِبْ بطَرْفِك من تَخا ... فُ إذا نظرت إلى الخليلِ
فإذا أَمِنْتَ مخاوفاً(١) ... فعَلَيْك بالنَّظَر الجميلِ
إن العيونَ تدلُّ بالنَّ ... ظَـر المليح على الدخيل
إمّا على حب شـديـ ... ـد أو على بُغْضٍ أصيل

كتب والبةُ بنُ الحُباب يوما إلى على بن الخليل يَسْتدعيه ويسأله ألا يَشْتَغِل بالهاشمى يوْمَه ذلك ويَصِفُ له مَجْلِسَه وغلاما دعاه وغناه عنده فكتب إليه على بن الخليل من أبيات :

أما ولحاظُ جارية ... تذيب حُشَاشَةَ المُهَجِ
وسِحْرِ جفونِها المضْنِيـ ... ـك بين الفَتْرِ والدَّعَجِ
مَليحةُ كلِّ شىءٍ ما ... خلا من خُلْقِها السَّمِجِ
وحُرْمَةِ دَنِّك المبزو ... لِ والصهباء منه تَجى
كأن مجيئَها فى الكأ ... سِ حين تُصَبّ من وَدَجِ
لو انعَرَجَ الأنامُ إلى ... بَشاشةِ مَجْلِسٍ بَهِجِ
وكنت بجانبٍ جَدْبٍ ... لكان إليك مُنْعَرِجى

وصار إليه فى أَثَرِ الرُّقْعَة .

---

(١) لحاظهم (أغانى — تجريد).

أبو الشِّبْل عِصْمةُ بن وَهْب البُرْجُمِيّ[1]

هو عصمة[2] بن وهب من البراجم .

وَلِد بالكوفة ، وتأدب بالبصرة .

وقدم إلى سُرّ من رأى أيامَ المتوكل ومَدَحه .

وكان طَبًّا نادراً [كثير الغزل][3] ماجنا ، فنفق على[4] المتوكل بإيثاره العبث وحَدَّثَه[5] وخُصَّ به فأثرى وأفاد .

ولما مدحه بقوله :

أَقْبِلِى فالخيرُ مُقْبلْ واتركى قَوْلَ المُعَلِّلْ

وثقى بالنُّجْحِ إذ أَبْـ ـصَرْتِ وَجْه المُتَوَكِّلْ

مَلِكٌ يُنْصِفُ ياظا لِمتى منك ويَعْدِلْ

فهو الغايةُ والمأ مول يرجوه المُؤَمِّلْ

أمرَ له لكُلِّ بيتٍ بألفِ دِرهم ، وكانت ثلاثين بيتا ،فانصرف بثلاثين ألف درهم.

مدح أبو الشِّبْل البرجُميُّ مالكَ بن طَوْق بمَدْح عجيب ، فبعث إليه بصُرَّةٍ مختومةٍ فيها مائةُ دينار ، فظنها دراهم فردها وكتَب معها :

---

(١) أغانى ١٤ : ١٩٣ . والبرجمى : نسبة إلى البراجم وهى قبيلة من تميم وهو لقب لخمسة بطون : عمرو ، والظليم وقيس وكلفة وغالب بنو حنظلة بن مالك (اللباب) .

(٢) عاصم (أغانى) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) عند .

(٥) وخدمه

فلَيْتَ الذى جادت [به] كَفُّ مالكٍ   ومالكُ مدسوسان فى اسْتِ أمٍّ مالكِ
وكانا إلى يوم القيامـةِ فى استِها   فأيْسَرُ مفقودٍ وأهـونُ هالكِ

وكان [مالك][1] يومئذ أميراً على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأُحضر فقال له : يا هذا ظَلَمْتَنا واعتديتَ علينا . فقال : قدَّرْتُ عندك ألفَ درهم ، فوصلْتَنِى بمائةِ درهمٍ فقال : افتحها ففتَحَها فإذا هى مائةُ دينار . فقال : أقلنى أيها الأمير . فقال : قد أقَلْتُكَ ولك كلُّ ما تُحِبّ أبدا ما بقيتُ وقَصَدْتَنِى .

وقال أبو الشِّبل البُرْجُمِىّ : كان فى جيرانى طبيبٌ أحمقُ فمات فرَثَيْتُه فقلت :

قد بَكاهُ بَوْلُ المريضِ بدَمْعٍ   واكِفٍ فَوْقَ مُقْلَتَيْه ذَروفِ
ثم شَقَّتْ جُيوبَهُنَّ القواري   رُ عليه ونُحْنَ نَوْحَ اللَّهيفَ
يا كسادَ الخيـارِ شَنْبَرَ والأقـ   ـراصِ طُرًّا ويا كسادَ السَّفُوفِ
كيف تَمْشِى مع القُوى فإن جا   ءَ ضعيفٌ لم تَكْتَرِثْ بضعيفِ
لهف نَفْسِى على صنوفٍ رَقاعا   تٍ تَوَلَّتْ منه وعقلٍ سخيفِ

قال أبو الشِّبل : لما عَرَضَ لى الشِّعْرُ أتيتُ جاراً لى نحويا ، وأنا حديثُ السِّنِّ ، أظنه المازنىّ فقلت له : إن رجلا لم يكن من أهل الرواية وقد جاش صدره بشىء من الشعر ، فكره أن يظهره حتى تسمعه ، قال : هاتِه وكنتُ قلتُ شعراً ليس بالجيد ، إنما هو قولُ مبتدِئ فأنشدته إياه . فقال : من العاضُّ بَظْرَ أُمِّه القائلُ هذا ؟ فقمت خَجِلا ، وقلت له : أعَضَّك اللهُ بِبَظْرِ أُمِّك .

كان أبو الشِّبل إذا حضَر مكانا أضحك الثواكل بنوادره ، قال ابن المَرْزُبان : فرأيته يوما عند أبى ، وقد قال له : حَدِّثْنا ببعض نوادرك . قال : نعم زَنَى ابْنى بجاريةٍ سِندية لبَعْض جيرانى ، فحَبِلَتْ وولدت : وكانت قيمةُ الجارية عشرين

---

(١) أغانى ١٣ : ٢٣ .

ديناراً[١] فقال لي: يا أَبتِ ، الصبيُّ ابني ، فساومت به ، فقيل لي: خمسون ديناراً ، فقلت له : ويحك كنتَ أخبرتني الخبرَ وهي حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً ، ونربح الفضل بين الثمنين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريتُه بما أرادوا ، ثم أحْبلها ثانيةً فولدت ابنا آخر فجاء يسألني أن أبتاعه . فقلت له : عليك لعنة الله ، أي شيء حَمَلَك على أن تُحْبِل هذه ؟ ألا عَزَلْتَ عنها ؟ فقال : لا أستحل العَزْلَ وأقبل عَلَى جماعةٍ يُعَجِّبهم مني ويقول : أبي شيخٌ كبيرٌ يأمرني بالعَزْل . ويستحِلُّه ، فقلت له : يا ابن الزانية تستحلُ الزنى وتتحَرّج من العَزْل . فضحكنا منه . وقلنا له: زدنا فقال :

دخلت أنا ومحمودٌ الوراقُ إلى حانة يهوديٍّ خمّارٍ فقلت له أريد بنتَ عشرٍ قد أنضجها الهَجير فأخرج لنا شيئا عَجيبا فابتعْنا منه وشربنا . فقلت له : اشْرَبْ معنا ، فقال : لا أستحل شربَ الخمر . فقال لي محمودُ : ويلك ! ! رأيتَ أعجبَ مما نحن فيه ؟ يهوديٌّ يتحرّجُ من شرب الخمرِ ، ونحن نشربها ونحن مسلمون ، فقلت : أجل ، والله لا نُفْلِح أبداً ، ولا يعبأ الله بنا . ثم سَكِرْنا وقمنا في الليل ، فنِكْنا بِنْته وامرأته وأُخته وسرَقْنا ثيابَه وخَرِيْنا في مغاراتِ نبيذٍ له وانصرفنا .

قال أبو الشِّبْل البُرْجُميّ : حضرت مجلسَ عُبيدِ اللهِ بن يحيى بن خاقان وكان إليَّ مُحْسِناً وعليَّ متفضلا ، فجرى ذكر البرامكةِ ووَصَفَهم الناسُ بالجود وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا ، فقمت في وسط المجلس فقلت لعبيد الله : أيها الوزيرُ قد حَكَمْتُ في هذا الخطْب حُكْماً نظمتهُ في شعر لا يقدرُ أحدٌ أن يَرُدَّه عَلَيَّ ، وإنما جملتُه شعراً ليُدَوَّن ويبقى فيأذن الوزيرُ في إنشاده فقال : قل ، فقلت :

رأيتُ عُبيدَ اللهِ أكبرَ سُؤْدداً ... وأكرمَ من فَضْلِ بن يحيى وخالدِ
أولئك جادوا والزمانُ مساعِدٌ ... وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مساعدِ

(١) في الأصل : درهما والتصويب عن الأغاني والسياق يؤكده .

فتهلل وجه عبيد الله ، وظهر السرور فيه ، وقال : أفرطْتَ يا أبا الشِّبْل ولاهذا كله . فقلت : والله ما حابيتُك أيها الوزير ، ولا قلت إلّا حقا، وا تَّبَعَنِي القومُ في تقريظه فما خرجتُ من مجلسه إلا وعليّ الخِلَعُ وتحتي دابةٌ بسرجها ولجامها ، وبين يدي خمسة آلاف درهم .

كان أبو الشبل بعث بقَيْنَةٍ كانت لهشام النَّحْويِّ الضرير تُدْعى خَنساء ، وكانت تقول الشعر : فعبَثَ بها يوما فأَفْرَطَ فأغْضَبَها فقالت له : ليت شعري بأي شيء تُدِلُّ أنت؟أنا أشعرُ منك ، ولئن شئت لأهْجُوَنَّك حتى أفضَحَك فأقبل عليها وقال :

خنساء قد أفْرَطَتْ علينا ... ولَيْس منها لنا مُجير
تاهت بأشعارها علينا ... كأنها ناكها جَريرُ

فخجِلَتْ حتى بان ذلك عليها ، وأمسَكَتْ عن جوابه .

ومن شعر أبي الشِّبلِ البُرْجُمِيّ :

عذيرِيَ من جَوارِي الحَـيِّ إذ يَزْهَدْن في وَصْلِي[1]
رأيْنَ الشيبَ قـد ألْبَـ ... ـسنِي أُبَّهَـةَ الـكَهْل
فأعْرَضْنَ وقـد كُـنّ ... إذا قيـل أبو الشِّبْلِ
تسارعن ... وقُلْنَ لَقَدْ وافى أبو الشِّبْلِ[2]

سرقه من قول العتبي[3] :

رأيْنَ الغـواني الشيبَ لاح بمفرقي ... فأعرضْنَ عني بالخُدودِ النواضرِ
وكنَّ إذا أبْصَرْنني أو سمعن بي ... أتين[4] فرَقَّعْن الـكُوَى بالمحاجر

(١) يرغبن عن وصلي (أغاني) ١٤ : ٢٠٠ .
(٢) تساعين فرقعن الـكوى بالأعين النجل (أغاني) .
(٣) في الأصل من الضبي، والمنقول عن الأغاني .
(٤) سعين (أغاني) .

عبد الله بن الزَّبيرِ الأسديّ(1)

عبد الله بن الزَّبيرِ الأسديُّ ابن الأشيم بن الأعشى بن بَجْرة بن قيس بن مُنْقذ ابن طريف بن عمرو بن معن(2) بن الحارث بن قعنب بن ثعلبة [بن] دودان(3) بن أسد ابن خزيمة .

شاعرٌ إسلاميٌّ كوفيُّ المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأُموية .

وكان من شيعةِ بنى أُمية ، وذوى الهوى فيهم ، والتعصب لهم ، والنصرة على عدوهم ، ثم غَلَبَ مصعبُ بن الزبيرِ على الكوفة فأُتِيَ به أسيراً فمنَّ عليه ووصله ، وأحسن إليه ، فمدَحَه وأكثَرَ ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب . ثم عمِي عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان .

وكنيتُه أبو كَثير ، وهو أحد الهجائين للناس ، المرهوبِ شِعْرُهم وهو القائل يخاطب نفسه :

فقالَتْ ما فعلتَ أبا كثيرٍ أصحَّ الودُّ أم أَخْلَفْتَ عَهْدِى

كان قومٌ من بنى علقمة بن قَيْس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنْقذ قتلوا رجلا من بنى الأَشْيم ، رهطِ عبد الله بن الزبير ، فخرج عبدُ الرحمن بن الحكم ، وهو إذ ذاك على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبى سفيان وافداً إلى معاوية ، ومعه ابنُ الزبير ورفيقان له من بنى أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير : خذ من بنى عمّك دِيتَيْنِ لقَتيلِكَ فأبى ابنُ الزبير فكان عبدُ الرحمن يميلُ إلى هذا القاتل ، فغضب عليه

(1) الأغانى ١٤ / ٢١٧ .

(2) فى الأصل معنى والتصويب عن الجمهرة والأغانى .

(3) وفى «ب»: ذروان وفى جمهرة الأنساب دودان (١٨٣) .

عبدُ الرحمن وردّه عن الوفد ، من منزل يقال له فيَّاض ، فخالفه ابنُ الزبير الطريقَ إلى يزيدَ بن معاوية ، فأعاده وقام بأمره ، وأمره يزيد أن يهجوَ عبد الرحمن ابن أم الحكم ، وكان يزيد يُبْغضه فهجاه بأبيات ، فلما بلغت عبد الرحمن هَدَمَ داره فأتى عبدُ الله معاويةَ فشكاه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك فاستشهد أسماءَ بن خارجة وقال له : سَلْه عنها ، فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمَتَها ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للمساحِ فأمر له معاويةُ بمائة ألف دِرْهم ، وإنما شهد له أسماء بذلك ليَرْفِدَه عند معاوية ولم تكن دارُه إلا خِصاصَ قَصَب .

حبس عبدُ الرحمن بنُ أبى الحكم عبدَ الله بن الزَّبير ، وهو أمير الكوفة ، فى جناية وضمها عليه ، وضربه ضربا مُبَرِّحاً بهجائه إياه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يَزَلْ يُلْطِفُ فى أمره ، ويرضى خصومَه ، ويشفعُ إلى عبد الرحمن فى أمره حتى خَلّصه وأطلقَه بشفاعته ، فكساه أسماء ، ووصله ، وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله ، فقال فيه قصيدته المشهورة :

ألم تر أن الجودَ أرْسَل فابتغى ... حليف صفاء وأْتَلَى لا يزايله(١)
تَخَيَّرَ أسماءَ بنَ حصنٍ فبطنت ... بفعل العلا أيمانُه وشمائلُه
فلا مَجْدَ إلا مجدُ أسماءَ فوقَه ... ولا جَرْىَ إلا جَرْىُ أسماءَ فاضلُه
وفضلُ أسماءَ بنِ حصنٍ عليهمو ... سماحةُ أسماءَ بنِ حصنٍ ونائلُه
تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تُعْطيه الذى أنت سائلُه
ترى الجندَ والأعرابَ يَغْشَوْنَ بابَه ... كما وردت ماءَ الكلاب نواهلُه
إذا ما أتوا أبوابَه قال مَرْحَباً ... لِجُوا البابَ حتى يَقْتُلَ الجوعَ قاتِلُه
ولو لم يكن فى كفه غَيْرُ نَفْسِهِ ... لجاد بها فلْيَتّقِ اللهَ سائِلُه

فأعطاه أسماء أَلْفَىْ درهم .

(١) أغانى : ١٣ : ٣٣ وفى الأصل صفيا ثم بياض (وبعده وأتلى) .

وكان لأسماء بن خارجة ذِكْرٌ قبيحٌ عند الشيعةِ ، ويَعدونه فى قَتَلَةِ الحسينِ ابن على ، رضى الله عنهما .

خطب المختارُ بن أبى عُبيد يوما على المنبر فقال : أرى ناراً من السماء تَسوقُها ريحٌ كالحةٌ سوداءُ تحرقُ آلَ أسماءَ ودارَ أسماء .

وكان المختارُ يحتالُ عليه ويُدَبِّر فى قَتْلِه من غير أن يُغْضِب قَيسا فتنصُرَه ، فبلغ أسماءَ قولُ المختار فيه . فقال : أو قد سمع بى أبو إسحاق ... ...

ولا قرار على زَأْرٍ من الأسَدِ

فهرب إلى الشام ، وطلبه المختار ففاته ، فأمر بهَدْم داره، فلم يُقْدِمْ عليها مُضَرِىٌّ لموضع أسماء وجَلالةِ قَدْرِه فى قَيس ، فتولت ربيعةُ واليمنُ هَدْمَها فقال فى ذلك عبدالله ابن الزَّبير الأسدى :

تأوّب(١) عينَ ابنَ الزبيرِ شهودُها ... وقَلَّ على ما قد عَراهـــا هُجودُها
أتانى وعَرْضِ الشام بينى وبينها ... أحاديثُ والأنباءُ يَنمى بعيدُها
بأن أبا حَسَّانَ تَهدِمُ دارَه ... لَكيزٌ سمتْ فُسَّاقُها وعَبيدُها
جَزَتْ مضرا عنه الجوازى بفعْلِها ... ولا أصبَحتْ إلا بشَرٍّ جُدودِها
فما جُرْهُمٌ لا سَيِّداً يَمنعونه ... ولا خائفا إن جاء يوما طَريدُها
ألم تَغْضبوا تبًّا لكم إذ سَطَتْ بكم ... مَجوسُ القُرى فى دارِكم ويَهودُها
تركتم أبا حسان تُهْدَمُ دارُه ... مُشَيَّدَةً أبوابُها وحَديدُها
ففى رَجَبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعدَه ... تزورُكمُ حُمْرُ المنايا وسُودُها
ثمانون ألفا دينُ عثمانَ دِينُهم ... كتائبُ فيها جِبْرَئيلُ يقودُها
فمن عاش منكم عاش عَبْدًا ومن يمت ... ففى النار سُقياه هناك صَديدُها

(١) تأوب (أغانى) وفى الأصل ياقرب .

وقيل إن الذى هدمَ دار أسماء مصعبُ بن الزُّبَير .

وقيل إن مصعبا لما وَلِيَ العراقَ دخل إليه عبدُ الله بن الزَّبير الأسَدى فقال له: إيه أنت القائل:

إلى رجبٍ أو غُرَّة الشَّهرِ بعده … … … البيتان

فقال له : أنا القائلُ ذلك . فقال : لو قَدَرْتَ على جَحْدِه لَجَحَدْتَه قال : فاصْنَع ما أنت صانع . فقال : أمَا إنى لا أصنع إلّا خَيْرًا ، أحْسَنَ قومُك إليك فأحْبَبْتَهم ووالَيْتَهم ومَدَحْتَهم ، وأمر له بجائزةٍ وكُسْوةٍ وردّه إلى منزله مُكَرَّما . فكان ابنُ الزَّبير بعد ذلك يمدحه ، ويذكره . فلما قَتَلَ مُصعبَ بن الزُّبَيرِ عبيدُ الله ابن ظبيان اجتمع معه فى مَجْلس وكان ابن الزبير قد أضر فعرف خَبَره فاستقبله بوجهه وقال :

أبا مَطَرٍ شُلَّتْ يمينٌ تفَرَّغَت … بسيفك رأس ابن الحوارِيِّ مصعب

فقال له ابنُ ظبيان: كيف النجاةُ من ذلك ؟ قال : لا نَجاةَ من ذلك ، هيهاتَ سبق السَّيْفُ العَذَل .

وكان ابنُ ظبيانَ بعد قَتْلِه مُصعَبًا لا ينتفع بنَفْسِه فى نوم ولا يَقَظَة ، وكان يُهَوَّل(١) عليه فى منامه فلا ينام حتى كَلَّ جسمه(٢) ونُهِك فلم يزل كذلك حتى مات .

دخل عبدُ الله بن الزَّبير الأسدى على عُبيد الله بن زياد وعنده أسماء بنُ خارجة ، حين قدم ابنُ الزَّبير من الشام ، فلما مثل بين يديه أنشده :

حنَّتْ قلوصِيَ وَهْنًا بعد هَدْأَتِها … فهيَّجَتْ مُغْرَما صَبًّا على الطَّرَبِ
حَنَّتْ إلى خَيْرِ من حُثَّ المطِيُّ له … كالبدر بين أبى سفيانَ والعُتَب

---

(١) يقال هول عليه بكذا : افزعه به .

(٢) فى الأصل ا ـ ب (يحل حد) والتصويب عن الأغانى ١٣ : ٣٧ .

تذكَّرتْ بقُرَى البلقاء نائلَهُ لقد تذكرته من نازح عَزَب
والله ما كان بى لولا زيارتُه وأن أُلاقِى أبا حسانَ من أَرَبِ
حَنَّتْ لترجعنى خَلْفى فقلت لها أرى[1] أمامَك فالْقَيْه فتى العرب
لا يحسب الشرَّ جارٌ لا يفارقه ولا يعاقِبُ عنداُلحكْم بالغَضَبِ
منْ خيرِ بيتٍ عَلِمْناه وأكْرَمِه كانت دماؤهمو تَشْفى من الكَلَبِ

قال الأعمش: كانت العرب تقول : إنّ من أصابه الكَلَبُ أو الجنونُ لم يبرأ إلا أن يُسْقَى دمَ مَلِك فيقول : إنه من أولادِ الملوك .

كان عبدُ الله بن الزَّبير الأسدى صديقا لعمر بن الزبير بن العوام ، فلما أقامه أخوه ليُقْتَصّ منه بالغ كلُّ ذى حِقْدٍ وتدْسيسٍ فيه من يَتَقَرَّبُ إلى أخيه ، وكان أخوه لا يَسْأَلُ من ادَّعَى عليه شيئا بينةً ولا يَطْلُبُه بحُجَّة وإنما يقبل قوْلَهُ ثم يُدخله السجنَ ليُقْتَصّ منه فكانوا يضربونه ، والقيح ينْضَحُ من ظهرِه وأكتافِه على الأرضِ والحائطِ ، لشدَّةِ ما يَمُرّ به ، وهو على تلك الحال . ثم أمر بأن يرسل عليه الجِعْلان[2] فكانت تدبُّ عليه تَنْتَقِبُ لحمَه وهو مقيدٌ مغلولٌ يستغيث فلا يُغاث حتى مات على تلك الحال . فدخل الموَكَّلُ به على أخيه عبد الله بن الزُّبير ، وفى يد عبدِ الله قَدَحُ لبنٍ يريد أن يتسَحَّر به ، وهو يبكى ، فقال له : مالك أمات عمرو ؟ قال : نعم . قال : أبْعَدَه اللهُ ، وشرب اللبن . ثم قال : لا تَغْسلوه ولا تُكَفِّنوه وادفنوه فى مقابر المشركين ، فدفن فيها . فرثاه عبد الله بن الزَّبير الأسدى ، بهذه الأبيات :

عقَدْتم لعمروٍ عُقْدَةً وغَدَرْتمُ بأبيض كالمصباحِ فى ليلة الدَّجْنِ

---

(١) هذا أمامك (أغانى ١٣ : ٣٤) .
(٢) فى الأصل ا، ب : المغيلان والجعلان عن الأغانى .

وكبَّلْتَه حــولا يَجودُ بنَفْسِه ... تنوء به فى ســاقِه حَلَقُ اللَّبْنِ
فــا قال عمرٌو إذ يجود بنفسه ... لضارِبِه حتى قضَى نَحْبَه دَعْـنِى
يُحدِّثُ من لاقَيْتُ أنك عابدٌ ... وصرّعْتَ قَتْلَى بين زمزم والرُّكْنِ
فلم أرَ وفداً كان للغدر عاقداً ... كوَفْدِك شَدُّوا غيرَ موفٍ ولا مُسْنِى
وكنتَ كذاتِ الفِسْق لم تدر ماحَوَتْ ... بخير حالَيْها أتسرقُ أمْ تَزْنِى
جزى اللهُ عنى خالداً شرَّ ما جَزَى ... وعُرْوةَ شرّا من خليلٍ ومن خِدْنِ
قتلتمْ أخاكم بالسِّياطِ سفاهــةً ... فيالك للرأى المُضَلَّلِ والأَفْنِ
فــلو أنــكم أجْهزتمو إذ قَتلتمو ... ولــكن قتلتُمْ بالسياطِ وبالسجنِ
وإنى لأرجو أن أرى فيك ما ترَى ... به من عقابِ اللهِ ما دُونَه يُغْـنِى
قطعت من الأرحامِ ما كان واشِجاً ... على البَغْىِ إذ بِعْتَ المخاوفَ بالأمْنِ [1]
وأصبحتَ تَسْعَى قاصداً بكتيبةٍ ... تُهَدِّمُ ما حولَ الحطيمِ ولا تبنى
فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَها ... فما للدِّماءِ الدَّهْرَ ماعشتَ من حَقْنِ

لما قدم الحجاجُ الــكوفة والياً صعِد المنبر نَخطَبَهم فقال : يا أهل العراق ، ياأهل الشقاق والنفاق ، ومساوئِ الأخلاق ، إن الشيطان قد باض وفَرَّخَ فى صدوركم ، ودَرَج فى حُجورِكم ، فأنتم له خَدِين وهو لــكم قَرِين . ومن يكن الشيطانُ له قَرِينا فَسَاء قَرِينا .

ثم حَثَّهُم على اللَّحاقِ بالمُهلَّبَ بن أبى صُفْرة وأقسم لا يَجِدُ منهم أحداً اسمه فى جَريدةِ المُهَلَّب بالــكوفة بعد ثالثة إلا قتَلَه .

فجاءه عميرُ بن ضابئٍ البُرْجمى [2] فقال له : أيها الأمير إنى شَيْخ كبيرٌ لا فَضْلَ فىّ وقد خَرَجَ اسمِى فى هذا البعث ، ولى ابنٌ شابٌّ هو أجلد منى ، فاقبله بديلا بى .

(١) على الشبب وابتعت المخافة بالأمن .

(٢) فى ا ، ب الجرهمى وهو تصحيف .

فقال له الحجاج : انصرف أيها الشيخ فلما وَلّى قال له عيينة بن سعيد بن العاص : أيها الأمير ، إن هذا جاء إلى عثمانَ وهو مقتولٌ فرَفَسَه وكسَر ضِلْعا من أضلاعه ، وجعل يقول : أين تركْتَ ضابئاً يا نعثل . وكان عثمانُ حَبَس أباه ضابئاً فمات فى الحبس . فقال الحجاج : رُدُّوه فرُدَّ . فقال له : أيها الشيخ أتطلب اليومَ منى بديلا ؟ ألا طَلَبْت بديلا يوم الدارِ فى قَتْلِ عثمان ؟ يا حَرَسِىّ ، اضرِب عُنُقَه ، فضربَ عنقه .

وسمع الحجاج ضوضاءَ فقال : ما هذه الضوضاء ؟ قال : هذه البَراجِمُ جاءت لتَنْصُر عُمَيْراً . فقال : ارموهم برأْسِه ، فولّوا منهزمين إلى بلادهم . وازدَحَم الناسُ على الجِسْرِ للعبور إلى المُهَلَّبِ حتى غَرِق بعضُهم فقال عبد الله بن الزَّبِير الأسدى :

أقـول لإبراهيمَ لمـا لَقِيتُه ... أرى الأمرَ أمسى واهيا مُتَشَعِّبا
تَخَيَّرْ فإما أن تزور ابن ضابئٍ ... عُمَيْرًا وإما أن تَزور المُهَلَّبـا
هما خُطَّتَا خَسْف نَجاؤكَ منهمَا ... ركوبُك حَوْلِيًّا من الثلج أشْهَبَا
فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونه ... رآها مكانَ السُّوقِ أو هى أقربا

دخل عبد الله بن الزَّبِير الأسدى على مصعب بن الزُّبَيْر بالكوفة لما وَلِيها ، وقد مدحه ، فاستأذنه فى الإنشاد ، فلم يأذَن له ، وقال : لِمَ تُسْقِطُ السماءَ علينا ، وتَمْنَعُنا مَطرَها فى مديحك لأسماء بن خارجة ؟ وقال لبعض من حضر أنشدها فأنشـد :

إذا مات ابنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ ... فلا مَطَرَتْ على الأرضِ السماءُ
ولا رَجَع الوفودُ بغُنْمِ جَيْشٍ ... ولا حَمَلَت على الطُّهْرِ النساءُ
ليومٌ منك خَيْرٌ من أُناسٍ ... كثيرٍ حَوْلَهم بَقَرٌ وشاءُ
فبُورِكَ فى أبيك وفى بنيـه ... إذا ذُكِرُوا ونَحْنُ لك الفِدَاءُ

فالتفت إليه مُصعبٌ وقال : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف وبلغ ذلك أسماءَ فعوَّضَه حتى أرضاه ، ثم رجع له مُصْعَبٌ بعد ذلك وأحضَرَه وسمع مديحَه وأحسن إليه .

لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْر صَلَبَ الحجاجُ جَسَدَه ، وبعث برأسِه إلى عبدِ المَلِكِ فجلس على سريره ، وأذِنَ للناسِ فدخلوا عليه فقام عبدالله بن الزَّبير الأسدى، فاستأذنه فى الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا خيراً وتَوَخَّ الحقّ فيما تقوله . فأنشأ يقول :

مشى ابنُ الزُّبَيْرِ القهقرى وتَقَدَّمَتْ   أميةُ حتى أحرزوا القَصَباتِ
وجئتَ المُجَلِّى(١) ياابن مروانَ سابقا   أمَامَ قريش تَنْفُضُ العذرات
فلا [زلت] سباقا إلى كل غاية   من المجد نجّاء من الغمرات

فقال له : أحسنت ، سل حاجتَك قال له : أنت أعلى عيناً بها وأرحب صَدْراً ياأميرَ المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف درهم وكُسْوةٍ ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يُعيدُ الأبيات فقال : لا ، ولكن أبياتُك التى قلتها فى الحجاج ، فأنشده :

كأنى بعَبْدِ الله يرْكَبُ رَدْعَه   وفيه سِنَانٌ زاعِبِىٌّ مُحَرَّبُ(٢)
وقد فر عنه الملحدون وحَلَّقَتْ   به وبِمَنْ آساه عَنْقَاءُ مُغْرِبُ
تولَّوْا وخَلَّوْه فشال بشلوه   طويل من الأجذاع عارٍ مُشَذَّبُ
بكَفَّىْ غلامٍ من ثقيفٍ نمت به   قريشٌ وذو المجدِ التليدِ مُعَقَّبُ

فقال له عبد الملك : لا تقل « غلام » ولكن قل « هُمام » وكتب إلى الحجاج يأمُر له بعشرة آلاف درهم أُخرى .

---

(١) فى الأصل : المصلى . والمجلى السابق من الخيل ، والعذرات : جمع عذرة وهى الناصية وقيل الخصلة من الشعر .

(٢) محرب : محدد يقال حرب السنان : حدده .

دخل عبد الله بن الزَّبير الأسدى على بِشْرِ بن مروان ، وعليه ثيابٌ خلعها بشر عليه ، وكان قد بلغ بشراً أنه كرهه لجفاه ، فلما وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمل مَنْ حوله من بنى مروان ، ويجيل بَصَرَه فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيأتهم . فقال له بشر : إن نظرَك يا ابن الزبير ليَدُلُّ على أن وراءه قولًا . فقال : نعم أيها الأمير قال : قل فقال :

كأن بنى أُمية حول بِشْرٍ   نجومٌ وَسْطَها قَمَرٌ منيرُ
هو الفَرْعُ المُهَذَّبُ[1] من قريشٍ   إذا أَخَذَتْ مآخِذَها الأُمورُ
لقد عَمَّتْ فواضِلُه فأضحى   غَنيا من نوافِلِهِ الفقيرُ
فأنت الغيثُ قد عَلِمَتْ قريشٌ   لنا والوا كفُ الجَوْنُ الغزيرُ[2]
جَبَرْتَ مَهيضَنا وعَدَلْتَ فينا   فعاش البائسُ الكَلُّ الكسيرُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، ورضى عنه .

دخل عبد الله بن الزَّبير الأسدى على بِشر بن مروان [متعرضا له ويسمعه شيئا من شعره][3] فقال : أظنك مُتَعَرِّضاً لأن أسمع منك ، فهل أبقَى أسماء بنُ خارجةَ منك أو من شِعْرِك أو من وُدِّك شيئا ؟ لقد نَزحت فيه بحرك[4] يا ابن الزبير . فقال : أصلح الله الأميرَ ، إن أسماء كان للمديح أهلا ، وكانت له عندى أيادٍ كثيرةٌ ، فكنتُ لمعروفه شاكراً ، وأيادى الأمير عندى أجَلّ وأكثرُ وأملى فيه أعظمُ وإن كان قولى لا يحيط بها ، ففى فَضْلِ الأمير عَلَى أوليائه ما قبل به ميسورهم ، فإن أذِن لى بالإنشاد رجوت أن أُوَفَّق للصواب ، فقال : هاتِ . فقال :

---

(١) المقدم (أغانى) .
(٢) المطير (أغانى) .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .
(٤) فى الأصل : برحت بخبرك وما ذكرناه عن الأغانى .

تداركني بِشرُ بنُ مروان بَعْدَ ما ... تماوَتْ على شِلْوِي الذئابُ العواسلُ
غياثُ الضعافِ المُرْمِلِينَ وعِصْمَةُ الـ ... يتامى ومَنْ تأوى إليه العَيَاهِلُ
قَرِيعُ قريشٍ والهمامُ الذى له ... أَقَرَّتْ بنو قحطانَ طُرًّا ووائلُ[1]
يداكَ بن مروان يد تقتل[2] العِدى ... وفى يدكَ الأُخرى عطاءٌ ونائلُ
إذا أمْطَرَتْنا منك يوما سحابةٌ ... رُوِينا بما جادَتْ علينا الأناملُ
فلا زلتَ يا بِشرَ بن مروانَ سَيِّدًا ... يَهل علينا منك طَلٌّ ووابلُ
فأنت المُصَفَّى يا ابنَ مروان والذى ... تدانَتْ إليه للعطاء القبائلُ[3]
فلولا بنو مروان طاشتْ حلومُنا ... وكنا فَراشاً أحْرَقَتْها الشمائل

فأمر له بجائزة وكساه خِلْعَة . وقال : إنى أُريد أُوفِدُك على أمير المؤمنين فتَهَيَّأْ لذلك يا ابنَ الزَّبير . فقال أنا فاعل أيها الأمير قال : فما ذا تقول إذا وفدت عليه قال. فارتجل هذه القصيدة وقال :

أقولُ أميرَ المؤمنين عَصَمْتَنا ... ببِشْرٍ من الدهرِ الكثيرِ الزلازلِ
واطفَأْتَ عنّا نارَ كلِّ منافقٍ ... بأبيض بُهلول[4] طويلِ الحمائلِ
نَمَتْه قروم[5] من أُميةَ للعُلا ... إذا افتخر الأقوامُ وَسْط المحافلِ
هو القائد[6] الميمونُ والعصمةُ التى ... غدا حقُّها يعلو على كل قائلِ[7]
إذا ما سألْنا رِفْدَه هَطَلَتْ لنا ... سَحَابَةُ كَفَّيْه بجودٍ ونائلِ

(١) وبعده : وقيس بن عيلان وخندف كلها ... أقرت وجن الأرض طرا وخابل
(٢) فى الأصل : بريقتك .
(٣) وبعده : يرجون فضل الله عند دعائكم ... إذا جمعتكم والحجيج المنازل
(٤) فى الأصل مملوك (والتصويب عن الأغانى ١٤ : ٢٥٤) .
(٥) نمته قروم . فى الأصل : تمنته قوم .
(٦) فى الأصل : القائل .
(٧) أتى حقها فينا على كل باطل (أغانى) .

أخوكَ أميرُ المؤمنين ومن به ‏ ‏ نُجَاد ونُسْقَى صوبَ أسْحَم هاطل
حليمٌ على الجُهّالِ منا ورحمةٌ ‏ ‏ على كل حافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ، هذا والله الشعرُ وهذه القدرة عليه فقال له حَجار بن أبْجَر العِجْلِيّ ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيمَ المنزلة عند بِشْر أصلح الله الأمير هذا أشْعَرُ الناس وأحضرُهم قولا إذا أراد . فقال محمد بن عُمَيْر ابن عُطارد وكان عدوا لحَجّار : أصلح الله الأمير ، إنه لشاعر وأشعر منه الذى يقول :

لبشرِ بن مروانٍ على كل حالةٍ ‏ ‏ من الدهر فضلٌ فى الرخاء وفى الجَهْدِ
قريعُ قريشٍ والذى باع ماله ‏ ‏ ليَكْسِب حمداً حين لا أحَدٌ يُجْدى
يُنافس بشرٌ فى السماحةِ والندى ‏ ‏ ليُحْرِزَ غاياتِ المكارمِ بالحمدِ

فقال بشرٌ من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشر مُغْضَباً عليه . فقال : ابعثْ فأحْضِرْه . فقال : هو غائب فى البَصْرة ، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها إلىَّ لأُنْشِدَكَها لترضى عَنْه وقال بشرٌ : هيهاتَ لستُ أرضَى عنه حتى يأتينى ، وكتب محمد بن عمير بن عطارد إلى الفرزدق أن يَأْتيَه ، فتهيأ للقدوم على بِشْرٍ ثم بلغَه أن البصرة قد جُمِعَتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه . فقال عبد الله بن الزَّبير لمحمد بن عطارد فى مجلسه ذلك بحضرة بِشْر بن عمير :

بنى دارمٍ هل تعرفون محمدا ‏ ‏ بدَعْوَته فيكم إذا الأمْرُ حُقِّقَا
وسامَيْتُم قوماً كراماً بجَدِّكم ‏ ‏ وجاء سُكَيْتاً[1] آخر القومِ مُخْفِقا
فأصْلُكَ دَهمانُ بنُ نصرٍ فَرَدَّهم ‏ ‏ ولا تكُ وَغْداً فى تميم مُعَلَّقا
فإن تميما لستَ منهم ولا لهم ‏ ‏ أخاً يا ابن دَهْمان فلا تك أحْمَقا

---

(١) السكيت : آخر خيل الحلبة .

فلولا أبو مروان لاقيتَ وابلا ... من السَّوْط يُنْسِيك الرحيقَ المُعَتَّقا
أَحِينَ علاكَ الشيبُ أصبحت عاهراً ... وقلت اسقنى الصهباءَ صرفاً مُرَوَّقا
تركت شرابَ المسلمين ودينَهم ... وصاحبتَ عبداً من فَزارةَ أزْرقاً
تبيتان فى شرب المدامة كالذى ... أُتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال له بشر : أقسمتُ عليك إلَّا أمْسَكْتَ . فقال : أفعلُ ، أصلَحك الله والله لولا مكانُك لأفقدتُ خُصْيَتيْه بالحق ، وكف ابن الزبير ، وأحسن بشرٌ جائزته وكسوتَه ، وشمِتَ حجّار بن أبْجَر بمحمد بن عمير ، وأقبل بنو أسد على ابن الزَّبير فقالوا : عليك لعنةُ الله تُشْمتُ حَجّاراً بمحمد ! ؟ والله لا نرضَى عنك حتى تهْجُوَه هجاءً يرضى به محمدُ بن عميرٍ عَنْك أو لَسْتَ تعلمُ أن الفرزدقَ أشعرُ العرب ؟ قال : بلى ، ولكن محمداً ظلَمَنى وتعرّض لى ، ولم أكن لأحلم عنه إذ فعل فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً فقال :

سليلَ النصارَى سُدْتَ عِجْلا ولم تكُنْ ... لذلك أَهْلًا أن تَسود بنى عجلٍ
ولكنّهُم كانوا أُناساً(١) فسُدْتَهم ... ومِثْلُك من سادَ اللئامَ بلا عَقْلٍ
فكيف بعِجْلٍ إن دنا الفِصْحُ واغْتَدَتْ ... عليك بنو عِجْلٍ ومِرجَلُكم يَغْلى
وعندكَ قِسِّيسُ النصارى وصُلْبُها ... وعانيةٌ صهباءُ مثلُ جَنَى النحلِ

فبلغ حجاراً قوله ، فشكاه إلى بشر ، فقال له : أهجوت حجاراً ؟ فقال : والله ما هجوتُه ولقد كَذَبَ عَلَىّ ، فأتاه ناس من بنى عجل ، فتهددوه بالقتل فقال :

تَهَدَّدُنى عِجْلٌ وما خلت أننى ... خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ
وما خِلْتُنى والدهرُ فيه عجائبٌ ... أُعَمَّرُ حتى قد تَهَدَّدُنى عِجْلُ
وتُوعِدُنى بالقتل منهم عِصابةٌ ... وليس لهم فى العز فَرْعٌ ولا أَصْلُ

---

(١) لئاما (أغانى) .

وعِجْلٌ أسودٌ فى الرَّخا وثعالبٌ   إذا التقتِ الأبطالُ واختلف النَّبْلُ
فإن تَلْقَنا عِجْلٌ هناك فما لَنَا   ولا لهمو مَلْجاً ولا بَعْلُ

وكان الزَّبِير بن الأشيم ، أبو عبد الله بن الزبير ، شاعراً . وهو القائل :

ألا يالَقَوْمِى للرقادِ المُؤَرِّقِ   وللرَّبْع بعد الغِبْطَةِ المُتَفَرِّقِ
وهَمُّ الفَتَى بالأمْرِ من دون نَيْلِهِ   مراتِبُ صَعْبَاتٌ على كل مرتقى
ويومٍ بصحراءِ البديدين قِلْتُه   بمَنْزِلة النعمانِ وابنِ مُحَرِّقِ
وذلك عَيْشٌ قد مضَى كان بَعْدَه   أُمورٌ أشابت كلَّ رأْسٍ ومَفْرِقِ
وغَيَّر ما اسْتَنْكَرْتِ يا أُمَّ مالكٍ   حوادثُ إلا تَكْسر العظمَ تَعْرُقِ(١)
فِراقُ حبيبٍ أو تَغَيُّرُ حالةٍ   من الدَّهْرِ أو رامٍ لشَخْصِى مُفَوِّقِ
على أننى جَلْدٌ صبورٌ مُرَزَّأٌ   وهل تتركُ الأيامُ شيئا لمُشْفِقِ

وأما ابنه الزبير بن عبدِ الله بن الزَّبِير الأسدى فهو الذى يقول يمدح عيينةَ بنَ أسماءَ بن خارجة الفزاريّ :

قالت عُيينةُ مَوْهِنا   أين اعتراكَ الهمُّ أيْنَه
هل يَبْلُغَنّ بك المُنَى   ما كنت تأمل فى عُيَيْنَه
بَدْرٌ له الشِّيَمُ الكرا   ئم كاملاتٌ فاعْتَلَيْنَه

وهو القائل فى بعض بنى عمه :

ومولًى كداءِ البَطْنِ أو فَوْقَ دائِه   يَزِيدُ موالى الصِّدْقِ خيراً ويَنْقُصُ
تَرَبَّصْتُ(٢) ارجوأن يتوبَ ويرْعَوِى   به الحُكْمُ حتى استيأس المُتَرَبِّصُ

(١) تعرق العظم : تأكل ما عليه كله .
(٢) تلومت (أغانى) .

أتى عبد الله بن الزَّبير الأسدى إبراهيمَ بن الأشْتَر النَّخَعى فقال له : إنى قد امتدحْتُك بأبيات ، فاسمعها ، فقال : إنى لستُ أُعطى الشعراء شيئا قال : اسمعها منى ، ثم ترى رأيَك قال : هات إذاً فأنشده :

اللهُ أعطاك المهابةَ والتُّقَى ... وأحلَّ بيتَك فى العديدِ الأكثرِ
وأَقَرَّ عينك يوم وقْعَةِ خازر ... والخيل تَعْثُر بالقنا المُتَكَسِّرِ
إنى مَدَحْتُك إذ نَبَا بِىَ مَنْزِلى ... وذَممْتُ إخوانَ النَّدَى من مَعْشَرِ
وعرفت أنك لا تُخَيِّبُ مِدْحَتِى ... ومتى أكن بسبيل خير أشكر(١)
فهَلُمّ نحوى من يمينك نَفْحَةً ... إن الزمان ألحّ يا ابن الأشْتَرِ

فقال : كم ترجو أن أعطيك ؟ فقال ألف درهم ، أُصلح بها أمرَ نفسِى وعيالى ، فأمر له بعشرين ألف درهم .

---

(١) فى الأصل جاءت غير واضحة هكذا (ومنى التى تسل ... لتشكر) والتصويب عن الأغانى ١٤ : ٢٦٢

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت(١)

ذكرتُ نسبَه في ترجمة أبيه .

كان عبدُ الرحمن قد شَبَّبَ برملةَ بنتِ معاوية فقال :

رَمْلُ هَلْ تذكرين يومَ غزالٍ إذ قَطَعْنـا مَسيرَنا بالتَّمَنِّي
إذ تقولين عَمْرَكَ الله هل شي ءٌ وإن جل سوف يُسْليكَ عَنِّي
أم هل أطمعتُ فيك يا ابنَ حسانَ كما قد أراكَ أُطْمِعتَ مِنِّي

فبلغ ذلك يزيدَ بن مُعاويةَ فغضب ، ودخل على معاوية ، وقال : يا أمير المؤمنين ألا تَنْظُر إلى هذا العِلْج من أهل يَثْرب يَتَهَكَّمُ بأعراضنا ، ويُشَبِّبُ بنسائنا ، قال : ومن هو ؟ قال : عبدُ الرحمن بنُ حسّان ، وأنشده ما قال : فقال معاوية : ليست العقوبةُ مِنْ أحدٍ أقبحَ منها من دُونِ القُدْرة ، ولـكن امهل حتى يَقْدَمَ وفدُ الأنصار ، ثم أذْكِرْنى به ، فلما قدموا ذَكَّرَه ، فلما دخلوا عليه ، قال : ياعبد الرحمن يبلغنى أنك شَبَّبْتَ برَمْلَةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ولو علمتُ أن أحداً شَرَّفَ شِعْرى أشرفَ منها لَذَكَرْتُه قال : فأين أنت عن أُخْتِها هِنْد ؟ قال : وإن لها لأُختا يقال لها هند ؟ قال : نعم قال : وإنما أراد معاويةُ أن يُشَبِّبَ بها أيضا ، فيُكْذِبَ نَفْسه ، فلما فعل ذلك وبلغ الناسَ قالوا : قد كنا نرى أن تشبيبَ ابنِ حَسَّانٍ بابنة معاويةَ لِشَىْءٍ فإذا ذلك الشىء عن رأىِ معاوية وأقرّه وعَلِمَ من كان يَعْرِفُ أن معاويةَ ليستْ له بنتٌ أخرى وأنه خَدَعه لِيُشَبِّب بها ، ولا أصل لهذا فيعلم الناس أنه قد كذب على الأُولى لما ذَكَرَ الثانية . ولم يَرْضَ يزيدُ بما كان من ذلك من معاوية ، فأرسل إلى كعب بن جُعَيْل . فقال : اهج الأنصار . فقال :

---

(١) أغانى ١٥ : ١١١ وما يليها .

أرادُّني أنت إلى الشِّرْك ؟ أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآوَوْه وصَدَّقوه ، لا أفعل ، ولكن أدُلُّك على الشاعر الكافر ، قال : ومن ؟ قال : الأخطلُ . قال : فدعاه وقال : اهْجُ الأنصار . قال : أفْرَقُ من أميرِ المؤمنين . قال : لا تخف شيئا أنا لك بذلك فهجاهم فقال :

وإذا نَسَبْتَ ابنَ الفُرَيْعَةِ خِلْتَه … كالجحْشِ بين حِمارةٍ وحمارِ
لعن الإلهُ من اليهودِ عصابةً … بالجِزْعِ بين صُلَيْصِلٍ وصِرَارِ
قومٌ اذا هَدَرَ العصيرِ رأيتهم … حُمْراً عيونهمو من المُسْطار(١)
خلُّوا المكارمَ تَسْتَمِرَّ مِنَ اهْلِها … وخُذوا مساحِيَكم بنى النَّجَّارِ
إن الفوارسَ يعرفون ظُهُورَكم … أولاد كل مقبح أكَّار
ذهبت قريشٌ بالمكارم كلِّهــا … واللؤمُ تحتَ عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بنَ بشير ، فدخل على معاويةَ ، وحسر رَأْسَه وقال : يا أمير المؤمنين أترى لُؤْماً ؟ قال : لا بَلْ أرى كَرَماً وخَيْرًا . قال : زعم الأخطل أن اللؤمَ تحت عمائمنا . قال : أو فَعَلَ ؟ قال : نعم ، قال لك لسانُه ، وكتب أنْ يُؤْتَى به . فلما أُتِيَ به قال للرسول : أَدْخِلْنى على يزيدَ أولا ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذى كنتُ أخافُ قال: لا تَخف شيئا ودخل على معاوية فقال عَلَامَ أرسلتَ إلى هذا الرَّجُل الذى يَمْدَحُنا ويَرْمى وراءَ حَوْزَتِنا . قال : إنه هجا الأنصار . قال ومن زَعَمَ ذلك قال : النعمانُ بن بشيرَ قال : لا تقبل قَوْلَه عليه ، وهو يَدَّعِى لنفْسِه ، ولكن تدعوه بالبَيِّنَة ، فإن ثبتَ شىء أَخَذْتَه به ، فدعاه بالبَيِّنة فلم يأت بها . فَخَلَّاه .

وقيل : إن معاوية قال للأنصار لما استَعْدَوْهُ عليه ، لكم لسانُه إلا أن يكون ابنى يزيدُ قد أجارَه ، ودس إلى يزيد إنى قد قُلْتُ اليوم كَيْتَ وكَيْتَ فأَجِرْه فأجارَه .

---

(١) المسطار : الخمرة الصارعة لشاربها . أول عصير الخمر قبل طبخه .

ولما شبَّبَ عبدُ الرحمن بأُختِ معاويةَ غضب يزيدُ فقال : يا أمير المؤمنين اقتُلْ عبدَ الرحمن بن حسان ، فإنه شبَّب بعمَّتي قال : وما قال ؟ قال :

طال لَيْلِى وبتُّ كالمحزونِ ومَلَلْتُ الثواء فى جَيْرُونِ[1]

قال : وما علينا من طُولِ لَيْلِه ؟ قال : فإنه يقول :

فلذاك[2] اغتَرَبْتُ بالشام حتى ظَنَّ أهلى مُرَجَّماتِ الظُّنونِ

فقال معاوية : وما علينا مِنْ ظَنِّ أهْلِه ؟ قال: فإنه يقول:

هى زهراءُ مِثلُ لؤلؤةِ الغوَّاصِ مُيِّزَتْ من جَوْهرٍ مكنونِ

قال معاوية : صدق يا بُنى. قال. فإنه يقول:

وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها فى سناءٍ من المكارم دُونِ

قال معاوية : صدق يابنى فإنها لكذلك . قال: فإنه يقول :

ثم خاصَرْتُها[3] إلى القُبَّةِ الخضراء تمشى فى مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

خاصَرْتُها : أخذتُ بخَصْرِها وأَخَذَتْ بخَصْرِى . قال : لا ولا كُلُّ هذا يابنى وضحك . ثم قال : أنشدنى ما قال أيضا فأنشده :

قُبَّةٌ من مَراجِلٍ ضَرَبوها[4] عند حَدِّ الشتاءِ فى قَيطُونِ

عن يَسارى إذا ما دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يَمِينى[5]

تَجْعَلُ النَّدَّ والأُلُوَّةَ[6] والعُو دَ صِلاءً[7] لها عن الكانون

---

(١) روى البيت فى الأغانى ٣ : ١٨٨ :

صاح حيا الإله حيا ودورا عند أصل القناة من جيرون

(٢) فبتلك (أمالى) .

(٣) ماشيتها (أمالى) .

(٤) ضربتها (أمالى ٣ : ١٨٨) .

(٥) دخلت إلى الدا ر ... فيمينى

(٦) الألوة ، العود الذى يتبخر به ،

(٧) الصلاء والصلى: النار أو العظيم منها. وقودها تجعل المسك واليلنجوج والنـد ... (أمالى) .

وقِبابٌ قــد أُسْرِجَتْ وبيوتٌ نُضِّدَتْ بالريحان والزَّرَجُونِ (١)

فقال: يابنى ليس يجبُ القتلُ فى مثل هذا والعقوبةُ دون القتل تَعْزِيه ، ولـكنا نَـكُفُّه بالصِّلةِ والتجاوز عَنْه .

كان عبدُ الرحمن قد تَهَاجَى هو وعبدُ الرحمن بنُ الحـكم بن أبى العاص . والسببُ فى ذلك أن عبدَ الرحمن كان خليلا له مخالِطا . فقيل لعبد الرحمن بنِ الحَـكَم : إن ابن حَسان يَخْلُفُكَ على فراشِك فى أهْلِك ، فراسَل امرأةَ ابن حسان فأخْبَرَتْ بذلك زَوْجها ، وقالت : ارسل إلَىّ إنى أُحِبُّـك حبًّا أراه قاتِلِى ، فأرسل ابنُ حسانٍ إلى امرأة ابن الحـكَمِ ، وكانت تواصِلُه وقال للرسول إليها : قل لها : إن امرأتى تزورُ أهْلَها فزُورينى حتى نَخْلُوَ ساعةً فزارته ، فقعدَ معها ، ثم قال لهـا : قد جاءتْ امرأتى ، فأدْخَلَها بيتا إلى جَنْبِه وأمَرَ امرأته ، فأرسلت إلى عبدِ الرحمنِ بن الحـكَم إنَّك ذكرتَ حبَّك لى ، وقد وقع ذلك فى قلبى ، وإن ابن حسان قد خَرج اليوم إلى ضَيْعَته ، فهلم . فتهيَّأَ ثم أقبَـلَ ، فإنه لقاعدٌ معها إذ قالَتْ : قد جاء زوجى . فادخل هذا البيتَ فإنه لا يَشْعُر بك ، فأدخلته البيتَ الذى فيه امرَأَتُه فلما رآها تيَقَّنَ بالشر ، ووقع الشرُّ بينهما ، وهجا كلٌّ واحدٍ صاحبَه .

وقيل: سبب التَّهاجى بينهما أنهما خَرَجا إلى صيد بكِلابٍ لهما فى إمارة مروان فقال ابن الحـكم :

ازجُرْ كلابَك إنها قلطية (٢) تُقْعِى ومثلُ كلابِكمْ لم تَصْطَد

فرد عليه ابن حسان :

من كان يأكلُ من فريسةِ صَيْدِه فالتمر (٣) يغنينا عن المُتَصَيَّد

(١) الزرجون قضبان الـكرم ـ الواحدة زرجونة ، صبغ أحمر والخمر .

(٢) القلطى: الرجل الخبيث المارد . والقلاط : القصير جدا من الناس والـكلاب والسنانير.

(٣) فى الأصل فالتم والتصويب عن الأغانى .

إنا أُناس رَيِّقون وإنكم ... كَكِلابكم فى الوَلْغ والمُتَرَدَّد
حُزْنا كمو للضَّبِ تَحْترشونه ... والرِّيفُ يَمْنعكم بكل مهنَّد

ثم رجعا إلى المدينة ، فكانا يتمارضان الشعر ، فقال عبد الرحمن بن الحكم :

ومِثلُ أُمِّك أُمّ العبد قد ضرِبَتْ ... عندى وَلِى بفنائى مزهر خدم
وأنت عند ذُناباها تعاودها ... غَلْى القدور تحسى خاثِر البرم

فنقضها ابن حسان عليه فقال :

يا أيها الراكبُ المُزْجى مَطيَّته ... إذا عَرَضْتَ فسائلْ عن بنى الحكم
القائلين إذا لاقَوْا عَدُوَّهمو ... فِرُّوا وكُرُّوا على النِّسوان والنَّعَم
كم من أمين نصيح الحب قال لكم ... ألا نَهَيْتم أخاكم يابنى الحكم
عن رَجُلٍ لا بغيض فى عَشيرته ... ولا ذليلٍ قصير الباع مُهْتَضَم

وقال ابن حسان فيه أيضاً :

صار العزيزُ ذليلاً والذليلُ له ... عِزٌّ وصار فروعُ الناسِ أذنابا
إنى لَمُلْتَمِسٌ حتى يَبِينَ لكم ... فيكم متى كنتمو للناس أربابا
فارْقَوْا على ظَلْعِكم ثم انظروا وسلوا ... عنا وعنكم قديمَ العلم أنسابا
فسوف يضحك أو يعتادُه ذِكَرٌ ... يا بُؤْسَ للدهرِ للإنسان ريابا

كتب معاويةُ إلى سعيد بن العاص ، وهو عامِلُه على المدينة ، أن يضربَ كلَّ واحد من ابن حسان وعبد الرحمن بن الحكم مائةَ سَوْط . وكان ابن حسان صَديقا لسعيد ، وما مدح أحداً قطُّ غيرَه فكرِه أن يضرِبَه أو يضرب ابنَ عمه ، فأمسك عنهما ، ثم وَلِىَ مروانُ فلما قدم المدينة ضرب ابن حسان مائةَ سوط ، ولم يضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان أثيرا عند معاوية مكينا :

ليت شعرى أغائبٌ أنتَ[١] بالشا م خليلى أمْ راقــدٌ نَعْمانُ
إنه إن يكن[٢] فقــد يرجع الغا ئبُ يــوما ويُوقَظُ الوَسْنانُ
إن عمراً وعامراً أَبَوَيْنا وحراما قِدْما على العهـدِ كانوا
إنهم مانعــوك أم قِلّةُ الـكتا ب أم أنت عــاتبٌ غضبانُ
أم جفــاء أم أعْوَزَتْك القراطيـ س أم أمرى بــه عليك هوان
يــوم أُنْبِئْتَ أن ساقِىَ رُضَّت وأتاكم بـذلك الرُّكْبانُ
ثم قالوا إنَّ ابنَ عمِّك فى بَلْـ وى أُمــور يأْتِى بها الحدثانُ
فتَلَاطُ الأرحام والود والصحـ بة فيما أتَتْ به الأزْمانُ
إنمــا الرمح فاعلمَنّ قنــاةٌ أو كبعض العيدانِ لولا السِّنانُ

وهى طويلة ، فدخل النعمانُ على معاويةَ فقال : يا أمير المؤمنين إنك أمَرْت سعيدا أن يضرب ابن حسان مائة سَوْط وابنَ الحـكم مائةَ سَوْط ، فلم يفعل . ثم كتبَ إلى مروان بذلك[٣]، فضرب ابن حسان مائةً ولم يضربْ أخاه . قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : أن تـكتب إليه بمثل ما كتبتَ إلى سعيد . فـكتب إلى مروان ، وعزم عليه أن يَضْرِب أخاه مائةً وبعث إلى ابن حسان بحلّة . فلمـا ورد الـكتابُ على مروانَ بعث إلى ابنِ حسان أنا مثلُ والدك وما كان منِّى إليك إلا على سبيل التأديب لك ، واعتذر إليه . فقال ابنُ حسان : ما بدَا لَهُ فى ذلك إلا لشىء قد جاء . وأبى أن يَقْبل منه . فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوَجَّه إليه بالحُلَّة فرمى بها فى الحُشّ فقيل له : حلة أمير المؤمنين ترمى بها فى الحُشّ ؟ فقال : نَعَمْ ، ما أصنع بها ؟ وجاءه قومُه

(١) فى الأصل ا ـ ب (ليس) .
(٢) أية ما تـكن (أغانى) ٤ : ١١٥ .
(٣) ثم وليت مروان ١٥ : ١١٦ .

فأخبروه الخبَر . فقال : قد عرفتُ أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ؟ قد أبى أن يَعْفُوَ ، فهلم أحْضِرْ أخاك ، فبعث مروانُ إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يَضْرِبَه خمسين ، فإنه ضعيف ، فطلبوا إليه ، فأجابهم فأخرجه فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يَهْوَى ما تَرك من ذلك . فقال له : يضربُك مائةً ويضربُه خمسين !! بئس ما صَنَعْتَ إذ وَهَبْتَها له . فقال : إنه عَبْد ، وإنما ضربتُه ما يُضْرَبُ العبد ، وهو نِصْفُ ما يضربُ الُحرّ ، فحُمِلَ هذا الكلامُ حتى شاع فى المدينة ، وبلغ ابنَ الحكم فشقّ ذلك عليه . وأتى أخاه مروان فأخبره الخبر ، وقال : فَضَحْتَنى لا حاجةَ لى فيما تَرَكْتَ فهَلُمّ فاقتصّ . فضرب ابنَ الحكَم خمسين سوطا أُخرى . فقال عبدالرحمن ابن حسان يهجو ابن الحكَم :

دع ذا وعَدِّ قريضَ شعرِك فى امرئٍ ... يَهْذِى ويُنْشِدُ شِعْرَه كالفاخِرِ
عثمانُ عمُّكمو ولستم مثْلَه ... وبنو أميَّــة منكمو كالآمِرِ
وبنو أبيــه سخيفةٌ أحلامُهم ... فُحُشُ النفوسِ على الجليسِ الزائرِ
أحيــاؤهم عارٌ على أمواتِهم ... والميِّتون مَسَبَّةٌ للغــابرِ
هل[1] ينظرون إذا مَدَدْتَ إليهمو ... نَظَرَ التيوسِ إلى سِفادِ الجادرِ[2]
خزر العيون مُنكّسو أذقانِهم ... نَظَرَ الذليلِ إلى العزيزِ القاهرِ

ثم إن أبا واسع أحدَ بنى الأشعر ، من بنى أسد بن خزيمة ، هجا ابنَ حسان وعيَّره بضَرْبِ ابن المُعَطّل أباه حسّاناً على رأسه ، وعيَّره بأكل الخصى فقال :

إن ابنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ ... أَذَلّ قيادَ رأسِك بالُخطامِ[3]

---

(١) هم (أغانى) ٢٥ : ١١٧ .
(٢) الجادر الحسن السمين وفى الأغانى إلى شفار الجازر ١٥/١١٧ .
(٣) فى الأصل : إذا يقتاد رأسك بالحسام .

عمدت إلى الخُصَى فأكلت منها ... لقد أَخْطَأْتَ فاكهةَ الطعامِ

وما للجارِحين يَحلّ فيكم ... لديكم يا بنى النجّارِ حامى

فلما عَمّ بنى النجارِ بالهجاء ولا ذنبَ لهم دعَوا اللهَ عليه ، فخرج من المدينة يريد أهله ، فعرض له أسد فقَضْقَضَه . فقال ابن حسان فى ذلك :

أَبْلِغْ بنى الأشعثِ إن جِئْتَهم ... ما بالُ أبناءِ بنى واسِع

والليثُ يعلوه بأنْيابِه ... منعفراً فى دمِه الناقِع

إذ تركوه وهو يدعوهمُ ... بالنسبِ الدانى وبالشّاسِع

لا يرفع الرحمن مصروعكم ... ولا يُوَهِّى قُوَّةَ الصارِع

فقالت له امرأته : ما دعا أحد قبلك للأَسَدِ بخير قط ، قال : ولا نصر أحداً الأسدُ كما نصرنى قط .

كان الأخطل ومسكينٌ الدارِمىّ صديقين لابن الحكَم فاستعان بهما على ابن حسان ، فهجاه الأخطلُ ، وقال مسكين : ما كنت لأهجُوَ أحداً ، واعتذر إليه ، وكتب مسكينٌ إلى عبد الرحمنِ بقصيدته اللامية ، يدعوه إلى المنافرة والمفاخرة ، فكتب إليه عبد الرحمن :

ألا إن الشبابَ ثيابُ لُبسٍ ... وما الأموال إلا كالظلالِ

فإن يَبْلَ الشباب فكل شىء ... سمعتَ به سوى الرحمن بالِ

أتانى عنك يا مسكينُ قولٌ ... بذَلْتَ النِّصْفَ فيه غيرَ آلِ

دعوت إلى التناضل غير فَحْمٍ ... ولا غُمْرٍ يطيل لدى النضال

وهى أطول من قصيدة مسكين ، ثم انقطع التناضل بينهما .

عامر أبو الطفيل[1]

هو عامر بن واثلةَ بن عبد الله بن عُمَير بن جابر بن حُمَيْس بن جُدَيّ بن سعد[2] ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركةَ .

له صحبةٌ بسيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، وعُمِّر بعده عمراً طويلا .

وكان مع أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه . وروى عنه أيضا ، وكان من وجوه شِيعَته ، وله منه محلٌّ خاص ، يُسْتَغْنى بشهرته عن ذكره .

وخرج طالبا بدم الحسين ، رضوان الله عليه ، مع المختار بن أبي عبيد ، حتى قُتِلَ المختارُ ، وأفْلَتَ هو وعُمِّرَ بعد ذلك .

روى أبو الطُّفَيْل قال : سمعت عليا ، رضى الله عنه ، يخطب . فقال : سلُونى قبل أن تَفْقِدُونى . فقام إليه ابن الكوَّاء فقال : ما الذاريات ذَرْواً ؟ فقال : الرياح فقال : فالحاملات وَقْراً ؟ قال : السحابُ ، قال : فالجاريات يُسْرًا ؟ قال : السُّفُن قال : فالمُقَسِّمات أمراً ؟ قال : الملائكة .

قال : فَمَنْ الذين بَدَّلوا نعمةَ اللهِ كُفْراً ؟ قال : الأفْجرانِ مِنْ قريشٍ ! بنو أُمية ، وبنو مخزوم .

قال: فما كان ذو القرنين ؟ أنبيًّا أمْ مَلَكاً ؟ قال: كان عبداً مؤمناً أو قال : صالِحًا أحَبَّ اللهَ وأَحبَّه اللهُ ، ضُرِبَ ضَرْبةً على قَرْنِه الأيمن فماتَ ، ثم بُعِثَ فضُرِبَ ضربةً على قَرْنِه الأيسر فمات . وفيكم مثله . لما استقام الأمر لمعاوية لم يكن شيء أحبَّ إليه من لقاء

---

(١) الأغانى : ١٤ : ١٤٧ .

(٢) فى الأصل ابن سعيد . وكذلك فى ب .

أبى الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويلطف له حتى أتاه ، فلما قدم عليه جعل يسائله عن أمر الجاهلية فدخل عمرو بن العاص ونفر معه فقال له معاوية : أما تعرفون هذا ؟ قالوا: لا قال: هذا فارس صفين وشاعرها ، هذا خليل أبى الحسن. ثم قال : يا أبا الطفيل ، ما بلغ من حبك لعلى ؟ قال : حب أم موسى لموسى . قال : فما بلغ من بكائك عليه ، قال : بكاء العجوز الثكلى والشيخ المقود ، وإلى الله عز وجل أشكو التقصير. فقال معاوية: لكن أصحابى هؤلاء لو كانوا سئلوا عنى ما قالوا ما قلت فى صاحبك . قالوا : إذاً والله لا نقول الباطل ، فقال معاوية : لا والله ولا الحق تقولون .

ثم قال معاوية هذه الذى يقول :

إلى رجب السبعين تعترفوننى[1] مع السيف فى حواء جم عديدها

ثم قال: أنشدنا هذه الأبيات يا أبا الطفيل ، فأنشده :

رجوف كمتن الطود فيها معاشر كغلب السباع نمرها وأسودها
كهول وشبان وسادات معشر على الخيل فرسان قليل صدودها
كأن شعاع الشمس تحت لوائها إذا طلعت أعشى العيون حديدها
شعارهمو سيما النبى وراية بها انتقم الرحمن ممن يكيدها
تخطفكم آباؤهم وعبيدهم تخطف ضوارى الطير طيراً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه: أعرفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفحش شاعر والأم جليس ، فقال معاوية : يا أبا الطفيل ، أتعرفهم ؟ قال ما أعرفهم بخير ، وما أبعدهم من شر .

وقام خزيمة الأسدى فأجابهم[2] فقال :

إلى رجب أو غرة الشهر بعده تصبحكم حمر المنايا وسودها

---

(١) فى الأصل (لا يعرفوننى) وما أثبتناه عن الأغانى ١٥ / ١٤٩ .

(٢) (فى ا ــ ب) وفى الأغانى: فأجابه .

ثمانون ألفاً دينُ عثمانَ دينهم   كتائبُ فيها جبرَئيلُ يقودُها
فمن عاش فيكم عاش عَبْدًا ومن يمت   ففي النارِ سُقْياه هناك صَديدُها

لما رجع محمدُ بنُ الحنفيةِ من الشام حبَسَه ابنُ الزبير في سجن عارِم ، فخرج إليه جيشٌ من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، فكسروا السجنَ وأخرجوه ، فكتب ابنُ الزبير إلى أخيه مصعبٍ أن يسيِّر نساءَ كلِّ من خرج لذلك . فأخرج مصعبٌ نساءهم ، وفيهن أمُّ الطُفَيْل امرأة أبي الطفيل ، وابناً له صغيراً ، يقال له يحيى . فقال أبو الطفيل في ذلك :

فإن يك سَيَّرَها مُصعبٌ   فإنِّي إلى مُصْعَب مُذْنِبُ
أقود الكتيبةَ مُسْتَلْئِما   كأني أخو عُرَّة أجْرَبُ
عَلَيَّ دِلاصٌ تخيرتُها   وفي الكف ذو رَوْنَقٍ مِقْضَبُ
شَمَرْتُ عليهم مع الشاعريـ   ـن ناراً إذا خَمَدَتْ تنقبُ
فلو أن يحيى به قُوَّةٌ   فيَغْدو مع القوم أو يَرْكَبُ
ولكنّ يحيى كفرخ العُقا   بِ في الوَكْرِ مُسْتَضعَفٌ أزغبُ

وقال أبو الطفيل لم يبق من الشيعة غيرى ثم يقول :

وخلفْتَ سهماً في الكنانةِ واحداً   سيَرْمِي بكم أو يكسر السهمَ كاسِرُه

وكان أبو الطفيل مع المختار في القصر ، فرمى بنفسه قبل أن يؤخذ . وقال :

ولما رأيت الباب قد حيل دُونَه   تكسرتُ باسم الله فيمن تكسَّرا

دخل عبدالله بن صفوان على عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ بمكة ، فقال: أصبحتُ كما قال الشاعر :

فإن تصبْك من الأيام جائحةٌ   لم أبك منها على دنيا ولا دين

قال ولِمَ ذاك يا أعرج ؟ قال عبد الله بن عباس يُفَقِّهُ الناسَ وأخوه عُبَيْدُ الله

يُطعم الناس ، فما أبْقيَا لك ؟ فأحفظه ذلك ، وأرسل صاحبَ شُرْطَتِه عبدَ الله ابن مُطيع ، فقال : انطلق إلى ابن عباس وإلى أخيه ، فقل لهما أعمدتما[1] إلى راية ترابيّة قد وضعها الله فنصبتماها ؟ بَدِّدَا عَنّى جمعَكُما ومن ضوىَ إليكما من ضُلّال أهل العراق وإلا فعلت وفعلت. فقال له ابن عباس : قل لابن الزبير يقول لك ابن عباس : ثَكِلَتْك أُمُّك ، والله ما يأتينا من الناس غيرُ رجلين ، طالبُ فقه أو طالب فَضْل فأى هذين تمنع ، فأنشأ عند ذلك أبو الطفيل يقول :

لا دَرَّ دَرُّ الليالى كيف تُضْحِكُنا ... منها خطوبٌ أعاجيبٌ وتُبْكِينا
ومِثْل ما تُحْدِثُ الأيامُ من غِيَرٍ ... يا ابنَ الزُّبَيْرِ عن الدنيا تُسَلِّينا
كنا نَجِىءُ ابنَ عباسٍ فيُقْبِسُنا[2] ... علمـا ويُكْسِبُنا أجراً ويَهْدِينا
ولا يزال عبيدُ الله مُتْرَعَـةً ... جِفانُه مُطْعِماً ضيفاً ومِسكينا
فالبِرُّ والدِينُ والدنيا بِدارِهمـا ... ننالُ منها الذى نَبْغِى إذا شِينـا
إن النبى هو الذى كُشِفَتْ ... بـه عماياتُ باقِينا وماضِينا
ورهطُه عصمةٌ فى دِينِنـا ولهم ... فضلٌ علينا وحَقٌّ واجبٌ فينا
ولست فاعلمه[3] أدنى منهما رَحِما ... يا ابن الزبير ولا أَوْلَى به دينـا
ففِيمَ تَمْنَعُهُم عنا وتَمْنَعُنا ... منهم وتُؤْذِيهمُ فِينـا وتُؤذِينا
لن يُؤْتِيَ الله من أجرى ببغضهمو ... فى الدين عِزّاً ولا فى الأرضِ تمكينا

ومن شعر أبى الطُّفَيْل يرثى ابنه ، ودُعِيَ إلى وَليمة فسمع قينة تغنيها فبكى حتى كاد يموت :

---

(١) فى الأصل : أعدتما إلى راية ابن أبيه ... بدراعتى جمعكما ومن صونى اللباب من أهـل صلائل العراق وقال له فعلت وفعلت، والتصويب عن الأغانى ١٥: ١٥٢.

(٢) ا ، ب وفى الأغانى فيقبسنا .

(٣) فى الأصل فاعلم وهذه عن الأغانى .

خلّى عــلىّ طُفَيْلُ الهم فانشعبا ... وهَدّ ذلك رُكْنِى هــدّةً عَجَبا
وابْنَىْ سُمَيَّة لا أنساهما أبـداً ... فيمن نَسيتُ وكلٌّ كان لى وَصَبا
فاملِك عزاءَك إن رُزْءٌ بُليتَ به ... فلن يَرُدَّ بـكاءُ المرء ما ذهبا
وليس يُشْفِى حزينـا من تَذَكُّرِهِ ... إلا البكاءُ إذا ماناح وانْتَحَبـا
فإن سلـكتَ سبيلا كنتَ سالـكَها ... ولا محـالةَ أن يأتى الذى كُتِبا
فما لبطنك[1] من رىٍّ ولا شبع ... ولا ظللت بباقى العيش مرتقبا

بينا فتيةٌ من قريش ببطن محسِّر ، يتذاكرون الأحـاديث ، ويتناشدون الأشعارَ ، إذ أقبل طُوَيْس ، وعليه قُوهىٌّ وحِبَرَةٌ قد ارتدى بها وهو يَخْطُر فى مِشْيَتِه ، فسلم وجلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد النعيم أَوَتُغَنِّينا ؟ قال : نعم ، وكرامةً ، أُغنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من شيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وصاحب رايته ، أدرك الجاهلية والإسلامَ ، وكان سيدَ قومه وشاعِرَهم . قالوا : ومن ذلك يا أبا عبد النعيم ؟ فَدتك أنفسُنا . قال : ذلك أبو الطفيل ، عامر بن واثلة ، ثم غناهم :

أتدعوننى شَيْخا وقد عِشْتُ حِقْبَةً ... وهنّ من الأزواج نَحْوِى نوازعُ
وماشاب رأْسِى من سنينَ تتابَعَتْ ... علىّ . ولـكنْ شَيَّبَتْنِى الوقائعُ

فطرب القوم ، وقالوا : ماسمعنا قط بأحسن من هذا .

---

(١) لفظتك (ب) .

عمرو بن معديكرب الزبيدى[1]

هو عَمرُو بن معديكرب بنِ عبدِ الله .

ويقال : مَعْديكرب بن ربيعةَ بن عبد الله بن عمرو بن عُصم بن عمرو بن زُبَيد ، وهو مُنَبِّه بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سَعْد العشيرة بن مالك ، وهو مَذْحِجُ بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب بن يَعْرُب[2] بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان .

وكنيته أبو ثَوْر .

وأمه وأم أخيه عبدِ الله امرأة من جرم[3] ، وهى معدودة من المُنْجِبات .

وهو فارس اليَمَن ، مقدم على زَيد الخَيْل فى الشدة والبأس .

وكان يقال لعمرو : مائِقُ زبيد ، وكان لا يُدْعى فى الخِفّة ، فبلغهم أن خثعم تريدهم ، فتأهب لهم ، وجمع معديكرب بنى زبيد ، فدخل عمرٌو على أُختِه فقال : لو أشْبَعَنى أبى غداً كَفَيْتُه خثعم ، فجاء معديكرب ، فأخْبَرَتْه ابنتهُ بذلك . فقال : هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم . قال : فسلِيه ما يُشْبِعُه قال : فسألَتْه فقال : فرق من ذُرَةٍ وعنَاق[4] رباعية قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثةَ أصْوُع ، فصنع له ذلك ، وذبح له العَنْزَ ، وهيأ له الطعامَ ، فجلس عليه ، وأكله جميعا ، وأتَتْهُم خثعم فى الصباح ، فلَقُوهم وجاء عَمْرٌو فرَمَى بنفْسِه ، ثم رفع رأْسَه ، فإذا لواء أبيه قائم

---

(١) أغانى ١٥ : ٢٠٨ — تجريد مهذب ١/ ٦٢ ط ١٦٤٨ .

(٢) عريب أغانى وتجريد .

(٣) فى الأصل : (حترم) وما أثبتناه عن الأغانى .

(٤) العناق الأنثى من أولاد المعز .

فوضع رأسَه ، ثم رفَعه ، فإذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سَرْحَةٌ مُحرَّقة فتلَقّى أباه وقد انهزم ، فقال : انزل عنها ، فقال : إليك اليومَ يا مائقُ فقال له : بنو زبيد خَلْفَه ، أيها الرجل ، وما يريدُ فإن قُتِلَ كُفيتَ مُؤْنتَه وإن ظَهرَ فهو لك ، فألقَى إليه سلاحَه فركب ، ثم رمى بنفسه فى خثعم ، حتى خرج من بين ظهرانيهم ، ثم كر عليهم ، وفعل ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زبيد ، فانهزمت خثعم ، وقهروا فقيل له يومئذ : فارسُ زبيد .

وكان عمرٌو قد قال لقَيْس بن مَكْشوح المُرادِى ، وهو ابن أُخته ، حين انتهى إليهم أمرُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس ، إنك سيدُ قومك ، وقد ذُكِرَ لنا أن رجلا من قريشٍ يقال له محمدٌ قد خرج بالحجاز ، يقال إنه نبىٌّ ، فانطلق بنا حتى نعلم عِلْمَه وبادر فَرْوة بن مُسَيْك لا يَغْلِبْكَ على الأمر . فأبى قَيْسٌ ذلك وسَفَّه رأيه وعصاه ، فركب عمرٌو متوجها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : خالَفْتَنى يا قيس .

وقال عمرو فى ذلك :

أمَرْتُك يومَ ذى صنعا ء أمراً بيِّناً رَشَدُه
أمرْتُك باتقاء اللـ ـه تأْتيه وتَعْتَمِدُه[1]
وكنْتَ كذى الحُميِّرِ غَرْ رَه من عــيرِه وتده

ولما قَدم عمرٌو ، فى وفد مذحج ، مع فَروة بن مُسَيْك المرادى ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسْلَموا ، وبعثَ فروة على صدقاتٍ من أسْلَمَ منهم ، وقال له : ادعُ الناسَ وتألَّفْهم فإذا وجدتَ الغَفْلَةَ فانتهبها[2] واغْزُ ، ولم يكن فَرْوَةُ دخل

---

(١) تتعده (أغانى ١٥/٢١٠) .
(٢) فاهتبلها (أغانى) .

فى الإسلام مُفارِقا لملوكِ كندة ، مباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان قبل الإسلام وَقْعةٌ بين مراد وهَمْدان أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتى أثخنوهم فى يوم ، يقال له يوم الرَّزْم(١) وكان الذى قاد همدانَ إلى مراد الأجْـدعُ بن مالك الشاعر الهمدانى أبو مسروق بن الأجْدَع ففضَحَهم يومئذ . وفى ذلك يقول فروة :

فإنْ نَغْلِبْ فغلَّابون قِدْماً ... وإن نُهْزَمْ فغيْرُ مُهَزَّمِينا

فلما توجه فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول :

لما رأيتُ ملوكَ كِنْدَةَ أعْرَضَتْ ... كالرِّجْل خان الرِّجْلَ عرقُ نسائها

يممتُ راحلتى أمامَ محمـــدٍ ... أرجو فواضِلَها وحسنَ ثرائها

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما انتهى إليه : هل شانَك ما أصاب قومَك يوم الرَّزْم ؟ فقال : يا رسول الله من ذا الذى يصيبُ قومَه ما أصاب قومى ولا يَسوءه ؟ فقال : أما إن ذلك لم يَزِدْ قومَك فى الإسلام إلّا خيراً ، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها .

ثم لم يلبث عمرُو بن معديكرب أن ارتد عن الإسلام وقال :

وجَدْنا مُلْكَ فروةَ شرّ مُلْكٍ ... حمارٌ ساف مِنْخَرَه بقَذْرِ

وإنّك لو رأيتَ أبا عُمَيْرٍ ... ملأتَ يديك من غَدْرٍ وخَتْرِ

فلما ارتد عمرو مع الذين ارتدوا من مذحج استجاش(٢) فروة عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فوجه إليهم خالدَ بن سعيد بن العاص ، وخالدَ بن الوليد ، وقال لهما : إن اجتمعتم فعلىُّ بن أبى طالب أميرُكم ، وهو على الناس ، ووجه علياً رضى الله عنه بكتيبة من أرض اليمن فاقتتلوا فقُتِلَ بعضُهم ونجا بعضٌ فلم تزل جرمُ وزبيدُ وأُددُ

---

(١) كانت فى الأصل : الرؤم والتصويب عن الأغانى ومراصد الاطلاع

(٢) يقال استجاش: طلب المدد والجيش وجمعه عليهم .

بنو سعد المشيرة بعدها قليلةً في هذا الوجه وقعت الصَّمْصَامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أن ريحانةَ بنتَ معديكرب سُبِيَتْ يومئذ ، ففداها خالدٌ ، فأثابه عَمْرٌو الصمصامة فصارت إلى سعيد بن العاص[1] ، ووُجِدَ سعيدٌ جريحا يوم حُصِرَ عثمانُ وقد ذهب السيفُ والغِمْدُ ثم وُجِدَ الغِمْدُ . فلما قام معاوية جاء أعرابى بالسَّيْفِ بغير غِمْد وسعيد حاضر فقال سعيد : هذا سيفى ، فجحَدَه الأعرابى . فقال سعيد : الدليلُ على أنه سيفى أن تبْعَث إلى غمده[2] فتُغمِده فيه فيكون كِفَافَه . فبعث معاوية إلى الغِمْد فأُتى به من منزل سعيد ، فإذا هو عليه . فأقر الأعرابى أنه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيد منه ، فلم يزل عندهم حتى أَصْعَد المهدىُّ من البصرة . فلما كان بواسط بعث إلى بنى[3] سعيد فيه ، فأعطاهم خمسين ألف درهم ، وأخذه . وكان بنو سعيد قالوا : إنه فى السَّبيلِ[4] فقال : خمسون سيفا قاطعا أغنَى من سيفٍ واحد وأعطاهم خمسين ألفاً[5] .

ولما قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غزاة تبوك يريد المدينة أدركه عمرو ابن معديكرب ، فى رجال من بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلْحَق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَمْسِك عنه ، حتى يُؤْذَنَ له فخُلِّيَ سبيلُه . فلما تقدم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسير قال : حياكَ إلهُك ، أبيتَ اللعن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لعنةَ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، فآمِنْ بالله يُؤَمِّنْك يوم الفزَعِ الأكبر . فقال عمرو : وما الفزَعُ الأكبرُ ؟

---

(١) فى الأصل : إلى آل سعيد والتصويب عن الأغانى .

(٢) فى الأصل : يبعث إلى غمدى فيغمد وفى التجريد أنه يحضر غمده فيغمد فيه (١٦٤٩).

(٣) آل (تجريد) .

(٤) للسبيل (التجريد) ومعناها : المعتمد والأيد والفخر .

(٥) خمسين ألف درهم (تجريد) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه فَزَعٌ ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى مَيِّتٌ إلا نُشِرَ ثم تَلِجُّ تلك الأرضُ بدَوِيٍّ تَنْهَدّ منه الأرضُ، وتَخِرُّ الجبـالُ ، وتَنْشَقُّ السماء فى عرضها انشقاقَ القَبْطِيَّة الجديدة ، ما شاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار ، فتنظر إليها حمراء مظلمةً قد صار لها لسانٌ فى السماء يَرْمِى بمثل رءوسِ الجبالِ من شرر النار ، ولا يبقى ذو رُوحٍ إلا انخلع قلبه وذَكَر ذَنْبَه . فأين أنت يا عمرو ؟ قال : إننى أسمع أمراً عظيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو أَسْلِم تَسْلَمَ ، فأسلمَ وبايعَ لقومِه عن الإسلام ، وذلك عند مُنْصَرَفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبوك . وكانت فى رجب سنة تسع ، وكان عمرُ ابن الخطاب رضى الله عنه ، إذا نظر إلى عمرو قال : الحمد لله الذى خَلَقَنا وخلق عمراً تعجُّباً من خَلْقِه .

قال بعض الرواة : رأيت عمرو بن معديكرب فى خلافةِ معاوية شيْخا عظيما أعظمَ ما يكونُ من الرجال، أجشَّ الصوت إذا التَفَتَ التفت بجميع جَسَده . وهذا خطأ لأنه مات فى آخر خلافة عمر بن الخطاب ودفن برُوذَة وهى بين قم والرىّ .

وقيل إنه قتل فى وقعة بها فى موضع يعرف بفَنْدِيسجان[1] ودفن بها هو والنعمان بن مقرن .

وقيل إنه أدرك خلافة عثمان ومات بالفالج .

قال الشعبى : وفرض عمرُ رضى الله عنه ، لعمرو بن معديكرب فى ألفين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألفٌ هنا ــ وأومأ إلى شِقٍّ بطنِه الأيمن ــ وألفٌ هنا ــ وأومأ إلى شِقٍّ بطنه الأيسر ــ فما يكون ههنا ــ وأومأ إلى وَسَطِ بَطْنِه ــ فضحك عمر رضى الله عنه ، وزاده خمسمائة .

---

(١) فنديسجان قرية من قرى نهاوند (مراصد) وكانت تقرأ فى الأصل هكذا (بعد سحان) . مهملة النقط ــ وهى فى الأغانى ١٥/٢١٣ قبد يشجان .

قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظَعينة وحدى على مياه مَعَدّ كلِّها[1] ما خفت أن أُغْلَب عليها ، ما لم يَلْقَنى حُرّاها وعَبْداها :

أما الُحرّان فعامر بن الطفيل وعُتَيْبة[2] بن الحارث .

وأما عَبْداها فأسودُ بنى عَبْس وأسودُ بنى سعد ـ يعنى عنـترةَ والسُّلَيْك ابن السُّلَـكَة ـ وكلهم قد لَقيت .

فأما عامر فسريع الطعن ِ على الصَّعْب .

وأما عُتَيْبة[2] فأولُ الخيل إذا غارَتْ وآخرُها إذا أتَتْ .

وأما عنترة فقليل النَّبْوَةِ شديد الـكَلَب .

وأما السُّلَيْك فبعيد الغارةِ كالليث الضارى .

قالوا : فما تقول فى العباس بنِ مرداس ؟ قال : أقول فيه كما قال فِيّ :

إذا مات عمرٌو قُلْتُ للخيلِ اوطئوا ‏ ‏ ‏ زُبَيْدًا فقد أودى بنَجْدَتّها عَمْرو

وقام مغضبا ، وعلم أنهم أرادوا توبيخه بعباس .

كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص : إنى قد مَدَدْتك بألفى رجل : عمرو بن معديكرب وطُليحة[3] بن خويلد الأسدى فشاورهما فى الحرب ، ولا تُوَلِّهما شيئا .

وشهد عمرو بن معديكرب القادسيّةَ وهو ابن مائةٍ وستٍّ سنين ، وقيل مائة وعَشْر .

ورماه رجلٌ فى القتال بسهم ، فوقع فى كَتِفه ، وكان عليه درع حَصينةٌ فلم يَنْفُذ ، وحملَ على العِلْج فعانقه فسقط إلى الأرض ، فقتله عمرو وسَلَبَه ، ورجع بِسَلَبِه وهو يقول :

---

(١) العرب كلها (تجريد).

(٢) كانت فى الأصل عيينة والتصويب عن الأغانى .

(٣) فى الأصل طلحة والتصويب عن الأغانى ١٤ : ٢٧ .

أنا أبو ثَوْرٍ وسيفى ذو النُّونْ أضْرِبهم ضَرْبَ غلام مَجْنونْ
يالَزبيد إنَّهُمْ يموتونْ

وكان الفارس عليه سِوارا ذَهَبٍ ومِنْطَقَةُ ذَهَبٍ وقباء ديباجٍ .

وقال عمرو أيضاً :

ألم بسَلْمَى قبـل أن تَظْعَنا إن لنـا من حُبِّها دَيْدَنا
قد علِمَتْ سلمَى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا
شـكَـكْتُ بالرمحِ حيازيمَه والخيلُ تعـدو زِيَما بيننـا

ولما قَتَلَ العلج عَبَرَ نهرَ القادسية ، هو وقيس بن مكشوح المرادى ، ومالك بن الحارث الأشتر[1] وكانت فرسُ عمرو ضعيفةً فطلبَ غَيْرَها فأُتى بفرس فأخذ بعُكْوَة[2] ذَنَبه وضرب به الأرض فأقعى الفرس فرده وأُتى بآخر ففعل به ذلك فتحَلْحَل ولم يقع ، فقال : هذا على كل حال أقوى من ذاك وقال لأصحابه : إنى حاملٌ وعابرٌ الجسر ، فإن أسرعتم بمقدار جَزْرِ جَزورٍ وجدتمونى وسيفى فى يدى أُقاتل به تلقاء وجهى ، وقد عَقَر بى القوم ، وأنا قائم [بينهم] وقد قتلتُ وجرَّدْت وإن أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم وقد جُرِّدْت [ثم انغمس فحمل فى القوم فقال بعضهم : يابنى زبيد تدعون صاحبكم والله ما نرى أن تدركوه حيا فحملوا فانتهوا إليه وقد صُرِع عن فرسه وقد أخذ برِجل فرس رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس ليضربُ الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده فلما غشيناه رمى الأعجمى بنَفْسِه وخَلَّى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوننى . قالوا : أين فرسك؟ قال : رُمِى بنُشَّابة فشب فصرعنى وعار][3] .

(١) فى الأصل (وطلب الحرب الأشتر) وما أثبتناه عن الأغانى .
(٢) العكوة بفتح العين وضمها : أصل ذنب الدابة حيث عرى من الشعر .
(٣) عار يعير : ذهب كأنه منفلت .

[عن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف تزاد ولا نزاد ؟ انطلق بنا إلى هذا الرجل][١] نكلمه قال : هيهات والله لا ألقاه في هذا أبدا ، فقد لقيني في بعض فجاج مكة ، فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدني وعيداً ظننت أنه قاتلي ولا آمَنُه . فقال عمرو : لكنني ألقاه . فقال : أنت وذاك . فخرج إلى المدينة ، فقدم على عُمر وهو يُغَدِّى الناس ، وقد جَفَن لعشرة عشرةٍ ، فإذا أكلوا جلسَ عشرة ، فأقعدَه عمرُ مع عَشرة ، فأكلوا ونهضوا ، ولم يقم عَمْرو فأقعدَ معه تكملةَ عَشرة ، فأكلوا ونهضوا ، فلم يقم عمرو ، فأقعد معه تكملةَ عشرة ، حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي مآكلُ في الجاهلية ، فمنعني منها الإسلام ، وقد ضربتُ في بطني ضَرْبتين وتركت بينهما هواء فَسُدَّه . فقال له : عليك بحجارة من حجارة الحرّة فسُدَّ بها . يا عمرو بلغني أنك تقول : إن لي سيفا يقال له الصَّمْصَامة وعندي سَيْفٌ يقال له المصمم وإني إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط شراسيفك[٢] .

وكان عمرٌو مع هذا المحل مشهورا بالكذب . كان الأشراف يخرجون بالكوفة إلى ظاهرها يتحدثون ويتذاكرون أيام الناس ، ويتناشدون الأشعار ، فوقف عمرو إلى جَنْب خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدِي فأقبل عليه يُحَدِّثه ويقول : أغرتُ على بني زيد ، فخرجوا إلى مُسْتَرْعفين[٣] وخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنتُه طعنة فوقع وضربته

(١) بياض في الأصل : وما بين القوسين عن الأغاني : ١٥/٢١٧ .
(٢) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن والجمع شراسيف — وفي الأغاني : أضراسك مكان هذه الكلمة .
(٣) الاسترعاف : السبق والتقدم .

بالصمصامة حتى فاظ وسَلَبْتُه سلاحَه وفرَسَه . فقال له رجل : ياأبا ثور إن مقتولَك الذى تذكره هو الذى تُحَدِّثُه . فقال : اللهم غَفْرًا ، إنما أنت مُحَدَّثٌ فاسمع فإنما نتحدثُ بمثل هذا وأشباهِه لنرْهب هذه المعدِّية .

كان عَمْرو قد حمل حمالة ، فأتى مُجاشعَ بنَ مسعود فقال : أسألُك حِمْلانَ مِثْلِى وسلاحَ مِثْلِى ، فأمر لـه بعشرين ألف درهم وفرسٍ جوادٍ عتيقٍ وسيفٍ صارمٍ وجارية نفيسة ، ومر ببنى حَنْظلة فقالوا له : يا أبا ثور كيف رأيت صاحبَك ؟ فقال : للهِ بنو مجاشعٍ ، ما أشدَّ فى الحرب لقاها ، وأجزل فى الأزمات عَطاها ، وأحسن فى المكرمات بِناها ، لقد قابلتُها فما أجْبَنْتُها ، وسألتها فما بَخَّلْتُها ، وهاجيتها فما أفْحَمْتُها .

جاء رجل إلى الـكُنَاسة[1] فرأى عمرو بن معديكرب واقفا على فرس ، فقال : لأنظرُ ما بقى من قوة أبى ثور ، فأدخل يده تحت[2] ساقِه وبين السرج ، ففطن له عمرو ، وضمها عليه ، وحَرّك فرسَه ، فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال له : يا ابن أخى مالك ؟ قال : يـدى تحت ساقك ، فخلَّى عنه ، وقال : يا ابن أخى إن فى عمك بَقِيَّةً بَعْد .

حدّث من شهد موت عمرو بن معديكرب ، قال : كانت مغازى العرب إذ ذاك الرّىّ ودَسْتَبى[3] فخرج عمرو مع شباب من مَذْحِج حتى نزل الخان الذى دون روذة ، فتغدى القومُ ، ثم ناموا ، وقام كل واحد منهم لقضاء الحاجة ، وكان عمرو إذا أراد حاجةً لم يجترئْ أحد أن يدعوه ، وإن أبطأ . فقام الناسُ للرحيـل فرحلوا

(١) الـكناسة بالضم : محلة بالـكوفة مشهورة (مراصد) .

(٢) بين ساقيه ١٥ : ٢٢٢ .

(٣) كورة كبيرة كانت مشتركة بين الرى وهمذان فقسمت كورتين . وهذه هى كورة همذان التى أفردت لها تشتمل على تسعين قرية وتسمى قرية منها دستبى همذان (مراصد) .

إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صِحْنا به: ياعمرو ، فلم يجبنا وسمعنا عَلَزًا شديدا ومِراسا ، فى الموضع الذى دخله ، ونَفَسًا عاليا ، فدخلناه فإذا به مُحْمَرَّةٌ عيناه مائل شِقُّه مفلوج ، فحملناه على فرس ، وأمرنا غلاما شديدَ الذراع فارتَدَفه ، ليَعْدلَ مَيْله فمات برُوذة ودُفِن على قارعةِ الطريقِ . وقالت امرأته الجعفيّة[1] تَرثيه:

لقد غادر الركب الذين تَحَمَّلوا ... برُوذة شخصا لا ضعيفا ولا غُمْرَا[2]

فقل لزُبيدٍ بل لمَذْحِجَ كلِّها ... فقَدْتُم أبا ثَوْرٍ سِنانَكمُ عَمْرا

فإن تَجْزعوا لا يُغْنِ ذلك عنكمُ ... ولكن سلُوا الرحمن يُعْقِبْكمُ أَجْرا

وقال عمرُو بن معديكرب فى أُخته رَيحانة لما سباها الصِّمَّةُ بن بَكْر ، وكان أغار على بنى زبيد فى قَيس ، فاستاق أموالهم ، وسبى ريحانَة ، وانهزمت زبيد من بين يديه ، وتبعه عمرٌو وأخوه عبدالله بنُ معديكرب، وهو يناشده أن يُخَلِّيَ عنها له، فلم يفعل ، فلما يئس منها وَلَّى وهى تناديه بأعلى صوتها: ياعَمْراه ، فلم يقدر على انتزاعها فقال :

أَمِنْ ريحانةَ الداعى السميعُ ... يُؤَرِّقنى وأصحابى هُجوعُ

سباها الصِّمَّةُ الجُشَمِيُّ غَصْباً ... كأن بياض غُرَّتِها صديع

وحالت دونها فرسان قَيْس ... تكَشَّف عن سواعدها الدروعُ

إذا لم تستطع شيئا فَدَعْهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

فكيف تريد أن تُدْعَى حكيما ... وأنتَ لكل ما تَهوى تَبوعُ

وقيل : إن الشعرَ قاله عَمرو فى امرأة كان تزوجها من مراد ، وذهب مُغيراً قبل أن يدخل بها ، فلما قدم أُخْبِر أنه ظهر بها وَضَحٌ ، وهو داء تَحْذَرُه العرب ،

---

(١) فى الأصل الجعفرية والتصويب عن الأغانى والتجريد .

(٢) الغمر مثلثة الغين : من لم يجرب الأمور .

فطلقها ، فتزوجها رجل من بنى مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عَمْراً ، وأن الذى قيل فيها باطل ، فشبب بها فى هذه القصيدة .

كان عبدُ الله بنُ معديكرب أخو عمرو رئيسَ بنى زبيد ، فجلس مع بنى مازن فى شَرْب(١) منهم فتغنّى عنده حَبَشِىٌّ ، عبدٌ للمُخزّم أحد بنى مازن ، يشبب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال : ما كفاكَ أن تشرب معنا حتى تُشبب بالنساء ، فنادى الحَبَشِىُّ : يا لَبنى مازن ، فقاموا إلى عبدالله فقتلوه ، ورَأَسَ عمرُو مكانَ أخيه وكان عمرٌو غزا هو وأُبَىٌّ المرادىُّ ، فأصابوا غنائم ، فادّعى أُبَىٌّ أنه كان مُسَاندا فأبَى عمرٌو أن يُعْطِيَه شيئا ، وكره أُبَىٌّ أن يكون بينهما شرٌّ لحداثة قَتْل أبيه ، فأمسك عنه ، وبلغ عمراً أنه توعّده ، فقال من أبيات :

أعاذلَ مَلَّنى(٢) بَدَنى ورُمْحى ... وكلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ(٢) القيادِ
أعاذلَ إنما أَفْنَى شبابى ... وأقْرَحَ عاتقى أَثْر(٣) النجادِ
تمنانى ليلقانى أُبَىٌّ ... وددت وأينما منى ودادى
ولو لاقيْتَنى ومعى سلاحى ... تكَشَّفَ شَحْمُ قلبك عن سواد
أُريد حَياتَه(٤) ويريدُ قَتْلى ... عذيرَك من خليلك من مُرادِ
تمنانى وسابِغَتى دِلاصٌ ... كأن قَتيرَها(٥) حَدَقُ الجراد
وسَيْفى كان من عهد ابن صَدٍّ ... تَخَيَّرَه الفتى من قوم عادِ
ورُمحى العَنبرىُّ تخال فيه ... سِناناً مثل مِقْباسِ الزنادِ

---

(١) الشرب : جمع شارب .
(٢) شكتى ... سهل القياد (تجريد) .
(٣) حمل (تجريد) ، ثقل (أغانى) .
(٤) حباءه (أغانى) .
(٥) القتير : رؤس المسامير فى الدرع .

كان أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنــه إذا أعطى الناسَ ورأى ابن مُلْجَم لعنه الله قال :

أُريد حيــاته ويريد قَتْلِي عذيرَكَ من خليلِك من مُراد

قال أبو الطفيل: لما جَمَع عليٌّ، رضي الله عنه، الناسَ للبيعة جاء عبدُ الرحمن بن مُلْجَم المرادى فرَدَّه مرةً أو مرتين، ثم بايعه. فقال: ما تحبس أشقاها فوالذى نفسى بيده ليَخْضِبَنّ هذه من هذه ثم تمثل :

اشْدُد حيازِيمَك للموتِ فإن المــوتَ لاقِيكا
ولا تجزعْ من الموتِ إذا حل بِواديكا

وجاءت بنو مازن لعمرو فقالوا : إن أخاك قتلَه رجلٌ مِنّا سفيهٌ، وهــو سكرانُ، ونحن سَيْفُك وعَضُــدُك، نسألك بالرحِمِ إلا ما أخذتَ منا الدِّيةَ، ما أحببت، فهَمَّ عمرو بذلك وقال :

* إحْدَى يَدَيّ أصابَتْنى ولم تُرِدِ *

فبلغ ذلك أُختاً لعَمْرٍو، يقال لها كَبْشة. وكانت ناكحةً في بنى الحارث بن كعب، فغَضِبَتْ. فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تُعَيِّرُ به عمراً :

أرسل عبــدُ الله إذ حانَ يَوْمُه إلى قومــه لا تَعْقِلوا لهمُ دمِى
ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكُرا[1] وأُتْرَكَ فى بيتٍ بصَعْدَةَ مُظْلِمِ
ودَعْ عنــك عمراً إن عمراً مُسالِم وهل بَطْنُ عَمْرٍو غيرُ شِبْرٍ لمَطْعَمِ
فإن أنتم لم تفعــلوا وأبيتم[2] فمَشُّوا بآذان النعام المُصَلَّم
أيَقْتُلُ عبدَ الله سيدَ قومــه بنــو مازن أن سب راعى المَخْزَم

---

(١) فى الأصل : احالا وابكروا — والإفال جمع أفيل وهو من أولاد الإبل مابلغ سبعة أشهر (أغانى ١٥/٢٣٠).

(٢) فإن أنتم لم تثأروا واتديتم (الحماسة) وأغانى .

فقال عمرو قصيدة يقول فيها :

أَرِقْتُ وأمسيتُ لا أرقدُ   وساورنى المُوجِعُ الأَسْوَدُ
وبت لذِكْرَى بنى مازن   كأنى مُرْتَفِق أرمد

ثم أكبَّ عمروٌ على بنى مازن ، وهم غارُّون فقتلهم ، وكان عبد الله أخاَ كبشةَ لأبيها وأُمها ، دون عمرو ، يأنف عنهم من قتل منهم فبكت كبشة فى نساء قومها ورثت أخاها وعيرت عمراً فأحمته فأكب عليهم أيضا بالقتل فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا . وقال عمرو بن معديكرب :

تمنت مازن جهــلا خلاطى   فذاقت[1] مازن طعمَ الخِلاط
أطلت فراطــكم[2] عاما فعاما   ودين المَذْحِجىِّ إلى فراط
أطلت فراطـكم حتى إذا ما   قتلت سراتـكم كانت قَطَاط[3]
غَدَرْتم غدرة وغدرت أُخرى   فما إن بيننـا أبداً يَمـاط[4]

حدّث من شهد الأشعثَ بنَ قيس وعمرو بن معديكرب ، وقد تنازعا فى شىء ، فقال عمرو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونـكنا أُمَّك . فقال سعد : قُوما أُفٍّ لـكما !! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرطنك ، فقال : كلا إننا غرور موثقة .

قال جريرُ بنُ عبد الله البَجَلى : فأخذت بيد الأشعث فنَتَرْتُه[5] فوقع على وجهه ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تخلخل ، والله لـكأنما حركت أُسطوانة القصر .

---

(١) فى الأصل : (حلا طلاطى ـ فذق فى) وما أثبتناه عن الأغانى ١٥/٢٣٢).
(٢) أطلت فراطـكم أى أطلت إمهالـكم والتأنى بكم إلى أن قتلتكم وفى الأصل : فراقـكم .
(٣) كانت قطاط : أى حسبى .
(٤) كانت فى الأصل تعاطى والتصويب عن الأغانى، يقول: ليس بيننا إنذار وإنما الحرب مفاجأة .
(٥) نتره : جذبه بشدة .

قدم عمرُو بن معديكرب والأَجْلَحُ بن وَقَّاص على عُمَر رضى الله عنه ، فأتياه وبين يديه مالٌ يوزن فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس . قال : ماحبسكما عنى ؟ قالا : شُغِلْنا بالمنزل يوم قدمنا . ثم كانت الجمعة ثم غَدَوْنا عليك اليوم . فلما فرغ من وزنِ المال نَحَّاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هيـه . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين هذا الأَجْلَحُ بنُ وقَّاص شديدُ المروءة ، بعيدُ الغَرَّة شديدُ[1] الـكَرَّة ، والله ما رأيت مثلَه من الرجال صارعا ومصروعا ، ولـكأنه لا يَموت . فقال عمر ، للأَجلح ، وأقبل عليه : هيه . قال : وأنا أعرفُ الغضبَ فى وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين الناس صالحون كثيرٌ نسلُهم دَارَّةٌ أرزاقهم خِصْبٌ نباتُهم أجرياء[2] على عدوهم جبان عدوهم عنهم، صالحون بصلاح إمامهم ، والله ما رأيت مثلك إلا مَنْ تَقَدَّمك ، فنستمتع اللهَ بك . قال : ما منعك أن تقول فى صاحبك مثلَ الذى قال فيك ؟ قال : منعنى ما رأيتُ فى وجهك . قال : أصبت ، أما لو قلتَ له مثلَ الذى قال لك لأوجعتـكما ضربا وعقوبة ، فإن تَرَكْتُكَ لنفسك فإنى ساتر لذلك والله لوددت لو سَلِمَتْ لـكم حالُـكم هذه أبداً . أما إنه سيأتى عليك يومٌ تَعَضُّه وينهَشُك وتَهُرُّه ويَنْبَحُك ، ولستَ له يومئذ وليس لك ، فإن لم يكن بعيداً فما أقربه منـكم .

لما كان يومُ القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانا ومناطق [ورقابا] وغير ذلك ، فبلغَتْ مالا عظيما ، فعزل سَعْدٌ الُخمْسَ ثم فَضَّ[3] البقية ، فأصاب الفارسَ ستةُ آلافِ درهم ، والراجلَ ألفان ، وبقى مال دَثْر[4] ، فـكتب إلى عمرَ رضى الله عنه بما فعل ، فـكتب إليه أن رُدَّ على المسلمين الُخمْسَ وأعْطِ من لَحِقَكَ ممن لم يشهد

---

(١) وشيك (أغانى ١٥/٢٤٢).

(٢) فى الأصل : حربا .

(٣) يقال : فض الشىء على القوم : فرقه وقسمه

(٤) مال دثر : كثير .

الوَقعة ففعل وأَجْرَى من لم يَشْهَدْ مَجْرَى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه أن فُضَّ ما بقى على حَمَلَةِ القرآن ، فأتاه عَمْرو بن معد يكرب فقال له : ما معك من كتاب الله ؟ قال: إنى أسْلَمْتُ باليمن ، ثم غزوتُ فشُغِلْتُ عن حِفْظِ القرآن . قال : مالك فى هذا المال نَصيب . وأتاه بشرُ بن ربيعة الثقفى الخثعمِىّ صاحبُ جَبّانة بشر فقال له : ما معك من كتاب الله تعالى؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك وضحك القوم منه ، ولم يعطه شيئا فقال عمرو :

إذا قُتِلْنا ولا يبكى لنا أحدٌ ... قالت قريشُ ألا تلك المقاديرُ
نُعْطَى السَّوِيَّةَ من طَعْنٍ له نَفَذٌ ... ولا سَوِيّةَ إذ تُعْطَى الدنانيرُ

وقال بشر بن أبى ربيعة الخثعمى :

أَنَخْتُ بباب القادسية ناقتى ... وسعدُ بن وقّاصٍ عَلَىَّ أميرُ
وسعد أميرٌ شَرُّه دون خَيْرِه ... وخيرُ أميرٍ بالعراقِ جريرُ
وعند أمير المؤمنين نوافلٌ ... وعند المُثَنَّى فِضَّةٌ وحريرٌ
تَذَكَّرْ هداكَ اللهُ وَقْعَ سيوفِنا ... بباب قُدَيْسٍ والمَكَرُّ(1) عسير
عشيةَ وَدَّ القومُ لو أن بعضَهم ... يُعارُ جَنَاحَىْ طائرٍ فيطيرُ
إذا ما فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ ... دَلَفْنا لأُخرى كالجبال نسير
تَرَى القومَ فيها واجمين كأنهم ... جِمالٌ بأحمالٍ لهن زفيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمرَ بما قال لهما وبما رَدّا عليه من القصيدتين فكتب إليه أن أَعْطِهما على بلائهما ، فأعطى كلَّ واحد منهما ألفى درهم .

---

(1) فى الأصل قويس والتصويب عن الأغانى ومراصد الاطلاع وهى موضع بناحية القادسية . والمكر فى الأصل المكين وما أثبتناه عن الأغانى ١٥/٢٤٣ .

كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة فى مجلسه فتناظر ، يوما ، محمد ابن العباس الصُّولىُّ هو وعلىُّ بن الهيثم ، حولنا فى الإمامة فتقلّدها أحدُها ودفعها الآخر ، فلَجَّت المناظرةُ بينهما إلى أن نبط محمدٌ عليا فقال له على : إنما تكلمتَ بلسان غيرك ، ولو كنتَ فى غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر مما قلت ، فغضب المأمونُ وأنكر على محمد ما قاله ، وما كان منه من سوء الأدب بحضرته ، ونهض عن فرشه ، ونهض الجلساء ، فخرجوا ، وأراد محمد أن ينصرف فمنعه ابنُ صالح صاحب المُصَلَّى ، وهو إذ ذاك يحجب المأمون وقال : فعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ، ونهض على الحال التى رأيت ، وتنصرف بغير إذن منه ، فاجلس حتى يَرَى رأيَه فيك ، وأمر بأن يجلس ومكث المأمونُ ساعةً ثم خرج فجلس على سريره وأمر بالجلساء فرُدُّوا إلى المجلس ، فدخل علىٌّ بن صالح فعرّفه ما كان من أمر محمد فى الانصراف ، وما كان من منعه إياه ، فقال دعه يَنصرفْ إلى لعنة الله وقال المأمون لجلسائه : أتدرون لم دخلتُ إلى النساء فى هذا الوقت؟ قالوا: لا. قال: لمَّا كان من أمر هذا الجاهلِ ما كان، لم آمن فلتاتِ الغضب ، وله بنا حُرْمة ، فدخلت لِأُغْشاهُنّ حتى يَسْكن غضبى . ومضى محمدٌ من وجهه إلى طاهر فسأله الركوبَ إلى المأمون ، وأن يستوهبه جُرْمَه فقال له طاهر : ليس هذا من أوقاتى ، وقد كتب إلىَّ خليفتى فى الدار أنه قد دعا بالجلساء ، فقال : أكره أن أبيتَ ليلة ، وأميرُ المؤمنين علىَّ ساخط ، ولم يزل به حتى ركب طاهر معه ، فأُذن له ، فدخل ومُجيرٌ الخادم واقف على يمين أمير المؤمنين ، فلما بَصُر المأمون بطاهر أخذ منديلا من بين يديه ، فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثا ، حتى وصل طاهرٌ وحرك شفتيه بشىء أنكره طاهر ثم دنا فسلم فردَّ السلام ، وأمره بالجلوس ، فجلس فى موضعه ، فسأله عن مجيئه فى غير وقته ، فعرفه الخبرَ واستوهبه ذَنْبَ محمد فوهبه له ، وانصرف وعرّف محمدا ذلك ، ثم دعا بهارون بن خنعويه وكان شيخا خراسانيا داهيةً ثقةً عنده فذكر له فعلَ المأمون من تحريك شفتيه ، ومسح

عينيه ، فقال له كاتب مُجيراً والطُفْ له واضمن له عشرةَ آلافِ درهمٍ على تعريفك ما قال المأمون ، ففعل ذلك وألطف له فعرَّفه أنه لما رأى طاهراً دمعت عيناه وترَحَّم على محمد الأمينِ ومسح دمعه بالمنديل ، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمدَ بن أبي خالد الأحول ، وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلهم يركبون إليه ، فقال له قد جئتك لتولّيني خراسانَ وتحتالَ لى فيها . وكان أحمدُ يتولى فضَّ الخرائط بين يدى المأمون ، وغسانُ بن عَبَّاد إذ ذاك يتولى خُراسان. فقال له أحمد : فهلَّا أقمت بمنزلك وبعثت إلى حتى أصيرَ إليك ولا يشتهر الخبرُ بما تريده مما ليس بعادتك ؟ لأن المأمون يعلم أنك لا تركبُ إلى أحد من أصحابه وسيبلغه ذلك فانصرفْ وغُضَّ عن هذا الأمر وأمهلني مدة حتى أحتال لك فيه ، فلبث مدة ثم زَوَّرَ ابن أبي خالد كتابا عن غسان بن عَبّاد إلى المأمون ، يَذكُر أنه عليل ، ولا يأمن على نفسه ، ويستخلفُ غيره على خراسانَ وجعله فى خريطة وفضَّها بين يدى المأمون فى خرائط ، فلما قرأ المأمون ذلك اغتمّ وقال : ما ترى ؟ فقال لعلها عِلّةٌ عارضة تزول وسيرد بعد هذا غيرُه فيرى أميرُ المؤمنين حينئذ رأْيَه . ثم أمسك أياما ، وكتب كتابا آخر ودَسّه فى الخرائط يذكر فيه أنه قد تناهَى فى العِلّةِ إلى مالا يرجو معه نَفْسَه ، فلما قرأه المأمون قَلِقَ وقال له : يا أحمد إنه لا يَدْفع لأمرخراسان فما ترى ؟ قال: هذا رأى إن أشرْتُ فيه بما أرى فلم أُصب لم استَقِلْه ، وأميرُ المؤمنين أعلم بخَدَمِه ومن يصلحُ لخراسان منهم ، فجعل المأمون يُسمِّى رجالا ، ويطعن أحمد فيهم واحداً بعد واحد ، إلى أن قال : فما ترى فى الأعْور ؟ فقال له : إن كان عند أحدٍ قيام بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده ، فدعا به المأمون فعَقَدَ له على خراسان وأمره أن يُعَسْكِر بعسكر باب خراسان ، ثم تعقب الرأى فعلم أنه قد أخطأ فتوقف عن إمضاء أمره وخشى أن يوحش طاهراً بنقضه أمره فمضىَ شهرٌ تام وطاهرٌ مقيمٌ بعسكره ثم أمر المأمون فى سَحَرِ ليلة أحد وثلاثين يوماً من عَقْد اللواء له بإحضار مُخارقٍ المُغَنِّى

فأحضره وعند ما صلى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر قال يا مخارق أتغنى :

إذا لم تَسْتَطِعْ أمراً فدعــه   وجاوزْه إلى ما تستطيع
وكيف تريدُ أن تُدْعَى حكيما   وأنت لـكل ما تَهْوَى تبُوعُ

قال : نعم قال : هاته ، فغناه . فقال : ما صنعتَ شيئا ، فهل تعرف من يتولى أحسن مما تقول ؟ قال : نعم علوية . فأمر بإحضاره ، فكأنما كان بالباب فغنّاه واحتفل ، فلم يُعْجبه . وقال : ما صنعت شيئا ، أتعرف من يقوله أحسن مما تقوله . قال : نعم عَمْرو بن بانة ، فأمر بإحضاره فحضر فغناه فقال : أحسنتَ ما شئتَ ، هكذا ينبغى أن يقال . يا غلام اسقنى رِطْلا واسْقِ صاحبيه رطلا رطلا ، ثم دعا له بعشرةِ آلافِ درهم وخِلْعَةٍ وثلاثةِ أثوابٍ ثم أمره بإعادته . فأعاده ، فرد القولَ الذى قال وأمر له بمثلِ ما أمر له به أولا ، حتى فعل ذلك عشراً ، فحصل لعمرِو بن بانة مائةُ ألفِ درهم وثلاثون ثوبا ، ودخل المؤَذِّنون فأذنوا بالظهر فعَقدَ إصْبعَه الوسطى بإبهامه ، وقال : أنْعَمْتَ علىّ وأحسنتَ إلىّ ، فإن أذنت أن أقاسم أَخَوَىَّ ما وصل إلىّ فإنَّهما حضرا فقال : ما أحسن ما استمحت لهما ، بل نُعْطيهما نحنُ ولا نُلْحِقهُما بك ، وأمر لـكل واحد منهما بمثل جائزة عَمْرو وبَكَّر إلى طاهر فرحله فلما ثَنَى عِنانَ دابته منصرفا دنا منه حُمَيْدٌ الطوسى فقال: اطرح على ذَنَبِه ترابا : فقال : اخسأ يا كلب وسار طاهر لوجهه وقدم غسانُ بن عَبَّادٍ فسأله المأمون عن عِلّته وسبَبِها فخاف أنه لم يكن عليلا ولا كَتَبَ بشىء من ذلك . فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بأحمد بن أبى خالد ، وأمسك عن ذلك ، فلما كان بعد مدة من مَقْدَم طاهر إلى خراسان ، قطع الدعاء للمأمون يوم الجمعة . فقال له عونُ بن مجاشع بن مسمدة(١) صاحبُ البريد [لِمَ لَمْ] تَدْعُ لأمير المؤمنين فى هذه الجمعة ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تـكتبْ فيه ، وفعل مثلَ

(١) فى الأصل : ا ب (معدة) والتصويب عن الأغانى .

ذلك فى الجمعة الثانية ، وقال لعونٍ : لا تكتب به وفعل مثلَ ذلك فى الجمعة الثالثة ، فقال عون : إن كُتُبَ التجارِ لا تنقطعُ عن بغداد وإن اتصل هذا الخبرُ بأمير المؤمنين من غيرنا لم نأمَنْ أن يكون ذلك سببا لزوال نعمتى ، فقال : اكتب بما أحببت . فكتب إلى المأمون ، فلما وصل كتابُه دعا بأحمدَ بن أبى خالد ، وقال له : إنه لم يذهَبْ علىَّ احتيالُك فى أمر طاهر وتمويهُك له ، وأنا أعطى الله عهداً لئن لم تشخص حتى توافينى به كما أخرجته من قبضتى(١) وتصلح ما أفسدتَه علىّ من أمر مملكتى(٢) ، لتذُمَّن عاقبتك فشخص أحمدُ وجعل يتلَوَّمُ فى الطريق ، ويقول لأصحاب البُردا كتبوا بخبر عِلّتى فلما وصل إلى الرَّىِّ لقيته الأخبار بوفاة طاهرٍ ووافاه رسولُ طلحة بن طاهر فأغذَّ السيرَ حتى قدم خراسانَ فلقيه طلحة فقال له أحمد : لا تكلِّمْنى ولا تُرِنى وجهَك ، فإن أباكَ عرَّضَنِى للعطبِ وزوالِ النعمةِ مع احتيالى له ، وسعيى إنما كان فى محبَّتِه فقال له : الآن أبى مضى لسبيله ، ولو أدركْتَه لما خرج عن طاعتك وأنا فأحلف لك بكل ماتسكن إليه [نفسك] وأبذل كل ماعندى من مال وغيره ، فاضمنْ عنى حسنَ الطاعةِ وضبطَ الناحية والإخلاصَ فى الصُّحْبة فكتب أحمد إلى المأمون بخبر طاهرٍ وخبر ابنه طلحةَ ، وأشار عليه بتقليده ، فأنفذ إليه المأمونُ اللواءَ والعهدَ والخلع ، وانصرف أحمد إلى مدينة السلام .

كتب عُمر إلى النعمان ، إن فى جُنْدِكَ رجلين من العرب ، عمرَو بنَ معد يكرب وطلحةَ بن خويلد الأسدى(٣) فأَحْضِرْهما الحربَ وشاورهما فى الأمر ، وابعثهما فى الطلائع ولا تُوَلِّهما عملا والسلام .

وكتب إليه كتاباً آخر : فإذا وضعَتِ الحربُ أوزارها ، فضمهما حيث وَضَعا أنفُسهما يشير إلى أن عمراً ارتدَ وطليحةَ تنبأ .

(١) فى الأصل : إن لم توافنى بشخص حتى يوافيني به كما أخرجته من يدى .
(٢) من أمر ملكى لأبيدن خضراءك . أغانى والتصويب عن الأغانى — ١٥ / ٢٣٦ .
(٣) رواية الأغانى : (فإذا حضر الناس فأدنهما وشاورهما وابعثهما ...) ١٥ / ٢٤٤ .

عمرو بن بانة[1]

هو عمرُو بن محمد بن سليم بن راشد مولى ثقيف، كان أبوه صاحبَ ديوان ووجها من وجوه الكُتّاب .

ونسب إلى أمه بانة بنت روح القحطبية . وكان صالحَ الشِّعْرِ حسن الصنعةِ والغناء ، وكان يُقْعِدُه عن اللحاق بالمتقدمين فى صنعته أنه كان مُرْتجلا . والمُرْتَجِلُ [من المحدثين] لا يلحق الضُّرّاب ، وليس فيه مَطْعَن .

وكان تَيّاها معجبا شديد الذهاب بنفسِه ، وهو معدودٌ فى ندماء الخلفاء ومُغَنِّيهم على ما كان به من الوَضَح . وفيه يقول الشاعر :

أقول لِعَمْرٍو وقد مَرّ بى ... فسَلَّم تسليمةً جافِيَه
لئن فَضَّلُوك بفَضْلِ الغناء ... فقد فَضّلَ اللهُ بالعافيه

وقال يوما لإسحاق فى كلام جَرَى بينهما : ليس مثلى يُقاسُ بمثلك ، لأنك تعلمت الغناءَ تَكَسُّبا وتعلَّمْتُه تطَرُّبا ، وكنتُ أَضْرِبُ لئلا أَتعلّم وكنتَ تضربُ حتى تتعلّم .

كان عمرُو بن بانة يُحِبّ خادما فزاره يوما فطلبَ من يَضْرِبُ عليه فلم يجد ، فقال له جعفر الطبال : إن أنا أغنيتك اليوم عن عود يضرب به عليك[2] ، أى شيء يكون لى عندك ؟ قال : مائةُ درهم قال : ودَسْتِيجَةُ[3] نبيذ قال : نعم ، وكان جعفر حاذقا نادراً طيِّبا ، وكان بَذْل الهمة فقال : أسمِعْنى مَخْرَج صوتِك ، ففعل فسَوّى عليه

(١) أغانى ١٥ : ٢٦٩ .

(٢) رواية الأغانى : إن أنا غنيتك اليوم على عود يضرب به عليك (١٥ : ٢٧٣) .

(٣) الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج ، وكانت فى الأصل (دستيجة) .

طَبْلَة فكأنما يُسَوِّى الوتَرَ واتكأ عليه برُكْبَتِه ، وأوقع عليه ، ولم يزل عمرو يغنى بقيةَ يومِه حتى أمسى ، لا ينكِر عليه شيئا ، ودفع له مائةَ درهم وأُحضرت الدَّسْتَجة فلم يكن له من يَحْمِلُها فحملها تحت طَيْلسانه .

وكان صديقَ إبراهيمَ بن المهدى فقال له : يا جعفر ، حَذِّقْ جاريتى فلانةَ ضَرْبَ الطبل ، ولك مائة دينار ، أُعَجِّلُ لك منها خمسين ديناراً ، قال : نعم ، فعَجَّل له الخمسين ، فلما حَذَقَتْ طالَبَ إبراهيمَ ببقية المائة فلم يُعْطه شيئا ، فاستعدى عليه أحمدَ ابن داود الحسَنى خليفته فأعْداه ووَكَّلَ إبراهيمُ وكيلا فلما تقدم مع الوكيل إلى القاضى أراد الوكيل أن يُكَذِبَ حجته فقال : أصلح الله القاضى ، سَلْه من أين له هذا الذى يدعيه ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضى ، أنا رجل طَبّال وقد شارطنى إبراهيمُ على مائة دينار ، على أن أُحذِقَ جاريته وعَجَّلَ لى خمسين ديناراً ، ومنعنى الباقى ، بعد أن رَضِيَ حِذْقَها فيُحْضِرُ القاضى الجاريةَ وطبْلَها وأُحضِرُ أنا طبلى ويَسْمَعُنا القاضى ، فإن كانت مثلى فيَحْكُم عليه وإلا حَذَّقْتُها [فيه] حتى يرضى القاضي . فقال : قم عليك وعليها لعنةُ الله وعلى من يَرْضَى بذلك منك ومنها ، فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه .

وصنع عمرُو بن بانة لحنا فى هذا الشعر فشاع عنه ، فعرضه على مُتَيَّم الهمامية ليَعْلَمَ ما عندها فيه ، فقالَت : إيْشٍ هذا اللحنُ الجديد والكميت المحدَث ؟ قيل : لحن صنَعَه عمرو بن بانة ، فتغنى بين يديها فقالت متيم للجارية التى تغنيه : اقطعِى ، اقطعِى ، حَسْبُكِ هذا والله كحمارِ حُنَيْنٍ المكسورِ المُشَبّه به كالكميت .

عمرُو بن عُبيد الحزين[1]

هو من كِنانةَ صَليبة ، والحزينُ لقب غَلَب عليه .

واسمه عمرُو بن عُبَيْد بن وَهْب بن مالك .

ويكنى أبا الشَّعثاء بن حُرَيْث بن جابر بن بكر ، وهو راعى الشمس الأكبر ، ابن يعمر بن عدىّ بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

وقيل : هو مولى ، وأنه الحزين[2] بن سليمان ، وسليمانُ يُكْنَى أبا الشعثاء .

وكنية الحَزِين أبو حكيم[3] ، حجازى شاعر من شعراء الدولة الأُموية ، مطبوع ، ليس من فحولِ طَبَقَتِه ، هجَّاء خبيثُ اللسان ساقطٌ يرضيه اليسير [ويتكسب] بالشعر وهجاء الناس لم يَخْدم الخلفاء ولا انتجَعَهم بمَدْح ، ولم يزل بالحجاز حتى مات .

وهو الذى مدح عبدَ الله بنَ عبدِ الملك بن مروان ، وكان عبدُ الله من فتيان بنى أُمية وظرفائهم ، حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأُمه أُم ولد ، وزوجةُ عبد الله رَمْلة[4] ابنة عبد الله بن عبيد الله[5] ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان ابن الريان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو .

وزوجتُه الأُخرى هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب

---

(١) الأغانى ١٥ : ٣٢٣ ـ تجريد ١٦٦٢ .

(٢) فى الأصل تقرأ (رابه الحزين) والتصويب عن الأغانى .

(٣) ويكنى أبا الحكم (أغانى)

(٤) فى الأصل : ربطة وما أثبتناه عن الأغانى .

(٥) فى الأصل عبيد الله بن عبيد الله .

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى تزوجها لما كان يقال إنه ناتق فى ولادها[1] فمات عنهما ولم تلد منه .

فخلفه محمد بن على بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى وبنات .

وكان عبدُ الله بنُ عبد الملك قد حَجّ ، فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ ، الشاعرُ بالمدينة ، وهو ذَرِبُ اللسان ، فإياكَ أن تحتجبَ عنه وأرْضِه . وصِفتُه أنه أشْعَرُ ذو بطن ، عظيم الأنف ، فلما قدم عبد الله المدينةَ وصفَه لحاجبه ، وقال له : إياكَ أن تَرُدَّه ، فلم يأت الحزينُ حتى قام ودخل لينامَ فقال له الحاجب : قد ارتفع فلما ولّى ذكر فلَحِقَه فقال : ارجِعْ فاستأذنَ له ، فدخل . فلما صار بين يديه ورأى جمالَه وكمالَه وفى يده قضيبُ خيزرانٍ وقف ساكتا وأمهله[2] عبدُ الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له : السلام عليك ورحمةُ الله أولا ، فقال له: وعليك السلام وحيا الله وَجْهَك أيها الأميرُ ، إنى قد كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالَك وبهاءَك أذْهَلنى عنه ، فأُنسيت ما كنت قلته وقد قلت فى مقامى هذا بيتين قال : ما هما ؟ قال :

فى كَفِّه خَيْزُرانٌ رِيحُـه عَبِقٌ ... من كَفِّ أروعَ فى عِرنينِه شَمَم

يُغْضِى حَياءً ويُغْضَى من مهابَتِه ... فما يُكَلَّمُ إلا حينَ يَبْتَسِمُ

فأجازَه فقال : أَخْدِمْنى أصلحَك الله ، فإنه لا خادم لى ، فقال : اختر أحد هذين الغلامين ، فأَخذ أحدهما . وقال عبد الله : أعلينا تَرْذُل ؟ خذ الآخر .

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق ، فى أبياته التى امتدح بها علىّ بن الحسين رضى الله عنه ، التى أولها :

هذا الذى تَعرِفُ البطحاءُ وَطْأتَه ... والبيتُ يَعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ

---

(١) فى الأصل : (كائن فى أولادها) وما ذكر عن الأغانى . والناتق الكثيرة الأولاد — والولاد : الولادة .

(٢) فى الأصل (أمله) والتصويب عن الأغانى .

وهو غَلَطٌ ممن رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يُمْدَحُ بهما مثلُ على بن الحسين ، رضى الله عنهما ، لأنهما من نعوت الجبابرة والملوك ، وليس كذلك ولا هذا من صفته رضى الله عنه ، وله من الفضل المتعارف ماليس لأحد .

قال الزهْرِى : ما رأيت هاشميا أفضلَ من على بن الحسين ، رضى الله عنهما — وكان بالمدينة ناس يعيشون ما يَدرون من أين معاشُهم ، ولما مات عَلِىّ بنُ الحسين فقدوا ما كانوا يُؤْتَوْنه . وذُكِرَ أنه كان يعول مائةَ أهلِ بَيْتٍ بالمدينة .

ومن الناس من يروى هذه الأبيات لداود بن مُسْلِم فى قُثَم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد ، مولى قثم فيه ، وأن الفرزدقَ أدخلها فى الأبيات التى قالها فى على بن الحسين .

والأبيات التى رويت وقيل إنها قيلت فى قثم :

وكم صارخ بك من راج وراجيَةٍ يدعوك ياقُثَمَ الخيراتِ ياقُثَمُ

والبيتان بعد ذلك ، والصحيحُ من كل ماقيل أنهما للحَزين فى عبدِ اللهِ وهما فى قصيدة مُنْتَظَمَةِ المعانى متشابهة تُنْبِىء عن نفسها ، قالها لما قدم على عبد الله ، وهو عاملُ مصر ، فأُتى رقيقٌ من البربر ، وفى الرقيق أخوان ، فقال عبد الله للحزين : أى الرقيق أعجب إليك ؟ قال : ليختَرْ لى الأمير ، فقال الأمير : خذ هذا فإنى رأيته حسنَ الصلاة[1] قال الحزين : لا حاجة لى به فأعطنى أخاه ، فأعطاه إياه . والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وهو الذى عَجِب عبد الله من صلاته ، وتميم أبو محمد بن تميم ؛ وهو الذى اختاره الحزين . فقال فى عبد الله يمدحه :

الله يعلمُ أن قد جئتُ ذا يَمَنٍ من العراقين لا يُثْنِينِىَ السأمُ

---

(١) فى الأغانى (حسن الصلاح — وصلاحه) .

ثم الجزيرة أعلاها وأسفلُها — لذاك تَسْرِى على الأهوالِ بى القَدَمُ
ثم المواسم قد أوْطَأتُها زمناً — وحيثُ تُحلَق عند الجمْرَةِ اللِّمَمُ
قالوا دمشق ينبيك الخبير بها — ثم ائْت مصر فثم النائل العمم
لمّا وقفتُ عليها فى الجوعِ ضُحًى — وقد تَعرَّضَت الحُجّابُ والخَدَمُ
حيَّيْته بسلام وهو مرتفق — وضَجّةُ القوم عند الباب تَزْدحمُ
فى كفه خيزرانٌ رِيحُه عَبِقٌ — من كَفٍّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغضِى حياءً ويُغْضَى من مهابتِه — فما يُكلَّم إلّا حين يَبْتسمُ
ترى رءوسَ بنى مروان خاضعةً — يَمْشُون حولَ رِكابَيْه وما ظُلِموا
إن هَشَّ هشُّوا له واستبشروا جَذَلا — وإنْ هُم أَنِسُوا إعراضَه وَجِمُوا
كلتا يدَيْه ربيعٌ غيرُ ذى خُلُفٍ — فتلك بَحْرٌ وهذى عارضٌ هَزِمُ

ومن الناس من يقول : إنها قيلت فى عبد العزيز بن مروان المذكُورِ دمشقَ ومصرَ ، وعبدُ الله بنُ عبد الملك أيضا ، ولى مصر ، وكان الحزينُ بها . كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوانُ مولى لآل مَخْرَمَةَ بن نَوْفل ، فجاء الحزينُ إلى شيخ من أهل المدينة ، فاستعاره حمارَه ، وذهب إلى العَقيق ، فشرب وأَهَلّ على الحمار ، وقد سكر ، فجاء به الحمارُ حتى وقف على باب المسجد ، كما كان صاحبُه عوَّدَه ، فمر به صفوان ، فأخذه فحبسه ، وحبس الحمار معه ، فأصبح فوجد الحمار عنده محبوسا ، فأنشده :

أيا أهلَ الجزيرة خبِّرونى — بأىِّ جريرةٍ حُبِس الحمارُ
فما للعَيْر[1] من جُرْمٍ إليكم — وما بالعَيْر إن ظُلِمَ انتصارُ

---

(١) فى الأصل : للعيس .

فردوا الحمارَ على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحدَّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو بالمسجد فقال له :

نَشَدْتُكَ بالبيتِ الذى طِيفَ حَوْلَهُ وزَمْزَمَ والبيتِ الحرامِ المُحَجَّبِ

لِزانيةٍ صفوانُ أَمْ لعفيفةٍ لأَعْلَمَ ما آتِى وما أَتَجَنَّبُ

فقال له مولاه : هو لِزانيةٍ . فخرج ينادى إنَّ صفوانَ ابنُ زانيـة ، فتعلق به صفوان ، فقال له : هذا مولاك يشهد أنك ابن زانية ، فخلّى عنه .

كان الحزينُ قد ضَرَبَ على كل رجلٍ من قريشٍ دِرهمين دِرهمين فى كل شهْرٍ ، منهم ابنُ أبى عَتيق ، فجاءه لأخْذ درهميه ، وهو على حمار له أعجف ، وكُثَيِّرٌ مع ابن أبى عتيق ، فدعا ابنُ أبى عتيق للحزين بدرهمين ، فقال له الحزين : من هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر ، كُثَيِّر بن أبى جمعة ، وكان قصيراً دميا ، فقال له الحزين : أتأذن لى أن أهْجُوَه ببيتٍ من الشعر ؟ قال: لا ، لَعَمْرى لا آذَنُ لك أن تهجو جليسى ، ولـكن أشْتَرِى عرضَه منك بدرهمين آخرين[1] ودعا له بهما فأخذهما ، ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهْجُوَه ، قال كُثَيِّرٌ: ائذَنْ له ، وما عسى أن يقول فىّ ؟ فأذن له ، فقال الحزين :

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته يَعَضُّ القرادُ باسْتِه وهو قائم

فوثب إليه كُثير فَألَزَّه[2] فسقط هو والحمارُ وخلص ابنُ أبى عتيق بينهما ، وقال لـكُثَيِّر : قبَحَك الله ، أتأذن له وتَسْفُه[3] عليه ؟ فقال كثير: وأنا ظَنَنْتُه يبلغ بى هذا كلَّه فى بيت واحد ؟

---

(١) فى الأصل : أخرى .

(٢) فوكزه (أغانى) وألزه بمعنى شده وألصقه .

(٣) وتبسط إليه يدك (أغانى) ١٤ : ٧٨ .

مر الحزينُ بجعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أَطْمَارٌ فقال له : يا ابن أبى الشَّعثاء ، إنى أصبحت عاريا ، أمْتَع اللهُ بك ، وقد نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرّةَ يريد الحج ، وقد كنت وَفَدْت إليه بمصر فأحسن إلى ، قال : أفما وجدت شيئا تَلْبسه غيرَ هذه الثياب ؟ فدعا جعفرٌ غلاما له فقال : ائتنى بجُبّة وقميص ، فدعا فجاء بذلك فقال : الْبَسْ وأبْلِ وجَدِّدْ ، فلما ولّى الحزين قال جلساء جعفر له : ما صنعت ؟ إنه يَعْمد إلى هذه الثياب التى كَسَوْته إياها فيبيعها ، ويُفْسِدُ بثمنها . فقال : ما أُبالى إذا كافأته بثيابه ماصنع بها ، فسمع الحزينُ قولَهم وما رَدّ عليهم ، ومضى حتى أتى عبدَ الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه ، فلما أصبح الحزينُ أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس فأنشده :

وما زال ينمى جعفرُ بنُ محمدٍ إلى المَجْدِ حتى جَهَّلَتْه عواذلُه

وقلنا له هل من طريفٍ وتالدٍ من المال إلا أنتَ فى الجود باذِلُه

تحاوله عن شبهة[1] قد علمتها وفى نَفْسِه أمرٌ كريمٌ يحاولُه

ثم قال له: بأبى وأمى قد سمعت ما قالوا ، وما رددت عليهم .

صحب الحزينُ رجلا من بنى عامر بن لؤى ، يلقب أبا بَعْرَة ، واسمه عيسى ، وكان قد استُعْمِلَ على سعايات ، فلما لم يصنع معه شيئا قال :

صَحِبْتُك عاما بعد سَعْدِ بن نوفلٍ وعَمْرٍو فما أشْبَهْتَ سعداً ولا عمرا

قال : وكان قد صحب قبله عمراً وسعدَ بن نَوْفَلِ بنِ مُساحِق فحمدهما :

وجادا كما قَصَّرْتَ فى طلب العُلا فُزْتَ به ذَمّا وحازا به فَخْرا

أُولاكَ الجيادُ البيضُ من آل مالك وأنتم بنـو قَيْنٍ لحقتم به نَزْرا

(١) شيمة (أغانى) .

وكان الحزين سفيها [نذلا] يمدح البرّ إذا أُعْطِيه ويهجو على مثله إذا مُنِعَه[1] ، فنزل بعاصمِ بن عمرو بن عثمان ، فلم يَقْرِه فقال :

سيروا فقد جَنّ الظلامُ عليكمُ … فبئسَ امرؤٌ يبغى القِرَى عند عاصمِ

ظَلَلْنا عليه وهو كالتَّيْسِ طاعما … نَشُدُّ على أكبادنا بالعمائم

وما لىَ من ذنب إليه عَلِمْتُهُ … سوى أننى قد جئته غيرَ صائمِ

فقيل له : إن عاصما فى قريش كثيرٌ فقال : والله لأُبَيِّنَنَّه ، فقال :

إليك ابنَ عثمان بنِ عفان ، عاصم بْـ … ـن عمرو سَرَتْ عِيسِى نخاب سُراها

وقد صادَفَتْ كَزّ اليدين مُبَخَّلا … إذا ما خَلَتْ عِرْسُ الخليل أتاها

(١) [نذلا] يمدح بالنزر إذا أعطيته ويهجو على مثله إذا منعته (أغانى) .

عنترة بن شداد[1]

وقيل : عنترةُ بن عمرو بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُراد بن مخزوم ابن زَمْعة بن ربيعة .

وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَة بن عيسى بن بغيض بن الريث ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر .

وكان يلقب بعَنْتَرَةَ الفَلْحاء ، وذلك لتشَقُّق شفتِه .

وأُمه أَمَةٌ حبشية يقال لها زَبيبة .

وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شداد وهم إخوته من أُمه .

وكان شدّادٌ نفاه وأنكره مدة ، ثم اعترف به فألحق بنسبه . وكانت العربُ تفعل ذلك ، تستعبد بنى الإماء ، فإن أنجب اعترفوا به وإلا بقى عبداً .

وكانت زوجةُ أبيه شدادٍ قبل أن يدعيه قد شكَتْه إلى أبيه ، وقالت له : إنه يراودنى عن نفسى ، فغضب شداد ، وضربه ضربا مبرحا ، وضربه بالسيف فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكَفَّتْه عنه فلما رآها ـ وكان اسمها سمية ، وقيل بل سهية ـ قال عنترة :

أَمِنْ سُمَيَّةَ دمعُ العين مذروفُ ... لو أنّ ذا منكِ قبلَ اليوم معروفُ
تجللتْنى إذ أهوى العصا قِبَلى ... كأنها صنم يُعتادُ معكوفُ
قد أطعنُ الطعنة النجلاء عن عُرُضٍ ... تَصْفَرّ كفُّ أخيها وهو منزوفُ

وغلب عليه اسمُ جدِّه وهو عنترةُ بن شداد .

---

(1) الأغانى ٨ : ٢٣٧ تجريد ٩٦٦ مهذب ٢ : ٢٧ .

وقيل : إن عنترة نشأ فى حِجْرِه فنُسِب إليه دون أبيـه ، وما ادعاه أبوه إلا بعد الـكبر .

وكان سببُ ادعائه أن بعضَ أحياءِ العرب أغاروا على بنى عبس ، فأصابوا منهم واستاقوا إبلا ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم ، فقاتلوهم عما معهم ، وعنترة فيهم . فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترة . فقال عنترة : العبدُ لا يُحْسِنُ الـكَرَّ ، ولـكن يُحْسِنُ الحِلابَ والصَّرَّ . فقال له أبوه : كُرَّ وأنت حُرّ . فـكَرَّ وهو يقول :

أنا الهجينُ عنتره كلُّ امرئٍ يَحْمِى حِرَه
أسـودَه وأحـمـرَه والواردات مُشعرَه(١)

فقاتل يومئذ قتالا شديدا ، وأبلى بلاء حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، وألحق نسبَه به .

وقيل : إن عبسا أغارت على بنى طيئ ، فأصابوا نعما ، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة : لا نقسم لك نصيبا من أنصبائنا لأنك عبد ، فلما طال الخطبُ بينهم كَرَّتْ عليهم طيئ ، فاعتزلهم عنترة ، وقال : دونـكم القوم ، فإنـكم عددهم ، فاستنقذت طيئ الإبلَ فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترة فأجابه ذلك الجواب ، فحينئذ اعترف به أبوه وقال له : العبد غيرك .

وأغربة العرب ثلاثة: عنترة وأمه زبيبة ، وخفاف بن عمرو الشَّريدىّ وأمه ندبة، والسُّلَيْك بن عمير السَّعْدى وأمه السُّلَـكَة وإليهما ينسبان .

وفى ذلك يقول عنترة :

بَـكَرَتْ تخوفنى الحتوفَ كأننى أصبحت عن عَرَضِ الحتوفِ بمَعْزِلِ

---

(١) فى الأغانى وفى الديوان :

والشعرات المُشْعَرَه الواردات مِشْفَره

فأجبتُها إن المنيـــةَ منهلٌ   لابد أن أُسْقَى بذاك المَنْهَلِ
فاقْنَىْ حياءك لا أبا لكِ واعلمى   أنى امرؤ سأموتُ إن لم أُقْتَلِ
إن المنيـــة لو تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ   شخصى(١) إذا نزَلوا بضَنْك المنزلِ
إنى امرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِبا   شَطْرِى وأحمى سائرى بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت   أُلْفيتُ خيرا من مُعِمٍّ مُخْوِلِ
والخيـــل تعلمُ والفوارسُ أننى   فرَّقْتُ جمعهمُ بضربة فَيْصَـــلِ
إذ لا أُبادِرُ فى المضيق فوارسى   أوَ لا أُوَكَّلُ(٢) بالرعيـلِ الأولِ
إن يُلْحَقوا أَكْرُر وإن يُسْتَلْحَموا   أَشْدُد وإن يُلْفَوْا بضنكٍ أَنْزِل
حين النزول يكون غايةَ مِثْلنا   ويَفِـرُّ كل مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ
والخيـــل ساهمةُ الوجوهِ كأنما   تُسْقَى فوارسُها نقيعَ الحنظـــلِ
ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظلُّه   حتى أنال به كريم المأكل

قوله : إنى امرؤ من خير عبس منصبا :

يقول : لأن أبى من أكرم عبس ، فله شطرى ، والشطر الآخر ينوب عن كرم أُمى فيه ضربى بالسيف ، فأنا خير فى قومى ممن عمه وخاله منهم ، وهو لا يغنى غنائى .

ويقال : إن هذه الأبيات قالها فى حرب داحس والغبراء .

قوله : ولقد أَبيتُ على الطَّوَى ، يعرض بقيس بن زهير سَيِّد بنى عبس ، فإن بنى عبس أغارت على بنى تميم ، فانهزمت بنو عبس ، وطلبَتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترةُ ، ولحِقَهم ليلته ، فحامَى عنترة عن الناس ، فساء ذلك قيسا وكان أكولا فبلغ ذلك عنترة فقال يُعَرِّضُ به : ولقد أبيت على الطوى ... ...

---

(١) مثلى (أغانى ٨ : ٢٤١) .
(٢) فى الأصل : (ولا أوكل) .

كان رجل من عبس قد هجا عنترة وذكر سوادَه وسوادَ أُمه وإخوتِه وعَيَّره بذلك . فقال عنترة : والله إن الناس بالطّعمة يترافدون ، والله ماحضرت مَرْفَدَ الناسِ ، ولا أبوك ولا جدك قط . وإن الناس ليُدْعَوْن فى الفزع فما رأيناك ، فى خيل قط ، أنت ولا أحداً من أهل بيتك ، ولا كنت إلا فى أرامل النساء ، ولو كنت فى مَغْرِسك الذى أنت منه أو طاولتك لطلتك ولو سألتَ أُمك وأباك عن صحةهذا لأخبراك بصحته، وإنى لأحضر الوغى وأُوفِى المغنم وأعَفُّ عن المسألة ، وأجود بما ملَكْتُ ،وأفصل الخُطَّةَ الصمماء فقال له الآخر: فأنا أشعر منك ، فقال عنترة : ستعلم — وكان عنترة لا يقول من الشعر إلا البيت والبيتين فى الحرب ، ولا يَقْصد فقال قصيدته هذه والعرب تسميها المُذَهَّبة :

هــــل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم ... أم هل عرفتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ
يادارَ عبــلةَ بالجواء تــكلَّمِى ... وعِمِى صباحا دارَ عبلةَ واسْلَمِى
ولقد نزلتُ فــلا تظنى غَيْرَه ... منى بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ
ولقد شربتُ من المــدامة بعدما ... رَكَدَ الهواجرُ بالمشُوفِ المُعْلَمِ
ولقد خشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ ... للحرب دائرةٌ على ابنَىْ ضمضمِ
الشاتِمَىْ عرضِى ولم أَشْتُمْهما ... والناذرَيْن إذا لَقِيتُهما دمِى
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمها ... قيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترةُ اقْدمِ
هلا سألتِ القومَ(١) يابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمِى
يُخْبِرْك من شهد الوقائع(٢) أننى ... أَغْشَى الوغَى وأَعَفُّ عند المَغْنَمِ
فإذا شربتُ فإننى مُسْتَهْلِكٌ ... مالى وعِرْضِى وافرٌ لم يُكْلَمِ
وإذا صحوتُ فما أُقَصِّرُ عن ندى ... وكما علمتِ شمائِلى وتَكَرُّمِى

(١) الخيلَ (أغانى — معلقات) .

(٢) الوقيعة (معلقات) .

ولما أُنشد النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، قولَ عنترة :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظَلُّه حتى أنالَ به كريم المأْكَلِ

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ما وُصِفَ لى عَربىٌّ قط فأحببت أن أراه إلا عنترة .

قيل لعنتره : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا ، قيل : فلم شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كنت أُقْدِمُ إذا رأيت الإقدام عَزْما وأُحْجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حزما ، ولا أدخل موضعا لا أرى لى منه مخرجا ، وكنت أعتمد الضعيفَ الجبانَ فأضْرِبُهُ الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشجاع فأثنى عليه فأقتله .

أغار عنترةُ على بنى نبهانَ من طَيِّيء فأطردَ لهم طريدةً وهو شيخ كبير فجعل يَطْرُدُها ويرتجز ، ويقول :

كأنما آثارها بالخَبْخَبِ آثار ظُلْمانٍ بقاعٍ محدث

وكان وزر بن جابر النَّبْهانى فى عيره فرماه وقال : خذها وأنا ابن سلمى فقطع مطاه[1] فتحمل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح :

وإن ابن سَلْمَى فاعلموا عنده دمى وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمى
إذا ما تَمَشَّى بين أجبال طَيِّيءٍ[2] مكان الثُّريا ليس بالمُتَهضَّمِ
رمانى ولم يَدْهَش بأزرق لَهْذَمٍ[3] عشيةَ حَلُّوا بين نَعْفٍ ومخْرِم

وكان الذى قتله يسمى بالأسد الرهيص .

وقيل : غزا طيئا مع قومه فانهزمت عبس فجزعت فرسُه ولم يقدر من الكبر أن يعودَ يركب فدخل دَغْلًا فأبصره رَبيئةُ طَيِّيء وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه فقتله .

(١) المطا : الظهر .

(٢) هذا الشطر رواه الأغانى :

* يحل بأكناف الشعاب وينتمى *

(٣) اللهذم : الحاد القاطع من السيوف .

عيسى بن موسى (١)

هو عيسى بنُ موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم .

ولد ونشأ بالْحُمَيْمَةِ من أرض الشام .

وكان من فُحول أهله وشجعانهم ، وذوى النجدة والرأى والبأس والسُّؤدد منهم ، ولم يكن الشعرُ من شأنِه ، ولكنه قاله لما خلعه أبو جعفر ، وبايع المهدىَّ ابنه ، كما حكى ناقدٌ خادمُ عيسى بن موسى أنه كان واقفا بين يَدَيْه وجاءه (٢) خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع ، فجعل يَتَمَلْمَلُ فى فراشه ويُهَمْهِم ثم جلس فأنشد :

خُيِّرْتُ أمرين ضاع الحزمُ بينهما إما صَغارٌ وإما فِتنـةٌ عَمَمُ
وقد هممتُ مراراً أن أساقِيَهم كأسَ المنيـةِ لولا اللهُ والرَّحِمُ
ولو فعلت لزالت عنهمُ نِعَمٌ بكُفر أمْثالِها تُسْتَنْزَلُ النِّقَمُ

قال موسى بن محمد بن على : رأيت فى المنام كأنى دخلت بستانا فلم أر فيه إلا عنقوداً واحداً عليه من الْحَب المُرَصَّف ما الله به عليم ، فوُلِدَ لى عيسى ، ثم وُلِد لعيسى ما رأيت .

كان عيسى بن موسى إذا حَجَّ يحجُّ ناسٌ كثير من أهل المدينة يتعرضون لفضله ومعروفه فيَصِلُهم .

قال : فمر الزبيرُ بنُ هشام بنِ عروة بأبى الشدائد الفزارى وهو يُنْشِد :

---

(١) الأغانى ١٦ : ٢٤١ .

(٢) ليلة أتاه خبر (١٦ : ٢٤١) .

عصابةٌ إن حَجّ عيسى حَجُّوا وإنْ أقام بالعراق دَجُّوا
قد لَمِقُوا لُمَيْقَةً فلَجّوا فالقومُ قومٌ حَجُّهم مُمَوَّجُ
أهكذا كان يكون الْحَجُّ

ثم لقى أبو الشدائد بعد ذلك الزبير فسلم عليه فلم يَرْدُدْ عليه السلام ، فقال له : ما لك يا عبدَ الله لا تَرد السلام على ؟ فقال له : ألم أسمعك تَهجو حاجّ بيتِ الله فقال أبو الشدائد :

إنى وربِّ الكعبةِ المَبْنِيَّهْ والله ما هجوتُ من ذى نِيَّه
ولا امرىء ذى رغْبَةٍ تَقِيّه[1] لكنَّنِى أرعى على البَرِّيَّه
من عُصْبةٍ أغْلَوْا على الرعيهْ [بغير أخلاق لهم شرِيّهْ][2]

(١) ذى رعة نقيه (أغانى) ١٦/٢٤٣ .
(٢) مابين القوسين زيادة من الأغانى .

عامر بن الطفيل[1]

وعلقمة بن علاثة

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر .

وعلقَمَةُ بن عُلَاثةَ بن عوف بن الأحوص .

وأُمُّ عامر كَبْشَةُ بنت عُرْوَةَ الرَّحَّال بن عُتْبة بن جعفر وأُمها أُم الظِّبَاء بنتُ معاوية ، فارس الهرّار، ابن عبادة بن عَقيل بن كعب بن ربيعة .

وأُمها خالدةُ بنتُ جعفر بن كلاب .

وأُمها فاطمة بنتُ عبد شمس بن عبد مناف .

وأُم أبيه الطفيل أُم البنين[2] بنت ربيعةَ بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

وأُم علقمةَ لَيْلى بنتُ أبى سفيان بن هلال من النَّخْع ، سَبِيَّةٌ وأُم أبيه ماويّةُ بنتُ عبد الله بن الشّيطان بن بكر بن عوف من النخع مهيرة .

كان أول ما هاج التّنَافُرَ بينهما أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبولُ ، فبَصُر به عامرٌ فقال له : لم أر كاليوم عَوْرَةَ رجلٍ أقبحَ منك فقال علقمة : أما والله ماتَثِبُ على جاراتها ولا تنازل كَنَّاتها ؛ يعرض بعامر. فقال عامر : وما أنت والقُروم ؟ والله لفرَسُ أبى حَنْوَةَ[3] أذكرُ من أبيك ، ولفَحْلُ أبى غَيْهَب أعْظَمُ ذِكْراً منك فى نجد . وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان فحلُه فحلًا لبنى حَرْملة بن الأشعر بن حرملة بن مرة بن عوف بن سعد ،

---

(١) الأغانى : ١٦ : ٢٨٣ . مهذب ٢ : ٦٨ تجريد ١٧٥٣ .

(٢) كانت فى الأصل: اليتيم وما أثبتناه عن الأغانى .

(٣) كانت فى الأصل حيوة والتصويب عن الأغانى .

وسمى غيهبًا لسواده ، فاستعاره منهم ، يستطرقه فغلبهم عليه ، فقال له علقمة : أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة، ولكن إن شئت نافرتك . فقال: قد شئت. فقال عامر : لأنا أكرم منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قصبا ، فقال علقمة : لأنا خير منك ليلا ونهاراً . فقال عامر : لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك ، فقال علقمة : [على ماذا تنافرنى ياعامر ؟ فقال عامر :][1] أنافرك على أنى أنحر منك للقاح ، وخير منك فى الصباح ، وأطعم منك فى السنة الشياح[2] . فقال عامر : أنت رجل تقاتل الناس والناس يزعمون أنى جبان ، ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعز من أن تلقاهم وأنا خلفك ، وأنت جواد ، والناس يزعمون أنى بخيل ، ولست كذلك ، ولكنى أنافرك أنى خير منك أثراً ، وأحد منك بصراً ، وأعز نفراً ، وأسرح منك ذكراً ، وقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضل على بنى مالك فى العدد ، وبصرى ناقص وبصرك صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمة[3] وأطول منك قمة[4] وأحسن منك لمة[5] ، وأجعد منك جمة[6] ، وأبعد منك همة . فقال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قصيف ، وأنت جميل وأنا قبيح، ولكنى أنافرك بآبائى وأعمامى، فقال عامر: آباؤك أعمامى، ولم أكن[7] لأنافرك بهم ولكنى أنافرك على أنى خير منك عقبا ، وأطعم منك جدبا . فقال علقمة : قد عرفت أن لك عقباً فى العشيرة وقد أطعمت طيبًا إذ سارت ولكنى أنافرك

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى وبه يستقيم الكلام (١٦/٢٨٤) .
(٢) الشياح : القحط .
(٣) الأمة : الجماعة ، الجيل من الناس .
(٤) القمة : جماعة الناس ، أعلى كل شىء ، القامة .
(٥) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٦) الجمة : مجتمع شعر الرأس .
(٧) فى الأصل : ولكنى والتصويب عن الأغانى .

على أنى خير منك وأولى بالخيرات [منك] وقد أكثرنا المراجعة ، منذ اليوم ، فخرجت أم عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر نافِرْه ، أيكما أولى بالخيرات . وقيل : قال عامر فى مراجعته : والله لأنا أركب منك فى الحُماة وأقتلُ منك للكُماة ، وخير منك للمَوْلى والمَوْلاة . فقال علقمة : والله [إنى أعزّ منك ؟][1] إنى لبَرٌّ وإنك لفاجر ، وإنى لوَفِىّ وإنك لغادر ، ففيم تفاخرنى يا عامر ؟ فقال عامر : والله إنى لأنزَلُ منك فى القَفْرَة ، وأنحر منك للبَكْرَة ، وأطعن منك للثُّغْرَة ، وأطعم منك للهَبْرة . فقال علقمة : والله إنك لكليلُ البَصَر بليدُ النظر ، وثابٌ على جاراتِك فى السَّحَر . فقال بنو خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ولكن قل له : أُنافرك بأشَرِّنا وأقربنا للخيرات وخُذْ عليه بالكِبَر ، فقال له علقمة هذا القول . فقال عامر: عَيْرٌ وتَيْسٌ وتَيْس وعَنْز فذهبت مثلا نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يُعْطَاها الحكمُ أيّنا نُفِّر عليه صاحبه أخْرَجَها ، ففعلوا ووضعوا بها رهنا من أبنائهم ، على يد رجل من بنى الوحيد يُقرّ بذلك ، فسمى الضمينَ إلى الساعة ، وهو الكفيل . وخرج علقمةُ ومن معه من بنى خالد ، وخرج عامر ومن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامرُ بن مالك ، وهو أبو بَراء ، فقال : يا عماه أعِنِّى فقال : يا ابن أخى سُبَّنى فقال : لا أسُبُّك وأنت عمى . فقال : فسُبَّ الأحوصَ فقال عامرٌ : ولا أسُبُّ الأحوص وهو عمى . فقال : فلا أُعينك ، ولكن دونَك نَعْلى فإنى قد ربعت[2] فيها أربعين مرباعا فاستَعِنْ بها فى نِفارك وجعلا منافَرَتهما إلى أبى سفيان بن حرب ، فلم يقُلْ بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كرُكْبَتَى

---

(١) الزيادة بين القوسين عن الأغانى ١٦ /٢٨٦ .

(٢) فى الأصل فإن ربعت وما أثبتناه عن الأغانى .

البعير الأَنِف قالا : فأيُّنا اليمين ؟ قال : كلا كما يَمين . وأبَى أن يَقْضى بينهما ، فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يَحْكُم بينهما ، فوثب مروان بن سُراقة ابن قَتادةَ بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال :

يا لَقريشٍ بيِّنوا الكلاما إنا رَضينا منكمُ الأَحْكاما

فبيِّنوا إن كنتمُ حُكّاما كان أبونا لَهُمُ إماما

وعَبْد عمرو منع الفِئاما في يوم نَحْر مُعْلِما إعلاما

ودعلجٌ أقدمه إقداما لولا الذى أجْشَمَهم إجشاما

لااتَّخَذَتهُم مَذْحِجٌ نَعاما

فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا ، فأتوا إلى غَيْلان بن سلمة بن مغيث الثقفى ، فردهما إلى حَرْملة بن الأشعرِ المُرِّى ، فردهما إلى هَرِم بن سِنان بن عمرو الفزارى ، فانطلقا حتى نزلا به . وقيل : ساقا الإبل معهما ، حتى أَنْتَجَتْ وأربَعَتْ لا يأتيان أحداً إلا هاب أن يقضي بينهما ، فقال هَرِم : لَعَمْرِى ، لأحكمن بينهما حكما ثم لأَفْصِلَنّ ، ثم لا أثق إلى واحد منكما ، فأعطيانى موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتُسَلِّما بما قضيت بينكما ، ففعلا فأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليومَ من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجلُ خرجوا إليه ، فخرج علقمة ببنى الأحوص ، فلم يتخلف منهم أحد مع القبابِ والجُزُرِ والقدورِ يَنْحَرون فى كل يوم ويُطْعِمون وجمع عامرٌ بنى مالك ، فقال : إنما تخاطرون بأحْسابكم فأجابوه ، وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع ثَنِيَّة إلا وجدت الأحوصَ منيخا بها ، وكره أبو براء ما كان من أمرها ، فقال عامر : فما كان من منافرتهما ودعا عامرٌ أباه أن يسير معه فقال :

أَؤُومَرُ أن أسُبَّ أباشُرَيْحٍ (١) ولا والله أفعلُ ما حَييتُ

(١) فى الأصل (أسب شريح كلا) وما أثبتناه عن الأغانى .

أُكلِّف سَعْى لقمانَ بنِ عـاد   فقال أبى شريح ما لَقيتُ
ولا أُهـدى إلى هرِم لقاحا   فيُحْيِي بعـد ذلك أو يُميت

وكره كلٌّ واحـد من البطنين ما بينهما . وقال عبدة بن عمرو بن شُريح بن الأحوص :

لحى اللهُ وَفْدَيْنَا وما ارتحلا بــه   من السَّوْءةِ الباقى عليهم وبالُها
ألا إنما يُرْدى صِفاق متينة   أبى الضَّيْم أعلاها وأثْبتَ حالُها

وسار عامرٌ وبنو عامر على الخيل مُجْنِبِي الإبل ، عليهم السلاح ، فقال رجل من غنى : يا عامر بئس ماصنعتَ ، أخرجتَ بنى عامر تنافرُ بنى الأحوص ، ومعهم القبابُ والجُزُر ، وليس معك شىء تُطْعِمُ الناس ، ما أسوأ ما صنعتَ . فقال عامر لرجل من بنى عمه : أَحْصِيا كلَّ شىء مع عَلْقَمة من قُبَّة أو قِدْرٍ أو لَقْحَةٍ ففعلا ، فقال عامرٌ : يا بنى مالك إنها المقارعةُ عن أحسابكم فاشخَصوا بمثلِ ما شَخَصُوا به ففعلوا ، وثار مع عامرٍ لبيدٌ وربيعةُ والأعشى ، ومع علقمةَ الحطيئةُ وفتيانٌ من بنى الأحوص منهم السنْدَرِىّ بن يزيد بن شُرَيْح ، ومروان بن سُراقة بن قتادة ابن عمرو بن الأحوص وهم يرتجزون فقال لبيد :

يا هَرِمٌ وأنت أهلُ عَدْلِ   إن نُفِّرَ الأحوصُ يوما قبلى
لَيَذْهَبَنّ أهــلُه بأهلى   لاتَجْمَعَنّ شكلَهم وشَكْلِى
ونَسْلَ آبائهم ونَسْلى

وقال أيضا :

إنى امرؤٌ من مالكِ بن جعفرِ   عَلْقَم قد نافرْتَ غـير مُنَفَّرِ
نافرت سَقْبا من سِقاب العَرْعَر

وقال قحافة بن عوف[1] بن الأحوص :

نَهْنِهْ إليك الشعرَ يالبيدُ واصْدُدْ فقد يَنْفَعُك الصدودُ
ساد أبونا قبل أن تَسودوا سُؤددُكم مُطَرَّفٌ زَهيدُ

وقال أيضا :

إنى إذا ما نُسِى الحياء وضاع يومَ المَشْهَدِ اللواء
أُنمى وقد حُقَّ لى النماء إلى كُهولٍ[2] ذِكْرُها سناء
إذ لا تزالُ جَلْدَةٌ كَوْماء مبقورة لِسَقْبِها رُغاء
لم يَنْهَنا عن نَحْرِها الصفاء لنا عليكم سُورةٌ ولاء
الجدُ والسؤددُ والعطاء

وقال أيضا :

أنتم هزَلتم عامر بن مالك فى شتواتِ مُضَر الهوالكِ
ياشرَّ أحياء وشرَّ هالكِ

وقال السَنْدَرِىّ ورفع صوته بإنشادها فقيل من هذا ؟ فقال :

أنا لمن أَنْكَرَ صَوْتِى السَّنْدَرِى أنا الفَتى الجَمْدُ الطويلُ الجَعْفَرِى
من وَلَدِ الأحوصِ أخوالى غَنِى

فقال عامر : أجب يالبيد ، فرغب لبيدٌ عن أجابته ، وذلك لأن السَّنْدَرِىّ كانت جدته أمةً اسمها عَيْساء فقال :

لمَّا دعانى عامرٌ لأَسُبَّهم أبيتُ وإن كان ابن عيْساء ظالما
لِئلَّا يكونَ السنْدَرِىُّ يسبنى[3] ويشتم أعماما قُروما[3] عماعما

(١) فى الأصل : تقرأ (محافر بن عون) والتصويب عن الأغانى .

(٢) ذكور (أغانى) .

(٣) (نديدتى . . . أعماما عموما) أغانى ١٦/ ٢٩٠ .

وأنْشِرَ من تحت القبور أبُوّةً ... كراماً همُ شدّوا علىّ التمائما

لعِبْتُ على أكتافهم وحُجورِهم ... وليدا وفَدَّوْنى وليدا وعاصما(١)

ألَا أبْنا ما كان شرّا لمالك ... فلا زال فى الدنيا ملوما ولائما

فوثب الحطيئة فقال :

ما يحسن الحكام بالفصل بعدما ... بدا سابقٌ ذو غُرّةٍ وحُجُولِ

وقال أيضا :

يا عامِ قد كنت ذا باعٍ ومَكْرُمَةٍ ... لو كان مسماةَ من جارَيْته أَمَمُ

جاريتَ قَرْما أجارَ الأحوصان به ... سمْحَ اليدين وفى عِرنينه شَمَمُ

لا يَصْعُبُ الأمْرُ إلا رَيْثَ يَرْكَبُه ... ولا يبيتُ على مالٍ له قَسَمُ

كانت(٢) بنو مالك مجداً ومكرمة ... وغايةً كان فيها الموتُ لو قَدِموا

وما أساءوا فراراً عن مُجَلْجلة(٣) ... لا كاهن يَمْترِى فيها ولا حَكَمُ

فأقام القومُ عنده أياما ، وأرسل إلى عامر ، فأتاه سرًّا لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر إنى كنت أرى لك رأيا ، وإن فيك خيراً ، وما حبَسْتُك هذه الأيام ، إلا لتنصرفَ عن صاحبك ، أتنافرُ رجلا لا تفخر أنت ولاقومك إلا بآبائه ؟ فما الذى أنْتَ به خيرٌ منه . فقال له عامر : نَشَدْتُك اللهَ والرحمَ أن تُفَضِّل عَلَىَّ علقمة ، فوالله لئن فَعَلْتَ لا أفلحُ بعدها أبداً . هذه ناصيتى فاجْزُزْها واحْتَكِمْ فى مالى ، وإن كنتَ لا بد فاعلا فسَوِّ بينى وبينه . قال : انصرفْ فسوف أرى رأيى ، فخرج عامر ، وهو لا يَشُكُّ أنه مُنَفَّرٌ عليه . ثم أرسل إلى علقمةَ سرًّا لا يعلم به عامر ، فأتاه فقال : والله يا علقمة إنْ كنتُ لأحْسِبُ فيك خيرا ، وأنَّ لك رأيا ، وماحبسْتُك

---

(١) (وليدا وسمونى مفيدا وعاصما) (الأغانى) .

(٢) هابت (أغانى) .

(٣) مجلجلة: مدوية بعيدة الذكر — وفى الأغانى: مجلحة وهى المصيبة التى تستأصل كل شىء.

هذه الأيامَ إلا لتنصرفَ عن صاحِبك ، أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظمُ قومك غَناء وأحمدُهم لقاء ، فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : نَشَدْتُك اللهَ والرَّحِم أنْ تُنفِرَ علىّ عامراً ، اجزُزْ ناصيتى واحْتَكِم فى مالى ، وإن كنتَ لابد فاعلا فسَوِّ بينى وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيى فخرج ، وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامرا .

وقيل إنّ هَرِما قال لعامر ، وقد استدعاه : ياعامر كيف تفاضلُ علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرم ؟ قال : لأنه أنْجَلُ منك عينا فى السناء ، وأكرمُ منك نَفَراً يوم الدعاء ، قال عامر : هل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، هو أكثر منك نائلا عند العطاء ، وأعظم منك جَفْنةً عند الدعاء ، ثم قال لعلقمة : كيف تنافر عامراً ؟ قال : ولِمَ يا هَرِم ؟ قال : أنفذُ منك لسانا وأمضَى منك سنانا . قال علقمة : فهل غيرُ ذلك ؟ قال : نعم هو أقتلُ منك للكُماة وأفَكُّ منك للعناة .

ثم إن هرما أرسل إلى بَنيه وبنى أُميةَ إنى قائل بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلتُ فلْيَطرُدْ بعضُكم عشرَ جَزائر فَلْيَنْحَرها عن عامر ، ويَطرُدْ بعضُكم عشرَ جزائر ، ولينْحَرْها عن علقمة ، وفرِّقوا بين الناس لئلا يكونَ لهم جماعة .

وأصبح هَرِمٌ فجلس مَجْلِسَه ، وأقبل الناس ، وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا ، فقام لبيدٌ . فقال :

ياهَرِمَ ابن الأكرمين مَنْصِباَ إنك قد وُلِّيتَ حُكْماً عَجَبا
فاحْكُمْ وصَوِّبْ رأس من تَصَوَّبا إن الذى يعلو عليها تُرُبُا(١)
لَخَيْرُنا عما وأما وأبا وعامرٌ خيرها مُرَكَّبا
وعامرٌ أدنى لقيسٍ نَسَبا

---

(١) فى الأصل : ندبا وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب والمعنى : أبدا أو جميعا .

فقام هرمٌ فقال : يا بنى جعفر تحاكمتما عندى ، وأنتما كرُكبتى البعير الأزم تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحدٌ إلا وفيه ماليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم .

وعَمِد بنو هَرِمٍ وبنو أبيه إلى تلك الجُزُر فنحروها ، حيث أمرهم هرم ، عن علقمة عَشْراً وعن عامر عَشْراً ، وفرقوا على النــاس ، ولم يُفَضِّل هرمٌ واحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يقول وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوةً ويوقِعَ بين الحيين شرا .

وكان الأعشى حين رَجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوارَ والُخفْرَة من علقمة ، فلم يكن عنده ماطلب ، فأجارَه عامر وخَفَرَه حتى أدَّاه ومالَه إلى أهله فقال :

علقمُ ما أنت إلى عامرٍ ... الناقضِ الأوتارِ والواترِ
إن تَسُدِ الحوصَ فلم تَعْدُهم ... فعامرٌ ساد بنى عامرِ
ساد وألْفَى قومَه سادةً ... وكابراً سادوك عن كابرِ
عَهْدِى بها فى الحىِّ قد دُرِّعَتْ ... صفراءَ مثل المُهْرَةِ الضامرِ
قد حجم[1] الثَّدْى على صدرها ... فى مُشْرِقٍ ذى بَهْجَةٍ ناضرِ
لو أَسْنَدَتْ مَيْتاً إلى صدرِها ... عاش ولم يُنقَلْ إلى قابرِ
حتى يقولَ الناسُ مما رأوا ... يا عجباً للميِّتِ الناشرِ

فلما بلغ علقمة ماقال الأعشى ، وشاع فى العرب أن هَرِما قد فَضَّله توَعَّد الأعشى فقال :

* لئن أمْسَى من الحى شاخصا *

(١) حجم الثدى : نهد وصار له نتوء وارتفاع .

وعاشَ هرِم حتى أدرك سلطانَ عمرَ بن الخطابِ ، رضى الله عنه ، فسأله عمر فقال : ياهرِم أى الرجلين كنت مفضّلا لو فضلت ؟ فقال : لو قلتُ ذلك لعادت الحرب جَذَعَةً ولبلغت شعاف(١) هجر . فقال عمر : نعم مُسْتَوْدعُ السِّرِّ ومستندُ الأمر أنت يا هرِمُ ، مثلُ هـذا فليُسَوّد العشيرة وإلى مثلك فليَسْتَبْضِع القومُ بأحكامهم .

وكان علقمة على كلاب وما والاها . وكان قد أسلم ثم ارتد فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتحِ الطائف حتى لحق بالشام مُرْتَدًّا . فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ، أقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كَعْب مُقَدِّماً رجلا ومؤخرا أُخرى . وبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه ، فبعث إليه سَرِيّـة أمَّر عليها القعقاعَ ابن عمرو ، وقال : ياقعقاعُ : سِرْ حتى تُغيرَ على علقمة بن علاثة ، لعلك تأخذُه لى أو تقتلُه ، واعلم أن شفاء النفسِ الحِرْصُ ، فاصنع ما عندك ، فخرج حتى أغار على المـاء الذى علقمة عليه ، وكان لا يبرح أن يكون على وجل فسابقهم على فرسه مرا كضةً وأسلم ولدَه وأهلَه واستاق القعقاعُ امرأةَ علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال ، فاتَّقَوْه بالإسلام ، فقدم بهم على أبى بكر ، فجحَدَتْ زوجتُه وبناتُه أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره ، فـكانوا مقيمين على الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غيرُ ذلك وقالوا لأبى بكر : ماذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسْلَمَ علقمةُ بعد ذلك فقَبِـلَ منه .

كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ربما حدّث أصحابه ، وربما تركهم يتحدثون ، ويصْغِى إليهم ويبتسم ، فبينما هم ، يوما كذلك ، يتذاكرون الشعرَ وأحاديثَ العرب سمع حسانَ بن ثابت ينْشِد هجاءَ أعشى بنى قيس بن ثعلبة لعلقمةَ بن عُلاثة ومَديحَه لعامر بن الطفيل بقوله :

(١) شعاف جمع شعفة ، وهى من كل شىء أعلاه .

علقمَ ما أنت إلى عامر ... ...

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كُفَّ عن ذِكْرِه يا حسانُ فإن أبا سفيان لما سَبّنى عند هِرَقْل رد عليه عَلْقمة ، فقال حسان : بأبى أنتَ وأمّى يا رسولَ الله من يُولِّيك يدَه فقد وجب شكره .

لما قَدِمَ عَلْقَمَةُ بن عُلَاثة المدينةَ ، وكان صديقا لخالد بن الوليد ، لقيه عمرُ ابن الخطاب ، رضى الله عنه ، فى المسجد فى جوف الليل ، وكان عمرُ يُشْبِهُ خالدَ ابن الوليد ، وكانت أمُّه حسمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، وكان خالدٌ صديقا لعلقمةَ ، فسلم عليه وظن أنه خالدٌ فقال له : أعزلوك ؟ قال : قد كان ذلك ، قال : والله ما هو إلا نَفَاسَةٌ عليك وَحَسَدٌ لك ، فقال عمرُ رضى الله عنه : فهل عندك معونة على ذلك ؟ قال : معاذَ الله ، إن لعمر علينا سمعا وطاعةً ولا نخرج إلى خلافه ، فلما أصبح عمرُ أذِنَ للناس ، فدخل خالدٌ وعَلْقَمةُ فجلس خالدٌ ، وعَلقةُ إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيه يا علقمة أنت القائل لخالد ما قلت ؟ فالتفت علقمةُ إلى خالد فقال : يا أبا سليمان أفعلتها ؟ فقال : والله ما لقَيتُك قبلَ ما ترىَ وإنى لأراك لقيتَ الرَّجُلَ . قال : أراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعتُ إلا خيراً قال : أجل فهل لك أن أولِّيكَ على حُوران ؟ قال : نعم ، فولاه إياها فمات بها .

وكان الحطيئةُ لما أطلَقَه عمرُ من حَبْسه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لى كتابا إلى عَلْقمةَ بن عُلَاثة لأقصده به ، فقد منعتنى التكَسُّبَ بشعرى ، فقال : لا أكتب . فقيل لعمر : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إن علقمةَ ليس بعاملك فتخشى أن يأثَم . وإنما هو رَجُلٌ من المسلمين تشفع له إليه ، فكتب له بما أراد فمضى الحطيئةُ بالكتاب فصادفَ علقمةَ قد مات ، والناس منصرفون من قبره ، فوقف عليه وأنشد :

أرى العيسَ تَخْدِى[1] بين قَوٍّ فضارج ... وقد لاح فى الصبح الأشاء الحواملُ

فأتبعتُهُمْ عَيْنَىّ حتى تفرّقتْ ... مع الليل عن ساق الفريد الجمائلُ

لَعَمْرِى لنعمَ المرء[2] من آل جعفر ... بحوران أمسى أعلقته[3] الحبائل

فإن تَحْىَ لا أمْلَلْ حياتى وإن تمت ... فما فى حياتى بعد موتك طائل

وما كان بينى لو لَقِيتُك سالمًا ... وبين الغِنَى إلا ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنُه : كم ظننتَ أن علقمة يُعطيك ؟ قال : مائة ناقة يَتْبعها من أولادها مائة، قال: فهى لك ، وأعطاه إياها .

(١) يقال : خدى البعير ، والفرس ، يخدى : أسرع وزج بقوائمه .
(٢) الحى (أغانى) .
(٣) اقصدته (أغانى) .

عبد يغوث[1]

هو عبد يغوث بن صلاءة[2]

وقيل عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المُعَقَّل وهو ربيعة بن كعب الأَرَتّ[3] بن ربيعة بن كاب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة[4] بن خالد بن مالك ابن أُدد بن زيد بن يشجب[5] بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرنخشد بن سام بن نوح .

وكان يقال ليعرب المُرَعَّف .

وكان عبدُ يغوث شاعرا من شعراء الجاهلية ، فارسا سيداً لقومه ، من بنى الحارث بن كعب ، وهو قائدُهم يوم الكُلَاب الثانى إلى بنى تميم ، وفى ذلك أُسِر فقُتِل .

وعبد يغوثَ من أهل بيت مُعْرِقٍ فى الشعر فى الجاهلية والإسلام، فمنهم اللجلاجُ الحارثىُّ ، وهو طفيلُ بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة ، وأخوه مُسْهِر ، فارسٌ شاعرٌ ، وهو الذى طعن عامرَ بن الطفيل فى عينه يوم فَيْف الريح .

ومنهم ممنْ أدرك الإسلام جعفرُ بن عُلْبَة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ابن الحارث بن معاوية بن صلاءة كان فارساً شاعرا صعلوكا ، أُخِذَ فى دم ، فحُبس

---

(١) أغانى ١٦ : ٣٢٨ .

(٢) فى الأصل وب : صلاة .

(٣) فى الأصل : (كلب الأزب) وما أثبتناه عن الأغانى .

(٤) فى الأصل : (عليه) .

(٥) فى الأصل : (يعرب) .

فى مكة ، ثم قُتِلَ صَبْراً ، وقد ذكرته فى حرف الجيم - لما أوقع كسرى ببنى تميم الصّفا[1] بالمشقّر فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموالُ والذرارى ، بلغ ذلك مَذْحِجاً ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنموا بنى تميم ، ثم بعثوا الرسلَ فى بلاد اليمن وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأموم الحارثى ، وهو كاهن : ما ترى فى هذا اليوم؟ فقال لهم المأموم : لا تغزوا بنى تميم ، فإنهم يسيرون أغبابا[2] ويَرِدُون مياها جبابا فتكون غنيمتكم ترابا. واجتمع من مذحجٍ ولفيفها اثنا عشر ألفا من مذحج وكِندة وخولان وهمدان ونهد وجرم وأخلاط من اليمن ، وكان رئيس مذحج عبد يَغوث بن صلاءة ، ورئيس همدان رجل يقال له مسروح[3] ورئيس كِندة البراء بن قيس بن الحارث الملك فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سَعداً والرّبابَ ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكثم بن صَيْفِىّ وهو قاضى العرب ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقِلّوا الخلافَ على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشَل ، وادَّرِعوا الليلَ ، وابرزوا فى الحرب وتثبّتوا فربَّ عجلةٍ تهَبُ رَيْثا ، ولا تختلفوا فلا جماعة لمن اختلف ، فاستعدوا للحرب ، وأقبلَ أهلُ اليمن من بنى الحارث وأشرافهم ، فنزلوا قريبا من الكلاب ، ورجلٌ من بنى زيد ابن رياح بن يربوع يقال له مُشَمِّت بن زنباع فى إبل له ، عند خاله من بنى سعد ، يقال له زهر ، فلما أبصرهم المُشَمِّت قال له : إيه دونَكَ الإبلَ ، وتَنَحَّ عن طريقهم ، ثم أتى الحى فأنذرهم ، وركب المشمت ناقةً ، وسار حتى أتى سعداً والرباب وهم على الكُلابِ فأنذرهم فأعدوا القوم وصبحوهم فأغاروا على النَّعَمِ فطردُوها وجعل يرتجز ويقول :

فى كلِّ عام نَعَمٌ ننتابُه　　　على الكُلَابِ غُيَّباً أربابُه

(١) فى الأصل : (الصفقة) .

(٢) فى الأصل : (يرون أعقابا) .

(٣) فى الأغانى (مسرح) . وفى النقائض (مشرح) .

فأجابه غلام كان من بنى سعد فى النعم على فرس له فقال :

عما قليلٍ سترى أرْبَابه صُلْبَ القناة حازما شبابه[1]

على جياد ضمر غيابه

وأقبلت سعد والرباب ، ورئيسُ الرباب النعمانُ بن حسان التميمى ، ورئيسُ بنى سعد قيسُ بن عاصم المنقرِىّ ، فقال صبى حين دنا من القوم :

فى كلِّ عام نَعَمٌ تحوونه يُلْقِحُه قومٌ وتُنْتِجونَه

أربابُه نوكى فلا يحمونَه ولا يلاقون الطِّعانَ دُونَه

أنعَمَ الإماء تَحْسَبونَه هيهات هيهات لما تَرجونَه

فقال ضمير بن أسد الحارثى[2] : انظروا إذا سُقْتُم النعمَ فإن أتتكم الخيلُ عُصَباً عُصَباً تثبت الأُولى للأُخرى حتى تَلْحَق فإن أمرَ القوم هَيِّن ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا إليكم حتى يردوا وجوه النعم [ولا ينظر بعضهم بعضا فإن أمر القوم شديد][3] فأقبل القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يَوْمَهم حتى إذا كان من آخر النهار قُتل النعمانُ بن حسان ، قتله رجلٌ من أهل اليمَن ، وكانت أُمه من بنى حَنْظلة ، يقال له : عبدُ الله بن كَعْب ، وهو الذى رماه ، وقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظلية . فقال النعمان: ثَكِلَتْك أُمك ، رُبَّ ابن حنظلية قد غاظنى ، فذهبت مثلا . وظن أهل اليمن أن بنى تميم سيَرُدُّهم قتلُ النعمان فلم يَزِدْهم ذلك إلا حرصا عليهم ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فباتوا يحرُس بعضهم بعضا ، فلما أصبحوا غَدَوْا على القتال ، فنادى قيسُ ابن عاصم : يا لَسَعْدٍ فنادى عبدُ يغوث : يا لَسَعْدٍ . قيسُ بن سعد يدعو سعدَ بنَ زيد مناة بنَ تميم ، وعبدُ يغوثَ يدعو سعدَ العشيرة ، فلما سمع سعدٌ ذلك نادى: يالَكَعْب ،

---

(١) فى الأصل (حان ما نتتابه) .

(٢) ضمرة بن لبيد الحماسى (أغانى) .

(٣) مابين القوسين عن الأغانى وبه يكمل الكلام .

فنادى عبدُ يغوث: يالَـكَعْب . قيسٌ يدعو كعبَ بن سعد ، وعبدُ يغوث يدعو كعبَ ابن عمرو .

فلما رأى ذلك قيسٌ قال : ما لهم أخزاهم الله ؟ ما ندعو لشعارٍ إلا دعوا بمثله ، فنادى قيس : يالَمُقَاعِس ، يعني ابنَ الحارث بن عمرو بن كعب ، فلما سمع وَعْلَةُ ابنُ عبد الله الجرمى الصوتَ وهو صاحب اللواء يومئذ طرحه ، وهو أول مُنْهزِم من اليمن ، وحملت عليه بنو سَعْدٍ والربابُ فهزمتهم أفظعَ هزيمة ، وجعل قَيسُ ابن عاصم ينادى : يالَتميم لا تَقْتُلوا إلا فارسا ، فإن الرَّجّالة لـكم ، وجعل يرتجز ويقول :

لما توَلّوا عُصبا شوازبَا[(١)] أقسمتُ لا أطعن إلا راكبا

إنى وجدتُ الطعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممن أنت ؟ فيقول : من بنى زَعبل ، وهو زَعبلُ بن كعب أخو الحارث بن كعب ، وهو أنذال. فـكان الأسارى يريدون بذلك رِخَصَ الفداء فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بنى تميم ، ويقول له : امسك حتى أصطاد لك زَعْبلة أُخرى ، فذهبت مثلا ، فما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون ، حتى أُسر عبدُ يغوث ، أسَرَه فتى من بنى عُمير بن عبد شمس ، وقتل يومئذ عَلقمة بن سَبّاع القُرَيعى ، وهو فارس هبّود ، وهبّود فرس عمرو ابن الجعد المرادى، وأُسر الأهتم رئيس كندة، أسره ابنُ قيس وقتل من بنى ضبة ضَمرةُ ابن أسيد الحماسي[(٢)] قتله قبيصة[(٣)] بن ضرار .

---

(١) الشازب : الخشن أو الضامر .

(٢) فى الأغانى : وقتلت بنو ضبة ضمرة بن لبيد الحماسى الـكاهن .

(٣) فى الأصل : (قيصه) .

وأما عبد يغوث فانطلق به العبشمي إلى أهله ، وكان العبشميُّ أهوج فقالت له أمه ، وقد رأت عبد يغوث جميلا وسيما ضخما : من أنت ؟ قال : أنا سيدُ القوم فضحكت وقالت : قَبَحَكَ اللهمن سيد قوم يأسرك هذا الأهوج، فقال لها : أيّتها الحرّة هل لك إلى خير ؟ قالت : وماذلك ؟ قال: أُعْطِي ابنك مائةً من الإبل ويَنْطلق بِي إلى الأهتم فإني أتخوف أن تنتزعني سعد والربابُ منه ، فضمن لها مائةً من الإبل وأرسل إلى بني الحارث بن كعب فوجهوا بها إليه ، فقبضها العبشميُّ وانطلق به إلى الأهتم فأنشده عبد يغوث :

أأهتمُ يا خيرَ البَرِيّة والدا ... ورَهْطا إذا ما الناس عَدّوا المساعيا
تدارَكْ أسيرًا عانيا في بلادِكم ... ولا تَثْقَفَنِّي التَّيْمُ أَلْقَى الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد قُتِلَ فارسُنا وسيدُنا ، ولم يُقْتَلْ لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهتمُ إليهم فأخذه عِصمة بن أثير التيمي فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تيم اقتلوني قتلة كريم ، فقال له عصمة : نعم ، وما تلك القِتْلة ، فقال : اسقوني الخمرَ ودعوني أنوحُ على نفسي . فقال له عصمة : نَعَم ، فسقاه الخمرَ وقطع له عِرْقاً يقال له الأكحل، وتركه يَنْزِفُ الدَّمَ، ومضى عنه ، وبقى عنده ابنان له ، فقالا له : جمعت أهل اليمن ، وجئت تصطلمنا ، فكيف رأيت صنع الله بك ؟ فقال عبد يغوث :

ألا لا تلوماني كَفَى اللومَ ما بيا ... فما لكما في اللوم حَظٌّ ولا ليا
ألم تعلما أن الملامةَ نَفْعُها ... قليل وما لومِي أخي من شماليا[1]
أيا راكباً إما عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... نداماي من نَجْرانَ ألا تَلاقيا
أبا كَرَبٍ والأيْهَمَيْنِ كلاهما ... وقيسا بأعلى حضرموتَ اليمانيا

---

(١) شماليا : يريد شمائلي .

جزى الله قومى بالـكلاب ملامةً صريحهمُ والآخرين المواليا
ولو شئت نجّتنى من الخيلِ نهدةٌ ترى خلفها الحُوَّ الجيـادَ تواليا[1]
ولـكننى أحمى ذمار أبيكمُ وكان الرماحُ يختطِفنَ المحاميا
وتضحكُ منى شَيْخَـةٌ عَبْشَمِيَّة كأن لم ترَ قبـلى أسيراً يمانيا
وقـد علمت عُرْسِى مُلَيْـكَة أننى أنا الليثُ معْدُوًّا عـلىَّ وعاديا

وكانوا قد شدوا لسانه لئلا يهجُوهم وأبوا إلا قتْلَه فقال :

أقول وقـد شدُّوا لسانى بنِسْعَةٍ أمعشرَ تيمٍ أطلقوا من لسانيـا
أمعشر تَيْم قد مَلـكتم فاسْجحوا فإن أخاكم لم يكن من بوائيا
فإن تقتلونى تقتـلوا بىَ سَيِّدا وإن تطلقونى تحْرُبُونى[2] بماليا
أحقا عبادَ اللهِ أن لست سامعا نشيد الرعـاء المُعْزِبين المتاليا
وقد كنت نحّارَ الجزورِ ومُعْمِلَ الـ مَطِىَّ وأمْضِى حيثُ لا حَىَّ ماضيا
وأنحر للشَّربِ الـكرامِ مَطيتى وأصْدَعَ بين القَيْنتين ردائيـا
وعادية سوم الجراد وزعتهـا[3] بكفى وقـد انحَوْا إلىَّ العواليا
كأنىَ لم أركبْ جواداً ولم أقـل لخيـلى كُرِّى نَفِّسِى عن رِجاليا
ولم أسْبَأ الزِّق الروِىّ ولم أقـل لأيْسارِ صدق أعظموا ضوءَ ناريا

فقتلوه بالنعمان بن حسان وقالت صفية بنت الخرع ترثى النعمان :

لقد أجدْنا شفاءَ النفسِ لو شُفِيَتْ وما قتلنا بـه إلا امرأً دونه

وأما وَعْـلة بنُ عبدُ الله الجَرْمى فلحقه رجل من بنى سعد فعقَر مَرْكُوبَه

(١) فى الأصل : (يرى خلفها يهجو الجبان مواليا) وما أثبتناه عن الأغانى ١٦/٣٣٤ .
(٢) حرب الرجل : سلبه ماله .
(٣) فى الأصل : (بين الجراد رعيتها) .

فنزل وجعل يعدو على رجليه ، فلحق رجلا من بنى نهد ، يقال له سليط بن قتب بن رفاعة فقال له : اردفنى ، فأبى فطرحه عن فرسه ، وركب عليه وأدركت الخيلُ النهدىَّ فقتلوه فقال وعلة فى ذلك :

ولما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقَاعِسا ... علمتُ بأن اليوم أغْبَرُ فاجرُ
نجوتُ نجاءً لم يرِ الناس مِثْلَهَ(١) ... كأنى عقابٌ دون تيماءَ(٢) كاسرُ

وقالت نائحة عمرو بن الجعد :

أشاب قَذالَ الرأسِ مَصْرَعُ سيدٍ ... وفَارِسُ هَبّودٍ أشابَ النواصيا

وقال علقمة بن سَبّاع لعمرو بن الجعد :

لما رأيت الأمرَ مَخْلوجَةً ... أَكْرَهْتُ فيه ذا بَلاً مارنا
قلت له خُذْها فإنى امرؤٌ ... يعرف رُمْحِى الرجُلَ الكاهِنا

يعنى أن عَمْرو بن الجعد كان كاهنا .

---

(١) نجوت نجاء ليس فيه وتيرة (أغانى) .
(٢) تيم (أغانى).

عبد الله بن الدمينة[1]

هو عبدُ الله بن عبيدِ الله ، أحدُ بنى عامر بن تيم الله بن مُبَشّر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أفتل ، وهو خثعم بن أنمار بن إياس بن عمرو بن الغوث ابن نبت بن مالك .

وقيل إن أكلب هو ربيعة بن نزار وليس هو ابن عفرس وإنما هم حالفوا خثعم ، ونزلوا فيهم ونسبوا إليهم .

والدُّمَيْنَة أمه ، وهى بنت حُذَيْفة السلولية .

وكانت كنيةُ ابنِ الدمينة أبا السرى .

كان بلغَه أن رجلا من أخواله ، من سلول ، يقال له مزاحُم بن عمرو يأتى امرأتَه حماء ليلا فرَصَدَه حتى أتاها فقتله ، وقتلَها بعده وقتلَه مصعبُ بن عمرو أخو مزاحم .

وكان مزاحم بن عمرو قد هجا ابنَ الدمينة بقصيدة أفْحشَ فيها وذكر امرأته فقال :

يا ابنَ الدمينةِ والأخبارُ يرفعُها ... وخْدُ النجائبِ والمحقور يُخفيها
يا ابن الدمينة إن تَغْضَبْ لما فَعَلَتْ ... وطال خِزيُك أو تَغْضَبْ مَوالِيها
أو تُبْغِضُونى فكم من طعنةٍ نَفَذَتْ ... يعدو خلال[2] اختلاجِ الجوْفِ عاديها
جاهدتُ فيها لكم إنى لكم أبدا ... أبغى مجابَتَكم[3] عَمْداً فآتيها
لا بِر[4] عندى لكم حتى تُغَيِّبَنى ... غبراء مظلمةٌ هـــارٍ نواحيها

(١) أغانى (أميرى) ١٥/١٥٤ مهذب ٣/٩٠ .
(٢) فى الأصل : تبدو اختلال .
(٣) معايبكم (أغانى) .
(٤) فذاك (أغانى) .

أغشى نساء بنى تَيْمٍ إذا هجعت عَنِّى العيونُ ولا أبغى مَقاريهـا
كم كاعب من بنى تَيْمٍ قعدتُ لهـا وعانسٍ حين ذاق الموت(١) حاميها
كقعْدةِ الأعْسرِ العلفوف(٢) منتحيا مُتْنَيَةً من متون(٣) السَّيْلِ يُنْحيها
علامَــةُ كَيَّةٍ ما بين سُرَّتِها وبين عانتِها لا شُلَّ كاويها
وشهقة عند حَبْسِ المــاء تشهقها وقولِ رُكْبَتِها قض حــين تثنيها
وتَعْدِلُ الأيرَ إنْ زاغَتْ فتبعثـه حتى يُقيمَ برفــقٍ صدرَه فيها
بين الصفوفين فى مستهدف وَمِدٍ(٤) ذى حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا يرى ابن عبيـد الله فى امرأة ليست بالحصيفة عذراً أجاريها

فلما بلغ ابنَ الدُّمَيْنة هذا الشعرُ أتى امرأتَه ، فقال لها : قد قال هذا الرجلُ فيك ما قال ، وقد بلغَكِ ، فقالت : والله ما رأى ذلك منى قط ، فقال : فمن أين له العلاماتِ؟ قالت : وصفها له النساء، فقال : هيهات أن يكون ذلك كذلك. ثم أمْسَك يده وصَبَر حتى ظن أن مزاحماً نَسِى القصة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلِفَ أن ذلك مما وصفه له النساء . فقال لها : والله لئن لم تُمَكِّنِينى منه لأَقْتُلَنَّكِ، فعلمت أنه سيفعل ذلك ، فبعثت إليه وواعدته ليلا ، وقعد له ابن الدُّمينة وصاحبٌ له فجاءها للوعد ، فجعل يكلمها ، وهى مكانها ، فلم تــكلِّمْهُ ، فقال لها : ياحماء ما هــذا الجفاء الليلةَ ؟ فقال له ابنُ الدمينة بصوتٍ ضعيفٍ : ادخلْ، فدخلَ فأهوى بيده ليَضَعَها عليها فوضعَها على ابن الدمينة . فوثب إليه هو وصاحبُه ، وقد جعل له حصًى فى ثَوْبٍ

(١) النوم (أغانى) .
(٢) فى الأصل : المعلوف وما أثبتناه عن الأغانى. والعلفوف : الجافى المسن الكثير اللحم .
(٣) من متين النبل يرميها (١٥ : ١٥٢) .
(٤) يقال ومد اليوم والليلة : اشتد حرها مع سكون الريح فهو ومد .

فضربَ به كَبده حتى قتَلَه فأخرجه فطارحَه مَيِّتا . وجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح فعلموا أن ابن الدمينة قتله . وقال ابن الدمينة :

قالوا هَجَتْك سلولُ القوم مُخْفِيةً ... فاليومَ أهْجُو سلولا لا أُخافيها
قالوا هِجاكَ سَلُولِيٌّ فقلت لهم ... قد أنْصَفَ الصَّخْرَةَ الصماءَ راميها
رجالهمُ شرُّ من يمشِي ونِسْوَتُهم ... شرُّ البريةِ واستٌ ذَلَّ حاميها
يَحْكُكْنَ بالصخر أستاهاً بها نَقَبٌ ... لا يَحْكُ نِقَابَ الجُرْبِ طاليها

وقال يذكر دخولَ مُزاحمٍ ، ووَضْعَ يده عليه :

لك الخير أن واعدْتَ حماءَ فالقَها ... نهاراً ولا تُدْلِجْ إذا الليل أظْلما
فإنك لا تدرى أبيضاءَ طَفْلَةً ... تعانقُ أم ليثا من القوم ضَيْغما
فلما سَرَى عن ساعِدَىّ ولِحْيَتِي ... وأيقن أنى لستُ حَمَّاءَ جَمْجَما

ثم إن ابن الدمينة أتى امرأته ، فطرح على وجهها قطيفةً وجلس عليها ، فبكت بُنَيَّة له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها . وقال :

* لا تتخذن من كلب سوء جرواً *

وجلس عليها حتى قتلها وقال :

إذا قعَدْتَ على عِرنِينِ جاريةٍ ... فوق القطيفة فادعو لى بِحَفَّارِ

وخرج جناح أخو مزاحم إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْداه على ابن الدمينة فحبسه .

وقالت أم أبان والدةُ مزاحم تَرْثِى مُزاحِما وتحُضُّ جنَاحًا ومُصْعبا :

بأهلِى ومالِى بل بِجُلِّ عَشيرتِى ... بنى تيم لا تغدو بغير سلاح[1]
فهلا قتَلْتُم بالسلاح ابنَ أُختكم ... فيظهر فيه للشهود جِراح
فلا تَطْمَعوا فى الصلح مادمت حية ... وما دام حيا مصعب وجناح

---

(١) قتيل بنى تيم بغير سلاح (أغانى ١٥ : ١٤٦) .

ألم تعلموا أن الدوائر بيننا تدورُ وأن الطالبين شِحاحُ

ولما طال حبسه ولم يجد أحمد بن إسماعيل عليه حُجّةً ولا سبيلا خَلّاه .

وقتلت سلولُ رجلا من خَثْعَم مكانَ المقتول ، وقتلت خثعم نفراً من سلول ، ولهم فى ذلك قِصَص . وأقبل ابن الدمينة حاجا بعد مدة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه ، وقد كانت أُمه حرضته عليه ، وقالت له : اقتل ابنَ الدمينة فإنه قتل أخاك ، وهجا قومه ، ودمُ أخيك مَطلولٌ ، وكنت أُعْذِرك قبل هذا ، فإنك كنت صغيراً ، وقد كَبِرْتَ الآن ، فلما أكْثَرَتْ عليه خرج من عِنْدِها وبَصُر بابن الدمينة واقفاً يُنْشِدُ الناسَ ، فعدا إلى جزار فأخذ شَفرَته ، وعدا على ابن الدمينة فجرحه بها جَرْحَيْن . فقيل : مات لوَقْتِه ، وقيل سَلِمَ . ومر عليه مصعبٌ بعد ذلك ، وهو فى سوقٍ يُنْشِد فعلاه بسيفه حتى قتله ، وعَدَا واتّبعه الناس حتى اقتحم داراً وأَغْلقَها على نفسه ، فجاء رجل من قومه فصاح به : يا مصعب إن لم تضع يدك فى يد السلطان قَتَلَتْك العامةُ فاخرج . فلما عرفه قال : أنا فى ذمتك حتى توصلنى إلى السلطان ، فسلمه إلى السلطان ، فقذفه فى سجن تبالة . ومكث ابنُ الدمينة ليلته جريحا ومات من الغد .

وبلغ مصعبا أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجنَ تبالة فيقتلوه ، فقال يحرض قومه بهذا الشعر :

إذا انْتَبَحَتْ كلابُ السجنِ حولى طمعتُ هشاشة وهفا فؤادى

طماعةَ أن يَدُقَّ السجنَ قومى وخوفاً أن يُبَيِّتنى الأعادى

فما ظنى بقومى شَرُّ ظَنٍّ ولا أن يُسْلِمونى فى البلاد

وقد جَنْدَلْتُ قاتلهم فأمسى يَمُجُّ دَمَ الوتين على الوِساد

فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن، وأخرجوه منه وهرب إلى صنعاء ، ولم يكن جَلْدًا من الرجال فقال :

أيبني أفى يُمنَى يدَيْك جعلتِنى فأطمع أم صيَّرْتِنى فى شمالكا
أبيت كأنى بين شِقَّيْنِ من عصا حذار الردى أو خيْفةً من زيالكا
تعاللت كى أشجَى وما بك علة تريدون قتلى قد ظفرت بذلكا

كان ابن الدمينة قد هوى امرأة من قومه يقال لها أُميمة ، فهام بها مدة ، فلما وصلته تجنّى عليها ، وجعل ينقطع عنها ، ويغاضبها . ثم زارها ذات يوم ، فتعاتبا طويلا ، ثم أقبلت عليه أُميمة فقالت :

وأنت الذى أَخْلَفْتَنى ما وعدتنى وأَشْمَتَّ بى من كان فيك يلومُ
وأبرزتنى للناس حتى (١) تركْتَنى لهم غَرَضا أُرْمَى وأنت سليمُ
فلو أن قولا يَكْلِمُ الجسمَ قد بدا بجِسْمِىَ من قولِ الوُشاة كلومُ

فأجابها ابن الدمينة بقوله :

وأنت الذى كَلَّفتِنى دلَجَ السُّرَى وجُونُ القطا بالجَلْهَتَيْن جُثُومُ
وأنت الذى قَطَّعْتِ قَلْبِى حزازة وفرقت جُرْحَ القلبِ فهو كَلِيمُ
وأنت الذى أَحْفَظْتِ قومى فكلُّهُم بعيدُ الرضا دانى الصُّدودِ كَظِيمُ

ثم تزوّجها بعد ذلك وقُتِل وهى عنده .

ومن شعر ابن الدمينة :

ألا يا صَبَا نَجْدٍ متى هِجْتَ من نَجْدِ لقد زادنى مَسْراك وَجْدًا على وَجْدِ
أإن هَتَفَتْ ورقاءُ فى رَونقِ الضُّحى على فَنَنٍ غَضِّ النباتِ من الرَّنْدِ
بكيتَ كما يبكِى الوليدُ ولم أكُنْ جزوعاً وأبديتَ الذى لم تكن تُبْدِى
وقد زعموا أن المُحِبَّ إذا دنا يُمَلّ وأن النَّأْىَ يَشْفِى من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يَشْفِ ما بنا على أن قُرْبَ الدارِ خيرٌ من البُعْدِ
على أنّ قُرْبَ الدارِ ليس بنافعٍ إذا كان من تهواه ليس بذى وُدِّ

---

(١) ثم (أغانى) .

كان ابن الدمينة يهوى امرأة من قَوْمِه ، فأرسلت إليه إن أهلى قد نهونى عن لقائك ومراسلتك ، فأرسل إليها :

أَطَعْتِ الآمريك بِبَتِّ حَبْلى ... مُرِيهم فى أَحِبَّتِهِمْ بذاكِ
فإنْ هُمُ طاوعوكِ فطاوعيهم ... وإن عاصَوْكِ فاعْصَىْ من عصاكِ
أَمَا والراقصاتِ بذات عرق(١) ... ومن صَلَّى بنُعْمَانَ الأراكِ
لقد أضْمَرْتُ حُبَّك فى فؤادى ... وما أضمرتُ حُبًّا من سواكِ

قال الأصمعى : مررت بالكوفة بجاريةٍ تَطَلَّع من جِدار إلى طريق على فتى واقف وهو يقول لها :

أسهرُ فيك وتنامين عنى ، وأبكى وتضحكين منى ، وتستريحين وأتعبُ ، وأمحضُك المودةَ وتَمْذُقينها ، وأَصْدُقُك وتُنافقينى ، ويأمركِ عَدُوِّى بهجرى فتُطيعينَه ، ويأمرنى نَصوحى بهَجْوك فأعْصِيه .

ثم تنفَّسَ وأجهشَ بالبكاء .

فقالت له : إن أهلى يمنعوننى منك ، ويَنْهَوْننى عنك ، فكيف أصنع ؟

فأنشدها :

أُريت(٢) الآمريك بِبَتِّ حَبْلى ... ... الأبيات

ثم التفتَ فرآنى فقال : يا فتى ما تقول أنت فيما قلت ؟

فقلت : والله لو عاش ابن أبى ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك .

---

(١) بكل فج (أغانى) .
(٢) أطعت (الأغانى) .

عزة المَيْلاء[1]

مولاةٌ للأنصار ، مسكنها المدينة ، من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسما .

وسُميت الميلاء لتمايلها فى مشيها .

وقيل : كانت تلبس المُلاء وتَتَشَبَّه بالرجال ، فسميت بذلك .

وقيل : بل كانت مُغْراةً بشُرْبِ النبيذِ ، وكانت تقول : خذ ملاءً واردُد فارغا .

وكانت مطبوعةً على الغناء ، أحسنَ الناس صوتا بعُودٍ . وهى أقدم من غنى الغناء المُوَقَّعَ من نساء الحجاز .

لما قدم سائبُ خاثر ونشيط المدينةَ غنّيا أغانى الفارسيّة فلُقِّنَتْ عزةُ عنهما نَغَمًا وألَّفَتْ عليه ألحانا أعْجَمِيّة ، فهى أولُ من غنى أهل المدينة بالغناء ، وحرض نساءهم ورجالهم عليه .

وكان مشايخُ أهل المدينة إذا ذكروا عَزَّةَ قالوا : لله درُّها ، ما كان أحسنَ غناءها وأحلى صَوتَها وأندى حَلْقَها وأحسن ضَرْبَها وأجمل وجْهَهَا وأظرف لسانَها وأقرب مجلسَها وأكرم خلقَها وأسخى نفسَها وأحسن مساعدتَها .

وكان ابن سُرَيْج فى حداثة سِنِّه يأتى المدينةَ ، ويتعلم غناءها .

وكان إذا سئل من أحسنُ غِناء ؟ قال : مولاة الأنصار المُفَضَّلَةُ على كل من غَنَّى وضرب بالمعازفِ والعيدانِ من الرجال والنساء .

كان طويس أكثر ما[2] يأوى إلى عزة الميلاء ، وكان فى جوارها وكان إذا

---

(١) الأغانى أميرى ١٦ : ١٣ .

(٢) فى الأصل : (أكرم) .

ذَكَرَها يقول : هى سيدةُ مَنْ غَنّى من النساء ، مع جمال بارع ، وخلق فاضل ، وإسلام لا يشوبه دنَس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، وتنهى عن السوء وهى مُجانِبَتُه ، فناهيك بها ما كان أنبلَها وأنبلَ مجلِسِها .

كانت إذا جلست جلوسا عامّا كأن الطير على رءوس أهل مجلسها . فمن تكلم أو تحرك نقَرَ رأسه .

قال ابن سلام : وما ظنك بمن يقول فيها طُوَيْسٌ هذا القولَ ومن هو الذى سَلِمَ من إساءة طُويس ؟

وكان عبدُ الله بنُ جعفر بن أبى طالب ، وابنُ أبى عتيق وعمرُ بن عبد الله بن أبى ربيعة ، يَغْشَوْنها فى منزلها فتغنّيهم .

وغنت عُمَرَ لحنا لها فى شعر من شعره ، فشق ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما أفاق قال له القوم : لغيرك الجهلُ يا أبا الخطاب . قال : إنى سمعتُ ما لم أملِكْ نفسى ولا عقلى .

وكان حسانُ بن ثابت مُعْجَبا بغنائها ويُقَدِّمها على سائر قيان المدينة . خَتَن زيدُ بن ثابتٍ بَنيه ، وأَوْلَم ، فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة ، وحضر حسانُ بنُ ثابت ، وقد كُفَّ بصرُه وثَقُل سَمْعه .

وكان يقول إذا دعى : أعُرْسٌ أم اعْذَارُ ؟ نَخْضَرَ ، وبين يديه خِوانٌ ليس معه عليه إلا ابنُه عبد الرحمن ، وكان يسأله فلما وضِعَتِ الصَّحْفَةُ قال : أطعامُ يدٍ أو يدين؟ فقيل : طعامُ يد . فلم يزل يأكل حتى جىء بشواء . فقيل: أطعامُ يد أو يدين ؟ فقيل : بل طعام يدين ، فأمسك يده فلما فرغ من الطعام ثُنِيَتْ وسادة وأقبلتْ عزة الميلاء ، وهى يومئذ شابة فوضع فى حجرها مِزْهَرٌ فضربت فيه ، وغنت أول غنائها فى شعر حسان وهو :

فلا زال قَصْرٌ بين بُصْرَى وجِلَّقٍ   عليه من الوَسْمِيّ جَـودٌ ووابلُ

فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان على خديه ، وهو مُصْغٍ لها . وكَنى بطعام اليدِ عن الثريد ، وطعامِ اليدين عن الشواء ، لأنه ينهش نهشا .

حضر حسان فى مأْدُبة لآل نبيط وغَنّت عزةُ الميلاء ورائقة[1] فى شعر حسان .

انظر نهاراً بباب جِلَّقَ هل   تُؤَنِّسُ[2] دون البلقاء من أحد

فجعل حسان يقول : قد أرانى هناك سميعا بصيراً ، وهو يبكى فإذا سكتتا سكن عنه البكاء .

وكان ابنه عبدُ الرحمن كلما سكتتا يشير إليهما أن غنيا فيبكى أبوه ، فلما انقلب حسان من المأدبة إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأُخرى ، وقال : لقد أذكرتنى عزةُ وصاحبتُها أمرا ماسمِعَتْه أُذناى بعد ليالى جاهليتنا مع جبلةَ ابن الأيهم .

قال خارجة بن زيد : فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيانُ يَكُنَّ مع جبلة بنِ الأيهم ؟ فتبسم ثم جلس إليه ، فقال : لقد رأيت عَشْرَ قيانٍ خمسَ روميَّاتٍ يغنِّينَ بالرومية بالبَرْبَطِ وخمسا يغنين غناءَ أهل الحِيرةِ أهداهُن إليه إياسُ بنُ قبيصة ، وكان يفد عليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها .

وكان إذا جلس للشرب فُرِشَ تحته الآسُ والوردُ والياسمينُ وأصنافُ الرياحين وضرب العنبر والمسك فى صُحُفِ الفضة وأُوقِدَ له العودُ الهندىّ إن كان شتاء وُبطِّنَ بالثَّلْجِ إن كان صيفا . ويأتى هو وأصحابه بكُسًى من الكَتّان ، وبالشتاء بفراء الفَنَكِ[3] وما أشبه ذلك . ولا والله ما جلست معه يوما قط إلا خلع علىَّ من

---

(١) فى الأصل (ريقة) .

(٢) أنس الشىء : أبصره وعلمه .

(٣) الفنك : جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء .

ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيرى من جلسائه. هذا، مع حلم مِمَّنْ جَهِل وضَحِكٍ وبَذْلٍ من غير مسألة، مع حُسْنِ وجهٍ وحسنِ حديثٍ، وما رأيت في مجلسه خَناً قط ولا عربدةً، ونحن يومئذ على دين الشرك، فجاء الله بالإسلام فتركنا الخمر وما كَرِه وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ(١) في الزهور والطرب، فلا يشرب أحدُكم ثلاثةَ أقداح إلا يصاحب صاحبه(٢) ويفارقه وتضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون.

وقيل: إن حسان لما فَرِغَ من الطعام ثقُلَ جلوسه على من كان حاضراً فأومأ ابنهُ إلى عَزّةَ فغنت:

انظر خليلى بباب جلق هل تؤنِّس دون البلقاء من أحد
أجمال شعثاء إذ هبطن من الـ مَخْمِص بين الطبثان فالسند

فبكى حسان حتى سَدَرَ ثم قال: هذا عمل الفاسق، أما لقد كرهتم مجالستى فقبح الله مجلسَكم سائرَ اليوم. وانصرف إلى بيته.

وشعثاء المذكورةُ هى امرأةٌ من أَسْلَم تزوَّجها حسان فولدت له بنته أُمَّ فراس، فتزوجها عبد الرحمن بن الحكم.

وقيل: هى شعثاء بنت عمرو من بنى ماسكة من يهود، وكان أبوها مدراس الذى يلى الدراسة للتوراة وكان ذا قدر فيهم.

وكان حسانُ لما خطبها إلى قومها مِنْ أسلم ردوه فهجاهم.

قال رجل من أهل المدينة ما ذكرت قط بيت حسان بن ثابت:

أَهْوَى حديثَ النُّدمانِ في فَلَقِ الصُّـ ـبحِ وصَوْتَ المُسَامِرِ الغَرِدِ

إلا عُدْتُ في القوة كما كنت.

(١) الفضيخ: عصير العنب، وشراب يتخذ من التمر، ولبن مزج بماء كثير فصار رقيقا،
(٢) صاحبته ويفارقها وتضرب فيه (أغانى).

اجتمع فتيةٌ من قريش عند قَيْنة من القَيْنات ، ومعهم عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت ، فبينا هم مجتمعون إذ استأذن حسانٌ ، فكره القومُ دخولَه وشق عليهم. فقال عبدالرحمن: أيَسُرُّكم ألا يجلس؟ قالوا: نعمْ، قال: مروا هذه إذا دخل أن تغنى :

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يَسْقون من وَرَدَ البريصَ عليهمُ كأسا تُصَفَّق بالرحيق السَّلْسَلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأُنوف من الطرازِ الأَوَّلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم لا يَسْألون عن السوادِ المُقْبِلِ

فبكى حسانٌ حتى ظنوا أنه سيلفظ نفسه ، ثم قال : أفيكم الفاسقُ ؟ لعمرى لقد كَرِهْتم مُجالستى . وقام فانصرف .

كان فى المدينة رجلٌ ناسك من أهل العلم والفقه ، وكان يَغْشَى عبد الله بن جعفر ، فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغنى :

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انقطعا واحتلت الغَوْرَ فالجُدَّيْن فالفَرَعا
وأنكرتْنِى وما كان الذى نَكِرَتْ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

فهام بها وترك ما كان عليه ، فمشى إليه عطاء وطاوسُ ولاماه فكان جوابه أن تمثل :

يلومنى فيكِ أقوامٌ أجالسُهم فما أبالى أطارَ اللومُ أم وَقَعا

وبلغ عبدَ الله بن جعفر خبرُه ، فبعث إلى النخاس ، وأحضر الجاريةَ وسمع غناءها فى هذا الصوت ، فقال لها : ممن أَخَذْتيه ؟ فقالت : من عزة الميلاء ، فابتاعها بأربعة آلاف درهم ، ثم بعث إلى الرجل يسأله خبرَها فأعلمه إياه . وصدقه عنه . فقال : أتحب أن تسمع هذا القول ممن أَخَذَتْه عنه الجاريةُ ؟ قال : نعم . فدعا بعزةَ الميلاء فقال : غنيه إياه. فغنته فصُعِقَ الرجل وأُغمى عليه . فقال ابن جعفر : أَثِمْنَا فيه، الماءَ الماءَ . فنُضِحَ على وجهه ، فلما أفاق قال له : أكلُّ هذا بلغ بك من عشقها ؟ فقال :

وما خَفِيَ عنك أكثر . قال : أفتُحِبّ أن تسمَعه منها [قال : قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالي إن سمعته منها][1] وأنا لا أقدر على مِلْكها، قال : أفتعرِفُها إن رأيتها؟ قال: لم أعرف غَيْرَها فأمر بها فأُخرجت. فقال: خذْها فهي لك ، ووالله ما نظرتُ إليها إلا عن عرض فقبل الرجل يديه ورجليه [وقال : أنمتَ][2] عيني وأحييتَ نَفْسي، ورددت عليّ عَقْلي ، وتركتني أعيشُ بين أهلي.ودعا له دعاء كثيرا ، فقال عبدالله : ما أرضى أعطيكها هكذا يا غلام احمل معه مثل ثمنها لكي تهتم به ويهتم بها .

بينا عزة يوما بحضرة ابن أبي عتيق تغني ، وكانت له جارية تَعَلَّقَهَا فتى من فتيان المدينة ، وكان كثيراً ما يعبث بها ، فأعلَمَتْ ابنَ أبي عتيق بذلك . فقال لها : قولي له: وأنا أيضا أُحبُّك ، فإذا قال لك . فكيف لي بك ؟ فقولي له : مولاي يخرج إلى مالٍ له ، فإذا خرج أدْخَلْتُك المنزل . وجَمَع ابنُ أبي عتيق ناساً من أصحابه وقال لَعزّة غني فغَنَّتْ ساعةً وتلبثت الجاريةُ ساعة. ودخلت البيتَ كأنها تطلب حاجة . فقال لها: تعالَيْ فقالت: الآن آتيك. ثم عادت فدعاها فاعتلّتْ فوثَبَ فأخذَها فوقعا على الحَجَلَةِ. فوثب ابنُ أبي عتيق هو وأصحابُه فقال وهو غير مكترث : يافساقُ ما يُجْلِسُكم مع هذه المغنية ؟ فضحك ابنُ أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا ستر الله عليك . فقالت له عزة : يا ابن الصديق ما أظرفه لو لا فِسْقُه. فاستحى وخرج .

وبلغه عن ابن أبي عتيق بعد ذلك أنه إن وقع في يده أن يَصير به إلى السلطان فأقبل يعبثُ بها كلما خَرَجَت فشكت ذلك إلى مولاها . فقال لها : أوَ لَمْ يرتدعْ عن العبث بك؟ قالت له: لا. قال: فهيِّئي طحن ليلة إلى الغداة . فهيأتْ ثم قال لها : عديه

---

(١) ما بين القوسين تكملة للكلام وهو من الأغاني .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني وهو بياض بالأصل .

الليلةَ ، فإذا جاء قولى : إن وظيفتى الليلةَ طَحْنُ هذا كلِّه . ثم اخرجى إلى البيت واتركيه ، ففعلت . فلما دخل طَحَنَتِ الجاريةُ قليلا ثم قالت له : خذ الرَّحَى فإن مولاى قد جاء إلىَّ أو بعض من وَكَّلَه بى ، فاطحن حتى نأمن من أن يجيئنا أحَد ثم نَصِيرَ إلى قضاء حاجتِك. ففعل الفتى ، ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمَرَ ابن أبى عتيق عِدَّة جوارٍ أن يتراوَحْن على سهر ليلهن ويتفَقَّدْن أمر الطحين وتَحْثيثه كلما أمسك ، ففعلن وجعلنَ يناديْنَه كلما كف : يا فلانةَ ، باسم الجارية ، إن مولاكِ مستيقظٌ والساعةَ يعلمُ أنك قد كففتِ عن الطحين ، فيقومُ إليك بالعصا على عادتِه مع من تَقَدَّمَك فى نوبتها إذا نامت . فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهدُ فى العمل والجارية تتفقده ، وتقول له: استيقَظَ سيدى ، والساعة ينام ، فلم يزل يَطْحن حتى أصبح ، وفرغ من جميع القمح . فلما علمتْ بفراغه أتته فقالت له : قد أصبحتَ فانْجُ بنفسك فقال : أوفعلتِها يا عدوةَ الله ، فخرج متعوبا ، فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألّا يعود إلى كلامها فلم تر منه بعد ذلك ما تكره .

عروة بن الزبير(١)

قدم عروةُ بن الزبير على عبد الملك بن مروان فأجلسه معه على السرير . فجاء قوم فوَقَعوا في عبدِ الله بن الزبير ، فخرج عروةُ فقال للآذن : إن عبدَ الله بن الزبير ابنُ أُمى وأبى ، فإن أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لى عليكم ، فذُكِرَ ذلك لعبد الملك فقال له عبد الملك: قد أخبرنا الآذن بما قلت. وإن أخاك لم يكن قتلُنا إياه لعداوة، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقُتِلَ دونَه ، وإن أهل الشام قومٌ من أخلاقهم ألا يقتلوا رجلا إن شتموه ، فإذا أذنا لأحد قبْلَكَ فلا تَدْخُل ، وإن أذنا ، وأنت جالس ، فقد جاء من يَشْتمه فانصرف .

ثم قدم ابن الزبير على عبد الملك حين شكا رِجْلَه فقال له : اقطعها ، فقال : إنى أكره أن أقْطَعَ منى طائفا ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إن بلغت ركبتك قتلتك، فقطعت ولم يقبض وجهه .

وقيل له قبل أن يقطعها : نَسْقيك دواء لا تجد للقَطْع ألمًا فقال : ما يسرنى أن هذا الحائطَ وقانى أذاها .

سقط محمد بن عُروةَ بنِ الزبير من أعلى سَطح فى اسطَبْلِ دوابّ عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته ، فأتى عروةَ رجلٌ يعزيه فقال : إن كنت تعزينى بِرِجْلِى فقد احتسَبْتُها . فقال : لا بل أُعزيك بمحمد فقال : ماله؟ فأخبره بشأنه فقال:

وكنت إذا الأيام أحدَثْنَ نكبةً   أقولُ شوى(٢) ما لم يُصِبْنَ صميمى

---

(١) أخباره فى مواضع متفرقة من الأغانى .

(٢) الشوى : رذال المال ، الأمر الهين ، اليدان والرجلان والأطراف ما كان غير مقتل .

اللهم أخذتَ عضواً وتركتَ أعضاء ، وأخذت ابنا وتركت أبناء ، وإن كنتَ أخذتَ فقد أبقيتَ ، وإن كنتَ ابتَلَيْتَ فقد عافيتَ .

فلما قدم المدينةَ أتاه ابنُ المُنكَدِر فقال : كيف أنت ؟ فقال : لقد لَقِينا من سَفَرِنا هذا نَصَبا .

ولما قُطِعَتْ رِجْلُ عروةَ بن الزبير جاءه عيسى بنُ طَلْحَة ، فقال عروة لبعض بنيه : اكشف لعمِّك عن رِجْلي ينظرْ إليها فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ما أعْدَدْناكَ للصراع ولا للسباقِ ولقد أبقى الله لنا منك ما نحتاجُ إليه من رأيك وعلمك ، فقال له عروة : ما عزّانى أحد عن رِجْلي مثلك .

قال هشام بن عُروة : خرجت مع أبي عروة حاجًّا ، ومعنا أخي محمد بن عروة ، وكان من أحسن الناس وجها ، وقد سُمِّيَ زينَ المواكب لحسنه وجماله ، فلما كنا ببعض الطريق ، إذا نحن بعمرَ بنِ أبي ربيعة فكلم بعضُنا بعضا ، وقلنا : هذا أبو الخطاب ، لو سايرناه ! فرآنا عروةُ فقال : فيم أنتم ؟ فقلنا : هذا عمرُ بن أبي ربيعة فضرب عروةُ إليه راحِلَتَه فلما رآه عمر عدل إليه فسَلّم عليه . ثم قال له : وأين زينُ المواكب ؟ يعني محمداً . قال : قد تقدم فعدل عمرُ واتبع محمداً فقال له عروة : نحن أكفاء لك ، وأولى أن تُسايرنا . فقال : إني رجلٌ موكل بالجمال أتبعه حيث كان . ثم ضرب راحلته ومضى نحوه .

عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه[1]

واسمُ أبى بكر عبدُ الله وكان يسمى فى الجاهلية عتيقا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدَ الله بن عثمان بن عامر بن عويمر[2] بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وكان اسمُ عبد الرحمن عبدَ العزى ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدَ الرحمن .

وأُمّه وأُمّ عائشةَ أُمِّ المؤمنين ، أُم رومان بنت عامر بن عويمر[2] بن عبد شمس ابن عتاب بن عبد الرحمن بن أُذينة بن سُبيع بن دَهْمان بن الحارث بن غنم بن مالك ابن كنانة بن خزيمة .

وقيل : إنها بنتُ عمير بن عبد مناف[3] بن دهمان بن الحارث بن غنم .

ولعبد الرحمن صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يهاجر مع أبيه صِغَرًا عن ذلك ، فبقى بمكة ، وخرج قبلَ الفتح مع فِتيةٍ من قريش .

وقيل : بل كان إسلامُه يومَ الفتح ، وإسلامُ معاويةَ فى وقت واحد .

وكان عبد الرحمن قد خَرَج فى فِتية من قريش مُهاجراً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، قبل الفتح ، وربما كان معاويةُ معهم .

وكان عبد الرحمن أحد الرماة ، وهو المخاطِبُ لمروان يوم دعا لبيعة يزيد ، والقائلُ له : إنما تريدون أن تجعلوها كِسْرَوِيّة أو هِرَقليّة ، كلما هلك كسرى

---

(١) أغانى أميرى : ١٦ : ٩٣ . تجريد ١٨٩٧ .

(٢) فى الأصل : عويم .

(٣) فى الأغانى : بنت عويمر بن عتاب بن دهمان ١٦/ ٩٤

أو هرقل ملك كسرى أو هرقل . فقال مروان : أيها الناسُ هـذا الفتى الذى قال لوالديه : أُفٍّ لكما أتَعِدانني أن أُخْرَجَ وقد خَلَتِ القرونُ من قَبْلِي . فصاحت به عائشة رضى الله عنها : أَلِعَبْدِ الرحمن تقول هكذا ؟ كذبت ، والله ، ما هو به ، ولو شئتُ أن أُسَمِّيَ الرجلَ الذى نَزَلَتْ فيه لسَمَّيْتُه ، ولكنى أَشْهَدُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعنَ أباكَ وأنتَ فى صُلْبِه ، فأنت بعضُ مَن لَعَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . أَفِينا تتأوَّلُ القرآنَ وإلينا تسوقُ اللَّعْن ؟ والله لأقومن يومَ الجمعة بك مقاما ما تودّ أنى لم أَقُمه . فأرسل إليها وتَرَضَّاها وحَلَفَ ألا يصلى بالناس أو تُؤَمِّنَه ففعلت .

وكان عبدُ الرحمن اشتهر بليلى بنت الجودِيّ بن عَدى بن عمرو بن أبى عمرو الغسانى ، وأحبها حبًّا شديداً وقال فيها :

تذكرتُ ليلى والسماوةُ دونَها ... فما لابنةِ الجودىِّ ليلَى وماليا
وإنى تعاطى قلبـــه حارثية ... تحل ببُصْرى أو تحل الحوانيا
وكيف تلاقيها بلى ولعلها ... إذا الناس حجوا قابلا أن تلاقيا

وقال فيها :

يا ابنةَ الجودِىِّ قلبى كئيبُ ... مستهامٌ عنـــدها ما يُنيبُ
جاورت أخوالَها حىَّ عُكْلٍ ... فلعُكلٍ فى فؤادى نصيبُ
ولقـــد لاموا فقلتُ دَعوها ... إن من تَنْهَوْن عنه حبيبُ
إنمـا أبلَى عظامى وجسمى ... حُبُّهـا والحبُّ شىء عجيبُ
أيها العائب عنـــدى هواها ... أنت تُغْرِى بمن أراكَ تعيبُ

وكان قدم فى تجارة فرآها هناكَ على طنفسة ، حولها ولائد فأعجبته ، فقال له عمر : ما لك ولها يا عبد الرحمن !؟ فقال : والله ما رأيتها قطُّ إلا ليلةً فى بيت المقدس فى جوار ونساء يتهادين ، فإذا عَثَرَتْ إحداهن قالت : يا ابنةَ الجودى ، وإذا حلفت

حلفت بابنة الجودى . فكتب عمرُ إلى صاحب الثغرِ الذى هى فيه : إذا فتح اللهُ عليكم دمشقَ فقد غنّمتُ عبدَ الرحمن بنَ أبى بكر ليلى ابنةَ الجودى ، فلما فتح اللهُ عليهم غنّموه إياها ، ونفلها له عمرُ بن الخطاب . قالت عائشة : فكنت أُكلمه فيها وفيما يصنع بها ، فيقول: يا أُخَيّة دعينى، فوالله لكأنى أَرْشُفُ من ثناياها حبَّ الرمان، ثم مَلّها وهانت عليه ، فكنت أُكلمه فيما يسىء كما كنتُ أُكلمه فى الإحسان إليها ، فكان إحسانه إليها أن ردّها إلى أهلها . فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفْرَطْتَ وأبغضتها فأفْرَطْتَ ، فإما أن تُنْصِفَها وإما أن تُجَهِّزَها إلى أهلها وكانت بنتَ ملك دمشق .

ومات عبد الرحمن بن أبى بكر بالحُبْشِىّ ، جبلٍ من مكةَ على أميال ، فحُمل فدُفِن بمكة ، فقدمت عائشةُ فوقفت على قبره ثم قالت متمثلة :

وكنا كندْمانَىْ جذيمةَ حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا

أما والله لو حَضَرْتُكَ يا ابن أمّ لدفنتك حيث مت ، ولو أنى شهدتك لما زرتك .

قال القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق : لما قتل معاويةُ بنُ خديجٍ الكِنْدى وعمرُو بن العاص أبى ، يعنى محمد بن أبى بكر الصديق بمصر ، جاء عمى عبدُ الرحمن ابن أبى بكر الصديق فاحتملنى أنا وأخاً لى من مصر ، فقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشةُ ، رضى الله عنها ، فاحتملتْنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأيتُ قط والدة أبرَّ منها ، فلم نزل فى حِجْرها حتى إذا كان ذاتَ يوم ، وقد ترعرعنا ، ألبَسَتْنا ثياباً بيضاً ، ثم أجلست كل واحد منا على فخذها ، ثم بعثت إلى عمى عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكلَّمَتْ ، فحمدت الله عز وجل ، وأثنتْ عليه ، فما رأيتُ متكلما ولا متكلمة قط قبلَها ولا بعدَها أفصحَ منها وأبلغ ، ثم قالت : يا أخى : لم أزل أراك

معرضا عنى منذ قَبَضْتُ هذين الصبيين منك ، ووالله ماقبضتهما تطاولا عليك ، ولا تُهَمَةً لك [فيهما] ولا لشيء تكرهه ، ولكنك كنت رجلا ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفُسهما شيئا ، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذّرْن به من قبيح أمر الصبيان ، وكنت ألْطَف لذلك وأحَقّ بولايته وقد قويا على أنفسهما وشبّا وعرفا ما يأتيان به ، وها هما فضمهما إليك ، وكن كحُجَيّة بن المضرب أخى كندة ، فإنه كان له أخ يقال له مَعدان ، فمات وترك صبيةً صغاراً فى حجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم ، وأعطفهم عليهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث ماشاء الله ، ثم إنه عرض له سفر ، لم يجد بُدًّا من الخروج فيه ، فخرج وأوصى بهم امرأتَه ، وكانت إحدى بنات عمه ، وكان يقال لها زينب ، فقال : اصنعى ببَنِى أخى ما كنتُ أصنع بهم ، ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهراً ثم رجع ، وقد ساءت حالُ الصبيانِ وتغيّرتْ ، فقال لامرأته : [ويلك] مالى أرى بنى معدان مهازيلَ ، وأرى بَنِيَّ سِمانا؟! فقالت : قد كنت أواسى بينهم ، ولكن يعْبَثون ويلعبون ، فخلا بالصبيان فقال لهم : كيف كانت فلانة معكم ؟ فقالوا : ما كانت تعطينا من القوت إلّا ملءَ هذا القدحِ من لبن ، وأروه قدحا صغيراً فغضب على امرأته غضبا شديداً ، وتركها حتى إذا أراح عليه راعيا إبله قال لهما : اذهبا فأنتما وإبلُكما لبنى معدان ، فغضبت من ذلك زينب ، وهجرته وضربت بينها وبينه حجاباً ، فقال : والله لا تذوقن منها صبوحاً ولا غَبوقا أبدا ، وقال فى ذلك :

لججنا ولجت هـذه فى التغضب ... ولطَّ الحجاب بيننا فى التجنب
وخطت بعُودىْ أثمدٍ جفنَ عينها ... لتقتلنى وشدَّما حُـبُّ زينب
رحمتُ بنى معدانَ إذ قَلّ مالُهم ... وحـق لهم منى ورَبِّ المُحَصّب

(١) لط الشيء ستره . ولطد الستر : أرخاه .

وكان اليتامى لا يَسُد اختــلالهم   هدايـا لهم فى كل قعب مشعب

فقلت لعَبْدَينا أَريحـــا عليهمو   سأجعل بَيْنِى مثــل آخر مغرب

وقلت خذوها واعلموا أن عَمّــكم   هو اليوم أولى منــكمُ بالتــكسب

فلما بلغ زينب الأبياتُ خرجت حتى أتت المدينة ، فأسلمت . وذلك فى ولاية عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقدم حجيةُ المدينة يطلب زينب أن تُرَدَّ عليه ، وكان نصرانيا ، فنزل بالزبير بن العوام ، فأخبره بقصته ، فقال عُمر للزبير: قد بلغتنى قصةُ ضيفك ، ولقد همت به لولا تَحَرُّمُه بالنزول عليك ، فرجع الزبيرُ إلى حُجَيَّة فأعلمه قول عمر فقال حُجَيَّة فى ذلك :

إن الزبير بن عوّامٍ تداركنى   منــه بِسَيْبٍ كريم سَيْبُه عصمُ

عمران بن حطان[1]

هو عِمرانُ بن حِطان بن ظَبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سَدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

وكنيته أبو سِماك[2] .

شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الشّراة ودعاتِهم ، والمقدم[3] فى مذهبهم ، وكان من القَعَدة ، لأن عمرَه طال فضَعُف عن الحرب وحضورها ، فاقتَصَر على الدعوة والتحريض بلسانه .

وكان قبل أن يُفتن بالشراة مُشتهِراً بطلب العلم والحديث ، ثم بُلِىَ بذلك المذهب ، فضَلّ وهلك .

وأدرك صدراً من الصحابة ، روى عنهم ورَوَوا عنه .

فما رُوِىَ عنه أنه قال : كنت عند عائشةَ ، رضي الله عنها ، فتذاكروا القُضاةَ ، فقالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يُؤْتَى بالقاضى العَدْلِ يومَ القيامة ، فلا يزال به ما يرَى من شِدّةِ الحسابِ حتى يتمنى أنه لم يَقضِ بين اثنين فى تَمْرة .

وكان من أهل السنة ، لكنه تزوج امرأةً من الشُّراة ، من عشيرته وقال : أرُدُّها عن مذهبها إلى الحق ، فأضَلّته وذهبت به .

---

(١) أغانى (أميرى) ١٦ : ١٥٢، مهذب الأغانى ٣ : ٢٥٠ ،تجريد ١٩٢٦

(٢) فى الأصل (شهاب) .

(٣) والمقدمين (أغانى) .

وقيل : قدم عليه غلامٌ من عمان ، وكان يصلى ففتَلَه[1] عن مذهبه فى مجلس واحد ، وكان أصْلُه من البصرة .

ولما اشتَهر بهذا المذهب طلبه الحجاجُ فهرب ، وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك بن مروان فهرب ، ولم يزل ينتقل فى أحياء العرب وقال فى ذلك :

حللنا فى بنى كعب بن عوف   وفى عـــك وعامر عوثبان
وفى جَرْم وفى عَمرِو بن مُرٍّ   وفى زيد وحَىٍّ بنى الغُدانِ

ثم لحق بالشام ، فنزل برَوْح بن زنباع الُجذامى ، فقال له روح : ممن أنت ؟ فقال : من الأزد ؛ أزد شنوءة . وكان روحٌ يسْمُر عند عبدِ الملك فقال له: يا أمير المؤمنين إن فى أضيافِنا رجلا ما سمعت منكَ حديثاً قط إلا سمِعْتُه منه ، حدثنى به وزادنى ماليس عندى ، فقال : ممن هو ؟ قال : من الأزد . قال : إنى لأسْمَعُك تصف صِفةَ عِمران بن حطان ، لأنى سمعتك تذكر لغة فزارية ، وصلاةً وزُهْداً وروايةً وحِفظا وهذه صِفَتُه . فقال روح : وما أنا وعمران !! ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه : أما بعد فإن رجلا من أهل الشقاق والنفاق ، قد كان أفسد عَلىَّ أهلَ العراق وحبَّبَهم بالشُّراة ، ثم إنى طلبته فلما ضاق عليه عملى تحول إلى الشام ، فهو ينتقل فى مدائنها . وهو رجلٌ ضَرْبٌ[2] طُوالٌ أفْوَهُ أزرق . فقال روح : والله هذه صفة الرجل [الذى عندى][3] .

ثم أَنْشَدَ عبدُ الملك يوما قولَ عِمرانَ بن حِطّان ، يمدحُ عبدَ الرحمن بن مُلْجم ، لعنه الله ، بقتلِه أميرَ المؤمنين ، علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه :

---

(١) يقال فتل وجهه عنهم أى صرفه .

(٢) الضرب : الرجل الماضى الندب .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ[1] ما أراد بِها … إلا لِيَبْلُغَ من ذى العَرْشِ رِضْوانا[2]
إنى لأَفْكِرُ فيـه ثم أَحْسَبه … أوفَى البَرِيَّةِ عنـدَ اللهِ ميزانا

ثم قال عبدُ الملك : من يعرفُ منكم قائلَها ؟ فسكت القوم جميعا . فقال لرَوْح : سَلْ ضيفَك عن قائلها . قال : نعم ، أسألُه ، وما سألته عن شىء قط فلم أجده إلا عالما به ، وراح روح إلى أضيافه فقال لهم : إن أمير المؤمنين قد سألَنا من الذى يقول :

يا ضَرْبَةً من تَقِيٍّ ما أراد بها … … … … …

فلم يكن عند أحد عِلْمٌ بها . فقال عمران: هذا قولُ عمرانَ بنِ حِطان فى ابن مُلْجم، لعنه الله ، قاتِل عَلِىِّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فقال له: فهل فيها غير هـذا تقدمه؟[3] قال :

لله دَرُّ المرادِىِّ الذى سَفَكَتْ … كفَّاه مُهْجَةَ شَرِّ الخلقِ إنسانا
أمسَى عَشِيَّةَ غَشَّاه بضَرْبَتِه … مما جناه من الآثامِ عُريانا

فغدا روحٌ فأخبر عبد الملك . فقال : من أخْبَرك بهذا ؟ قال : ضيفى فقال : أظنُّه ، والله ، عمرانَ بنَ حِطّان ، فأعْلِمْه أنى قد أمرتك أن تَلْقَنِى[4] به . فقال : أفعَل ، فراح رَوْحٌ إلى أضيافه ، ثم أقبل على عمران فقال : إنى ذكَرْتُك لعبد الملك فأمرنى أن آتيه بك . فقال : قد كنت أختارُ ذلك ، وما منعنى من ذِكْرِه إلا الحياء منك ، أنا مُتَّبِعُك ، فانطَلِقْ ، فمضى روح إلى عبد الملك فدخل عليه ، فقال له : إن صاحبى قال : أنا مُتَّبِعُك . فقال عبد الملك : إنى لأظن أن سَتَرْجِعُ فلا تجده .

---

(١) كريم (أغانى) ومهذب .
(٢) رضوانا (مهذب) .
(٣) تفيدنيه (أغانى) .
(٤) تأتينى (أغانى).

فلما رجع إلى منزله إذا عمرانُ قد مضى ، وإذا هو قد خَلَّفَ رقعةً عند فِراشه فيها مكتوب :

يا روحُ كم من أخى مَثْوًى نَزَلْتُ به ... قد ظنّ ظنّك من لَخْم وغسّانِ
حتى إذا خِفْتُه فارقتُ منزِلَه ... من بعد ما قيل عِمْرانُ بن حِطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حولا لا تُرَوِّعُنِى ... فيه الطوارقُ من إنْسٍ ومن جانِ
حتى أردتَ بى العُظْمَى فأوْحَشَنِى ... ما أوْحَشَ الناسَ من خَوْفِ ابن مروانِ
فاعذِرْ أخاكَ ابن زنباعٍ فإن له ... فى الحادثاتِ هَنَاتٍ[٢] ذات ألوانِ
يوما يَمانٍ إذا لا قَيْتُ ذا يَمَنٍ ... وإنْ لَقِيتُ مَعَدِّيًا فعدنانى
لو كنت مُسْتغفراً يوما لطاغية ... كنتَ المُقَدَّم فى سرى وإعلانى
لكن أبت ذاكَ آياتٌ مُطَهَّرَةٌ ... عند التلاوة فى طه وعِمْرانِ

ثم إن عمران أتى الجزيرةَ فنزل بزفر بن الحارثِ بقَرقيسيا ، فجعل شبابُ بنى عامر يتعجبون من صلاته وطولها ، وانتسب لزُفَرَ أوْزاعِيًّا وقدم على زفرَ رجل من أهل الشام ، كان قد رأى عِمرانَ عند رَوْح بن زنباع ، فصافحه وسلم عليه ، فقال زفرُ للشامى : أتَعْرِفُه ؟ قال : نعم هذا شيخٌ من الأزْد . فقال زفر : أزْدِىٌّ مرةً وأوزاعِىٌّ أُخرى ! ! إن كنتَ خائفا آمنَّاكَ وإن كنت عائلا أغنيناكَ . فقال : إن الله هو الغنىُّ وخرج وهو يقول :

إن التى أصبحت يَعْيَى بها زُفَر ... عَيَّتْ عَيَاءً على روحِ بنِ زِنباعِ
أمسى[٢] يُسائلنى حولًا لأُخْبِرَه ... والناسُ من بين مخدوع وخَدّاعِ
حتى إذا انجذَمَتْ منى حبائلُهُ ... كفّ السؤالَ ولم يُوَلِعْ بإهْلاعى[٣]

(١) فى الأصل : حتى هنأت وما أثبتناه عن الأغانى .
(٢) ما زال يسألنى (مهذب) .
(٣) إهلاعى : إفزاعى وترويعى .

فاكْففْ كما كَفَّ رَوْحٌ إننى رجل … إما صَرِيحٌ وإما فقعة القاعِ
أما الصلاة فإنى لستُ[1] تاركها … كلُّ امرئٍ للذى يسعَى به ساعى
واكففْ لسانك عن هزْءٍ[2] ومسألتى … ماذا تريد إلى شَيْخٍ لأوزاع
أَكْرِمْ بِرَوْحِ بنِ زنباعٍ وليس[3] به … قومٌ دعا أوَّلِيهم للعلا داعى
جاوَرْتُهُمْ سنةً فيما دعوْتُ به … عِرضى صحيحٌ ونومى غيرُ تهْجاعِ
فاعمل فإنك مَنْعِيٌّ بحادثة[4] … حسبُ اللبيب بهذا الشيبِ من ناعى

ثم خرج فنزل بِعُمَان ، بقوم يكثرون ذِكْرَ أبى بلال بن مرداس بن أُدَيَّة ويُثْنُون عليه ، ويذكرون فضله ، فأظهر فضْلَه ويَسَّر أمرَه عندهم . وطلبه الحجاجُ من هناك فهرب ونزل فى رودميسان ،[5] طسُّوج من طساسيج السوادِ إلى جانب الكوفة ، فلم يزل بها حتى مات وكان نازلا على رجل من الأزد فقال فى ذلك :

نزلتُ بحمد الله فى خير أسْرَة … أُسَرُّ بما فيهم من الأُنْسِ والخفرْ
نزلتُ بقوم يَجمعُ الله شَمْلَهم … وما لهمُ عُودٌ سوى المجْدِ يُعْتَصرْ
من الأزد إن الأزدَ أكرمُ أُسْرَة … يمانية تعلو إذا ذُكِرَ البَشَرْ
فأصبحت فيهم آمنا لا كمَعْشَرٍ … بَدَوْا بى[6] فقالوا من ربيعةَ أو مُضَرْ
أو الحىِّ قَحْطان وتلكَ سفاهةٌ … كما قال لى روحٌ وصاحبُه زُفَرْ

---

(١) غير (مهذب) .
(٢) لومى (مهذب) .
(٣) وأسرته (مهذب) .
(٤) بواحدة (مهذب) .
(٥) فى الأصل رودسان وما أثبتناه عن الأغانى .
(٦) أتونى (مهذب) .

وما منهمو إلا يُسَرُّ بِنسْبَةٍ يُصَيِّرُنى[1] منه وإن كان ذا نَفَر
فنحن بنو الإسلام والله ربُّنا[2] وأولى عبادِ اللهِ باللهِ من شَكَرْ

اجتمع الشعراء عند عبد الملك بن مروان ، فقال لهم : أَبَقِيَ أحدٌ أشعرُ منكم؟ فقالوا : لا . فقال الأخطل : قد بَقِيَ منهم ، يا أمير المؤمنين ، من هو أشعرُ منهم . فقال : ومن هو ؟ قال : عمرانُ بن حِطّان. قال: وكيف ذلك ؟ قال : لأنه قال وهو صادق ، ففاتهم ، فكيف لو كذَب كما يكذبون .

لما دخلت غزالةُ الحرورِيّةُ — هي وشبيبٌ على الحجاج — الكوفةَ تحَصَّنَ منها ، وأغلق عليه قصره . فكتب إليه عِمرانُ بن حِطّان وكان الحجاجُ لَجّ فى طَلَبِه :

أسدٌ علىَّ وفى الحروبِ نعامةٌ فتخاء تَنْفِرُ من صفيرِ الصافرِ
هلا بَرَزْتَ إلى غَزالةَ فى الوَغَى بل كان قَلْبُك فى جَناحَىْ طائرِ
صَدَعَتْ غزالةُ قَلْبَه بفوارسٍ تركتْ معارفه[3] كأمْسِ الدابرِ

ثم مضى إلى الشام فنزل على رَوْحِ بنِ زِنباع .

وكان الفرزدقُ يقول: لقد أحسن بنا عِمرانُ بنُ حِطَّانَ فلم يأخذ فيما أَخَذْنا فيه ، ولو أخذ فى ذلك لأسْقَطَنا ، يعنى لجَوْدَةِ شِعْرِه .

مر عمرانُ بن حِطّان بالفرزدق وهو ينشد ، والناس حَوْلَه ، فوقف عليه وقال :

أيها المادحُ العبادَ ليُعْطَى إن لله ما بأيدى العبادِ
فاسأل اللهَ ما طلبتَ إليهم وارْجُ فَضْلَ المُقَسِّمِ العوّاد
لا تَقُلْ للجواد ما ليس فيه وتُسَمِّى البخيلَ باسم الجوادِ

فقال الفرزدق : لولا أن الله شَغَلَ هذا عنا برأيه للقِينا منه شرا .

(١) يقربنى (مهذب) .
(٢) واحد (مهذب .
(٣) مدابره (أغانى)

اجتمع عند مَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك ناسٌ من سُمّارِه ، فيهم عبدُ الله بن عبدِ الأعْلَى الشاعرُ . فقال مسلمة : أيُّ بيت قالته العرب أوعظ وأحكم ؟ فقال له عبـــد الله : قول الشاعر :

صَبَا ما صَبَا حتى علا الشيبُ رَأْسَه   فلما علاه قال للبـاطلِ ابْعَدِ

قال مسلمة : إنه ما وعَظَنى شِعْرٌ قط كما وعظنى شعرُ عِمرانَ بنِ حِطّان حيث يقول :

فيوشك يومٌ أن يُقارِنَ ليـــلةً   يسوقان حَتْفاً راح نَحْوَك أو غدا

فقال بعضُ من حضر : أما والله لقد سَمِعْتُهُ أجَّلَ الموتَ ثم أفناه وما صَنَع هذا شاعرٌ قبلَه . فقال مسلمة : وكيف ذلك ؟ قال : قال :

لا يُعْجِز الموتَ شىءٌ دون خالقِه   والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجَلُ

وكلُّ كَرْبٍ أمامَ الموت مُتَّضِـعٌ   للمَوْتِ والموتُ فيما بعـده جَلَلُ

فبـكى مسلمةُ حتى اخْضَلَّت لحيتُه ثم قال : ارْدُدْها علىَّ فردَّدَها حتى حفظهما .

قالت امرأة عمران بن حطان لعمران يوما : أتزعمُ أنك لا تـكذبُ فى شعرك ؟ قال : بلى !! قالت : أفرأيتَ قولَك :

وكَذاك مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْ   رٍ كان أشْجَعَ من أُسامَهْ

أيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسد ؟ قال : نعم ، إن مجزأةَ بنَ ثَوْر فتح مدينةَ كذا وكذا ، والأسدُ لا يقدر على فتح مدينة .

عمارة بن الوليد[1]

هو عمارةُ بنُ الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤَيّ بن غالب .

وهو أحد أزوادِ الرَّكْبِ ، ويقال له الوحيد ، وكان يقال لهم أزواد الركب لأنهم لم يَنزل بهم غريب إلّا قَرَوْه ، وأحسنوا ضيافتَه وزوَّدوه ما يحتاج إليه .

وكان عمارةُ نخوراً مُتَعَرِّضا لكل من عارضه من قريش ، فمر يوما بمسافرِ ابن عمرو بن أُمية فوقف عليه ، فقال :

خُلِقَ البيضُ الحسانُ لنا   وجيادُ الرَّيْط[2] والأُزُرُ
كابراً كُنا أحقَّ به   حين صِيغ الشمسُ والقمرُ

فأجابه مسافر فقال :

أعمارةَ بنَ الوليد وقد   يَذْكُر الإنسانُ من ذَكَرَهْ
هل أخو كاسٍ مُخَفِّفُها   وموق صَحْبَهُ سكرهْ
ومُحَيِّيهمُ إذا شربوا   ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ
خُلِق البيضُ الحسان لنا   وجيادُ الريط والحِبَرَهْ[3]
كابراً كنا أحقَّ به   كلٌّ حيٍّ تابعٌ أَثَرَهْ

كان عمارةُ بن الوليد خطب امرأةً من قَوْمِه فقالت : لا أتزوجُك أو تترك الشرابَ والزنا . قال : أما الزنا فأتركه ، وأما الشرابُ فلا أستطيع تَرْكَه ، ثم اشتدّ

---

(١) الأغانى أميرى ١٦ : ١٥٨ والتجريد ٣ : ١٠٢٤ .

(٢) الريط جمع ريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحدا وكل شيء يشبه الملحفة .

(٣) الحبرة (بكسر الحاء وفتحها) ضرب من برود اليمن .

وَجْدُه بها ، فحلف لا يشربُه وتزوجها ومكث حينا لا يشرب ، ثم لبس ذات يوم حُلَّتَه وركب ناقتَه وخرج يسير ، فمر بخمار عنده شَرْبٌ يشربون فدَعَوْه ، فدخل عليهم ، وقد أنفدُوا ما عندهم . فقال الخمار : أطعِمْهم ، ويلك . فقال : ليس عندى شيء ، فنحر لهم ناقتَه فأكلوا . فقال : اسْقِهم ويلك، ولم يكن معهم شيء يشربون به فسقاهم ببُرْدَتِه ، ومكثوا أياما ذات عَدَد ثم خرج وأتى أهله فلما رأته امرأته قالت: ألم تحلف أنك لا تشرب ؟ ولامته . فقال فى ذلك :

ولسنا بِشَرْبٍ أُمَّ عمرو إذا انتَشَوْا ثيابُ الندامَى عندهم كالغنائمِ
ولكننا أُمَّ عمرو نديمُنا بمنزلةِ الرَّيَّانِ ليس بعائمِ
أسرك لما صَرَّعَ القومَ نشوةٌ أن أَخْرُجَ منهم سالما غير غارمِ
خَلِيًّا كأنى لم أكن كنتُ فيهم وليس الخِداعُ مرتضًى فى التنادمِ

قدم رجل من تجارِ الروم بحُلَّة من لباسِ قيصر على أهل مكة ، فأتى بها عمارةَ ابنَ الوليد ، فاستغلاها. وقال : لن تعدِم لها عَوْنا فى بنى سهم، فقال عمرو: قد أخذتُها. واشتراها بمائة بعير ، ثم أقبل يخْطُر فيها حتى انتهى إلى بنى مخزوم فناداه عمارة : أتبيع الحلَّة ؟ فغضب عمرو والتفت إلى عمارة فقال له :

عليك بجَزْرِ ايْرِ أبيك إنّا كفَيناك المُسَهَّمَةَ الرقاقا
ذروها عنكم وغَلَتْ عليكم وأُعطينا بها مائة حِقاقا
وقلتم لا نطيقُ ثيابَ سهم وكلٌّ سوف يلبس ما أطاقا

فغضب عمارة ، وقال: ياعمرو ما هذا التهور ؟ إنك لست بعُتْبةَ بن ربيعة ، ولا بأبى سفيان بن حرب ، ولا بالوليد بن المغيرة ، ولا سهيل بن عمرو ، ولا أُبىّ ابن خلف ، فقال عمرو: إن فىّ من كل واحد منهم خيرَ ما فيه ؛ من عتبةَ حِلْمُه ، ومن أبى سفيان رأيُه ومن سُهَيْل جودُه ومن أُبَىٍّ بن خلف نجْدَتُه ، وأما الوليد فوالله ما أُحب أن فىّ كلٌّ ما فيه من خير وشر ، ولكنك والله ما لَكَ عقلُ الوليد

ولا بأسُ ابن حَرْب ولا لسانُ أبى الحكم ، يعنى أبا جَهْل . وانصرف عمارةُ فأمر بجَزور فنُحِرَت على الطريق ، أى طريق عمرو ، وأقبل عمرو فقال : لمن هذه الجزور؟ فقيل : لعمارة . فقال له : أطعِمْنا منها يا عمارة ، فضحك منه ثم قال :

عليك بجَزْرِ أيْرِ أبيك إنا ... كفيناك المساسة والعراقا[1]

ومَسْغَبَة الأطايبِ من قريش ... ولم يُرَ كأسُنا إلّا دهاقا[2]

ونَلْبَسُ فى الحوادث كلَّ زغْفٍ[3] ... وعند الأمن أبراداً رِقاقا

فوقع الشرُّ بينهما فقال عمرو :

لعمر أبيك والأخبار تَنْمِى ... لقد هيَّجْتَنِى يا ابن الوليدِ

فلا تَمْجَلْ عِمارة إن سهما ... كمخزومِ بن يَقْظَة فى العديدِ

فأجابه عمارةُ بن الوليد :

ألا يا عمرُو هل لك فى قريش ... أبٌ مثلُ المغيرةِ والوليد

وَجَدٌّ مثلُ عبدِ الله يُنْمَى ... إلى عمرِو بن مخزوم بِعُودِ

إذا ما عُدّت الأعوادُ نَبْعا ... فما لى فى الأباطحِ من نَديدِ

وإنى للمُنابِذِ من قريش ... شجًى فى الحلْقِ من دون الوريدِ

أحُوطُ ديارَهم وأذودُ عنهم ... وأصبرُ فى وغا السوم الشديدِ

وأبذلُ ما تَضَنّ به رجال ... وتطمِعُنى المروءةُ فى المزيد

وإنك من بنى سهمِ بن عمرو ... مكان الرِّدْفِ من عَجُزِ القَعودِ

وقد علِمَتْ سَرَاةُ بنى لُؤَيّ ... بأنى غير مُؤْتَشَبٍ زَهيدِ

وكان أبوك جزّاراً وكانت ... له فاس وقدر من حديد

---

(١) المسهمة العراقا (أغانى) .

(٢) كانت (الاده هاقا)

(٣) الزغف جمع زغفة : الدروع الواسعة أوالمحكمة.

وكان النجاشي قد أمر السحرةَ فسحرت عمارة بن الوليد . وذلك أن عمارة خرج هو وعمرُو بن العاص بن وائل السَّهْمي ، وكانا قد خرجا تاجريْنِ إلى النجاشيِّ ، وكانت أرض الحبشة لقريش مُتَّجَراً ووجها ، وكلاهما فى جاهليته شاعرٌ مُشْركٌ فاتكٌ ، وكان عمارة معجبا بالنساء ، وصاحِبَ محادثة ، فركبا السفينة ليالى ، فأصابا من خَمْرٍ معهما ، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو : [قبليني ، فقال لها عمرو :][1] قَبِّلى ابنَ عمك فقبَّلَتْه وحذر عمروٌ على زوجته فرَصَدَها ورَصَدَتْه ، وجعل إذا شربا أقلَّ عمرٌو من الشراب وأرَقَّ لنفسه بالماء مخافة أن يَسْكر فيغلبَه عمارةُ على أهله ، وجعل عمارةُ يريدها على نفسها ، فامتنعت منه ، وإن عمراً جلس على ناحية السفينة يبول ، فدفعه عمارة إلى البحر ، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ القَلْسَ[2] فارتفع ، فظهر على السفينة ، فقال له عمارة : أما والله ياعمرو لو علمت أنك تحْسِنُ السباحةَ ما فعلت . فلما قال ذلك عمارةُ لعمرو اضْطَغَنَها عمرٌو وعرف أنه أراد قتله . ومضيا على وجههما ، فلما نزلا الحبشة كتبَ عمرو إلى أبيه العاص أن اخْلَعْني وتبرأ مني ومن جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم ، وخَشِي على أبيه أن يُتَتَبَّع بجريرته وهو يَتَرصَّد لعمارة ما يَترَصد ، فلما وردَ الكتاب على العاص [بن وائل] مشى فى رجال من قومه ، منهم نبيهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحجاج ، إلى المغيرةِ وغيرِهِ من بني مخزوم ، فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتُم وكلاهما فاتك صاحب شَرٍّ ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ، فإنى أبرأ إليكم من عمرو وجريرته ، وقد خلَعتُه : فقال بنو المغيرة : أنت تخافُ عمراً على عمارة ، قد خلعنا عمارة وتبرأنا منه إليك ، ومن جريرته ، نخلِّ بين الرجلين . فقال السهميون : قد قَبِلْنا فابعثوا

(١) ما بين القوسين عن التجريد وهى زيادة يستقيم بها الكلام .

(٢) القلس : حبل السفينة وكانت فى الأصل القلعة والتصويب عن التجريد ٣ : ١٠٢٥ .

مناديا بمكة: إنا قد خلعناها ، وتبرأ كل واحد منا من صاحبه ، فبعثوا مناديا فنادى بمكة [بذلك] ، فقال الأسود بن المطلب : والله طُلَّ دم[1] عمارة بن الوليد إلى آخر الدهر ، فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يَلْبَث[2] عمارةُ أن دَبَّ لامرأةِ النجاشى فأدخلته ، فاختلف إليها . فجعل إذا رجع من مَدْخله يخبرُ عمرو بن العاص بما كان من أمره فجعل عمرو يقول : ما أُصَدِّقُك أنَّك قدرتَ على هذا الشأن ، إن المرأة أرفعُ من ذلك ، فلما أكثر على عمرو بما كان يخبره ، وكان قد صدَّقه ، ولكنه أحب التثبت وأراد أن يأتيَه بشيء لا يستطيع دفعَه إن هو دفَعَه إلى النجاشى ، وكانا فى بيت واحد ، وكان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه فى السحر ، وجعل عمارةُ يدعوه إلى أن يَشْرب معه فيأبى[3] عمرٌو ويقول : هذا يَشْغَلك عن مَدْخَلك فقال له عمرو يوما : إن كنت صادقا فقل لها فلتَدْهنك من دُهْنِ النجاشىِّ الذى لا يَدّهِنُ به غيره ، فإنى أعرفه ، وإنى به أُصدقك ففعل عمارة ، فجاء بقارورة من دُهْنه فلما شمها عمرو عَرَفها وقال : أشهد أنك صادق . ولقد أصبتَ شيئا ما أصابه أحد من العرب من امرأةِ الملكِ ، ما سمعنا بهذا ، وسكت عنه حتى إذا اطمأن دخل على النجاشىِّ فقال : أيها الملك إن ابن عمى سفيهٌ ، وقد خشيتُ أن يَعُرَّنى[4] عندك أمرُه . وقد أردت أن أُعلمك شأنَه فلم أفعل حتى استَثْبَتُّ ، وإنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر ، وهذا من دُهْنِك قد أُعْطِيَه ودهَنَنِى منه ، فلما شم النجاشى الدهنَ قال : صدقت ، هذا دهنى الذى لا يكون إلا عند نسائى ، ثم دعا بعمارة وقال له :

---

(١) فى الأصل : (بطل عمارة) وما أثبتناه عن التجريد ١٠٢٦

(٢) فى الأصل : لم يثبت .

(٣) فى الأصل : فينادى .

(٤) فى الأصل : يعيرنى ، والتصويب عن التجريد . ويقال : عره يعره : إذا ساءه ، أو رماه بما يكره .

إنى أكره أن أقتُل قرشيا ، ولو قتلتُ قرشيا لقتلتُك . ثم دعا بالسواحر فجرّدوه من ثيابه ، ثم أمَرَهن فنفَخْن فى إحليله ، ثم خـلى سبيله ، فخرج هاربا[1] ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فخرج إليـه عبدُ الله بن أبى ربيعة وكان اسمه بَحيراً قبل أن يُسْلِم فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، عبد الله ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يردُه مع الوحْش فلما وَجَدَ ريح الإنْس ِهَرَبَ حتى إذا أجْهَدَه العطَشُ وردَ ، فشرب حتى تَمَلَّأَ وخرجوا فى طلبه ، فقال عبد الله بن أبى ربيعة : فسعيت فالتَزَمْتُه فجعل يقول : يا بحير أرسِلْنى فإنى أموت إن أمْسَكْتمونى. قال عبد الله : فضبطْتُه فمات فى يدى مكانه فواريته[2] ثم انصرفت ، وكان شعرُه قد غَطَّى كلّ شىء منه .

---

(١) جاء فى التجريد ص ١٠٢٧ (فخرج هائما على وجهه مع الوحش ومتى رأى الإنس هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه ولم يزل كذلك مدة أيام النبى صلى الله عليـه وسلم وأيام أبى بكر وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه فخرج إليه عبد الله بن أبى ربيعة ...).

(٢) فى الأصل فواراه ثم انصرف والسياق يقتضى ما أثبتنا .

عبد الله الأعشى[1]

هو عبدُ الله بنُ خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن خارجة بن أبى ربيعة ابن ذهل بن شيبان بن [ثعلبة الحصين][2] بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

شاعرٌ إسلامىٌّ من ساكنى الكوفة ، مروانىُّ المذهبِ شديدُ التعصُّبِ لبنى أُمية .

قدم على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : ما الذى بَقِى منك ؟ قال : أنا الذى أقول :

وما أنا فى أمْرى ولا فى خُصومَتى ... بمهتضَمٍ حقِّى ولا قارعٍ سِنِّى

ولا مُسْلِمٍ مولاى عند جِنايةٍ ... ولا خائفٍ مَوْلاىَ من شَرِّ ما أجْنِى

وإن فؤادى بين جَنْبَىَّ عالمٌ ... بما أبصرتْ عَيْنِى وما سَمِعَتْ أُذْنِى

وفَضَّلَنِى فى الشعرِ واللُّبِّ أننى ... أقول على عِلْمٍ وأعرف من أعْنِى

وأصبحتُ إذْ فَضَّلْتُ مروانَ وابنَه ... على الناس قد فَضَّلْتُ خيرَ أبٍ وابْنِ

فقال عبد الملك : من يلومنى على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تخوت ثياب ، وعشر [فرائض] من الإبل ، وأقطعه ألف جريب ، وقال له : إمْضِ إلى زيد[3] الكاتبِ يكتبْ لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيِّلا[4] فمضى فأتى زيدا

(١) الأغانى أميرى ١٦ : ١٦٠ تجريد ١٩٣١ .

(٢) بياض بالأصل: وما بين القوسين عن الأغانى .

(٣) فى الأصل يزيد .

(٤) العيل : أهل بيت الرجل الذين ينفق عليهم، للمذكر والمؤنث .

فقال له: ائتنى غدا فأتاه فجعل يردده فقال فيه شعراً وأتى سفيانَ بن الأبْرَدِ الـكلبى ، فـكلمه سفيان ، فأبطأ عليه فأتى[1] سفيان فقال له :

عُدْ إذ بَدَأْتَ بحُسْنى فأنت لها ... ولا تكنْ من كلام الناس هيّابا
واشفعْ شفاعةَ أنْف لم يكن ذَنَبا ... فإن من شُفعاء الناسِ أذنابا

فأتى سفيانُ زيداً الـكاتبَ فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

دخل أعشى ربيعة على عبد الملك وهو يَتَرَدّد فى الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يَجِدّ فقال له : يا أمير المؤمنين مالى أراك متلوما يُنْهِضُك الحزمُ ، ويقعدك العَزْمُ ، وتَهُم بالإقدام ، ثم تجنح إلى الإحجام؟ انفُذْ لنُصْرَتك وامض لرأيك، وتوجَّهْ إلى عدوك، تَجِدْك مُقْبِلٌ ، وجده مُدْبِر وأصحابه له ماقِتون ، ونحن لك مُحِبون ، وكلمتهم متفرقة، وكلمتنا عليك مُجتمعة والله ما تؤتى من ضَعْفِ جَنان ، ولا قلّةِ أعوان، ولا يُثَبِّطُك عنه ناصح ولا يحرضك[2] عليه غاشٌّ ، وقد قلتُ فى ذلك أبياتا . فقال : هاتها فإنك تنْطق بلسان وَدود ، وقلب ناصح ، فقال :

آلُ الزُّبَيْرِ من الخلافة كالتى ... عَجَـلَ النتاجُ بحَمْلها فأحالها
أو كالضعافِ من الحمولةِ حُمِّلَتْ ... ما لا تُطيقُ فضَيَّعتْ أحمالَها
قوموا إليهم لا تناموا عنهمُ ... كم للغُواة أطَلْتمُ إمهالَهـا
إن الخلافةَ فيـكمُ لا فيهمُ ... لا زلتمُ أركانَها وثِمالَها
أمسوا عن الخيرات قُفْلا مُوثَقا ... فانهض بيُمْنك فافتتح أقفالَها

فضحك عبدُ الملك ، وقال : صدقت يا عبد الله إن أبا خُبَيْب لقُفْلٌ دون كل خير، ولن يتأخر عزمنا إن شاء الله ، ووصله بصِلَةٍ سنية .

---

(١) فعاد إلى سفيان (أغانى) ١٦ : ١٦١ .

(٢) فى الأصل : ولا عرضك .

كان الحجاجُ قد جفا الأعشى ، واطَّرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلما فرغ الحجاجُ من حرب ذى الجماجم ذكر فتنةَ بن الأشعثِ وجعل يُوَبِّخ أهل العراق ويؤنبهم على فعلهم ، فقال من حضرهم من أهل البصرة : إن الذنبَ والمعصيةَ بدأا من أهل الكوفة . فقال أهلُ الكوفة : لا بل أهلُ البَصْرة أولُ من أظهر المَعْصِية مع جرير بن هَمْيان السَّدوسى ، إذ جاء مخالفا من السند ، وأكثروا فى ذلك ، فقام أعشى بنى ربيعة فقال : أصلح الله الأمير ، لا براءة من ذَنْب ولا ادعاءَ على الله عصمةً لواحد من أهل المِصْرين . قد والله اجتهدوا جميعا فى قتالك ، فأبى الله إلّا نَصْرَكَ . وذلك أنهم جزعوا وصَبَرْتَ وكفروا وشَكَرْتَ إذ قدرت ، فوسِعَهم عفوُ الله تعالى وعفوُكَ فنجَوْا ، ولولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسر الحجاج بكلامه . وقال له جميلا ، وقال : تهيَّأْ للوفادة على أمير المؤمنين ، ليسمعَ هذا منك .

دخل أعشى بنى ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده :

رأيتُك أمس خَيْرَ بنى مَعَدٍّ ... وأنت اليوم خيرٌ منك أَمْسِ

وأنت غداً تَزيد الضِّعْفَ ضِعْفا ... كذاك تَزيد سادة عبدِ شَمْسِ

فقال له : من أى بنى ربيعة أنت ؟ قال : فقلت له : من بنى أُمامة . فقال : إن أُمامةَ ولد قيساً وحارثة ، فأحدهما نجمَ والآخر خَمَل فمن أيهما أنت ؟ قال : فقلت له : أنا من ولد حارثة ، وهو الذى نَجَم ، وقد كانت بكر بن وائل توَّجَته فقال بمَخْصَرَة فى يده وغمزها فى بطنى ثم قال : يا أخا بنى ربيعة ، هُمُّوا ولا تفعلوا فإذا حدثْتَنى فلا تكذبنى ، فجعلت له عهداً لا أُحدث أبداً قرشيا بكَذِب .

عمرو بن قَمِيئة

هو عمرو بن قميئة [بن ذريح] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن الكلبي: ليس من العرب من له ولد ، كلُّ واحدٍ منهم قبيلة قائمةٌ مفردةٌ بذاتها غير ثعلبة بن عكابة ، فإنه ولد أربعة ؛ كل واحد منهم قبيلةٌ قائمة بنفسها :

شيبان بن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة . وقيس بن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة . وذُهْل ابن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة ، وتَيْم الله بن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة .

وكان عمرُو بن قميئة من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، يقال : إنه أولُ من قال الشعر من نزار .

وهو أقدم من امرئ القيس، ولَقِيه امرؤ القيس فى آخر عُمْرِه فأخرجه معه إلى قيصر ، فمات فى طريقه ، وسمَّتْه العرب عمرا الضائع لموته فى غربةٍ ، وفى غير أرب ولا مطلب ، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه ... وأيقن أنا لاحِقـان بقَيْصرا
فقلت له لا تَبْكِ عَيْنُك إنما ... نحاولُ ملـكا أو نموتَ فنُعْذَرا

وكان شاعراً مقداماً مُقِلًّا ، وكان شابًّا حسناً ، جميل الوجه مديد القامة [حسن الشعر][(2)] .

---

(1) الأغانى أميرى ١٦ : ١٦٣ تجريد ١٩٣٣ .
(2) بياض فى الأصل وما أثبتناه عن الأغانى ١٦/١٦٣

مات أبوه وخلَّفه صغيرا ، فكفله عمه مَرْثدُ بنُ سعد ، وكان سبّابتا[1] قدميه ملتصقتين.

وكان عمُّه محباله ، معْجَبا به ، رفيقا عليه ، وكانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال فهويت عمراً وشُغِفَتْ به ، ولم تُظهِر له ذلك ، فغاب مَرْثِد لبعض أمْرِه ، فبعثت امرأته إلى عمرو ، تدعوه على لسانِ عمه ، وقالت للرسول : ائتنى به من وراء البيوت ، ففعل ، فلما دخل أنكر شأنَها ، فوقف ساعة فراودَتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئتِ بأمر عظيم ، وما كان مثلى ليُدْعَى لمثل هذا ، ووالله لو لم أمتَنِـعْ من ذلك وفاء لعمى امتنعت خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عنى فى العرب . قالت : والله لتفعلن أو لأسوءَنَّك . قال : إلى المساءة دعَوْتِنى ، ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يخبرَ عمه بما جرى، فأمرت بجفنة فكُبَّتْ[2] على أثر عمرو، فلما رجع مَرْثد وجدها متغيظة[3] فقال لها : مالك ؟ فقالت: إن رجلا من قومك قريبَ القرابة يستامُنى نفسى ، ويريد فراشك منذ خرجت . قال : ومن ؟ قالت : أما أنا فلا أُسميه ، ولكن قم أنت فاقتَفِ[4] أثره تحْت الجفْنة . فلما رأى الأثرَ عرفه ، وكان لمرثد سيفٌ يسمى ذا الفَقار ، فآلى ليضرِبَنَّه به فهرب ، فأتى الحيرة ، فكان عند اللخميين . ولم يكن يقوى على بنى مَرْثد لكثرتهم . وقال لعمرو بن هند : إن القوم طردونى ، فقال : ما فعلوا إلا وقد أجْرَمْت ، وأنا أفحص عن أمْرِك ، فإن كنت مُجْرِماً رددتك إلى قومك ، فغضب وهم بهجائه وهجا مرثداً ، ثم أعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر إليه .

---

(١) فى الأصل : سناتيا .

(٢) فكفئت .

(٣) متغضبة (أغانى) .

(٤) فاقتقد (أغانى) .

وقيل: إن مرثداً لما سمع ذلك هجر عمراً فأعرض عنه ولم يعاتبه لموضعه من قلبه فقال عمرو يعتذر إليه من أبيات:

خليليّ لا تستعجلا أَنْ تزَوَّدا ... وأن تجمعا شَمْلِي وتنتظرا غدا

وأن تُنْظِرانى اليومَ أَقْضِ لبانةً ... وتستوجبا [مَنًّا][1] علىّ وتُحْمَدا

لَعَمْرُكَ ما نفس بجِدٍّ رشيدةٍ ... تؤامِرُنى سُوءا لأَصْرِمَ مَرْثدا

سأل رجل حماداً الراوية بالبصرة، وهو عند بلال بن أبى بردة: [من أشعر الناس؟ قال: الذى يقول][2]:

رمتنى بَنات الدهر من حيث لا أرى ... فما بالُ من يُرْمى وليس برامِ

والشعر لعَمْرو بن قميئة، قاله لما بلغ تسعين سنة، من أبيات أولها:

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حِجّة ... خلعتُ بها عنى عِنانَ لجامى

على الراحَتَيْن مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثا بعدَهن قيامى

رمتنى بناتُ الدهرِ من حيث لا أرى ... فما بالُ من يُرْمى وليس برام

ولو أن ما أُرْمَى بنَبْلٍ رميتُها ... ولكننى أُرمى بغير سهام

إذا ما رآنى الناس قالوا ألم يكن ... حديثا جديد البَرْى غير كهام

وأفنى[3] وما أفنى من الدهر لَيْلة ... ولم يُغْن ما أفنيتُ سِلْكَ نظام

وأهلكنى تأميل يومٍ وليلة ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعام

(١) ما بين القوسين عن الأغانى: ١٦ / ١٦٤ وبه يصح البيت.

(٢) ما بين القوسين عن الأغانى ١٦: ١٥٦ وبه يستقيم الكلام.

(٣) فى الأصل: وانى وما يغنى.

عروة بن أُذينة(1)

أُذينة [لقبه] وهو عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله ابن رحل بن يعمر وهو الشدَّاخ بنُ عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وسُمِّيَ يَعْمر بالشدَّاخ لأنه تَحَمَّل دياتِ قتلى ، كانت من قريش وخزاعة . وقال : لقد شَدَخْتُ هذه الدماءَ تحت قدمى ، فسمى الشَّدَّاخَ .

وقيل فيه : الشُّداخ بضم الشين .

وكنية عروةَ أبو عامر .

وهو شاعر غَزِلٌ ، مقدَّمٌ من شعراء أهل المدينة ، معدودٌ فى الفقهاء والمُحَدِّثين ، روى عنه مالكُ بن أَنَس ، وعبد الله بن عُمَرَ العدوى ، وجَدُّه مالكُ بن الحارث ، روى عن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه . قال يحيى بن عُرْوة بن أُذينة : أتى أبى وجماعةٌ من الشعراء هشامَ بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبى قال له أنت القائل :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلُقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى له فيُعنِّينى تَطَلُّبه ... ولو جلستُ أتانى لا يُعَنِّينى

وإن حَظُّ امرئ غيرى سيبلغهُ ... لا بد لا بد أن يَحتازَه دونى

لا خيرَ فى طَمَعٍ يُدْنى لمَنْقَصَةٍ ... وعفة من كَفافِ العيش تكفينى

لا أركب الأمرَ تُزْرِى بى عواقِبُه ... ولا يعابُ به عِرْضِى ولا دينى

كم من فقير غَنِىٍّ النفسِ تعرفه ... ومن غنى فقير النفس مسكين

ومن عَدُوٍّ رمانى لو قصدتُ له ... لم آخذ النِّصْفَ منه حين يرمينى

---

(1) أغانى ساسى : 21 : 105 ـ مهذب 6/39 . تجريد 1974

ومن أخ لى طوى كَشْحاً فقلت له إن انطواءك عنى سوف يَطْوينى
إنى لَأَنْطِق فيما كان من أَرَبى وأُكْثِرُ الصمتَ فيما ليس يعنينى
لا أبتغى وصل من يَبْغِى مقاطعتى ولا أَلينُ لمن لا يشتهى لينى

فقال له ابن أُذينة : نعم ، أنا قائلُها . قال : فهلا قَعَدْتَ فى بيتك حتى يأتيك رزقك ؟ وغَفَل عنه هشام، فركب من وقته راحلَته ومضى منصرفا . ثم افتقده هشامٌ فعرف خبرَه فأتبعَه جائزتَه . وقال للرسول: قل له أردتَ أن تُكَذِّبَنا وتُصَدِّقَ نَفْسَك . فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغدّى عليه ، فأبلغه رسالته ، ودفع إليه الجائزة فقال: قل له: قد صدَّقَنِى الله وكَذَّبك .

قال يحيى: وفرضَ له فريضتين كنت أنا فى إحداها .

مر ابن عائشة المغنى بعروة بن أُذينة فقال له: قل أبياتا هزجا أُغنى فيها فقال له: اجلس وقال :

سُلَيمى أجمعتْ بينا فأين تقولها أينا
وقد قالت لأَتْرابٍ لها زهر تلاقينا
تعالَيْن فقد طاب لنا العيش تَعالَيْنا
فغاب البَرَم الليلة والعين فلا عينا
فأقبلن إليها مُسْـ ـرِعاتٍ يَتهادَيْنا
إلى مثل مَهاةِ الرَّمْـ ـل تكسوالمجلسَ الزينا
تَمَنَّيْن مُنـاهُن فـكنَّا ما تَمَنَّيْنا

فرواها ابن عائشة لما سمع قوله :

تَمَنَّيْن مُنـاهُنّ فـكنا ما تمنينا

ثم قال : يا أبا عامر تمنتك لما أقبل بَخرك وأدبر ذكرك .

وقفتْ سكينةُ بنتُ الحسين ، رضى الله عنه ، على عروةَ بن أُذينة فى موكبها وجواريها ، فقالت : يا أبا عامر أنت الذى تزعم أن لك مروءةً ، وإن غزلكَ من وراء عِفَّة، وأنك تَقِيٌّ . قال : نعم ، قالت: فأنت الذى تقول :

قالت وأبْثَثْتُها وجدى فبحتُ به ... قد كنتَ عندى تحبّ السّتْرفاستترِ

ألستَ تُبْصِرُ مَن حَولى فقلت لها ... غَطّى هواك وما ألقَى على بصرى

قال : بلى ، قالت : هن حرائرُ إن كان هذا خرج من قلبٍ سليمٍ أو صحيح .

قال الزبير بن بكار : حدثنى عمى قال: كان عروة بن أُذينة نازلا فى العقيق ، فى دار أبى فسمعته يُنشد :

إن التى زعمتْ فؤادَكَ مَلّها ... جعلت هواك كما جُعِلْت هوًى لها

فبكَ التى زَعَمْتَ بها وكلاكما ... يُبدى لصاحبه الصبابَة كلَّها

ولعمرُها لو كان حبُّك فوقَها ... يَوْما وقد ضَحِيَتْ إذاً لأظلها

ويبيت بين جوانحى حُبٌّ لهـا ... او كان تحت فراشها لأقلَّها

وإذا وَجَدْتُ لها وساوسَ سَلْوَةٍ ... شفعَ الضميرُ إلى الفؤاد(١) فسَلّها

بيضاء باكَرَها النعيم فصاغهـا ... بلَبَاقَة فأدَقَّهـا وأجَلَّها

لما عَرَضْتُ مسلما لى حاجةٌ ... أرجو معونَتَهـا وأخشى ذلّها

منَعَتْ تحيَّتهـا فقلت لصاحبى ... ما كان أكثرَها لنا وأقلَّهـا

فدَنا وقال لعلهـا معذورة ... من أَجْلِ رِقبَتِها فقلت لعلهـا

قال : فأتى أبو السائب المخزومى ، وأنا فى دارى بالعقيق ، فقلت له بعد الترحيب: هل بَدَتْ لك حاجة ؟ قال : وكما تـكون الحاجةُ . أبيات لعروةَ بن أُذينة بلغنى أنك سمعتَها منه. فقال له : وأية أبيات ؟ قال: وهل يخفى القمر؟ قوله :

---

(١) شفع الفؤاد إلى الضمير (أغانى — مهذب) .

إن التى زعمت فؤادك ملها ... ...

فأنشدتُه فلما بلغتُ إلى قوله :

... ... فقلت لعلها

قال لى: أحسن والله :

إن كان أهلُك يمنعونك رغبـةً عنى فأهلى بى أضنُّ وأرغب

اذهب لا صحِبَك اللهُ ولا وَسّع عليك (يعنى قائلَ هذا البيت). لقد تعدى هذا الأعرابىّ طَوْرَه ، وإنى لأرجو أن يغفرَ الله لصاحبك (يعنى عُروةَ) حُسْن ظنه بها وطلبه العذرَ لها . ثم عرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لأخْلِط بهذه الأبيات طعاما إلى الليل ، وانصرف .

لقى ابن أبى عتيق عروةَ بن أذينة فأنشده شيئا من شعره حتى أنشده :

سَرَى هَمِّى وهَمُّ الليل يَسْرِى وغاب النجمُ إلا قيد فـتْرِ

أراقبُ فى المجَرَّةِ كلَّ نَجْم تَعَرَّض للمَجَرَّة كيف يجرى

لِهَمّ ٍ ما أزال به مُديمـا كأن القلب أُضْرِمَ حَرَّ جَمْر

على بكر أخى وَلّى حميداً وأىّ العيش يصفو بعد بَـكْر

فقال ابن أبى عتيق : كلُّ العيش والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت ، فغضب عروة من قوله ، وقام من مجلسه ، وحلف لا يكلمه أبداً ، وماتا متهاجرين .

أبو محجن الثقفي (1)

هو عبدُ الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عُقدة بن عمرو بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

وهو شاعر فارس شجاع ، معدود في ذوى البأس والنجدة ، وهو من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها .

ولما كَثُر شرْبُه الخمر ، وأقام عليه عمر ، رضى الله عنه ، الحد ، وهو لا ينتهى نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حَضَوْضَى وبعث معه حرسيا يقال له ابن جهراء ، فهرب منه على ساحل البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص وقال :

الحمـــد لله نجانى وسلمنى (2) ... من ابن جَهْراءَ والبوصىّ قد حَبَسا

من يَجْشَم البحرَ والبوصِيُّ مَرْكَبُهُ ... إلى حَضَوْضَى فبئسَ المركبُ التَمَسا

أبلغ لديـــك أبا حفص مُغَلْغَلَةً ... عنـد الإله إذا ما غارَ أو جَلَسا (3)

أنى أكُرّ على الأُولَى إذا فَزِعـــوا ... يوما وأحْبِسُ تحتَ الراية الفرسا

أغشى الهياجَ وتَغْشانى مُضَاعَفَةٌ ... من الحديـد إذا ما بعضُهم خنسا

وقيل : كان سببُ نَفْيه أن أبا مِحْجن هَوِىَ امرأة من الأنصار يقال لها شموس ، فحاول النظرَ إليها بكل حيلة ، فلم يقدر عليها ، فآجر نَفْسَه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها ، وأشرف من كُوّة في البستان فرآها فأنشأ يقول :

ولقد نظرتُ إلى الشّموسِ ودونَها ... حَرَجٌ من الرحمنِ غيرُ قليلِ

---

(1) أغانى ٢١ : ١٣٧ مهذب ٢/٤٧ تجريد ١٩٨٢ .

(2) وخلصنى (أغانى)

(3) غار : أتى الغور ، وجلس : أتى نجدا .

فاستعدى زوجُها عليه عمرَ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فنفاه إلى حضَوْضى مع ابن جهراء وقال له عُمَرَ : لا تدعه يُخْرِج معه سيفا ، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصْلَه فى غِرارة ، وجفنَه فى غرارة أُخرى ، فيهما دقيق ، فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصى ابتاع أبو محجن شاةً وقال لابن جهراء هلم نتغدَّ . ووثب إلى الغِرارة كأنه يخرج منها دقيقا ، فأخذ السيف ، فلما رآه ابن جهراء والسيفُ معه ، خرج يعدو حتى ركِبَ بعيرَه راجعا إلى عمر ، فأخبره الخبرَ . وأقبل أبو محجن إلى سعد ابن أبى وقاص ، وهو يقاتل العجمَ يومَ القادسية ، وبلغ عُمَرَ خبرُهُ فكتب إلى سعدٍ بحبْسه فحبسه . فلما كان يوم قس الناطف ، والتحم القتال ، سأل أبو محجن امرأةَ سَعْدٍ أن تعطيَه فرسَ سعد وتحُلَّ قيْدَه ليقاتل المشركين ، فإن استشهد فلا تبعةَ عليه ، وإن سَلِم عاد ، حتى يضع رجْلَه فى القيد ، فأعطته الفرس ، وخلت سبيله وعاهدها على الوفاء فقاتل فأبلى بلاء حسنا إلى الليل ، ثم عاد إلى محبسه .

وهذه القصة كانت لأبى محجن فى يومِ أرْماث ويوم الكتائب ، وهو أنه لما كان يومُ الكتائب اقتتل المسلمون والفُرْسُ منذ أصبحوا إلى أن انتصفَ النهار ، فلما قامت الشمسُ تزاحم الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل ، وهذه الليلةُ التى كان فى صبيحتها يومُ أرماث ، وقد كان المسلمون يومَ أرماثَ أشرفوا على الظَّفَر وقتلوا عامةَ أعلام الفُرْس ، وجالت خيلهم فى القلْب ، فلولا أن رَجْلَهم ثبتوا حين كَرَّت الخيلُ لكان رئيسُهم قد أُخذ لأنه كان يَنْزِلُ عن فرسه ، ويجلس على سريره ، ويأمر الناسَ بالقتال ، فلما انتصف الليل تحاجز الناس ، وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا وسمع ذلك سعدٌ فاستلقى لينام ، وقال لبعض مَنْ عِنْده ، إن تم الناسُ على الانتماء فلا توقظنى ، فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكتوا وسكت العدو فلا توقظنى فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدو ينتمون ، وهؤلاء سكوت فأنبهنى فإن انتماء العدو من السوء .

فلما اشتد القتالُ فى تلك الليلة : كان أبو محجن فى الحبس ، وهو وسعد فى القصر ، فأراد أن يَصعدَ إلى سعد فيستَعْفِيَه ويستقيله فنهره وردّه ، فنزل وأتى سلمى بنتَ أبى حفصة ، فقال لها : يابنت أبى حفصة هل لك إلى خير ؟ قالت : وماذاك ؟ قال: تُخَلِّين عنى، وتعيرينى البلقاء ، فلله عَلَىَّ إن سَلّمنى اللهُ أن أرجعَ إلى حضرتك حتى تضعى رجلى فى قيدى ، فقالت : وماأنا وذاك ؟ فرجع يرسف فى قيوده ويقول :

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا ... وأُترَكَ مشدوداً عَـــلَىَّ وثاقيا
إذا قمت عنّانِى الحديدُ وأُغلِقت ... مصاريعُ من دونى تُصِمُّ المناديا
وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوةٍ ... فقد تركونى واحـــداً لا أخا ليا
وقد شفَّ جسمى أننى كل شارقٍ ... أُعالجِ كَبْـلا مُصْمَتا قـــد برانيا
فلله درِّى يـــومَ أُتركُ موثقا ... وتُذْهَلُ عنى أُسْرَتى ورجاليـا
حبيسا عن الحربِ العوانِ وقد بَدَتْ ... وإعمالُ غـيرى يومَ ذاك العواليا
ولله عهدٌ لا أَخيس(١) بعهده ... لئن فُرِجَتْ ألّا أزورَ الحوانيا

فقالت له سلمى : قد استخرتُ اللهَ تعالى ورضيتُ بعَهْدِكَ فأطلقته . وقالت : أما الفرسُ فلا تَقْرَبْها ورجعتْ إلى بيتها ، فخالفها أبو محجن إلى الفرس فأخذها ، وأخرجها من باب القصر الذى يَلِى الخندق ، فركبها ثم دَبّ عليها ، حتى إذا كان بحِيالِ الميمنة ، وأضاء النهارُ ، وتصافَّ الناسُ كَبّر ثم حمل على ميسرة القوم ، يلعب برُمْحِه بين الصفين ، ثم رجع من خَلْفِ المسلمين إلى القَلْب ، فبدَر أمامَ الناس ، فحمل على القوم ، يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ، وكان يَقصف الناس أشد قصف منكر ، فعجب الناس منه ، وهم لا يعرفونه ، ولم يروه بالأمس . فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحاب هاشِم بنِ عُتْبَة ، أو هاشمٌ نفسه . وقال قوم :

---

(١) يقال : خاس العهد وبالعهد : نقضه .

إن كان الخضرُ يشهدُ الحربَ فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون : لولا أن الملائكةَ لا تباشرُ القتالَ ظاهراً لقلنا هذا مَلَكٌ بيننا . وجعل سعد يقول ، وهو مشرف : هذا أبو مِحْجَن ،(١) وهذه البلقاء ، فلم يزل يقاتلُ حتى انتصف الليل ، فتحاجز الناس ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ، ووضع عن نفسه السلاحَ وعن دابته وأعاد رجليه فى القيد ، وأنشأ يقول :

لقد عَلِمَتْ ثقيفُ غيرَ فَخْرٍ ... بأنا نحنُ أكرمُهم سيوفا
وأكرمُهم دروعاً سابغاتٍ ... وأصبرُهم إذا كَرِهوا الوقوفا
وأنا رِفْدُهم فى كلِّ يومٍ ... فإن جَحَدوا فسَلْ بهمُ عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بى ... ولم أكْرَه بمخرجى الصفوفا
فإن أُحْبَسْ فقد عرفوا بلائى ... وإن أُطلق أُجَرِّعُهم حتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما والله ما حبسنى بحرام أكَلْتُه ولا شَرِبْتُه ، ولكنى كنت صاحبَ شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشِّعْرُ على لسانى فيبعثُه أحياناً فحبسنى لأنى قلت :

إذا مِتُّ فادفِنِّى إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوِّى عظامى بعد موتى عروقُها
ولا تدفِنَنِّى بالفلاة لأننى ... أخاف إذا ما مِتُّ ألّا أذوقُها
لِيُرْوَى بخمر الحصِّ لحمى فإننى ... أسيرٌ لها من بَعْدِ ما قد أَسُوقها

وكانت سلمى رأت من المسلمين جَوْلَةً ، وسعدُ بن أبى وقاص فى القصر ، لعلة كانت به ، لم يقدر على حضور الحرب ، وكانت قَبْلَه عند المُثَنَّى بن حارثة الشيبانى ، فلما قُتِلَ خلف عليها سَعْدٌ ، فلما رأت شِدّةَ البأسِ صاحت وامُثَنَّاه ولا مُثَنَّى اليومَ فلطمها سعد ، فقالت : أفَلكَ ! أجُبْناً وغَيْرَة ؟ وكانت مغاضِبَتَه ليلةَ أرماث ، وليلةَ الهدّة ،

---

(١) أعيرها (أغانى) ٢١ : ٣٩ .

وليلةَ السواد ،فلما أصبحت أتَتْه فصالحته ، وأخبرته خبرَ أبى محجن، فدعاه وأطْلَقَه . وقال : اذهب فلستُ مؤاخذَك بشيء تقوله حتى تَفْعَله فقال لا جرَمَ ، واللهلا خَبَثْتُ لسانى إلى صِفَةِ قبيحٍ أبداً .

وكان أبو محجن كلما أتى إلى سعد بن أبى وقاصٍ شاربا يَتَهَدَّدُه فيقول : لست تاركَها إلا لله، فأما لقولك فلا، فأُتى به يوم القادسية وقد شَرِب فأمر به إلى القيْد، وكانت بسعْدٍ جراحةٌ فلم يَخْرج للناس ، وجرى لأبى محجن ما تقدم ذكره .

وقيل : إن أبا محجن لما قال له سعد: لستُ مؤاخذَك بشيء تقوله حتى تفعله . قال: قد كنت أشربها وكان الحدّ يقامُ عَلَيّ وأطهرُ منها فأما إذ نَهَيْتنى فلا والله لا أشربُها أبداً وقال :

إن كانت الخمرُ قد عَزّتْ وقد مُنِعَتْ   وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقد أُباكِرُها صِرْفا وأمزِجُها   ريّا وأطْرَبُ أحيانا وأمْتَزِج
وقد تقومُ على رأسى مُنَعَّمَةٌ   فيها إذا رفَعَتْ من صوتها غَنَج
ترفع الصوتَ أحياناً وتَخْفِضُه   كما يَطِنّ ذبابُ الروضةِ الهزِجُ

وقال المفضل: إن الناسَ لما التقوا بالأعاجم، يوم قسِّ الناطف ، [كان مع الأعاجم فيل][1] يكر عليهم فلا تقوم له الخيل . فقال أبو عبيدة بن مسعود : هل له مَقْتَلٌ ؟ فقيل : نعم خُرطومُه ، إلا أنه لا يُفلِتُ منه من ضَرَبه . قال : فأنا أهبُ نفسى لله، وكَمَنَ له حتى إذا أقْبَلَ وسامَتَه[2] فضرب خرطومَه بالسيف ، فرمى به ، وشدّ عليه الفيل فقتله . ثم استدار فطحنَ الأعاجمَ وانهزموا : فرثاه أبو محجن بأبيات :

---

(١) بياض فى الأصل وما بين القوسين عن الأغانى ٢١ : ١٤١ .
(٢) سامته : قابله ووازاه .

دخل ابنُ أبى محجن الثقفى على معاوية فقال له : أليس أبوك الذى يقول :

إذا مت فادْفِنِّى إلى جنب كرمة ... ... الأبيات

فقال له ابن أبى محجن: لو شئتُ لذكرت له ما هو أحسنُ من هذا من شعره . قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسألى اليوم عن مالى وكَثْرَتِه ... وسائلى الناس ما فِعْلِى وما خُلُقِى
أُعطى السِّنانَ أمامَ الروْعِ حِصَّتَهُ ... وعاملَ الرُّمْحِ أرويه من العَلَقِ
وأطعنُ الطعنةَ النجلاءَ عن عُرُضٍ ... وأحفظُ السرَّ فيه ضربةُ العنقِ
عفٌّ المطالبِ عما لستُ نائله[(1)] ... وإن ظُلِمْتُ شديدُ الحقدِ والحنقِ
وقد أجود وما مالى بذى قَنَعٍ[(2)] ... وقد أَكُرُّ وراء المُحْجِمِ الفَرِقِ[(3)]
والقوم تعلمُ أنى من سراتهمُ ... إذا سما بصرُ الرِّعديدةِ الشَّفقِ
قد يُعْسِرُ المرء حينا وهو ذو كرم ... وقد يثوب ثواب العاجزِ الحمِقِ
سيكثُر المال حينا بعدَ قلّتِه ... ويكتسى العودُ بعد اليُبْسِ بالورقِ

فقال له معاوية : إن كنّا أسأنا إليك القولَ لنُحْسِنَنَّ لك الصفدَ[(4)] . ثم أجزل صلتِه ، وقال : إذا حَبِلَت ووَلَدَت النساء فلْتلدْ مثلَك .

أُتى عمر رضي الله عنه بجماعة ، منهم أبو محجن ، وقد شربوا الخمرَ فقال:أشربتم الخمرَ بعد أن حرمها الله تعالى ورسولُه ؟ فقال : ما حرّمها الله ولا رسولُه ، إن الله عز وجل يقول : « ليس على الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتقوا و وآمنوا وعَمِلوا الصالحات» فقال عمر لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلفوا فيهم

---

(١) فى الأصل : قائله .
(٢) القنع : الجود الكثير ، الفضل الواسع ، الكثير من كل شىء .
(٣) وقد أكر وراء المحجر البرق (أغانى) .
(٤) الصفد: العطاء ــ وكانت العبارة فى الأصل (لنحسن إلى الصفة) والتصويب عن الأغانى.

فبعث بهم إلى عَلِيٍّ بن أبي طالب ، رضي الله عنـه ، فشاورَه فقال علي رضي الله عنه : إن كانت هـذه الآيةُ كما يقولون فينبغي أن يَسْتَحِلّوا المَيْتَةَ والدمَ ولحمَ الخنزير ، فسكتوا . فقال عمر لعلي : ما ترى فيهم ؟ فقال : أرى إن كانوا شربوها مُسْتَحِلِّين لها أن يقتلوا ، وإن كانوا شربوها وهم موقنون أنها حرام ، فعليهم الحد . فسألَهم فقالوا : والله ما شككنا في أنها حرام ، ولـكن قدَّرْنا أن لنـا نجاةً فيما قلناه . فجعل يَحُدُّهم رجلا رجلا ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن ، فلما جلده أنشأ يقول :

ألم تر أن الدهر يَعْـثُر بالفتى ... ولا يستطيعُ المرءُ صرف المقادرِ
صُبِرْتُ فـلم أَجْزَع ولم أكُ جازعا ... لحادث دهرٍ في الحكومةِ جائرِ
وإني لذو صَبْرٍ وقد مات إخوتي ... ولست عن الصهباء يوما بصـابرِ
رماها أمـير المؤمنين بحَتْفِها ... نخِلّانُها يبكون حـولَ المعاصرِ

فلما سمع عمر قوله :

... ... ولست عن الصهباء يوما بصابرِ

قال : قد أبديتَ ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبة ، لإصرارك على شرب الخمر ، فقال له علي ، رضي الله عنه : ليس إلى ذلك سبيلٌ ، ولا يجوز أن تعاقبَ رجلا قال : لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال الله عز وجـل في الشعراء : « وأنَّهُمْ يقولون مالا يَفْعلون » فقال عمر : « قد استثنى الله تعالى منهم قوما ، فقال : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فقال علي رضي الله عنه : أفهؤلاء عندك منهم ؟ وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لا يشرب [العبد] الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمن .

حَدّث من مَرّ بقبرِ أبى محجن فى نواحى أذربيجان ، أو قال : نواحى جرجان . قال : رأيت قَبْرَه وقد نَبَتَ حولَه ثلاثةُ أُصول كَرْم ، وقد طالت فأثمرت ، وهى مُعَرَّشَةٌ على قبره ، مكتوبٌ : هذا قبر أبى محجن الثقفى ، فوقفت طويلا أتعجب مما اتفق له حتى صار كأُمنيته حيث يقول :

إذا مت فادْفِنّى إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوِّى عظامى بعد موتى عُروقُها

عويف القوافى[1]

هو عُوَيْفُ بن معاوية بن عُقبة بن حِصن .

وقيل ابن عُقْبة بن عُيَيْنَة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَّيَة بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار .

شاعرٌ مُقلٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، من ساكنى الكوفة ، وبيته أحد البيوتاتِ المقدَّمةِ الفاخرةِ فى العرب ، وكانت العرب تَعُدّ البيوتاتِ المشهورةَ بالكبرِ والشرفِ من القبائل ، بعد هاشم بن عبد مناف ، فى أربعة بيوت :

أولُها بيتُ آل حُذَيْفة بن بدر الفزارى ، بيت قيس ، وبيت آل زُرارة بن عدس الدارميين[2] ، بيت تميم .

وبيت [آل] ذى الجَدَّيْن [بن][3] عبد الله بن همام ، بيت شيبان .

وبيت بنى الدَّيَّان ، من بنى الحارث بن كعب ، من اليمن . فأما كندة فلا يُعَدُّون من أهل البيوتات ، وإنما كانوا ملوكا .

قال كسرى للنعمان : هل للعرب قبيلةٌ تَشْرُف على قَبيلة ؟ قال : نعم قال : بأى شىء ؟ قال : من كانت له ثلاثةُ آباء متواليةٍ رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع ، والبيت من قبيلته فيه . قال : فاطلب لى ذلك ، فطلبَه فلم يجدْه إلا فى بيت حُذيفة ابن بدر بيتِ قيس عيلان ، وآل حاجب بن زرارة ، بيت تميم . وآل ذى الجَدَّيْن بيتِ شيبان ، وآل الأشعث بن قيس بيت كندة .

---

(١) الأغانى ١٧ : ١٠٥ المهذب ٦٩/٤ . تجريد ٢٠٢٧

(٢) فى الأصل: ابن عبد الدار .

(٣) فى الأصل: بيت ذى الجد بن عبد الله ، والتصويب ومابين القوسين عن الأغانى .

قال : فجَمَعَ هؤلاء الرهطَ ، ومن تَبِعَهُم من عشائرهم ، فأقعد لهم الحُكّامَ العدولَ ، وأقبل مِنْ كلٍّ واحدٍ منهم شاعرٌ وقيل لهم : ليتكلَّمْ كلُّ رجل منكم بمآثِر قومه وفَعالِهم ، وليقلْ شاعرُهم فليصْدُقْ . فقام حذيفةُ بنُ بدر وكان ألْسَنَهم وأجزَلَهم مَقْدَما فقال :

[لقد] علمَتْ معدٌّ أن فينا الشرفَ الأقدمَ والعزَّ الأعظمَ ومآثِر الصنيع الأكرم . فقال من حوله : ولِمَ ذاك يا أخا بنى فزارة ؟ قال : ألسنا الدعائم التى لا تُرام والعزّ الذى لا يُضام . قيل له : صدقت .

ثم قام شاعرهم فقال :

فزارةُ بيتُ العزِّ والعـــزُّ فيهمُ ⁂ فزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قيس نِضالُها[1]

لها العزةُ القعساء والحسبُ الذى ⁂ بنــاه لقيسٍ فى القديم رجالُها

فمَن ذا إذا مُدّ الأكفُّ إلى العُلا ⁂ يعـــد بأُخرى مِثْلَها فينالُها

فهيهات قد أعيا القرونَ التىمضتْ ⁂ مآثِرُ قيس مَجْدُها وفَعالُها

وهل أحــد إن مَدّ يوماً بكَفِّه ⁂ إلىالشمس فى مَجْرى النجوم ينالُها

فإن تصلحوا نَصْلُح كذاك جميُعنا ⁂ وإنتَفسدوا يَفْسُدعلىالناسِ حالُها

ثم قام الأشعث بن قيس يُعدِّدُ مآثِرَ كِنْدةَ ، وإنما أذن له قبل ربيعة وتميم لقرابتِه من النعمان .

وقام بعده بسطام بن قيس يُعدد مآثر ربيعة .

وقام بعده حاجبُ بن زرارة يعدد مآثر معد . فقام بعده قيس بن عاصم . فقالوا نثرا ونظما .

فلما سمع ذلك كسرى منهم ومن شعرائهم ، قال : ليس منكم إلّا سيدٌ يَصْلُح لموضِعه . وأسْنَى جوائزَهم وصرفهم .

(١) فى الأصل : حيث قيس نصالها بالصاد ، وهذه عن الأغانى .

وسمى عُوَيْفَ القوافى لبيت قاله :

سأُكْذِبُ من قد كان يزعم أننى ... إذا قلتُ قولا لا أُجيدُ القوافيا

فسُمِّى عُوَيفَ القوافى .

ووقف على جرير بن عبد الله البَجَلِى ، وهو فى مجلسه ، فقال :

أَصُبُّ على بجيلةَ من شَقاها ... هِجائى حين أدركَنى المشيبُ

فقال له جرير : ألا أشترِى منك أعراضَ بَجيلة ؟ قال : بلى . قال : بكم ؟ قال : بألف درهم وبرذونٍ . فأمر له بما طلب . فقال له :

لو لا جريرٌ هَلَكَتْ بَجيله ... نِعْمَ الفتى وبِئْسَتِ القبيله

فقال له جرير : ما أراها نَجَوْا منك بعد .

حدث جماعة من مشيخة قريش ، قالوا : لم يكن رجل من قادة[1] بنى عبد الملك ابن مروان أنْفَسَ على قومه ولا أحسدَ لهم[2] من الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أذن يوماً للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بَدَرَ بين يديه عويفُ القوافى الفزاريُّ فاستأذَنَه فى الإنشاد ، فقال: ما أبقيت لى بعدَ ماقلت فى أخى زهرة[3] ما قلت. قال : وماقلت له مع ماقلت لأمير المؤمنين ؟ قال: ألست الذى تقول له :

يا طَلْحَ أنت أخو الندى وحَليفُه ... إن الندى من بعد طلحةَ ماتا

إن الفعال إليك أطْلَقَ رَحْلَه ... فبحيثُ بِتَّ من المنازل باتا

أو لست الذى تقولُ له :

إذا ما جاء يومُك يا ابنَ عوف[4] ... ذريعَ المَوْتِ ليسَ له شفاء

---

(١) ولاة (أغانى) .

(٢) فى الأصل : آخذ لهم .

(٣) لأخى بنى زهرة (أغانى)

(٤) رواية الشطر الأول فى الأغانى: تساق الناس بعدك يا ابن عوف.

ألم تَقُمْ عليك الساعةُ يومَ قامَتْ عليه. لا والله لا أسمع منك شيئا ، ولا أنفعك بنافعة أبداً ، أخرجوه عنى . فقال له القرشيون والشاميون : وما الذى أعطاكَ طلحةُ حتى استخْرَج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطانى غيرُه أكثرَ من عَطِيَّته ، ولـكن لا والله ، ما أعطانى أحدٌ قطُّ أجلَّ فى قلبى ، ولا أبقى شكراً ، ولا أجدر ألّا أنساها ما عرفت الصِّلات [من عطيته](١) قالوا : وما أعطاكَ ؟ قال : قدمت المدينة ومعى بُضَيْعَةٌ لى(٢) لا تبلغ عزمه أُريد أن أبتاع قعوداً من قُمْدان الصَّدَقة فإذا رجُلٌ بصحن السوق ، على طنفسة قد طرحت له وإذا(٣) الناس حوله وإذا بين يديه إبلٌ معقولة ، فظننت أنه عاملُ السُّوقِ ، فسلمت عليه فأثْبَتني وجَهَّلْتُه فقلت له : بأبى رحمك الله ، هل أنت معينى بنَظَرِكَ على قَعودٍ من هذه القُمْدان تبتاعه لى ؟ فقال : نعم أو مَعَكَ ثمنُه ؟ فقلت نعم . فأهوى بيده إلىَّ فأعطيتُه بُضيعتى ، فرفع طنفسته فألقاها تحتها ، ومكث طويلا ، فقمتُ إليه فقلت : رحمك الله انظر فى حاجتى . فقال : ما منعنى منك إلا النسيان ، أمعك حبل ؟ قلتُ : نعم فقال : هكذا ، أفرِجُوا فأفرَجُوا حتى استقبلَ الإبلَ التى بين يديه فقال : اقرنْ هذه ، وهذه ، وهذه ، فما برحت حتى أمر لى بثلاثين بَـكرة [أدنى بَكرة فيها ولا دنية فيها خير من بضاعتى](٤) ثم رَفَـع طنفسته ، فقال : شأنك بضاعَتك ، فاستعن بها على من ترجعُ إليه . فقلت : أى رحمك الله ، أتدرى ما تقول ؟ فما بقى عنده إلا نهرنى وشتمنى ، ثم بعث معى نفرا فأطْردوها حتى أطْلَعُوها فى رأس الثَّنِيَّة . فوالله لا أنساه ما دمتُ حيا أبداً .

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٢) فى الأصل (مضيعة) .

(٣) فى الأصل : (أزواد) .

(٤) ما بين القوسين عن الأغانى .

قال أبو موسى الأشعرى: حضرت مع عمرَ بن عبد العزيز جنازةً فانصرفت معه، وعليه عمامة قد سَدَلَها من خَلْفه فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به :

أَجِبْنِى أبا حفص لَقِيتُ محمداً على حَوْضِه يَسْقِى به وَيَرَاكا[1]

فقال له عمرُ: لَبَّيْك، ووقف ووقف الناس معه، ثم قال له: فَمَهْ. فقال :

فأنت امرؤ كلتا يَدَيْه مفيدة شمالُك خيرٌ من يمينِ سِواكا

قال: ثُمَّ مَهْ؟ فقال :

بلغْتَ مَدَى الُمجْرِينَ قبلك أن جَرَوْا ولن يدرك الُمجْرون بُعد مَداكا

فجدّاك لا جَدَّيْنِ أكرمُ منهما هُناك تناهى المجدُ ثم هُناكا

فقال عمر: لا أراك إلا شاعراً، ما لك عندى من حق. قال: لا، ولكنى سائلٌ وابنُ سبيل وذونَهمة. فالتفت عمر إلى قَهْرمانه فقال: أعطه فضْلَ نفقتى، فإذا هو عويفُ القوافى.

وكانت أختُ عويف القوافى عند عُيَيْنَة بن أسماء بن خارجة فطلّقها وكان عويفٌ مراغِماً لعُيَيْنَة. فقال: الحرة تُطَلَّقُ لغير ما بأسٍ. فلما حَبَسَ الحجاج عُيَيْنَة وقيَّده قال عويف :

مَنَعَ الرقادَ فما يُحَسّ رقادُ خبرٌ أتاك ونامتِ العُوّاد[2]

خبرٌ أتانى عن عيينةَ موجعٌ ولمثله تتَصَدَّعُ الأكبادُ

بلغَ النفوسَ بلاؤه فكأننا موتى وفينا الروحُ والأجسادُ

ساء الأقاربَ يوم ذاك فأصبحوا بهجين قد سروا به الحساد

يرجون عَثْرَةَ جَدِّنا ولو أنهم لا يدفعون بنا المكاره بادوا

---

(١) رواية الشطر الثانى فى الأغانى :

على حوضه مستبشراً ورآكا

(٢) رواية الحماسة : ذهب الرقاد . . . مما شجاك ونامت العواد

لما أتانى عن عُيَيْنة أنه عانٍ(١) عليه تظاهرُ الأقيادُ
نَحَلَتْ له نفسى النصيحةَ أنه عند الشدائدِ تذهبُ الأحقادُ
وذكرت أىَّ فتى يَسُدُّ مكانه بالرِّفْد حين تقاصر الأرفادُ
أم من يُهينُ لنا كرائم ماله ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ
لو كان من حَضَن تضاءل ركْنُه أو من نضادَ بَكَتْ عليه نَضَادُ

سأل عويفُ القوافى فى حمالة ، فمر به عبدُ الرحمن بنُ محمد بن مروان ، وهو حديث السن ، فقال له : لاتسألْ أحداً وصِرْ إلىّ أكْفِك. فأتاه فاحتملها أجمع . فقال يمدحه :

غلامٌ رماه الله بالخير يافعا له سيمياء لا تَشُقُّ على البَصَرْ
كأن الثريا عُلِّقَتْ فى جبينه وفى خده الشِّعْرى وفى أنفِه القمرْ
ولما رأى المجد استعيرت ثيابُه تردى رداءً واسع الذيل واتَّزَرْ
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصرْ
دعانى فآسانى ولو صدّ لم يُلَمْ على حين لا بادٍ يُرَجَّى ولا حضرْ

قال أبو زيد : وهذه الأبيات تمثل بها عويفٌ وإنما هى لابن عَنْقاء الفزارى ، يقولها لابن أخ له . وكان قومٌ من العرب أغاروا على نَعم ابن عنقاء ، فاستاقوها ، حتى لم يبق له شيء ، فأتى ابن أخيه فقال له : يا ابن أخى قد نزل بعمِّك ما ترى ، فهل من حَلوبَة ؟ قال : نعم ياعم ، اصبر حتى يروحَ المال ، وأبلغ مروان ، فلما راح قاسمه إياه وأعطاه شَطْرَه . فقال فيه هذه الأبيات .

ولما مات سليمانُ بنُ عبد الملك ووليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه عويف القوافى ، وأنشده :

---

(١) أمسى (الحماسة) .

لاح سحابٌ فرأينا بَرْقَه ثم تدانى فسمعنا صَعْقَه
وراحت الريح تُزَجِّى بُلْقَه ودُهْمَه ثم تُزَجِّى وُرْقَه
ذاك سَقَى قبراً فَرَوَّى وَدْقَه قبر امرئٍ[1] عَظَّمَ ربى حَقَّه
قبرَ سليمان الذى مَنْ عَقَّه جَحَـدَ الخيرَ الذى قد بَقَه
فى المسلمين[2] جِلَّه ودِقَّه فارق فى الجحودِ منه صِدْقَه[3]
قد ابتلى الله بخيرٍ خَلْقَه ألقى إلى خَيْرِ قريش وَسْقَه
سُمِّيتَ بالفاروق فافْرُق فَرْقَه وارزق عيال المسلمين رِزْقَه
واقصد إلى الجود ولا تَوَقَّه بَحْرُكَ عَذْبُ الماء ما أَعَقَّه
رِيُّكَ وَالمحرومُ من لم يُسْقَه

فقال عمر : لسْنا من الشعر فى شىء ، وما لك فى بيت المال من حق ، فألح عويف يسأل ، فقال : يا مزاحم ، انظرْ ما بقى من أرزاقنا فشاطره إياه، ونحن نصبرُ على الضيق إلى وقت العطاء ، فقال له عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك : بل نُوَفِّر على أمير المؤمنين، وعَلَيَّ رضاء الرَّجُل . فقال: وما أولاكَ بذلك ، فأخذ بيده وانصرف وأعطاه حتى رضى .

---

(١) فى الأصل قبرا ثوى .
(٢) فى العالمين (الـكامل) والجل بكسر الجيم الـكبير ، والدق بكسر الدال الصغير .
(٣) روى الـكامل مكان هذا البيت :

لما ابتلى الله بخير خلقه

وجاء بعده : وكادت النفس تساوى حلقه (الـكامل جـ ٢/ ٢١٤ مطبعة أزهرية) .

عبد الله بن جحش[1]

كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها صهباء، من أحسن الناس وجها . وكانت من هُذيل، فتزوجها ابن عم لها ، فمكث حينا معها لا يقدر على افتضاضها لارتتاقها فأبغضته وطالبته بالطلاق ، فطلقها. وأصاب الناس مطر شديد فى الخريف ، فسال العقيق سيلا عظيماً ، فخرج أهل المدينة ، وخرجت صهباء معهم ، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابَه فى نزهة، فرآها ثم مضت إلى أقصى الوادى فاستنقعت فى الماء ، وقد تفرق الناس وخفوا فاجتاز عليها ابن جحش ، فرآها فتهالك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يقال لها قطنة كانت تداخل القرشيات وغيرَهم ، فلقيها ابن جحش ، فقال لها : اخطبي عليّ صهباء ، فقالت له : قد خطبها عيسى بنُ طلحة بن عبيد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ، فشتمها ابنُ جحش وقال لها : كل مملوك لى حر إن لم تحتالى لى فيها حتى أتزوجها ، لأضربنك ضربة بالسيف ، وكان مقداما جسورا ، ففزعت منه ودخلت على صهباء وأهلها، فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء : ما لَه فارقها ؟ فقالت : لم يقدر عليها ، فقالت ، وأسمعت صهباء: إن هذا ليمترى[2] كثيرا من الرجال ، ولا ينبغى أن تقدموا فى أمرها إلا على من تختبرونه، ووالله لو كان ابنُ جحش لثقَبها ثقب اللؤلؤ ولو رُتِقت بحجر ، ثم خرجت من عندها ، فأرسلت إليها صهباء أن مرى ابن جحش فليخطبنى ، فلقيَتْه فأخبرته الخبر فخطبها وأنعمت له ، وأبى أهلُها إلا عيسى بن طلحة ، وأبت هى إلا ابن جحش ، فتزوجته ودخل بها ، وافتضّها ، وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها :

---

(١) أغانى ١٧ / ١١٨ . تجريد ٢٠٣١

(٢) فى الأصل التعزير وما أثبتناه عن الأغانى .

نعم الضجيعُ إذا النجوم تغوَّرَتْ | بالغور أُولاها عـلى أُخراها
عذبٌ مُقَبَّلُها وثيرٌ رِدْفهـا | عبلٌ شواها طَيِّبٌ مجْناها
صهباء يطويها الضجيـع لجنبها | ملءُ الحالة لَيِّنٌ متناهـا
لو يستطيع ضجيعها لأجنَّها | فى الجوف شهْوَةَ ريحها وجناها
يا دارَ صهباء التى لا أنتهى | عن ذكرها أبداً ولا أنساها

كان عبد الملك بن مروان مُعْجَبا بشعر عبد الله بن جحش ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، فورد كتابُه وقد توفى ، فقال إخوانُه لابنه : لو شخصت إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعله كان ينفعك ، ففعل فبينا هو فى طريقه إذ ضاع منه كتاب الإذن، فهم بالرجوع ، ثم مضى لوجهه ، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه ، فأخبره بوفاته ، فسأله عن كتابه ، فأخبره بضياعه ، فقال أنشدنى فى قول أبيك :

هل يبلغنْها السلام أربعـــة | منى وإن يفعلوا فقد نفعوا
على مِصَكَّيْن[1] من جمالهمُ | وعنـتريسين فيهما سطـع
قرب جـــيراننا جمالهم | صبحا فأضحوا بها قد انتجعوا
ما كنت أدرى بوشـك بينهمُ | حتى رأيت الحُداةَ قد طلعوا
قد كان قلبى والعين تبصرهم | لما تَوَلَّوا للبين ينصـدع
ساروا وخلفت بعدهم دنفاً | أليس بالله بئس ما صنعوا

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ماأرويه ، قال : لاعليك أنشدنى قول أبيك :

وماذا كثرة الجـــيران تغنى | إذا ما بان من أهوى فسارا

---

(١) المصك : القوى من الناس وغيرهم . .

فقال : لا والله ياأمير المؤمنين ما أرويه ، قال: ولا عليك ، أنشدنى قوله :

يا دار صهبـــاء التى لا أنتهى عن ذكرها أبدا ولا أنساها(١)

قال: لاوالله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، وأن هذه صهباء لأُمى ، قال : لا عليك ، قد يَتَنَقَّصُ الرجلَ أن يُشَبِّب بأمه ولـكن إذا شبب بها غير أبيه ، فأُفٍّ لك ورحمة الله على أبيك فقد ضيعت [أدبه وعققته إذ لم ترو شعره](٢) اخرج فلا شيء لك عندنا.

(١) رواية البيت فى الأغانى :

دار لصهباء التى لا ينثنى عن ذكرها قلبى ولا أنساها

(٢) جاء النص محرفا تحريفا شديدا وما أثبتناه بين القوسين عن الأغانى .

عبدُ الله بن العباس الربيعى [1]

هو عبدُ الله بن العباس الربيعى بن الفضل بن الربيع ، والربيعُ على ما يدّعيه أهله [ابن][2] يونس بن أبى فروة ، وقيل إنه ليس ابنَه . وآلُ أبى فروة يدفعون ذلك ، ويزعمون أنه لقيط ، وجد منبوذاً ، فكفله يونس بن أبى فروة . ورباه ، فلما خَدَم المنصورَ ادّعَى إليه ، وكذبه عبدُ الله بن العباس .

وكان عبدُ الله شاعراً مطبوعا ، مغنيا حسن الصنعة والخلق والرواية ، حلوَ الشعر ظريفَه ، ليس من الجيد الجَزْل ولا الرذول ، ولكنه مليحُ المذهب من أشعار المتْرَفين وأولاد النِّعَم .

قال عبدُ الله بن العباس : دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثق ، وأنا بين يديه أُغَنِّيه ، وقد استعادنى صوتا مراراً ، وهو يستحسنه ، فقال له محمد بن عبد الملك : هذا يا أميرَ المؤمنين أَوْلى الناس بإقبالك عليه ، وإصغائك إليه ، قال : أجَلْ ، هذا مولاى وابنُ مولاى لا تعرفون غيرَ ذلك . فقال له : ليس كلُّ مولى ، يا أمير المؤمنين ، مولىً لمواليه ، ولا كلُّ مولى يتجملُ بولائه ، ولا كلُّ مُتَجَمِّل بولائه يجمع ماجمعه عبدُ الله من ظرفٍ أدبٍ وصحةِ عقلٍ وفضلٍ وعلمٍ وجودة شعر . فقال له: صدقت يامحمد . فلما كان من الغد جئت محمدَ بن عبد الملك شاكراً لحسنِ محضره فقلت فى أضعاف كلامى : وأفرط الوزيرُ أعزّه الله فى وصفى وتقريظى بكل شىء حتى وصفنى بجودةِ الشعر ، وليس ذلك عندى ، وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة

---

(١) الأغانى ١٧ : ١٢١ . تجريد ٢٠٣٣

(٢) فى الأصل (أهل يونس) وما أثبتناه عن الأغانى .

ولو كان عندى أيضاً شىء من ذلك لصَغُر عن أن يصفه الوزير ، ومحله فى هذا الباب المحل الرفيع المشهور ، فقال : والله يا أخى لو عرفتَ مقدارَ قولك :

ياشادنا رام إذ مرْ رَ فى الشمانين قتلى
يقول لى كيف أصبحـ ـت كيف يُصبح مثلى

لما قلتَ هذا القولَ ، والله لو لم يكن لك شعرٌ فى عمرك كلِّه إلا قولك :

... ... كيف يصبح مثلى

لكنت شاعراً مجيداً .

وكان عبدُ الله بن العباس يقول : أنا أول من غنى بالكلكلة فى الإسلام وصنعت عليها :

أتانى يؤامرنى بالصبو ح [ليلا] فقلت له غادها[1]

قال : وكان سبب دخولى فى الغناء وتعليمى إياه أننى كنت أهوى جاريةً لعمتى رُقَيَّة بنتِ الفضلِ بن الربيع ، وكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها ، خوفا من أن يظهر مالها عندى ، فيكون ذلك سببَ منعى منها ، فأظهرت لعمتى أننى أشتهى أن أتعلمَ الغناء ، ويكونَ ذلك فى ستر عن جَدِّى ، ولعمتى من الرِّقَّة والمحبَّةِ لى على حال لا نهايةَ وراءها ، لأن أبى تُوفى فى حياة جَدِّى الفضل . فقالت : يابنى . وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شهوةٌ غَلَبَتْ على قلبى إن مُنِعتُ منها مت غما . وكان لى فى الغناء طبع قوى فقالت لى : أنت أعلم وما تختاره[2] ، والله ما أُحبُّ منعَك عن شىء ، وإنى لكارهةٌ أن تَحْذق فى ذلك وتَشْتَهِر به فتَسْقُط ويَفْتَضِحَ أبوك وجدُّك فقلت : لا تخافى من ذلك ، فإنما آخذُ منه مقدارَ ما ألهو به ، ولازمتُ الجاريةَ لمحبتى

---

(١) الشطر الثانى عن الأغانى — وقد جاء فى الأصل هكذا : فقلت له . . . عادها .

(٢) فى الأصل : أنت أعلم يوما تختاره ، والتصويب عن الأغانى .

إياها بِمِلَّةِ الغناء ، فكنت آخذُ عنها وعن صويحباتها ، حتى تقدمتُ الجاريةَ حِذْقاً وأقرّتْ لى بذلك ، وبلغتُ ما كنت أُريدُ من أمر الجارية ، وصرت أُلازم منزل جدى ، فكان يُسَرُّ بذلك ويظنهُ تقرُّباً منى إليه ، وإنما كان وكدى(١) فيه أخذ الغناء فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا لابن دحمان ولا لغيرهم صوتٌ إلا أخذته ، وكنت سريعَ الأخذ ، وإنما كنت أسمَعُه مرتين أو ثلاثا ، وقد صحّ لى وأحسستُ من نفسى قوةً فى الصناعة فصنعتُ أوَّلَ صوت صنعتُهُ فى شعرِ العرجى :

أماطَتْ كساءَ الخزِّ عن حُرِّ وجْهِهَا ... وأدْنَتْ على الخدَّين بُرْداً مُهَلْهَلا

من اللاءِ لم يَحْجُجْن يبغين حِسْبَةً ... ولكن ليَقْتُلْنَ البرىء المُغَفَّلا

وتَرْمِى بعينيها القلوبَ ولا ترى ... لها رَمْيَةً لم تُصْمِ منهن مَقْتلا

ثم صنعت :

أَقْفَرَ من بعد حله سَرِفُ ... فالمنحنى فالعقيقُ فالجرفُ

وعرضتُها على الجارية التى أهواها ، وسألتها عما فيها ، فقالت : لا يجوز أن يكون فى الصنعة فوق هذا .

وكانت جوارى الحارثِ بن حجر بن بحر ، وجوارى محمد ، يدخلن إلى دارنا فيَطْرَحْن على جوارى عمتى وجوارى جدى ، ويأخذن أيضا ما ليس عندهن من غناء دارنا ، فسمعنى أُلقِى هذين الصوتين على الجارية فأخَذْنَهما منى وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتهن أنهما من صنعتى ، فسألنها أن تُصَحِّحَهُما لهن ، ففعَلَتْ ثم اشتهرا حتى بلغا الرشيد ، فغُنِّىَ بهما بين يديه يوما ، فاستطرفَهما واستخفَّهما ، وسأل إسحاق: هل يعرفهما ؟ فقال : لا أعرفهما ، وأنهما لمن حسْنِ الصنعة وجيّدها . ثم سأل الجاريةَ عنهما فوقفت، خوفا من عمى ، وحذراً أن يبلغ جدى ، أنها ذَكَرَتْنى

---

(١) الوكد : القصد .

فانتهرَها الرشيد ، فأخبرته القصة ، فوجه من وقته ، فدعا جدى ، فلما أحْضَره قال : يا فضل ، أيكونُ لك ابنٌ يغنى ، ثم يبلغ فى الغناء المحلَّ الذى يُمَكِّنُه أن يصنعَ صوتين يستَحْسِنُهما إسحاق وسائرُ المغنين ويتداولهما جوارى القِيان ، ولا تُعْلِمنى بذلك ، كأنك رفعتَ قَدْرَه عن خدمتى فى هذا الشأن ، فقال له جدى : وحَقِّ نعمتِك وولائك يا أمير المؤمنين ، وإلا فأنا برىء من نعمتك وعلىَّ العَهْدُ والميثاقَ والعتق والطلاق إن كنت علمت بشىء من هذا قط إلا منك الساعة ، فمن هذا مِنْ وَلَدى ؟ قال : عبدُ الله بن العباس ، فأحْضِرْنيه الساعة ، فجاء جدى وهو يكادُ أن ينشَقّ غيظا ، فلما خرجت إليه شتمَنى ، وقال : يا كلب بلغ من أمْرِك ومقدارِك أن تَجْسِر على أن تتعلم الغناء بغير أمرى ، ثم زاد ذلك حتى صَنَعْتَ ، ولم تقنع بذلك حتى ألقيت صَنْعَتَك على الجوارى فى دارى ، ثم تجاوزتَهن إلى جوارى الحارث [بن بسخنر](١) فاشتهرت وبلغ أمير المؤمنين فتنكَّرَ لى ولامنى وفَضَحْتَ آباءك فى قبورهم ، وسقطت إلى الأبد من المغنين وطبقة الجنا كرين ، فبكيت غمـا بما جرى عَلَىَّ ، وعلمتُ أنه قد صدقَ فرَحِمَنى وضَمَّنِى إليه . وقال : قد صارت الآن مصيبَتى فى أبيك مصيبتين ، إحداهما به وقد مضى وفات ، والأُخرى بك ، وهى موصولةٌ بحياتى ، ومصيبةٌ باقيةُ العارِ عَلَىَّ وعَلَى أهلى بَعْدِى . وبَكَى ، وقال : عز عَلَىَّ يا بُنى أن أراك أبداً على غير ما أُحِبّ وليستْ لى فى هذا الأمر حيلةٌ لأنه أمْرٌ قد خرج عن يدى . وقال : جِئْ بعود حتى أسْمَعَك وأنظرَ كيف أنت ، فإن كنت تصلحُ للخدمة فى هذه الفضيحة ، وإلا جئته بك منفرداً أو عَرّفْتُه خبرَك واستَعْفَيْتُه لك . فأتيته بعود وغنيتهُ غناء قديما ، فقال : لا ، بل غن صَوْتَيك اللذين صنعتَهما فغنَّيْتُه إياهما فاستحسَنَهما ، وبكى ، ثم قال : تطلبُ وَكيسةَ يا بُنَىّ ، وخاب أملى فيك فوا حَزَنِى عليك وعلى أبيك .

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

فقلت له : يا سيدى ليتنى مت قبل هذا الذى أنكرتَه منى أو جَرَمت ، ومالى حيلة .
ولكن وحياتك يا سيدى ، وعلىَّ عهدُ الله وميثاقُه والعتقُ والطلاقُ وكلُّ يمين
يَحْلِفُ بها حالفٌ لازمةٌ لى لا أغنى أبداً إلا لخليفةٍ أو وَلِىِّ عَهْدٍ فقال : قد أحسنت
فيما نبهت عليه من هذا الأمر ، ثم ركب وأمرنى فأُحْضِرْت ، فوقفت بين يدى الرشيد،
وأنا أُرْعَدُ فاستدنانى حتى صرت أقربَ الجماعة إليه ، ومازحنى ، وأقبل علىَّ وسَكَّن
منى وأَمَرَ جَدِّى بالانصراف ، وأومأ إلى الجماعة تخدَمونى وسُقِيتُ أقداحا ، وغنى
المغنون جميعا ، فأومأ إلىَّ إسحاقُ مُغَنِّيه أن أبْدأْ فَغَنِّ إذا بَلَغَتِ النوبةُ إليك قبلَ
أن تُؤمَرَ ليكون أملحَ وأجملَ بك. فلما جاءت النوبة إلىَّ أخذتُ عوداً ممن كان إلى
جانبى ، وقمت قائما واستأذنت فى الغناء فضحك الرشيدُ وقال : غَنِّ جالساً فجلستُ
وغنيتُ لحنِىَ الأولَ فطَرِبَ واستعادَه ثلاثَ مراتٍ ، وشرب عليه ثلاثةَ أنصاف ، ثم
غنيتُ الثانى فكانت هذه حالُه وسَكِرَ ودعا بمسرور ، وقال : احمل الساعةَ مع
عبد الله عشرةَ آلافِ دينارٍ وثلاثين ثوبا من فاخرِ ثيابى وعَيْبَةً مملوءةً طيبا فَحَمَل
ذلك كلَّه معى .

قال عبد الله : ولم أزل كلما أراد ولىُّ عهدٍ أن يعلم مَن الخليفةُ بعد الخليفة الولىُّ
هو أم غيرُه ، دعانى ، وأمرنى بالغناء ، فأُعَرِّفُه يمينى فيستأذن الخليفةَ فى ذلك فإن
أَذِنَ لى فى ذلك علم أنه ولِىُّ عهد وإلا عَرَفَ أنه غيرُه حتى كان آخرُهم الواثقَ فدعانى
فى أيام المعتصم ، وسأله أن يأذن لى فى الغناء ، فأذن لى ، ثم دعانى من الغد ، فقال
ما كان غناؤك إلا سببا لظهور سِرِّى وأسرار الخلفاء قبلى ، ولقد هممت أن آمر
بضرب رقبتك فلا يَبْلُغَنِّى أنك امتنعت من الغناء عند أحد ، فوالله لئن امتنعتَ
لأضربَنَّ عُنُقَك فأَعْتِقْ من كنتَ تملِكُه يوم حلفتَ وطَلِّقْ من كان عندك يومئذ
وأرِحْنا من يمينك هذه المشئومة . فقمت ، وأنا لا أعقل جزعا منه ، فأعتقتُ جميعَ

من كان بقى عندى من مماليكى ، الذين حلفتُ يومئذٍ وهم فى مِلكى ، ثم تصدقت بجملته واستفتيت فى يمينى أبا يوسف القاضى ، حتى خرجت منها وغنيت بعد ذلك إخوانى جميعا ، حتى اشتهر أمرى ، وبلغ المعتصم خبرى ، فتخلصتُ منه ، ثم غضب علىَّ الواثقُ لشىء أنكره ، ووَلىَ الخلافةَ وهو ساخط عَلَىَّ فكتبت إليه :

أذكرْ أمير المؤمنين رسائلى ... أيامَ أرهبُ سَطْوَةَ السيف

أدعو إلٰهى أن أراك خليفة ... بين المقام ومسجد الخَيْف

فدعانى ورضى عنى .

قال سليمانُ بن أبى شيخ : دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم ، وهو مختلط مغتاظ ، وابنهُ عبدُ الله عنده فقلت : مالك أمتعَ الله بك ؟ فقال : لا يُفْلِحُ ، والله ، ابنى عبد الله أبداً ، فظننته قد جنى جناية وجعلت أعتذر إليه له فقال : ذنبُه أعظمُ من ذلك وأشنع . فقلت : وما ذنبُه ؟ قال : جاءنى بعض غلمانى فحدثنى أنه رآه بقُطْرُبُّل يشرب نبيذَ الداذِىّ(١) بغيرِ غناء . فهل هذا فعل من يفلح؟ فقلت وأنا أضحك : سَهّلت علىّ القضية . قال : لاتفعل، هذامن ضَعة النفس وسقوط الهِمَّة : قلت : فكنت إذا رأيت عبدَ الله بعد ذلك فى جُملة المغنين ، وشاهدت تَبَذُّله فى تلك الحال ، وانخفاضَه عن مراتب أهله ذكرت قول أبيه فيه .

قال إسحاق بن إبراهيم : لقيت عبد الله بن العباس الرَّبيعى يوما فى الطريق ، فقلت له : ما كان من خَبَرِك أمس ، قال : اصطبحتُ. فقلت : على ماذا ؟ ومع من ؟ فقال : مع خَادم صالح بن عجيف وأنت به وبخبرى معه عارف ، وبِحبّى له ، واصطبحنا على زنى بنت الجن لمَّا حَمَلَتْ من زنى ، وقد سئلت ، ممَّنْ حَمْلُك ؟ فقالت :

---

(١) فى الأصل : الراوى وما أثبتناه عن الأغانى وفى القاموس الداذى : شراب الفساق .

أَشَمّ كغصن البان جَعْدٌ مُرَجَّل ... شغفتُ به لو كان شيئا مدانيا

ثَكِلتُ أبي إن كنتُ ذقتُ كريقه ... سُلافا ولا ماءً من المزن صافيا

وأُقسم لو خُيِّرْتُ بين فراقه ... وبين أبي لاخترتُ ألّا أباليا

فإن لم أوسِّدْ ساعدي بعدهَجْعةٍ ... غلاما هِلاليا فَشُلَّتْ يمينيـــا

فقلت له : أقمْتَ على لُواطٍ ، وشرِبْتَ على زنى ، والله ما سبقك إلى هذا أحد .

واتفق أول رمضان فى يوم النوروز فشرب عبدُ الله بن العباس فى تلك الليلة إلى أن قارب الفجر أن يَطْلُع وقال فى ذلك وغناه بهذا الشعر :

اسقنى صهباء صافيــــةً ... ليلة النوروزِ والأحــدِ

حرم الصومُ اصطباحَنا ... فَتَزَوَّدْ شربها لغـــد

وأْتنــا أو فادعُنــا عَجِلا ... نشترك فى عيشةٍ رَغَدِ

وكان عبد الله مصطبحا دهره ، لا يفوته إلا فى يوم الجمعة ، أو صوم شهر رمضان ، وكان يكثر المدحَ للصبوح ، ويقول الشعر فيه ويغنيه ، فما قال فيه :

ومُستطيل على الصهباء باكَرَها ... فى فتيةٍ باصطباحِ الراحِ حُذّاقِ

فـكلّ شيء رآه خالَه قَدَحــاً ... وكل شخصٍ رآه خَالَه الساقى

وكان عبدُ الله بن العباس يعشقُ عساليج ، فقالت له بذل الـكبيرة : قد بلغنى أنك عشقت جاريةً اسمها عساليج فاعرضها علىّ فإما عَذَرْتُك وإما عَذَلْتُك ، فوجه إليها فحضرت ، وقال لبذل : هذه سيدتى ، فاسمعى وانظرى ، ثم مرينى بما شئتِ أُطِعْك . فأقبَلَتْ عليه عساليج وقالت : ياعبدَ الله أتشاورُ فِىّ؟ فوالله ما شاورتُ فيك لما صاحَبْتُك . فتغيرتْ بذلُ وصاحتْ : أحسنتِ والله ياصبية ولو لم تُحْسِنى شيئا ولم يكن فيك خَصْلَةٌ تحمدُ لوجب أن تُعْشقى لهذه الـكلمة ، ثم قالت لعبد الله : احتفظ بصاحبتك .

قال عبد الله بن العباس : جمع الواثق المغنين يوما ليصْطبحَ وقال لى : بحياتى إلّا صنعت هَزَجا حتى أدخل وأخرج إليكم الساعة ، ودخل إلى جواريه ، فقلت هذه الأبيات وعملتُ فيها هَزَجا جوّدْتُه بجهدى قبل أن يخرج وهو :

بأبى زَوْرٌ أتـــانى فى الغَلَسْ   قمت إجلالا له حتى جلسْ
فتعانقْنا جميعا ساعةً   كادت الأرواحُ فيها تُخْتَلَسْ
قلت ياسُؤْلِى ويا كلَّ المُـنَى (١)   فى سواد الليل ما خِفْتَ العَسَسْ
قال قد خفتُ ولـكنّ الهوى   آخذٌ بالروح منى والنَفَسْ
زارنى يخطر فى مشيته   حـــوله من نورِ خَدَّيْه قَبَسْ

فلما خرج من دار الحرم قال لى : إيه يا عبد الله ، ماذا صنعت ؟ فاندفعت فغنيته فشرِب على الصوتِ حتى سَـكِرَ ، وأمر لى بخمسة آلاف درهم ، وأمرنى بِطرْحِه على الجوارى فطرَحْته عليهن .

قال عبدُ الله بن العباس : لقينى سَوّارُ بن عبد الله القاضى ، وهو سوار الأصغر ، فقال : لى إليك حاجة فأْتنى فى خفية فأتيته فقال : إنى قد أنشدْتُكَ ولى إليك حاجة ، إن شرَطْتَ لى كتمانَها أفضيتُ بها إليك . فقلت : ذلك للقاضى علىَّ شَرْطٌ واجبٌ فقال : إنى قد قلتُ أبياتا فى جارية لى أُحبها ، وقد قتلتْنِى وهجرتنى ، وأُحب أن تصنع فيها لحنا ، وتُسْمعنيه ، فإن غنّيْتَه وأظهرْتَه بعد ألّا يعلمَ أحدٌ أنه شعرى فلست أُبالى ، أفتفعل ذلك ؟ فقلت : حبا وكرامة للقاضى ، فأنشدنى لنفسه :

سَلَبْتِ عظـــامى لحمَها فتركْتِها   أنابيبَ فى أجوافها الريحُ تَصْفِرُ (٢)

(١) ويا بدر الدجى (أغانى) .

(٢) فى الأغانى جاء الشطر الثانى هكذا :

عوارى فى أجلادها تتـكسر

وبعده :

وأخليت منها مخها فـكأنها   أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

إذا سمعتْ ذكر الفراق ترعّدتْ مفاصلُها من هــول ما يُتنظَّرُ
خُذى بيدى ثم ارفعى الثوبَ فانظرى ضَنَى جسدى لــكننى أتستّرُ
وليس الذى يجرى من العين ماؤها ولــكنّها روحى تذوبُ فتقْطُرُ

قال عبد الله : فصنعت فيه لحنا ، ثم عرّفتُه خبَرَه فى رقعة ، وسألته أن يعدنى المصير إليه ، فـكتب إلىّ : نظرتُ فى هذه القصة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينـكتمُ على حضورك وسماعى إليك ، وأسأل الله تعالى أن يَسُرَّك ويبقيَك ، فغنيت الصوتَ ، وظهر حتى تغنى به الناس ، فلقيني سوار يوما فقال لى : يا ابن أخى قد شاع أمرك فى ذلك الباب حتى سمعناه من بُعْدٍ كأننا لم نعرف القضية ، وجعلنا نضحك من ذلك .

قال على بن عيسى بن جعفر الهــاشمى : دخل علَىّ عبد الله بن العباس فى يوم نصفِ شعبان ، وهو يوم سبت ، وقد أصبحت عازما على الصوم فأخذ بعضادَتى باب مجلسى وقال :

تصبحُ فى السبت غير نَشوان وقد مضى عنك نصفُ شعبان

فقلت له : قد عزمتُ على الصوم ، فقال لى : أفعليك وِزْرٌ إن أفطرتَ اليــوم لمـكانى ، وسررتنى بمساعدتك لى ، وصمت غدا ، وتصدقت مكان إفطارك ؟ قلت : أفعل ، ودعوت بالطعام : فأكلنا وجلسنا للشرب فشربنا ، وأصبح من غــد فاصطبح وساعدته.

فلما كان اليوم الثالث انتبهت سحراً وقد قال هذا الشعر :

شعبان لم يبق منــه إلا ثــــلاثٌ وعَشْرُ
فباكر الراح صُبْحا[1] لا يسبقَنَّك فَجْــرُ
وإن يَفُتْك اصطباحٌ فــــلا يفوتنك سُكْرُ

---

(١) صرفا (أغانى) .

فأطربنى واصطبحت معه فى اليوم الثالث ، فلما كان فى آخر النهار سكر وانصرف وما شربنا ذلك اليوم إلا على قوله :

وإن يَفُتْكَ اصطباحٌ فلا يفوتَنك سُكْرُ

ومن شعر عبد الله بن العباس الربيعى فى يُسْرٍ خادم صالح بن عجيف وقد بَرِئ من عِلّة وزاره ، فأجلسه إلى جانبه ، وشرب سروراً لعافيته ، وقال :

مولاى ليس لِعَيْشٍ أنت حاضِرُه قدرٌ ولا قيمةٌ عندى ولا ثَمَنُ
ولا فقدتُ من الدنيا ولَذّتِها شيئاً إذا كان عندى وجهُك الحسنُ

عبد الله بن الخياط[1]

هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس .

وقيل : يونس بن سالم ، مولى قريش ، وقيل : مولى هذيل .

شاعرٌ ظريفٌ ماجنٌ خليعٌ هجاءٌ خبيثٌ مُخَضْرم من شعراء الدولتين الأُموية والعباسية .

وكان منقطعا إلى آل الزبير بن العوام مدّاحا لهم .

وقدم على المهدى مع عبد الله بن مُصْعب ، فأوصله إليه ، وتوصل له إلى أن سمع شعرَه وأحْسَنَ جائزَته .

قال يونس بن عبد الله بن الخياط : دخل أبى على المهدى فمدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، ففرقها كلَّها على الجوارى . وقال يمدحه بهذين البيتين :

لستُ بِكَفِّى كَفَّه أبتغِى الغنى ... ولم أدْرِ أن الُجودَ من كفه يُعْدِى

فلا أنا منه ماأفاد ذوو[الغنى][2] ... أفدت فأَعْدانى فأنفقتُ ماعندى

فبلغ ذلك المهدىَّ ، فأضعفَ جائزَته ، وأمر بحملها إلى منزله .

قال الزبير بن بكار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة .

وكان يونس عاقًّا لأبيه عبد الله ، يتهجمُ عليه بالمكاره فى كل وقت .

مر رجل بيونس هذا ، وهو يخنق أباه ، ويعصر حلقه ، فقال له : ويلك ! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده . ثم أقبل على أبيه يعزيه ويُسَكِّنُه فقال له :

---

(١) الأغانى ١٨ : ٩٤ . التجريد ٢٠٥٤

(٢) ما بين القوسين بياض بالأصل وهو عن الأغانى .

يا ابن أخى لا تلمه ، واعلم أنه ابنى حَقًّا ، والله لقد خنقتُ أبى فى هذا الموضع بعينه ، الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك .

ونشأ ليونس ابنٌ يقال له دُحَيْم فكان أعقَّ الناسِ به ، حَكَى عن نفسه قال : جئتُ يوما إلى أبى ، وهو جالس وعنده أصحاب له ، فوقفت عليهم لأغيظَه وقلت : ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى . فأنشدتهم وهم مُنصتون وأبى يسمع :

ياسائلى من أنا أو من يناسبنى   أنا الذى ماله أصل ولا حَسَبُ
الكلب يختال فخراً حين يُبْصِرُنى   والكلبُ أكرمُ منى حين يَنْتَسِبُ
لو قال لى الناس طُرًّا أنت ألأَمُنا   ما أوْهَمَ الناسُ فى ذاكم ولا كذبوا

فقام أبى إلىّ ليضربنى ، فعدوتُ بين يديه ، فجعل يَشْتمنى وأصحابه يضحكون .

ومما قاله دحيم فى أبيه يونس بن عبد الله بن الخياط :

جَلا دُحَيْمٌ عمايةَ الشَّكِ   والريبِ منى والطعن فى نَسَبى
مازال فى الظنِّ والتّشككِ   حتى عَقَّنى مثلما عَقَقْتُ أبى

علي بن جبلة[1]

هو عليُّ بن جَبَلَةَ بنِ عبد الله بن عبد الرحمن الأَنْباري .

وكنيته أبو الحسن ، ويلقب بالعَكَوَّك .

من أبناء الشيعة الخراسانية ، من أهل بغداد وبها نشأ .

وولد بالحَرْبيّة من الجانب الغربي .

وكان ضريراً ، يقال : إنه ولد ضريراً أكْمَهَ ، وزعم أهله أنه عَمِيَ بعد أن نشأ .

وهو شاعر مطبوعٌ عذبُ اللفظ جَزْلُه لطيف المعاني مداح ، حسن التصرف .

واستَنْفَدَ شعرَه في مدح أبي دُلَفٍ ، القاسم بن عيسى العجلي ، وأبي غانم ، حميد ابن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف حتى فَضَّلَ ربيعةَ على مضر ، وجاوز الحدَّ في ذلك ، فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسَلّ لسانَه من قفاه ، وقيل : بل هَرَب ولم يزل متواريا مدةً حتى مات في تواريه ، ولم يقدر عليه ، وهو الصحيح .

وكان عَلِيٌّ أصغرَ إخوته ، وكان أبوه يَرِقُّ عليه ، فجُدِرَ فذهبت إحدى عينيه بالجُدَرِيّ ، ثم نشأ وأُسْلِمَ إلى الكُتّاب فحذقَ بعض ما يَحْذِقُه الصبيان ، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز ، فوقَعت على عينه الصحيحةِ لوزةٌ فذهبت ، فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاقٌ من السلطان ، فإن أعَنْتموني على هذا الصبي وإلا صرَفْتُ بعضَ أرزاقكم إليه ، فقال أولادُه : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجلس الأدب ، فكانوا يأتون به مجالس العلماء ، ويتشاغلون بما يتشاغل به الصبيان ، فما أتى عليه

---

(١) الأغاني ١٨ : ١٠٠ . تجريد ٢٠٥٦

الحَوْلُ حتى برع ، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبغوىّ. وكان ذكيا مطبوعا ، فقال الشعر ، وبلغه أن الناسَ يأتون أبا دُلَف لجودِه ، وما كان يعطى الشعراء ، فقصده وامتدحه بقصيدته المشهورة التى أولها :

ذاد وِرْدَ الغَىِّ عن صَدَرِهْ   وارعوى واللهوُ من وَطَرِه
وأبَتْ إلا البكاءَ له   ضَحِكاتُ الشَّيْب فى شَعَرِهْ
ندمى أنَّ الشبابَ مَضَى   لم أبلغه مدى أَشَرِه
وانقضتْ أيامُه سلما   لم أجِدْ حَوْلًا على غِيَرِه
حُسِرَتْ عنى بشاشَتُه   وذَوَى المحمودُ من ثَمَرِه
ودم أهدرتُ من رشأٍ   لم يُرِدْ عَقْلاً(١) على هَدَرِه
فاتت دونَ الصِّبا هَنَةٌ   قلبَتْ فُوقى(٢) على وَتَرِه
دع جَدًا قحطانَ أو مُضَرٍ   فى يمانِيه وفى مُضَرِه
وامتدحْ من وائلٍ رجلا   عصر الآفاق من عصره
المنايا فى مقانبه(٣)   والعطايا فى ذُرى حجره
ملك تَنْدَى أنامِلُه   كانبلاج النَّوءِ عن مَطَرِه
مُسْتَهِلٌّ عن مواهِبه   كابتسام الرَّوْضِ عن زَهَرِه
جبلٌ عَزَّتْ مناكبه   أمِنَتْ عدنانُ فى ثغره
إنما الدنيا أبو دُلَفٍ   بين بادِيه ومُحْتَضَرِه
فإذا ولى أبو دُلَفٍ   ولَّت الدنيا على أثَرِه
لست أدرى ما أقول له   غير أن الأرض فى خَفَرِه

(١) العقل : الدية .

(٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

(٣) المقانب جمع مقنب وهى جماعة الخيل تجتمع للغارة .

يا دواء الأرض إن فَسَدَتْ ومُـــديلَ اليُسْر من عُسُرِه
كلُّ من فى الأرض من عرب بين معداه ومُحْتَضَرِه[1]
مستعيرٌ منك مَكْرُمَـــةً يَلْبَسْنها يوم مُفْتَخَرِه

منها :

ولقرقور أدرت رحًى[2] ولم تكن تَرْتَدّ فى فِكَرِه
قـد تأتيت البقـــاءَ له فأبى المحتومُ من قَدَرِه
وطغى حتى رفعت [له][3] خطة شنعاء من ذكره

فلما وصل إلى أبى دُلَف، وعنده مَنْ عِنْدَه من الشعراء ، وهم لا يعرفونه استرابوا به، فقال له قائده : إنهم اتّهموك ، وظنوا أن الشعر لغيرك ، فقال : أيها الأمير ، إن المحنةَ تُزيلُ هذا . قال : صدقت . فامتحنوه فقالوا : صف لنا فرسَ الأمير ، وقد أجّلْناك ثلاثة أيام . قال : فاجعلوا معى رجلا تثقون به ، يكتب ما أقول ، فجعلوا معه رجلا فقال هذه القصيدةَ فى ليلته :

رِيعَتْ لمنشور عـــلى مفرقه ذم لها عهد الصباحين انتسب
أهدابُ شَيْب جدد فى رأسه مكروهة الجِدَّة أنضاء العَقِبْ
أشْرَفْنَ فى أَسْوَدَ أزْرَيْنَ[4] به كأن دجاه لهَـوَى البيض سَبَبْ
واعتفن أيام الغوانى والصبـا عن ميت مطلبه حىّ الأدب
لم يَزْدجر مُرْعَويا حين ارعوى لـكن يدٌ لم تَتَّصِلْ بِمُطَّلَبْ

---

(١) باديه إلى حضره (أغانى) .

(٢) فى الأصل : (ولقد بورارت رجا) وما صوبناه عن الأغانى ـ وقرقور : اسم لص فاتك .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) فى الأصل : (إن رين به) .

لم أر كالشيب وقاراً يجتوى ... وكالشباب الغض ظلاً يستلب
فنازلٌ لم يبتهج بقربه ... وذاهبٌ أبقى جوًى حين ذهب
كان الشباب لمةً أزهو بها ... وصاحبا حرًّا عزيزَ المصطحَبْ
إذ أنا أجرى سادرا فى غيِّه ... لا أعتبُ الدهرَ إذا الدهرُ عتَبْ
أبعد شأوَ الدهرِ فى أحداثه[1] ... وأقصدُ الخودَ وراءَ المحتجب
وأذعرُ الرَّبربَ عن أطفاله ... بأعوجىٍّ دُلَفىٍّ المنتسبْ
تحسبه من مرح العزِّ به ... مستمراً بروعة أو ملتهبْ
مضطربٌ يرتجُّ من أقطاره ... كالماء جالت فيه ريحٌ فاضطربْ
تحسبه لاهثا فى استقباله ... حتى إذا استدبرته قلت أكبّ
وهو على إرهاقه وطيِّه ... يقصُر عنه المحزمان واللبَبْ
تقول فيه خببٌ إذا انثنى ... وهو كمتن القدح ما فيه خبب
يخطو على عُوج يناهزْن الثرى ... لم يتوا كل عن شظا ولا عصب
تحسبها ثابتة إذا خطت ... كأنها واطئة على ركب
شتا وقاظ برهتيه عندنا ... لم يؤت من بر به ولا حدب
يصان عصرَىْ حرِّه وقرِّه ... ويقصر الخور عليه بالحلَبْ
حتى إذا تمَّتْ له أعضاؤه ... لم تنحبسْ واحدة على عتَبْ
رمنا به الصيدَ فرادَتْنا به[2] ... أوابدُ الوحش فأجْدَى وأكتسبْ
مجذمُ الجرْى يبارى ظِلَّه ... ويعرقُ الأحقبَ[3] فى شوط الخببْ

---

(١) الشطر الأول فى الأغانى (أبعد شأو اللهو فى اجرائه) .

(٢) يقال : رادت الإبل إذا اختلفت فى المرعى مقبلة مدبرة .

(٣) يقال : أجذم السير إذا أسرع فيه ، والفرس : اشتد عدوه ، والأحقب حمار الوحش .

إذا تظنناه به صدقنا وإن تظنّى فوته العيرُ كَذَبْ
لا يبلغ الجهدَ به راكبُه ويبلغ الريحُ به حيثُ طلَبْ
ثم انقضَى ذاك كأن لم يقنه وكلٌّ بُقْيا فإلى عَطَبْ
وخلف الدهر على أحبابه بالقرح فيهم وارتجاع ما وهب
فحمل الدهرَ ابنُ عيسى قاسمٌ ينهض به أبلجُ فرّاجُ الكُرَبْ
كرَوْنق السيفِ انبلاجا بالندى وكغراريه على أهل الرِّيَب
ما وسَنَتْ عينٌ رأت طلْعتَه فاستيقظتْ بنوْبةٍ من النُّوَبْ
لولا ابنُ عيسى القرم كنّاهملّا لم يؤتَثَلْ مجدٌ ولم يُرْعَ حَسَبْ
ولم يقمْ فى يوم بأسٍ وندًى ولا تلاقى سببٌ إلى سَبَبْ
تكاد تبدى الأرضُ ما تُضْمِرُه إذا تداعت خيلُه هلّا وَهَب
ويستهل آملا وحتفه جانبها إذا استهل أو قطب
وهو وإن كان ابنَ فَرْعَى وائلٍ فبمساعيه ترَقّى فى النُّجُبْ
وبعلاهُ وعُلا آبائه يحوى غداة السبق أخطارَ القصَبْ
يا زهرةَ الدنيا ويا بابَ الندَى ويا مُزيلَ الرعْبِ فى يوم الرَّهَبْ
لولاكَ ما كان سُرًى ولا ندًى ولا قريشٌ عُرِفَتْ ولا العرَبْ
خذها إليك من مَلِيءٍ بالثّنا لكنه غيرُ ملىٍّ بالنَّشَبْ
فارْقَ رُبَى الأرْضِ أو استقدرها أنت عليها الرأسُ والناسُ الذَّنَبْ

فلما غدا عليه بالقصيدة استحسنها من حضر وقالوا : نشهد أن قائل هذه قائل تلك ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم .

قال المأمون يوما لجلسائه : أقسمُ على من حضر ممن يروى قصيدة علىّ بن جبلةَ الأعمى فى أبى دُلَفٍ إلا أنْشدَنيها ، فقال له بعض جلسائه : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بد

من إبرار قسَمِه ، وما أحْفَظُها ولـكنها عندى مكتوبة ، قال : فقم فجئنى بها ، فمضى فأتاه بها فوقف عليها وأتى على آخرها فغضب ، وقال : لست لأبى إن لم أقطع لسانه وأَسْفِكْ دَمَه ، وإنما نَقِمَ من ذلك أنه جعل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ عصرِ أبى دلف فى قوله :

واممتــدح من وائل رجلا　　　عصر الآفاق من عصرِه

وهذه القصيدة قالها علىّ بن جبلة ، وقصد بها أبا دلف بعد قتله الصعلوكَ المعروفَ بقرقور ، وكان من أشد الناس وأعظمِهِم ، وكان يقطعُ على القوافلِ هو وغلمانٌ له الطريقَ وأبو دُلَفٍ يجتهدُ فى أمره فلا يقدر عليه ، فبينا أبو دلف ذات يوم يتصيد ، وقد أمعن فى طلب الصيد وحْدَه ، إذا بقرقور قد طلع عليه ، وهو راكب فرسا ، تشق الأرض شقا ، فأيقن أبو دلف بالهلاك ، وخاف أن يُوَلِّيَ فيهلكَ ، فحمل عليه وصاح: يافتيانُ يَمْنَةً يَمْنَةً ، يوهِمُه أن معه خيلا قد كَمَنها له ، فخاف قرقور وعطف يسارَه هاربا ، ولحقه أبو دلف فوضع رُمْحَه بين كتفيه ، وأخرجه من صدره ، ونزل فاحتز رأسه ، وحمله على رمحه ، حتى أدخله الـكَرْخ فحدَّث من رأى رُمْح قرقورٍ أُدخل بين يديه يحمله أربعة نفر ، فلما أنشد على بن جبلة القصيدةَ سُرّ بها وأمر له بمائة ألف درهم .

بينما أبو دلف يسير هو وابنه مَعْقِل ، وهما بالعراق إذ مرا بامرأتين تتماشيان ، فقالت إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دلف فقالت لها الأُخرى: من أبو دلف؟ قالت: ويحك الذى يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ　　　بيــن باديه ومُحْتَضَرِه

فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ　　　ولَّتِ الدنيا على أَثَرِه

فاستعبر أبو دُلَفٍ حتى جَرَتْ دموعه . فقال له معقــل : ما لَك ؟ فبكى قال : لأنى لم أقض حقّ على بن جبلة . قال : أولم تُعطِه مائةَ ألف درهم بهذه القصيدة؟ قال:

والله ما فى قلبى حسرةٌ تقارب حسرةً إلا أنى لم أكن أعطيته مائةَ ألفِ دينار . ولو فعلت ذلك ما كنت قاضيا حقه .

قال عبد الله بن محمد بن جرير : أنشدت أبا تمام الطائى يوما قصيدة علىّ بن جَبَلة البائية فلما بلغت إلى قوله :

ورد البيض والبيض ... إلى الأغماد والحُجْبِ
كأن الناس جِسْمٌ وهْـ ... ـوَ فيهم موضعُ القَلْبِ

اهتز أبو تمام من قُرْنَةٍ إلى قُرْنَةٍ أخرى ، ثم قال : أحسن والله لوددت أن لى هذين البيتين بثلاثِ قصائدَ من شعرى يتخيَّرُها مكانَها .

ولعلى بن جبلةَ مدائحُ فى حُمَيْد الطوسىِّ منها قصيدة مَدَحَه بها ووصف قصرَه الذى بناه على دجلة وهى :

جعـل الله حُمَيْـدا ... لبنى الدنيا كفيلا
مَلِكٌ لم يجعل اللـ ... ـهُ له فيهم عديلا
فأقاموا فى ذُراهُ ... مطمَئنِّينَ حُـلولا
لا يَرَى فيهم مُقلّا ... يسألُ المُثْرى فُضولا
جاد فى الأموال حتى ... علَّمَ الجودَ البخيلا
وبنى الفخر على الفخـ ... ـر بناء مستطيلا
صار للخائف أمْنـاً ... وعلى الجودِ دليلا

ولما مات حُميد رثاه بقصيدته العينية المشهورة ، وهى من نادر الشعر وبديعه ، وهى :

أَلِلدَّهرِ تَبْكِى أم على الدهرِ تَجْزَعُ ... وما صاحبُ الأيامِ إلا مُفَجَّعُ
ولو سهلت عنك الأسى كان فى الأسى ... عزاءٌ مُعِينٌ للَّبيب ومَقْنَـعُ
تعزَّ بمـا عَزَّيْتَ غيرك إنهـــا ... سهامُ المنـــايا جائمـاتٌ ووُقَّـعُ

أُصِبْنـا بيوم من حميـدٍ لوَ انَّه أصاب عروشَ الدهرِ ظلت تَضَعْضَعُ
وأدَّبَنا ما أدَّبَ النـاسَ قبلنـا ولـكنه لم يَبْقَ للصـبر مَوْضِـعُ
ألم تَرَ للأيام كيف تَصَرَّفَتْ به ، وبه كانت تُذادُ وتُدْفَعُ
وكيف التقى مثْوًى من الأرض ضَيِّقٌ على جبل كانت به الأرض تُمْنَـعُ
ولما انقضت أيامُه انقضت العلا وأضحى به أنفُ الندى وهو أجْدعُ
وراح عدوُّ الدين جـذلانَ يَنْتَحِي أمانيَّ كانت في حَشاه تَقَطَّعُ
وكان حميد معقلًا رَكَمَتْ به قواعدُ ما كانت على الضيم تَرْكَعُ
وكنت أراه كالرزايا رُزِئْتُها ولم أدْرِ أن الخلقَ تبكيه أجْمَعُ
حمام رماه من مواضع أَمْنِه حمام كذاك الخطبِ بالخطْب يقرع
وليس بغَرْوٍ أن تصيب مَنِيَّةٌ حِمَى أُختها أو أن يَذِلَّ المُمَنَّعُ
لقد أدركتْ فينا المنايا بثأْرِها وحلَّتْ بخطبٍ وَهْنُه ليس يُرْقَعُ
كأن حميداً لم يقـد جيش عسكر [إلى عسكر](١) أشياعه لا تروع
ولم يبعث الخيل المُغيرةَ بالضحى مِراحاً ولم يَرْجع بها وهْي ظُلَّعُ
رواجعَ يحملن النِّهابَ ولم تـكن كتائبُه إلا على النَّهْبِ تَرْجِعُ
هوى جبل الدنيا المنيعُ وغيثُها الـ مَرِيعُ وحاميها الكَمِيُّ المُمَنَّعُ
وسيفُ أميرِ المؤمنين ورُمْحُه ومفتاح باب الخطْبِ والخطبُ أفظعُ
فأقْنعَه من مُلْكِه ورِباعِه ونائلِه قفرٌ من الأرض بَلقعُ
على أي شَجْوٍ تَشتكي النفسُ بعده إلى شجوه أو يَذْخَرِ الدمعَ مَدمعُ
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها عليه فأضحى لونُها وهو أسْفَعُ
وأوْحَشَتِ الدنيا وأودى بهاؤها وأجدب مرعاها الذي كان يَمْرَعُ

---

(١) بياض بالأصل : وما بين القوسين عن الأغاني .

وقد كانت الدنيا به مطمئنةً فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقدَه روحُ الحيــاة كما بكى نداه الندَى وابنُ السبيلِ المُدَفَّع
وفارقت البيضُ الخدورَ وأبرَزَتْ عواطِنَ حَسْرَى بعده لا تَقَنَّعُ
وأيقظ أجفانا وكان لها الـكرى ونامت عيونٌ لم تـكن قبلُ تهجعُ
ولـكنه مقدارُ يومٍ ثوى بـــه لـكل امرئ منه نِهالٌ ومَشْرَعُ
وقد رأب الله الملا بمحمد وبالأصل ينمى فرعــه المتفرع
أغَرّ على أسيافِه ورماحِه تُقَسَّمُ أنفــالُ الخميس وتُجْمَعُ
حوى عن أبيه بَذْلَ راحتِه الندى وطَعْنَ الـكُلَى والزاعبيةُ[1] شُرَّعُ

قيل لعلى بن جبلة : ما بلغتَ فى مديح أحدٍ ما بلغتَه فى مديح الطوسىِّ . فقال : كيف لا أفعل ذلك وأدنى ما وصل إلىّ منه أنى أهديتُ إليه قصيدة يوم نوروز فسر بها وأمر أن يحمل إلىّ كلُّ ما أُهدى إليه فى ذلك اليوم ، فحُمِلَ إلىّ ما قيمتُه مائتا ألف درهم .

وأهديتُ إليه [قصيدة] فى يوم عيد ، فبعث إلىّ بمثل ذلك .

دخل علىٌّ بن جبلة يوما على أبى دلف ، فقال : هاتِ يا علىّ ما معك . قال : إنه قليل . قال : هاته ، فـكم من قليلٍ هو أجودُ من كثير .

فأنشدته :

اللهُ أجرَى من الأرزاق أكْثَرَها عـلى يديك فشُـكْراً يا أبا دُلَفِ
أعطى أبو دُلَفٍ والريحُ عاصفةٌ حتى إذا وَقَفَتْ أعطى ولم يَقِفِ

فأمر له بعشرةِ آلاف درهم . فلما كان بعد مــدة دخل عليه فقال له : هات ، فأنشده :

---

(١) الرماح الزاعبية : التى إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض .

من مَلَكِ الموتِ إلى قاسمٍ رسالةٌ فى طَىِّ قِرطاسِ
يا فارس الفرسان يومَ الوغى مرْنى بمن شِئْتَ من الناسِ

فأمر له بألفى درهم .

وكان قد نظر ما بَدَأ به فى هذا الشعر ، فقال له : ليست هـذه من عطاياك أيها الأمير ، فقال له : قد بلغ بها هـذا القدرَ ارتياعُنا من تحَمُّلِك رسالةَ مَلَكِ الموتِ إلينا .

وكان علىُّ بن جبلة أعمى ، وبه وضح ، فهَوِىَ جاريةً أديبة شاعرة ، وكانت تحبه على قبح وجهه وعماه ووضَحِه ، فزارته يوماً وأمكنته من نفسها ، فافْتَضَّها ، وذلك حيث يقول فى قصيدته الرائية :

ودمٍ أهْـرَقْتُ من رشأٍ لم يُرِدْ عَقْلا على هَدَرِه

من جملة القصيدة التى مدح بها أبا دلف .

قال على بن جبلة : قصدتُ حُمَيْداً الطوسى بقصيدة فلما استؤذن لى عليه أبى أن يأذن لى ، وقال : قولوا له : أىُّ شىء أتيت لى بعد قولك فى أبى دلف :

إنمـا الدنيا أبو دُلَفٍ بين باديه ومُحْتَضَره
فإذا ولى أبو دلـف ولَّتِ الدنيا عـلى أثَره

فقال للحاجب : قل له الذى قلت فيك أحسن من هذا ، فإن أوْصَلْتَنى سمعت [فأمر لى بمائتى دينار فنثرتها فى حجر عشيقتى ثم حَيَّيْته بقصيدتى التى أولها :

دِجلةُ تَسْقِى وأبـو غانم يطعم من تَسقِى من الناس
الناس جسمٌ وإمام الهـدى رأسٌ وأنت العينُ فى الراس]

فأوصلنى فأنشدته قولى فيه :

إنمـا الدنيا حميدٌ وعطاياه الجسامْ
فإذا ولى حميـدٌ فعلى الدنيا السلام

فأمر لى بمائتى دينار .

وكان أبو دلف قد غضب على عَلِىّ بن جَبَلة وجفاه ، فأتى إلى حميد الطُّوسىّ مستشفعا به إلى أبى دلف ، فركب معه شافعا فى أمره ، فأجابه واتصــل الحديثُ بينهما ، وعلىٌّ بن جبلةَ محجوبٌ ، فأقبل على رجل من جانبه وقال له اكتب فــكتب :

لا تَتركَنِّى بباب الدار مُطَّرحا   فالُحرُّ ليس عن الأحرار يَحتجبُ
هَبْنا بــلا شافعٍ جئنا ولا سبب   ألستَ أنت إلى معروفك السببُ

فرضى عنه ووصله .

قال سعيد المخزومىُّ : دخلت على حميد الطوسىّ فأنشدته قصيدةً مدحته بها ، وبين يديه رجل ضرير ، فجعل لا يمرُّ به بيت إلا قال : أحْسنَ قائله ، والله أحسن قائله ، أحسن لله أبوه ، أحسن أيها الأمير ؛ فأمر لى حميد بِبَدْرة ، فلما خرجت قام إلىّ البوابون ، فقلت لهم : عرفونى أولا مَن المــكفوفُ الذى رأيته بين يدى الأمير ؟ فقالوا : هذا علىٌّ بن جبلة العَــكَوَّك فارفضضت عرقا ، ولو عرفت به ، قبل ذلك ما جَسَرْت على الإنشاد بين يديه .

لما أُدخل ابنُ جبلةَ على المأمون قال له : إنى لست استحلُّ دَمَك لتفضيلك أبا دُلفٍ على العرب كلها ، وإدخالك فى ذلك قريشا ، وهم آلُ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وعِتْرَتُه ، ولــكنى استحْلَلْته بقولك وكفرك فى شمرك ، حيث تقول القول الذى أشركت فيه وهو :

أنت الذى تُنْزِلُ الأيامَ مَنزِلَهــا   وتنقلُ الدهــرَ من حال إلى حال
وما مددتَ مَدَى طَرْف إلى أحد   إلا قضيتَ بأرزاق وآجال

كذبت يا عاضّ بَظْرَ أمه ، مايقدر على هذا أحدٌ إلا الله عز وجل ، الملك الواحد القهار ، سلُّوا لسانَه من قفاه . ففعل به ذلك .

وقيل إن المأمون لما بلغه قولُ على بن جبلة :

كلٌّ من فى الأرض من عربٍ   بين باديه ومُحتَضَرِه
مستعيرٌ منــك مَكْرُمةً   يكتسيها يومَ مُفتَخَره

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فلم يقدر عليه ، وذلك أنه كان فى الجبل ، فاتصل به الخبر فهرب إلى الجزيرة ، وتوسط الشام ، وقد كتبوا إلى الآفاق فى طلبه ، فظفروا به فحملوه إلى المأمون فلما صار إليه قال له : يا ابن اللخناء أنت القائل للقاسم بن عيسى :

كل من فى الأرض من عرب   ...   . البيتين

جعلتنا ممن يستعيرُ المكارمَ منه فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أَحَد ، لأن الله عز وجل فضلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه ، وإنما عَذيرِى فى قول القاسم وأقرانِه . فقال : والله ما استثنيتَ أحدا من الكلِّ ، سلوا لسانه. فَسُلَّ من قفاه .

قال على بن جبلة : جاءنى أبو يعقوب الخزيمى فقال : إن لى إليك حاجةً . فقلت : وما هى ؟ قال : تهجو لى الهيثمَ بن عَدِيٍّ . قلت : ومالَك أنت لا تهجوه وأنت شاعر ؟ قال : قد فعلت ، وما جاءنى شىء مما أُريد ، فقلت : أهجو رجلا لم تتقدمْ لى منه إساءةٌ ولا جُرْمٌ يُحْفِظُنى ؟ فقال : بعرضي فإنى ملىء . فقلت : نعم ، فأمْهِلْنى اليوم. فمضى وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بنِ عَدِيٍّ نسبةٌ جمعَتْ   آباءه فأراحتنا من العــددِ
اعدد عَدِيًا فلو مُــدَّ البقاء له   ما عُمْرُ الناسُ لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ
نفسى فداء بنى عبد المدان وقد   تَلُّوه للوجه واستعلوه بالعمد
حتى أزالوه كرها عن كريمتهم   وعزروه بذل أين أصل عــدى
يا ابنَ الخبيثةِ مَنْ أهجو فأفْضَحَه   إذا هجوتُ وما تَنْمِى إلى أَحَدِ

فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى أخو يحيى بن زياد ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد فسألوه أن يفرق بينهما فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

إذا نسبتَ عديا فى بنى ثُعَلٍ فقدِّم الدالَ قبل العين فى النَّسبِ

فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : هذا الشعرُ لرجل من الكوفة فى بنى شيبان ، يقال له ذهل بن ثعلبة ، فأمر الرشيدُ داودَ بن يزيد أن يُفرِّقَ بينهما فأخذوه فأدخلوه داراً ، وضربوه بالعصا ، إلى أن طلَّقها .

قال عمر بن شبة : تذاكرنا يوما أقبحَ ما هُجِىَ به الناسُ فى منزل الضيافة وإضاعةِ الضيف فأنشدَنا على بن جبلة :

أقاموا الدَّيْدَبانَ علی يِفاعٍ وقالوا لا تَنَمْ للديدبانِ
فإن آنستَ شخصا من بعيد فصَفِّقْ بالبنانِ على البنانِ
تراهم خَشْيَةَ الأضيافِ خُرْسا يؤدون الصلاةَ بلا أذانِ

كَلَّم حميد الطوسىُّ المأمونَ فى أن يسمعَ من علىِّ بن جبلة مديحا مدحه به ، قال : فأى شىء يقول فىَّ بعد قوله فى أبى دلف :

إنما الدنيا أبو دُلف بين بادِيه ومحتَضَرِه
فإذا ولىَّ أبو دلفٍ ولَّتِ الدنيا على أَثَرِه

وبعد قوله فيك أنت :

يا واحد العُرْبِ الذى عزّت بِعِزتِه العربْ
لولا حميدٌ لم يكن حسبٌ يُعَدُّ ولا نَسَبْ

أحسنُ أحوالِهِ أن يقولَ فىَّ كما قال فى أبى دلف ، فيجعلنى نظيراً له ، هذا إن قَدَر على ذلك ولم يَقْصُرْ عنه ، نخيِّره بين أمرين : إن كان مدحُه إياى أفضلَ من مدحه أبا دلف وَصَلْتُه ، وإلا ضربت عنقه ، أو قطعت لسانه ، وبين أن أُقيلَه وأُعْفِيَه من هذا وذا ، نخيره فى ذلك. فاختار الإقالة .

عبد الله التيمى [1]

هو عبدُ الله بن أيوب ، وكنيته أبو محمد ، مولى بنى تَيْم ، مولى بنى سَلْم .

وكان لرجل يقال له أبو التيحان . وكلاهما شاعر ، وهما من أهل الكوفة ، من شعراء الدولة العباسية.

كان عبدُ الله أحدَ الخلعاء المُجّانِ الوصّافين للخمر .

وكان صديقا لإبراهيم المَوْصِلِىّ ، وابنه إسحاق ، واتصل بالبرامكة ومدحهم ، واتصل بيزيدَ بنِ مَزْيد ، وانقطع إليه حتى مات .

واستنفد شعره فى وصف الخمر ، وأكثر فى ذلك ، وبلغ المبالِغ ، وهو الذى يقـول :

شربتُ من الخمرِ يومَ الخميس ... فى الكاسِ والطاسِ والقَنْقَلِ [2]
فما زالتِ الكاسُ تُغتَّى [3] لنا ... وتذهبُ بالأولِ الأول
إلى أن توافت صلاةُ العشا ... ونحن من السُّكرِ لم نَعْقِلِ
فمن كان يعرفُ يومَ [4] الخميس ... وحقَّ المدام فلا يَجْهَلِ
وما إنْ جَرَت بيننا مزحةٌ ... تهيج مراء على السلسل

وكان له ابن يقال له حبان فمات ، وهو حديث السن ، فجزع عليه جزعا شديداً ، وقال فيه قصيدته المشهورة التى أولها :

---

(١) الأغانى ١٨ : ١١٥ .

(٢) القنقل : المكيال الضخم .

(٣) فى الأغانى (تغتالنا) .

(٤) حق الخميس (أغانى) .

يا دَيْرَ هندٍ لقد أصبحتِ لى أُنساً   وما عهدتُـكَ لِى يادير مئناسا
أَوْدَى بحبّان ما لم يَتْرك الناسا   فامنح فؤادَكَ مِنْ أحبابك الياسا
فبتُّ أرْعَى نجومَ الليل مُكتئبا   إخالُ سنته فى الليـل قرطاسا

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : فقلت :

* وُصِفَ الصَّدُّ لمن أهوَى فصَد(١) *

ثم أقمتُ عدة(٢) ليال لا يستوى لى تمامُه فدخل علىّ أبو محمد التَّيْمىُّ فرآنى مفـكرا [فقال لى : ما قصتك ؟ فأخبرته فقال :

* وبدا يمزح بالهجر فجد](٣) *

ثم أتممتها فقلت :

ماله يَعْدِلُ عنى وجْهَه   وهو لا يَعْدِلُه عند أحدْ

وخرجتُ إلى مديح الفضل فقلت :

قد أرادوا غُرَّةَ الفضلِ وهـل   تُطْلَبُ الغُرَّةُ من خِيسِ(٤) الأسد
مَلِكٌ يدفعُ ما نَخْشَى به   مَلِكٌ يُصْلِحُ منا ما فَسَدْ
يفعلُ النـاسُ إذا ما وعَدُوا.   وإذا ما فَعَـلَ الفضــلُ وَعَدْ

قال محمدٌ الراويةُ المعروفُ بالبيدق ، وكان يقرأ أشعار المحْدَثين على الرشيد : قال الرشيدُ يوما : أنشــدنى مَرْثِية مروانَ بنِ أبى حفصة فى معنِ بن زائدة التى يقول فيها :

كأن الشمْسَ يومَ أُصيبَ معنٌ   من الإظلام مُلْبَسَةٌ جلالا

---

(١) فى الأصل : (وصف الصد أن أهوى) والتصويب عن الأغانى .
(٢) فى الأصل : عنده .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى وبه يتسق الـكلام .
(٤) الخيس الشجر الملتف ــ غابة الأسد .

هو الجبل الذى كانت معد ... تَهُدُّ من العَدُوِّ به الجبالا
أقمنا باليمامة بَعْد معنٍ ... مُقَاما لا نُريدُ به زيالا
وقلنا أين نذهبُ بعد مَعْنٍ ... وقد ذهب النوالُ فلا نوالا

فأنشدته إياها ، ثم قال : أنشدنى قصيدة أبى محمدٍ التيمىِّ فى مرثية يزيدبن مَزْيد فهى أحبُّ إلىّ من هذه فأنشدته :

أحقًّا أنــه أوْدَى يزيــدُ ... تَبَيَّنْ أيها الناعى المشيــدُ
أتدرى من نعيت وكيف فاهَتْ ... به شفتاك كان بهــا الصعيدُ(١)
أحامى المجدِ والإسلامِ أوْدَى ... فما للأرض وَيْحَكَ لا تميدُ
تأملْ هل ترى الإسلامَ مالت ... دعائمُه وهل شاب الوليــدُ
وهل شِيمتْ سيوف بنى نزار ... وهل وُضِعَتْ على الخيل اللبودُ
وهل تُسْقَى البلادُ عشار مُزْنٍ ... بدَرَّتِها وهل يخْضَرّ عــودُ
أمــا هُدَّتْ لمصرَعِــه نزارٌ ... بلى وتَقَوَّضَ المجدُ المَشيدُ
وحلَّ ضريحَه إذ حل فيه ... طريفُ المجدِ والحسبُ التليدُ
أما والله لا تَنفَكُّ عينى ... عليك بدَمْعِها أبداً تجودُ
فإن تَجْمُدْ دمــوعُ لئيمِ قومٍ ... فليس لدمع ذى حسب جُمودُ
أبَعْدَ يزيد تَخْتَزِنُ البواكى ... دموعا أو يُصانُ لها خُدودُ
لتَبْـكِكَ قبةُ الإسلام لمــا ... هَوَتْ(٢) أطنابُها ووَهَى العمودُ
ويبْـكِكَ شاعرٌ لم يُبْقِ دهرٌ ... له نَشَبا وقد كَسَدَ القصيدُ
فمن يدعو الإمامَ لـكلِّ خَطْبٍ ... ينوبُ وكل مُعْضِلةٍ تؤودُ

---

(١) الصعيد : التراب .
(٢) وهت (أغانى) .

ومن يحمى الخميس إذا تمادى ... بحيلة نفسه البطلُ النجيدُ
فإن يهلك يزيدُ فكلُّ حيٍّ ... فريسٌ للمنيةِ أو طريدُ
ألم تعجبْ له إن المنايا ... فتكْنَ به وهن له جُنودُ
قصدْنَ له وكنّ يَحِدْن عنه ... إذا ما الحربُ شُبّ لها وقودُ
لقد عزّى ربيعةَ أن يوما ... عليها مثلَ يومِك لا يعودُ

فبكى الرشيد بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة(١) من دموعه ملأها .

خرج كوثرٌ ، خادم الأمين بن أبى الحارث ، فأصابته رَجْمَةٌ(٢) فى وجهه ، فجلس يبكى ، فوجه الأمينُ من جاء به ، وجعل يمسحُ الدموعَ عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرّةَ عينى ... ومِن اجلِى ضربوه
أخذَ الله لقلبِي ... من أناس رَجَمُوه

وأراد زيادةً فى الأبيات فلم تُواتِه فقال للفضل : مَنْ هاهنا من الشعراء ؟ فقال : الساعةَ رأيتُ عبدَ الله بن أيوب التيمى بالباب فقال : علَيَّ به ، فلما دخل أنشده البيتين وقال : أَجِزْ ، فقال :

ما لِمَنْ أهْوَى شبيهٌ ... فَبِهِ الدنيا تَتِيه
وصْلُه حلوٌ ولكنْ ... هَجْرُه مُرٌّ كَرِيه
مذ رأى الناسُ له الفضـ ... ـلَ عليهم حَسَدوه
مثلَ ما[قد](٣) حسدَ القا ... ئمَ بالملك أخوه

---

(١) السكرجة : الصفحة التى يوضع فيها الأكل .
(٢) الرجمة : ضربة الحجر .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى وبه ينتظم الوزن.

فقال محمد : أحسنتَ ، والله هذا خيرٌ مما أردناه، بحياتى عليك ياعباسُ إلا نَظَرْتَ فإن جاء علَى ظَهْرٍ ملأْتَ أحمالَ ظَهْرِه دراهم ، وإن جاء فى زورقٍ ملأْته له ، فأوقرت له ثلاثة أبغالٍ دراهمَ .

ولما قُتِـلَ محمدٌ الأمينُ خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضلِ بن سهل ، ولجأ إليه ، وامتدحه فأوصله إلى المأمون ، فلما مثل بين يديه وسلّم بالخلافة عليه ، قال له : إيه يا تَيْمِيّ :

مثلَ ما قد حسـدَ القـا ئمَ بالملك أخـوه

فقال له التيمى : بل أنا القائلُ يا أميرِ المؤمنين :

نصرَ المأمونُ عبدَ الـ لهِ لمّا ظلموه
نقضوا العهدَ الذى كا نوا قديمـا أكّدُوه
لم يُعامِلْه أخوهُ بالذى أَوْصَى أبوه

ثم أنشدَه قصيدة له امتدحه بها أولها :

جَزِعْتَ ابنَ تَيْمٍ إذ علاكَ مشيبُ وبان شبـابٌ والشبـابُ حبيبُ

فلما أنشده إياها وفرغ منها قال له : لقد وهبتُك لله عز وجل ولأخى أبى العباس، يعنى الفضلَ بنَ سهل ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال أبو محمد التيمى : دخلت عَلَى محمدٍ الأمينِ أولَ ماوَلِيَ الخلافةَ فقال : ياتَيْمِيّ وددت أنه قيل فىّ مثل قول طريح [بن إسماعيل] فى الوليد بن يزيد :

طوبَى لفرْعَيْك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التى تشِـجُ

فإنى والله أحقُّ بذلك منه ، فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين. ثم دخلت إليه من غد ، فأنشدته قصيدتى التى أولها :

لا بد من سَـكْرَةٍ على طربِ لعل روحا تزيلُ من كَربى

خليفةُ الله خَـيْرُ مُنْتَخَبٍ   لخيرِ أمٍّ من هـاشمٍ وَأَبِ
خلافةُ الله قد تَوارَثَها   آباؤه فى سوالفِ الـكُتُبِ
فهى لـكم دونَه مُوَرَّثةٌ   عن خاتَم الأنبياء فى الحِقَبِ
ياابن الندى من ذوائبِ الشَّرَفِ الأقدمِ أنتم دعائمُ العربِ
أكرمْ بفرعيْن[1] يجريان به   إلى الإمام المنصور فى النسبِ

فتبسم ثم قال : ياتيميُّ أحسنتَ ولـكن كما قيل : مرعًى ولا كالسَّعدان. ثم التفت إلى الفضل ابن[2] الربيع وقال: بحياتى أوقِرْ زورقَه مالا فقال : نعم يا سيدى ، فلما خرجتُ طالبتُ الفضلَ بذلك ، فقال لى : أنت مجنون ؟ من أين لنا مال نملأُ به زورَقَك ؟ ثم صالَحَنى على مائة ألف درهم .

أمر محمدٌ الأمينُ لأبى محمد التيميِّ بجائزة عشرة آلاف دينارٍ ، ثوابا عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضَيْعة بالبصرة حسنةً ، وقال بعد أن ابتاعها يذكر ذلك :

إنى اشتريتُ بما وهبت لِيَهْ   أرضا أمُون بهـا قرابَتِيَهْ
فبحُسْنِ وجهك حين أسألُ قلْ:   يا ابن الربيعِ احملْ إليه مِيَهْ

فقال : بحياتى يا عباسيُّ احمل إليه مائة ألفِ درهم ، فدعاه فأعطاه خمسين ألفا ، وقال : الخمسون الأُخرى لك علينا ، إذا اتسعت أيدينا .

عشق التيميُّ جارية لبعض النخاسين فشكا وجْدَه بها إلى أبى عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: ياأمير المؤمنين ، إن التيميَّ يَجِدُ[3] بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إلىَّ بيتين يسألنى ثمنَها. قال : وما هما؟ فقال :

---

(١) فى الأصل لعرقك وهذه عن الأغانى .
(٢) فى الأصل : إلى والتصويب عن الأغانى.
(٣) وجد بفلان بكسر الجيم : أحبه حبا شديدا .

يا أبا عيسى إليك المُشتكى ... وأخو الصَّبْرِ إذا عِيلَ شكا
ليس لى صبرٌ على فِقدانها ... وأعافُ المَشْرَبَ المُشْتركا

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم ، فاشتراها بها .

مدح أبو محمد التيمىُّ الفضلَ بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات التى مدحه بها :

لعمرُكَ ماالأشرافُ فى كل بلدة ... وإن عَظُموا للفضل إلا صنائعُ
ترى عظماءَ الناس للفضل خُشَّعا ... إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ
تواضعَ لما زاده الله رفعــةً ... وكلُّ جليلٍ عنده متواضعُ

كتب الحجاجُ إلى قتيبة بن مسلم :

إنى نظرت فى سنِّى فإذا أنا ابن ثلاث [وخمسين](١) سنة وأنا وأنت لِدةُ عام واحد ، وإن امرأً قد سار إلى مَنْهل خمسين سنة لقَمِنٌ أن يَرِدَه والسلام :

فسمع التيمى هذا فقال :

إذا ذهب القَرْنُ الذى أنت منهمُ ... وخُلِّفْتَ فى قَرْنٍ فأنت غــريبُ
وإن امرأً قد ســار خمسين حِجَّة ... إلى مَنْهلٍ من وِرْدِه لقَريبُ

قال عبد الله بن أحمدَ التيمى ابنُ أُختِ أبى محمد التيمى : أنشدنى أبو محمد :

لا تَضْرَعَنَّ لمخلوق على طمعٍ ... فإن ذلك نقصٌ منك بالدينِ
واطلبْ(٢) إلى الله مما فى خزائنه ... فإنما هى بين الكافِ والنونِ(٣)
أما تَرَى كلَّ من ترجوو تسألُه(٤) ... من الخلائق مسكين بن مسكينِ

---

(١) بياض فى الأصل : وما بين القوسين عن الأغانى .
(٢) وأرغب (أغانى) .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .
(٤) وتأمله (أغانى) .

عمرو بن أبى الكنّات[1]

هو عمرُو بنُ عثمانَ بن أبى الكنّات مولى بنى جُمَح .

مغنٍّ محسنٌ طيبُ الصوتِ من طبقةِ ابن جامع وأصحابه ، مكىٌّ وفيه يقول الشاعر :

أحسنُ الناسِ فاعْلَموه غناءً رجلٌ من بنى أبى الكنّاتِ

وكان يُكْنى أبا عثمان وقيل أبا معاذ ، وكان له ابن يغنى أيضا يقال له دَرّاج .

وقف ابن أبى الكنّات على جسر بغداد ، أيام الرشيد ، فحدّثه رجل أن ابن عائشة وقف فى أيام المَوْسم ، فمر به بعضُ أصحابه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال إنى لأَعْرِفُ رجلا لو تكلم لحَبَس الناسَ ، فلم يذهب أحدٌ ولم يجىء أحد ، فقال له[2] : ومن هذا الرجل ؟ فقال : أنا . ثم اندفع يغنى :

جَرَتْ سنحاً[3] فقلت لها أَجيزى نوًى مشمولةٌ فمتى اللقاءُ
بنفسى من تَذَكُّرُه سَقَامٌ أُعالِجُه ومَطْلَبُه عَنَاءُ

فحُبِسَ الناسُ واضطربت المحاملُ ، ومدّت الإبلُ أعناقَها ، وكادت الفتنةُ أن تقع ، فأُتِىَ به هشام ، وكان فى الموسم ، فقال : يا عدوَّ الله أردتَ أن تفتنَ الناسَ ، وكان تَيّاها فقال له هشام : ارفق بتيهك فقال ابن عائشة : حق لمن كانت هذه قدرتُه على القلوب أن يكون تيّاها فضحك هشام وأطلقه ، فقال ابن أبى الكنات ، وكان معجبا بنفسه : أنا أفعلُ كما فعل ، وقُدْرتى على القلوب أكثرُ من قدرته عليها ،

---

(١) الأغانى ١٨ : ١٢٦ .

(٢) فى الأصل: فقلت وفى ب والأغانى : فقال .

(٣) فى الأصل : شبحا .

ثم اندفع فغنى هذين البيتين ، وهو على جسر بغـداد ، وكانوا إذ ذاك ثلاثة جسور فانقطَعَت الطرقُ، وامتلأت الجسورُ بالناس ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خِيف عليها أن تنقطع لِثقْل من عليها من الناس، فأُخذ فأُتى به الرشيدُ فقال: ياعدو الله أردتَ أن تفتن الناسَ ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنى بلغنى أن ابن عائشةَ فعلَ مثل هذا فى أيام هِشام ، فأحببت أن يكون فى أيامك مثلُه ، فأعجبه ذلك ووصله بمال وأمره أن يغنى ، فسمع شيئاً لم يَسْمع مثلَه قط ، فحبسه عنده شهراً ، يستزيده فى كل يوم ويجيزه ، وهو يذكر الانصراف فلا يأذن له حتى تَمَّمَ شهرا .

قال المُخْبِرُ لهذه الحكاية : وكان ابن أبى الكنّات كثيرَ الغشيان(١) لى فلما أبطأ توهَّمْتُه قد قُتِل فصار إلىَّ بعد شهر بأموالٍ جَمَّةٍ ، وحدثنى بما جرى بينه وبين الرشيد .

قال عيسى بن موسى : كنا يوما على شَرابٍ ، ومعنا عمرو بن أبى الكنّات ، إذ قال لنا طلوعَ الشمس : من تحبون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصور الحجبى قال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذى ينحدر فيه إلى سوق البقر(٢) فمكثنا ساعة ثم اندفع يغنى :

عَفَت الدارُ بالهضابِ اللواتى ... بين ثَوْرٍ فمُلْتَقَى عرفاتِ
أحسنُ الناس فاعلموه غناءً ... رجل من بنى أبى الكنّات

فلم نلبث أن رأينا منصورا من بُعْدٍ قد أقبل يركض دابّتَه نحونا ، فلما جلس إلينا قلت له : من أين علمت ؟ قال : سمعت صوتَ عمرو وأنا فى سوق البقر فخرجت أركضُ دابتى حتى صِرْت إليكم ، وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

---

(١) كذا فى الأغانى وفى الأصل : الغناء .
(٢) عن الأغانى وفى الأصل : هكذا (البعسه) .

عَبْدةُ بن الطبيب(١)

والطبيبُ اسمه يزيدُ بن عمرو بن وَعْلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تَيْم بن جُشم ابن عبد شمس ، ويقال عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كلها تُدْعى فى الجاهلية عَبْدَ تيم ، وتيم صنم كانوا يعبدونه .

عَبْدة شاعرٌ مجيدٌ ليس بالمكثر ، وهو مُخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، وكان فى جيش النعمان بن مُقَرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن .

قال الأصمعى : أرثى بيت قالته العرب قول عَبْدة :

عليك سلامُ اللهِ قَيْسَ بن عاصم ورحْمَتُه ما شاء أن يَتَرَحّمَا

تحيةَ من أوليْتَه منك نعمةً(٢) إذا زار عن شَحَطٍ بلادَك سلّما

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْك واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تَهَدّما

قال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة لا يحسنُ أن يهجو ، فقال : لا تَقُلْ ذلك فوالله ما أَبَى مِنْ عِيّ(٣) ولكنه كان يترفع عن الهجاء ، ويراه ضَيْعَةً كما يرى تركَه مروءةً وشرفاً وأنشد :

وأجرأ من رأيتُ بظهر غيبٍ على عيبِ الرجال أخو العيوب

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : أىُّ المناديلِ أشرفُ ؟ فقال قائل منهم : مناديلُ مصر ، كأنها غِرْقِئُ البيض ، وقال آخر : مناديلُ اليمن كأنها نَوْرُ الربيع ،

---

(١) الأغانى ١٨ : ١٦٣ ـ مهذب ٢/١٥٩ . تجريد ٢١٦٤

(٢) تحية من غادرته غرض الردى (الحماسة) .

(٣) فى الأصل : ١ ، ب ما أتى مرعى والتصويب عن الأغانى .

فقال عبد الملك : مناديل أخي بني سَعْد ، عَبْدة بن الطبيب ، أحسن حيث يقول :

لما نزَلْنا ضَرَبْنا ظِلَّ أخبيةٍ[1] وفار للقوم باللحمِ المراجيلُ
وَرْدٌ وَأشْقَرُ ما يُنْهِيه طابِخُه ما غَيَّرَ الغليُ منه فهو مأكولُ
ثُمَّتَ قمنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أعرافُهُنَّ لأيدينا مناديل

(١) لما وردنا رفعنا ظل أردية (مهذب الأغانى) .

عريب[1]

شاعرةٌ صالحة مغنيـةٌ محسنة مليحة الخطِّ والمَذْهب فى الـكلام ، ونهايةٌ فى الحسن والجمال والظرف ، وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة ، ومعرفة النَّغَم ، والرواية للشعر والأدب .

لا يتعلقُ بها أحدٌ من نظرائها ، ولا ترى فى الدنيا بعد القيانِ الحجازياتِ القدماء[2] مثل جميلة وعزّة الميلاء وسلّامة الزرقاء ، ومَن جرى مجراهن ، على قلة عددهن ، نظيراً لها .

وكان فيها من الفضائل التى وصفناها ما ليس لهن ، مما يكونُ فى مثلِها من جوارى الخلفاء ، ومَن نشأ فى قصور الخلافة ، وغُذِّىَ برقيق العيش ، الذى لا يدانيه عيشُ الحجاز ، والنشء[3] بين العامة من العرب الجفاة ومن غَلُظ طبعُه . وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره[4] .

قال إسحاق بن إبراهيم : ما رأيت امرأةً أضربَ من عريب ، ولا أحسن صنعة ، ولا أجمل وجها ، ولا أخف روحا ، ولا أحسن خطابا ، ولا أسرع جوابا ، ولا ألعبَ بالشطرنج والنرْدِ ، ولا أجمع لخَصْلة حسنةٍ أراها[5] فى امرأة غيرها قط .

فذُكِر ذلك ليحيي بن أكثم ، فقال : صدق أبو محمد ، هى كذلك ، قيل له :

(١) الأغانى ١٨/١٧٥ .
(٢) القديمات (أغانى) .
(٣) فى الأصل : والنشر ... من العرب، وما أثبتناه عن الأغانى.
(٤) كانت فى الأصل (من لا يحتاج إلى شهادته غيره) وما ذكرناه عن الأغانى .
(٥) لم أر مثلها فى امرأة (الأغانى) .

أفسمعتَها ؟ قال : نعم ، هناك ، يعني في دار المأمون ، قيل : أفكانت كما ذكر أبو محمد من الحِذْق ؟ فقال يحيى : هذه مسألةٌ الجواب فيها على أبي إسحاق ، فهو أعلمُ بها مني .

قال حماد : فأخبرتُ أبي بذلك فضحك ، ثم قال: أما استحْيَيْتَ من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا ؟

ويقال : إنه كان لها من الغناء ألفان ومائةٌ وخمسةٌ وعشرون صوتا .

وكان أبو عبد الله الهشاميُّ يطعنُ على صَنْعتها ، وليست كما يَزْعُم فيها ، ولكن كان ذلك لسبب ، وهو أنه حضرَ يوما مجلسا فقال له عبد الملك بن عبيدالله بن طاهر : غَنِّ ياابن هشام ، فقال : تبتُ عن الغناء منذ قُتِل سيدى المتوكل ، فقالت له عريب : والله لقد أحسنتَ حين تُبْتَ فإن غناءك كان قليلَ المعنى ، لا متقنٌ ولا صحيحٌ ولا مُطْرِب. فأضحكتْ أهلَ المجلس جميعا منه ، فخجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ، ويعيب صنعتَها ، وليس هي كذلك .

وكان يقال إن عريبَ كانت لعبد الله بن إسماعيل صاحبِ مراكبِ الرشيد ، وهو رباها وأدبها وعلمها الغناء .

وكان يقال : إنها بنتُ جعفر بن يحيى ، وأن البرامكة لما نُهِبُوا سُرِقَتْ وهي صغيرة ، وذلك أنه يقال : إن أمَّها كانت تسمى فاطمة ، وكانت قَيِّمةً لأُمٍّ عبد الله بنت يحيى بن خالد ، وكانت صبيةً نظيفةً ، فرآها جعفر بن يحيى ، فهَوِيهَا وسأل أمَّ عبد الله أن تزوِّجَه إياها ، ففعلت وتزوجها جعفر بن يحيى ، فأنكرَ عليه أبوه ، وقال له : تتزوج بمن لا يُعرفُ لها أم ولا أب ، اشتر مكانها ألفَ جارية ، فأخرجها فأسكنها في دارٍ ، ناحيةَ باب الأنبار ، سرا من أبيه ، ووكَّلَ بها من يَحفَظُها ، وكان يتردد إليها فولدَتْ عريبا في سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وكانت سِنُّها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة .

وماتت أمُّ عريب فى حياة جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانيةٍ ، وجعلها داية لها فلما حدثتْ بالبرامكة تلك الحادثةُ باعتها من سنبس[1] النخاس فباعها من المراكبى .

وقال يوسفُ بن يعقوب : كنت إذا نظرتُ إلى قَدَمَىْ عريب شَبَّهْتهُما بقدمى جعفر بن يحيى ، وذكرت[2] بلاغتَها فى كتبها ، فقلت : وما يمنعُها من ذلك وهى بنت جعفر بن يحيى ؟

قالت عريب : بعث الرشيدُ إلى أهلنا ، تعنى البرامكةَ ، رسولا يسألُهم عن أحوالهم ، وأمره ألّا يُعْلِمَهُم أنه مِنْ قِبَلِه ، قالت : فصار إلى عَمِّى ، تعنى الفضلَ ، فسأله فأنشأ يقول :

سألونا أنْ كيف نحن فقلنا[3] من هَوَى نجمُه فكيف يكونُ

نَتَمَنَّى من الأمينِ إيابا كلَّ يومٍ وأينَ منّا الأمينُ

نحن قومٌ أصابنا غِيَرُ[4] الدهـ ـرِ فظَلْنَا لرَيْبِه نَسْتَكينُ

ذكرتْ عريبُ أن هذا الشعرَ للفضل بن يحيى ، وليس كذلك ، وإنما هو للحسين بن الضحاكِ يرثى به الأمينَ محمداً بعد قتله .

وكان المراكبىُّ مولى عريب قدخرجَ بهاإلىالبصرةِ فأدّبها وخرّجها وعلمها الخطَّ والنحوَ والشعرَ والغناء ، فبرعت فى جميع ذلك ، وتزايدت حتى قالت الشعر .

وكان لمولاها صديقٌ يقال له حاتمُ بن عدى من قوادِ خراسانَ وقيل : إنه كان يكتبُ لعجيف على ديوان الفرض ، فكان مولاها يدعوه كثيرا ويخالطُه ، فركبه دينٌ

(١) كانت فى الأصل سنبين .

(٢) النص فى الأغانى : وسمعت من يحكى بلاغتها فى كتبها وذكرت لبعض الكتاب فقال : وما يمنعها ...

(٣) « سألونا عن حالنا كيف أنتم » (أغانى) .

(٤) عنت — حادث (أغانى) .

فاستتر عنده ، فمد عينه إلى عريب . وكاتبها ، فأجابته ، ودامت المواصلة بينهما ، وعشقته عريب ، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عَقَبٍ[1] ، وقيل من خيوط غلاظ وسترته حتى همت بالهرب إليه بعد انتقاله من منزل مولاها مدة وقد اتخذ لها موضعا فلفّتْ ثيابها ، وجعلتها في فراشها بالليل ، ودثّرتها بدثارها ، ثم تسورت من الحائط فهربت ، فمضت إليه فمكثت عنده ، ومولاها لا يطلُبها بفرْيَةٍ ولا يتهمُه بشيء من أمرها ، فلما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عوداً لتغنيه به ، فأعاره عودَها وهو لا يعلم أنها عنده : فقال عيسى بنُ عبد الله بن إسماعيل المراكبي : يهجو أباه ويعيره بها ، وكان كثيراً ما يهجوه :

قاتل الله عَريباً فَعلَتْ فِعلا عجيبا
رَكِبَتْ والليلُ داجٍ مرْكَبا صعبا مَهيبا
ولقد أصبح عبدُ الـ ـله كَشحانا حَريبا
قد لعمري لَطَمَ الخدْ دَ وقد شَقَّ الجيوبا
فارتقت متصلا بالنْـ ـنَجْمِ أو منه قريبا
صَبَرَتْ حتى إذا ما أقْصَدَ النومُ الرقيبا
مَثَّلَتْ بين حشاياها لكيلا تستريبا
خلفاً منها إذا نُو دِيَ لم يُلْفَ مجيبا
ومضت يحمِلُها الخو فُ قضيبا وكثيبا
مُحّة لو حُرِّكَتْ خِفـ ـتَ عليها أن تذوبا
فتــدلّت لمُحِبٍّ فتلقّاها حبيبا
جَذِلاً قد نال في الدنـ ـيا من الدنيا نصيبا

(١) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار .

أيهـــا الظبيُ الذى تَسْـ حر عيناه القلوبا
والذى يأكل بعضاً بعضُـــه حسنا وطيبا
كنت بَهْماً لذئابٍ فلقد أطعمتَ ذِيبـا
وكذا الشــاء إذا لم يــك راعيها لبيبـا

ثم إن عريبَ ملّته بعد ذلك فهربت منه ، فـكانت تغنى عند أقوام عرفتهم ببغداد ، وهى مستترة متخَفِّية .

فلما كان فى بعض الأيام اجتاز ابنُ أخٍ للمراكبيّ ببستان كانت فيه مع قــوم تغنى ، فسمع غناءها ، فعرفه فبعث إلى عمه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، حتى جاء عمه فـكَبَسها[1] وأخذها وضربها مائة مقرعة ، وهى تصيح : يا هذا لم تقتلنى ، لست أصبر عليك ، أنا امرأة حرة ، وإن كنت مملوكةً فبعنى ، فلست أصبر على الضِّيقة[2] .

فلما كان من الغدِ ندم على فعله ، وصار إليها ، وقبل رأسها ويدَها ورجْلها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم .

ثم بلغ محمداً الأمين خبرُها فأخذها منه ، وكان خبرُها قبل ذلك قد اتصل بالأمين فى حياة أبيه ، فطلبها منه فلم يجبه إلى ما سأل . وقبل ذلك كان قد طلبَ خادما عنده فمنعه ، فاضطغن ذلك عليه .

فلما وَلِيَ الخلافةَ جاء المراكبى ، ومحمد راكب ، ليقبل يَدَه فأمر بمَنْعِه ودَفْعِه ، فمَنَعَ ذلك الشاكرى ، فضربه المراكبيُّ وقال : أتمنعنى عن تقبيلِ يد مولاى ؟ فجاء الشاكريُّ لما نزل محمدٌ فشـكاه ، فدعا محمدٌ المراكبيَّ وأمر بضرب عنقه ، فسئل فى أمرِه فعفا عنه وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم ؛ ثم اقتطعها من نفقات

---

(١) يقال كبس القوم داره : هجموا عليها فجأة .

(٢) الضيقة : سوء الحال ، الفقر .

الـكُرَاع[1] ، وبعث فأخذ عريبَ من منزله مع خدم كانوا له ؛ فلما قُتِلَ محمدٌ هربت عريبُ إلى المراكبيِّ فـكانت عنده .

ومما قال حاتم بن عدى حين هَرَبَتْ عريب من عنده من أبيات :

ورُشُّوا على وجهى من الماء واندُبوا قتيلَ عَرِيبٍ لا قتيــلَ حُروبِ
فليتكِ إذْ عَجَّلْتِنِى فقَتَلْتِنِى تـكونين من بعــد المماتِ نصيبى

وقيــل إنها لما هَرَبَتْ من المراكبي هربت إلى محمدِ بن حامدِ الخاقانى ، أحد قواد خراسان ، وكان أشقرَ أزرقَ أصهبَ . وفيه تقول عريب :

بأبى كلُّ أصْهَب أزرقِ العينِ أشْقَر
جُنَّ قلــبى به وليس جنونى بمنكر

قال ابن المدبّر : خرجت مع المأمون إلى أرض الروم أطلبُ ما يطلبُ الأحداثُ من الرزق ، فـكنا نسير مع العَسْـكرِ ، فلما خرجنا من الرقة رأيت جماعة من الخدم، فى العماريات على الجمازات ، وكنا رفقةً ؛ كلُّنا أتراب . فقال لى بعضُهم : على بعض هذه الجمازات عَريب . قلت : من يراهِنُنى فى أننى أمُرُّ فى جنبات هذه العماريات ، وأنشد أبياتَ عيسى ؟ فأنشدتُ الأبيات ، وأنا رافع صوتى بها حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخْرَجَت رأسَها . فقالت : يا فتى قد أُنسيتَ أجود الشعر وأطيَبَه، نسيتَ قوله :

وعريبٌ رطبةُ الشَّفْـ ـرَيْن قد نيكت ضروبا

اذهب فخذ ما راهنت به . ثم ألقت السّجْف ، فعلمت أنهـا عريب ، وبادرت إلى أصحابى ، خوفا من مكروه يلحقنى من الخدم .

---

(١) الـكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو ما استدق من الساق . والـكراع أيضا اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

كانت للمراكبي جارية يقال لها مظلومة ، جميلةُ الوجه بارعةُ الحُسْن ، وكان يبعث بها مع عريب إلى الحمّام ، وإلى من تزوره [من أهله ومعارفه](١) فكانت ربما دخلت مع عريب إلى ابن حامد الذى كانت تحبه ، فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده :

لقد ظلموكَ يا مظلوم لمـا … أقامـوك الرقيبَ على عريبِ
ولو أولوكَ إنصافاً وعَدْلا … لما أَخْلَوْكَ أنت مـع الرقيب
أتنهَيْن المريبَ عن المعاصى … وكيف وأنت من شأن المريبِ
وكيف يُجانبُ الجانى ذنوبا … لديك وأنتَ داعيةُ الذنوبِ
فإن يَسْتَرْقِبوكَ على عريب … فما رَقَبُوكَ من رَيْب القلوبِ

ويشبه هذا قول الناشىء فى رقيبة المغنية :

فديْتُكِ لو أنهم أنصفوا … لما مَنعوا العينَ عن ناظرَيْك
وقد بعثوك رقيبا لها … فمن ذا يكون رقيبا عليك
ألم يقرءوا وَيْحَهُم ما يرو … ن من وحى طَرْفِك فى مقلتيك
يصدون أعيُنَنا عن سواكَ … وهل تنظر العين إلا إليك

لما نُمِىَ خبرُ عريب إلى الأمين بعث فى إحضارها وإحضار مولاها ، فأُحضرا فغنت بحضرة إبراهيم بن المهدى :

لكل أُناس جوهرٌ متنافسٌ … وأنتِ طرازُ الآنساتِ الملائحِ

فطرب الأمين ، واستعادها الصوتَ مراراً ، وقال لإبراهيم : كيف سمعت يا عم ؟ قال : سيدى سمعتُ حسناً ، وإن تطاولَتْ بها الأيام ، وسكن روعُها ازداد غناؤها حسناً . فقال الربيع : خذها إليك ، وساوم بها ، ففعل واشتط مولاها فى السوم ، ثم أوجبهاله بمائة ألف درهم ، وانتقض أمرُ الأمين وشُغِلَ عنها وشغلت عنه، فلم يأمرُ

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

لمولاها بثمنها حتى قتل ، بعد أن افتَضَّها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هَربت منه إلى حاتم ابن عدى ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمونُ بغدادَ فتظلم إليه المراكبيُّ من حاتم فأمر بإحضاره ، فأُحضِرَ فسأله عنها ، فأنكرها . فقال له المأمون : كذبت وقد وقع إلىّ خبرك . وأمر صاحبَ الشرطةِ أن يُجرِّده فى مجلس الشُّرطَ ، ويضع عليه السياط حتى يردها ، فأخذه وبلغها الخبرُ فركبت حمار مكار ، [وجاءت]وقد جُرِّد ليُضْرَب ، وهى مكشوفةُ الوجه ، وهى تصيح : أنا عريب ، إن كنتُ مملوكةً فليَبِعْنى ، وإن كنت حرةً فلا سبيل له عَلَىّ . فرُفِعَ خبرُها إلى المأمون ، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضى ، فعُدِّلَتْ عنده ، وتقدم إليه المراكبى مطالبا بها ، فسأله البيِّنَة على ملكه إياها ، فعاد متظلما إلى المأمون ، فقال : قد طولبتُ بما لم يُطَالَبْ به أحدٌ فى رقيق ، لا يوجد مثله فى يدِ من ابتاع عبداً أو أمة ، وتظلمَتْ إليه زُبيدةُ وقالت : من أغلظ ما جرى علىَّ من بعد قتلِ ابنى هجومُ المراكبىِّ على دارى ، وأخذُ عريب منها . فقال المراكبى : إنما أخذتُ ملكِى ، لأنه لم ينقُدْنى الثمن . فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدى ، وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقى ، فأخذها من قتيبةَ بن زياد ، وأمره ببيعها ساذَجَةً فاشتراها المأمون بخمسين ألفَ درهم ، فذهبت به كل مذهب مَيْلًا إليها ومحبة لها .

ولقد حَدَّثَ علىُّ بن يحيى المنجم أن المأمونَ قبّل فى بعض الأيام رِجْلها . ولما مات المأمون بيعَتْ فى ميراثه ولم يُبَعْ له عبدٌ ولا أمة غيرها [فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم وأعتقها فهى مولاته . وأخبرنى جحظة عن ميمون بن هارون أن المأمون اشتراها](١) بخمسة آلافِ دينار . ودعا بعبد الله بن إسماعيل فدفع الثمن ، وقال : لولا أنى حَلَفْتُ ألّا أشترى مملوكا بأكثرَ من هذا لزِدْتُكَ ، ولكنى سأُوَلِّيك عملا

(١) ما بين القوسين بياض بالأصل وما أثبتناه عن الاغانى وبه يستقيم الكلام .

تكسب فيه أضعاف هذا الثمن مضاعفا ، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمرَ قيمتُهما ألفا دينار ، وخلع عليه خلعاً سنية . فقال : يا سيدى إنما ينتفع بهذا الأحياء وأما أنا فإنى لا محالةَ ميّتٌ ، لأن هذه الجاريةَ كانت حياتى ، وخرج عن حضرته فاختلط وتغير عقله ، ومات بعد أربعين يوما .

قال إبراهيم بن رباح : كنت أتولَّى نفقاتِ المأمون ، فوَصَف له إسحٰقُ بن إبرٰهيم الموصلى عريبا ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فأمرنى المأمونُ بحملها إليه ، وأن أحمل إلى إسحٰقَ مائةَ ألفِ درهمٍ أُخرى ، ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبت ذلك فى الديوان ، فكتبتُ أن المائة الألف درهم خرجت فى ثمن جوهرة ، والمائة الألف درهم الأُخرى خرجت لصانعها ، ودلالها ، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره علىّ وسألنى عنه ، فقلت : نَعَمْ هو ما رأيت ، فسألَ المأمونَ عن ذلك ، فقال : وهبت لدلَّال وصانعٍ مائةَ ألف درهم وغَلَّظَ القضيةَ فأنكرها المأمون ، ودعانى فدنوتُ فأخبرته أن المالَ الذى خرج فى ثمن عَريبٍ وصِلَةِ إسحٰق ، وقلت : أيما أَصوبُ ، يا أمير المؤمنين ، ما فعلت أو أن أُثبت فى الديوان أنها خرجت فى ثمن مغنية وصلة مغن؟ فضحك المأمون ، وقال : الذى فعلت أصوب ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نَبَطِىّ لا تعترض على كاتبى هذا فى شىء .

ولما صارت عريبُ فى دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عَشِقَتْه وكاتَبَتْه ، ثم احتالت فى الخروج إليه ، فكانت تلقاه فى الوقت بعد الوقت ، حتى حَبِلتْ منه ، وولدت بنتا ، فبلغ المأمون فأمر بإلباسها جُبَّةَ صوف ، وختم زيقَها[1] وحبَسَها فى كنيفٍ شهراً لا ترى الضوء ، يدخل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب ، كلَّ يوم ، ثم ذَكَرَها فرَقَّ لها وأخرجها ، فلما فتح الباب عنها وأُخرجت . فلم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغنى :

(١) الزيق من الثوب : ما أحاط بالعنق ، وما كُفَّ من جانب الجيب .

لو كان يقدرُ أن يَبُثَّكَ ما به   لرأيتَ أحسن عاتبٍ يتعتبُ
حَجَبوه عن بصرِى فمثل شخْصُه   فى القلب فهو مُحَجَّبٌ ما يُحجبُ

وبلغ المأمون فعجب منها ، ثم قال : لن تصلح هذه أبداً. فزَوَّجه إياها .

اصطبح المأمون يوما ، وعنده جلساؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين ، وعريبُ جالسةٌ معه على مُصلاه ، فأومأ إليها محمد بن حامد يطلبُ قبلةً فاندفعت تغنى ابتداء :

رَمَى ضرعَ ناب فاستمر بطعْنَةٍ   كحاشيـــةِ البردِ اليمانى المُسَهّمِ

فقال لها المأمون : أمسكى فأمسكت ، ثم أقبل على الندماء ، فقال : أيكم أومأ إلى عريب بقُبْلة ؟ والله لئن لم يَصْدُقنى لأضربن عُنُقَه ، فقام محمد ، وقال : أنا يا أمير المؤمنين أومأت ، والعفو أقرب للتقوى . فقال : قد عفوت . فقال : كيف استدلّ أميرُ المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتْ صوتا وهى لا تغنى ابتداء إلا لمعنى ، فعلمت أنها لم تبتدئ هذا الصوت إلا لمعنىً أُومئَ به إليها ولم يكن من شرط هذا الموضع الإيماء بقُبْلةٍ ، فعلمت أنها أجابت بطعنة .

وكانت عريب قد عَشِقتْ صالحَ بن المنذر الخادم ، فتزوجته سرًّا من المتوكل ، فوجه به المتوكل إلى مكانٍ بعيدٍ فى حاجة له ، فقالت فيه شعراً وغنت فيه وهو :

أما الحبيبُ فقـد مضى   بالرغم ِ مِنِّى لا الرضـا
أخطأت فى تركى لمن   لم ألفِ عنـــه مُعَوّضا

فطرب المتوكل واستعادَه ، وجعل جواريّه يتغامَزْن ويضحكن ، ففطنت ، فأصغت إليهن سِرًّا من المتوكل . وقالت : يا سحاقات ، هذا خيرٌ من عملكن .

قال محمدُ بن يحيي الواثقى: قال لى محمدُ بن حامد ليلةً : أُحبُّ أن تُفْرِغ لى مضربك ، فإنى أريد أن أجيئك فأُقيمَ عندك ، ففعلت، ووافانى. فلما جلس جاءت عريبُ ، فدخلتْ

فجعل يعاتبها ، فيقول : فعلتِ كذا وفعلت كذا ، فقالت لى : يا محمدُ هذا عندك رأى ؟ ثم أقبلتْ عليه فقالت : يا عاجز خذْ بنا فيما نحن فيه ، وفيما جئنا له ، واجعل سراويلى مخنقتى والصق خلخالى بقرْطِى وإذا كان غداً فاكتب بمتابك فى طومار ، حتى أكتب إليك بعذرى فى مثله ، ودع هذا الفضول فقد قال الشاعر :

دعى هذى الذنوبَ إذا التقينا تعالَىْ لا نَعُدُّ ولا تَعُدِّى

فأقسم لو هممتِ بمد شعرى إلى نار الجحيم لقلْت مدى

دخلتْ بعضُ جوارى المتوكل يوما إلى عريب ، فقالت لها عريب : ويحك تَعالَىْ فقبِّلى سالفتى ، فإنك تجدين ريح الجنة. ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب فى ذلك ؟ فقالت : قبَّلَنى الساعةَ صالح بن المنذر فى هذا الموضع .

حدّث بعض من دخل إلى عريب يوما ، قال : دخلنا مُسَلِّمين فقالت : أقيموا عندى اليوم ، حتى أُطعمكم لَوْزَيْنَجة ، صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب ، وماحضر من الوظيفة ، وأُغنيكم أنا وهى ، فقلت لها : على شريطة . قالت : وما هى ؟ قلت : شىء أُريدُ أن أسألَكِ عنه منذُ سنين ، وأنا أهابك . قالت : ذلك لك ، وأنا أُقدِّم الجوابَ قبل أن تسألنى عن شَرْطى . أىّ شىء هو . فقلت : والله ذلك الذى أردْت . فقالت : أيرٌ صُلْبٌ ونكهةٌ طيبةٌ ، وما انضاف إلى ذلك من حُسْنٍ يُوصفُ وجمالٍ يُحْمَد ، زاد قدرَه عندى ، وإلا فهذان مالا بد لى منهما .

وكانت سنها لما كانت عند المأمون أربعةَ عشرَ سنة . وكان الواثق منحرفا عنها ؛ لأنها كانت تكايدُه فيما يصوغُ من الألحان . وكان المعتصمُ منحرفا عنها ؛ لأنه وجد لها كتابا إلى العباس بن المأمون ، ببلد الروم : اقتل أنت العِلْج ، وكان يَشْتَهِرُ

---

(١) اللوزينج : نوع من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز .

بالليل ، حتى أقتلَ أنا الأعورَ الليـلى ههنا ؛ تعنى الواثق ، وكان المعتصم استخلفه ببغـداد .

قال أبو العَنْبس بن حمدون : غضبَتْ عريبُ على بعض جواريها ، فجئت إليها يوما وسألتها أن تعفو عنها ، فقالت فى بعض ما تقول من تعداد ذنوبها : إن كنتَ تشتَهِى أن ترى زنائى وصـفاقةَ وجهى وجُرأتى على كل عظيمة أيامَ شبابى فانظر إليها .

وكانت عريب فى أيام شبابها يقدم إليها البِرْذون فتطفر[1] عليه بلا ركاب .

تمارى المأمونُ وأبو على يوما فى صوتٍ ، فقال المأمون : أين عريب ؟ فجاءتْ ، وهى محمومة ، فسألها عن الصوت ، فقالت فيه بعلمها ، فقال لهـا : غَنِّيه ، فولَّتْ لتجىء بالعودِ ، فقال لها : غنيه بلا عود ، فاعتمدت من الُحمَّى على الحائط وغنت ، فأقبلت عقرب فضربَتْها فى يدها مرتين أو ثلاثاً ، فما رفعتْ يدها ولا سكتت حتى فرغ الصوت ، ثم سقطت وقد غُشِى عليها .

قالت تحفة جاريةُ عريب : كانت عريبُ تجد فى رأسها بَرْداً ، وكانت تُغَلِّفُ رأسها مكانَ الغَسْلَة بستين مثقالا من مسك وعنبر ، وتغسله من جمعة إلى جمعة . فإذا غسلته أعادته ، ويقتسم الجوارى غُسالةَ رأسها بالقوارير ، وماتسَرِّحُه بالميزان .

قال على بن يحيي المنجم : دخلت يوما على عَريب مُسَلِّما ، فلما اطمأننْتُ جالسا ، هطلت السماء بمطر عظيم ، فقالت : أقم عندى اليوم حتى أُغنِّيك أنا وجوارِىّ ، وابعثْ إلى من أحببت من إخوانـك ، فأمرتُ بدوابى فرُدَّتْ وجلسنا نتحدث ، فسألتنى عن خبرنا بالأمس فى مجلس الخليفة ، ومن كان يغنينا ، وأىّ شىء استحسَنّا .

---

(١) يقال طفر يطفر طفورا : وثب فى ارتفـاع كما يطفر الإنسان على الحائط أى يثب إلى ما وراءه (وفى الأصل : يطفو عليه بالركابه) والتصويب عن الأغانى .

فأخبرتها أن صوتَ الخليفة كان لحنا صنعه بَنان بن الماخورى فقالت : ما هو ؟ فقلت :

تُجَافِى ثم تَنْطَبِقُ جفونٌ حشْوُها الأرَقُ
وذى كَلَفٍ بكى جَزَعا وسفر القومِ منطلقُ
بـه قلق يُعَلِّمِلُه وكان وما بـه قَلق
جوانحُه على خطرٍ بنار الشوق تحترقُ

فوجهتُ رسولا إلى بنان فحضر ، وقد بلّه المطر ، فأمرت بخِلَع فاخرة فخُلعت عليه وقُدِّم له طعام ، فأكل وجلس يشرب معنا ، فسألته عن الصوت فغناها ، فأخذت دواة ورقعة وكتبت فيها :

أجاب الوابلُ الغَدِقُ وصاح النَّرْجسُ الغَرِقُ
وقد غنّى بنانُ لنا جفونٌ حشْوها الأَرَقُ
فهات الكاسَ مترعةً كأن حُبابَها حَدَقُ

فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات .

قال الفضل بن العباس : زارتنى عريبُ يوما ، ومعها عِدّةٌ من جواريها فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحادثنا ساعة ، وسألتها أن تقيم عندى . فأبت ، وقالت : دعانى جماعة من إخوانى ؛ أهل الفضل والأدبِ والظرفِ ، وهم مجتمعون فى جزيرة المربد ، وفيهم إبراهيمُ بن المدبر ، وسعيد بن حُمَيد ، ويحيى بن عيسى ، وقد عَزَمْتُ على المصير إليهم ، فحلفت عليها فأقامت عندنا ، ودعت بقرطاسٍ ودواة وكتبت إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم — وكتبت فى سطر واحد بعد البسملة ثلاث كلمات متفرقة ولم تزد عليها وهى : أردت ، ولولا ، ولعلى .

ووجهت بها إليهم فلما وصلت الرقعة إليهم كتبوا تحت

أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت ولعلى : أرجو

ووجهوا بالرقعة ، فلما وصلت إليها صَفّقتْ ونَعَرَتْ(١) وشربت رطلا وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم إذا تركنى الله من يديه ، ولكن أُخَلِّفُ عندكم من جَوَارِىَّ من يكفيكم وأقوم إليهم ، وقامت وخلفت عندنا بعضَ جواريها ، وأَخَذَتْ معها بعضَهم وانصرفت .

عتب المأمونُ على عريب فهجرها أياماً ، ثم اعتلّتْ فعادها ، فقال : كيف وجدتِ طعمَ الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا مرارةُ الهجرِ ما عُرِفَتْ حلاوةُ الوَصْلِ ، ومن ذَمَّ بَدْء الغضب حَمِدَ عاقبةَ الرضا ، فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقضية ، ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظَّامِ لم يكن كثيرا ؟

وجرى بين المأمون وبينها كلام ، فكلمها المأمونُ بشىء غَضبتْ منه ، فهجرته أياماً ، قال أحمد بن أبى دؤاد : فدخلت على المأمون يوما ، فقال : يا أحمد اقْضِ بيننا ، فقالت عريب : لا حاجة لى فى قضائه ودخوله بيننا ، وأنشأت تقول :

وتخلِطُ الهجرَ بالوصالِ فلا   تُدْخِل فى الصلح بيننا أحدا

قال حمدون : كنت حاضراً عند المأمونِ ، ببلاد الروم ، عند العشاء الآخرة ، فى ليلة ظلماء ، ذاتِ رعودٍ وبروقٍ فقال لى المأمون : اركب الساعةَ فَرَساً من النَّوْبَة ، وسر إلى عسكر أبى إسحاق ، — يعنى المعتصم — فأدِّ إليه رسالتى ، وهى كيت وكيت ، فركبْت ، فلم تلبثْ معى شمعة ، وسمعتُ وقع حافرِ دابة ، فرهبت ذلك ، وجعلت أتوقّاه حتى صَكَّ ركابى ركابُهُ ، وبَرَقَتْ برقةٌ فأصابت وجهَ الراكبِ ، فإذا عريبٌ ، قالت : عريب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت لها : مِنْ أين أقبلت فى هذا الوقت ،

---

(١) نعر الرجل ينعر : صاح وصوت بخيشومه .

فقالت : من عند محمد بن حامد ، فقلت : وما صنعتِ عنده ؟ فقالت : يا نكيس ، عريبُ تجيء فى مثل هذا الوقتِ من عند محمد بن حامد ، خارجةً من مضارب الخليفةِ وراجعةً إليها ، تقول لها : إيش عملت ؟ صليت معه التراويحَ ، قرأتُ عليه أجزاء من القرآن ، دارستُه شيئا من الفقه يا أحمق !! تماتبنا وتحادثنا واصطلحنا ، ولعبنا وشربنا وغنينا وتنايكنا ، وانصرفنا ، فأخجلتنى ، وغاظتنى ، فسُقْت وتركتُها ومضيت ، فأديت الرسالة ، وعدتُ إلى المأمون ، وأخذنا فى الحديث ، وتناشدنا الأشعار ، فهممت أن أُحدثه حديثها ، ثم هِبْتُه فقلت : أُقَدِّمُ قبل ذلك تمريضاً بشيء من الشعر فأنشدته :

ألا حى أطلالا لقاطمة الحَبْل ... ألوفٌ تساوى صالحَ القوم بالنذل[1]

فلو أن ما أمسى بجانب تَلْمَــــة ... إلى جَبَلَىْ طى لساقطةِ الحَبْلِ

جلوس إلى أن يَقْصُر الظلُّ عندها ... لراحوا وكلٌّ القوم منها على وَصْلِ

فقال المأمون : اخفض صوتك ، لئلا تسمعَك عريب ، فتغضب ، وتظن أننا فى حديثها ، فأمسكت عما أردتُ إلى آخره ، وخار الله لى فى ذلك .

قال إبراهيم اليزيدى : كنت مع المأمون فى بلد الروم ، فبينا أنا أسير فى ليلة مظلمةٍ باردةٍ ذاتِ غَيْم وريح ، وإلى جانبي قُبَّةٌ إذ برقت بَرْقَةٌ فإذا فى القبة عريب ، فقالت : إبراهيم ؟ فقلت : لبيك ؟ فقالت: قل أبياتا مِلاحاً فى هذا البَرْق لأُغنى فيها ، فقلت :

ما بقلـبى من ألـيم الخفق ... إذا رأيت لمان البرق

من قبل الأُردن أو دمشق ... لأن من أهوى بذاك الأُفق

فإن فيـه وهـو أعز الخلق ... عـلى والزورُ خلاف الحق

ذاك الذى يملك مـنى رقى ... ولست أبغى ما حييت عتق[2]

---

(١) بالرذل (أغانى) .

(٢) فى ا ، ب : عشق . وفى الأغانى عتق وهى تقابل رقى فى البيت .

فتنفَّست نَفَسا ظننتهُ قد قطع حيازيمَها ، فقلت : ويحك على من هذا النَّفَس ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن ، فقلت : هيهات ليس هذا كلّه على الوطن . فقالت : ويحك ظننت أنك تَسْبِقُهُن ، والله لقد نَظَرَتْ نظرةً مريبةً فى مجلس ، فادعاها من أهل المجلس أكثرُ من ثلاثين رئيساً ، واللهِ ما علم أحد منهم من أين كانت إلى هذا الوقت .

وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شرٌ فتقاطعا بسببه ، وكان يجدُ بها الوجدَ كلَّه ، وكان فى قلبها أكثرُ مما فى قلبه ، فلقيته يوما ، فقالت : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال : أشقى ما يكون وأقرحُه : فقالت : استبْدِلْ تَسْلُ ، فقال لها : لو كانت البلوَى باختيارِى لفعلت ، فقالت : لقدطال إذاً تعَبُك . فقال: وما يكون ؟ أصبرُ مُكْرَها ، أما سمعت قول العباس بن الأحنف :

تعب يطولُ مع الرجاء لذى الهوى — خيرٌ له من راحةٍ فى الياسِ
لولا كَرَامَتُكُم لما عاتَبْتُكم — ولكنّمُ عندى كبعضِ الناسِ

قال : فذرفت عيناها ، واعتذرت إليه ، واصطلحا ، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه .

قال أحمد بن الفرات : كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشربُ ، وعريب حاضرةٌ عنده ، إذ غنى بعضُ من كان هناك هذا الصوت :

يا بدرُ إنك قد كُسِيتَ مشابها — من وجه ذاك المستنيرِ الواضحِ
وأراكَ تَسْمُج بالمَحاقِ وحُسْنُها — باقٍ على الأيام ليس بنازحِ

فضحكت عريب وصفقت ، وقالت : ما على وجه الأرضِ أحدٌ يعرف خبرَ هذا الصوتِ غيرى ، فلم يقدر أحدٌ منا على مسألَتِها غيرى ، فسألتها فقالت : أنا أخبركم بالقصة ، ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم . إن أبا مُحَلِّم قَدِمَ بغداد ،

فنزل بقرب دار صالح المسكين ، فى خان هناك ، فاطَّلعت يوما أم محمدٍ بنت صالح فرأته يبول ، فأعجبها أيرُه ، وأحبت مواصلَتَه ، فجعلت لذلك عِلّة بأن وجهت [إليه] تقترض منه مالا ، وتُعْلِمه بأنها فى ضِيقَة ، وأنها تردُّه [إليه] بعد جُمْعَة ، فبعث إليها عشرةَ آلاف درهم ، وحلف أنه لو ملك أكثر منها لبعث به ، فاستحسنت ذلك فواصلته ، وجعلت القرضَ سببا للوُصلة ، وكانت تُدْخِله إليها ليلا ، وكنت أنا أغنى لهما ليلة فشربنا فى القمر ، وجعل أبو محلم ينظر إليها ثم دعا بدواة وكتب :

يابدر إنك قد كُسيتَ مُشابها   من وجه أم محمدِ ابنةِ صالح

والبيت الآخر . . .

وقال لى : غنى فيه ، فغنيت فاستحسناه ، وشربنا عليه فقالت أم محمد فى آخر المجلس : ياأختى إنك قد غنيتِ فى هذا الشعر وهو سيبقَى علىّ فضيحةً إلى آخر الدهر ، فقال أبو محلم أنا أغيره ، تُغَنِّى مكانَ : أمِّ محمد ، ابنة صالح [من وجه ذاك المستنير الواضح] .

فغنيتُه كما غيَّرَه ، وأخذه الناس عنى ، ولو كانت أم محمد باقيةً لما أخبرتكم الخبر .

وأبو مُحلِّم هو النسابةُ ، واسمه عَوْفُ بن محلم .

كتبت عريبُ إلى محمد بن حامد تستزيره ، فكتب إليها :

إنى أخاف على نفسى ، فكتبت إليه :

إذا كنت تحْذَرُ ما تَحْذرُ   وتزعمُ أنــك لا تَجْسرُ

فــالى أقيم على صَبْوَتى   ويــومُ لقائِك لا يُقــدرُ

فصار إليها من وقته .

عبد الله بن الحسن بن الحسن[1]

ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

كنيته أبو محمد ، وأم عبد الله بن الحسن فاطمةُ بنتُ الحسين بن على ، وأمها أم إسحاقَ بنتُ طلحة بن عبيد الله ، وأمها الجرباء بنتُ قَسامَة بن رومان من طَيِّئ ، وسُميت الجرباء لحُسْنِها ، وكانت لا تقفُ إلى جانبها امرأةٌ ، وإن كانت جميلةً إلا استُقْبِحَ منظرُها لجمالها ، فكان النساء يتحامَيْن أن يَقِفْن إلى جانبها ، فسميت الجرباء بالناقة الجرباء التى يتوقَّاها الإبلُ مخافة أن تُعْدِيها .

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش ، وأسوئهن خُلُقاً .

ويقال : إن نساء بنى تميم كانت لهن حُظوةٌ عند أزواجهن على سوء أخلاقهن .

ورُوِى أن أمَّ إسحاق كانت ربما حَمَلَتْ وولدتْ ، وهى لا تكلم زوجَها ، وكانت أمُّ إسحاقَ عند الحسن بن على قبلَ أخيه الحسين ، فلما حضرتْه الوفاة دعا بالحسين ، فقال له : يا أخى ، إنى أرضى هذه المرأة [لك] فلا تَخْرُجَنَّ من بيوتكم فإذا انقضتْ عدتُها فتزوجْها .

فلما توفى الحسنُ تزوجها الحسين ، وهى كانت ولدت من الحسن ابنه طلحةَ بن الحسين . فهو أخو فاطمةَ وابنُ عمها .

وقد دَرَجَ طلحةُ ولا عَقِبَ له[2] .

---

(١) الأغانى ١٨ : ٢٠٣ م.ز.ب ٧ / ١٣٣ .

(٢) فى الأصل : روج ولاحفت له والتصويب عن الأغانى .

ومن ظريف أخبار النساء التميميات فى حظوتهن وسوء أخلاقهن أن أمّ سلمةَ بنت محمد بن طلحة كانت عند عبد الله بن الحسن ، فكانت تقسو عليه وتُغْلِظ عليه ويَفْرَق منها ولا يخالفها ، فرأى منها يوما طيبَ نَفْس فأراد أن يشكو إليها قسوتها . فقال لها : يابنت محمد قد أحْرقَ والله قلبى . فحدّدَتْ إليه النظر ، وجمعت وجهها فقطع كلامَه . فقالت : أحْرَقَ قلبَكَ ماذا ؟ فخافها ، ولم يُقدِم على أن يقول : سوء خُلُقِك ، فقال : حبُّ أبى بكر الصديق ، فأمسكت عنه .

وتزوج الحسنُ بنُ الحسن فاطمةَ بنتَ الحسين ، فى حياة عمه ، وهو زوَّجه إياها ، لأنه خَطَبَ إلى عمه الحسين ، وسأله أن يزَوِّجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين : اختر يا بُنَىّ أحبَّهما إليك ، فاستحيا الحسن ولم يُحِرْ جوابا ، فقال له الحسين : إنى قد اخترت لك فاطمةَ ، فهى أكثرهما شبهاً بأمى فاطمةَ بنتِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ويقال إنه لما خيَّره اختار فاطمة ، فكانوا يقولون : إن امرأة سكينة مردودتها[1] لمنقطعة القرين فى الجمال .

لما حضرت الحسنَ بنَ الحسن الوفاةُ جَزِعَ ، وجعل يقول : إنى لأجد كَرْبا ليس منه كَرْبُ الموت ، فقال بعض أهله : ما هذا الجزع ؟ تقدمُ على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو جدُّك وعلى عَلِىّ والحسنِ والحسينِ وهم آباؤك ، قال : لعَمْرِى إن الأمرَ كذلك ، ولكنى كأنى بعبد الله بن عَمْرو بن عثمان حين أموتُ قد جاء فى مضرجتين أو مُمَصَّرَتَيْن وقد رَجّلَ جُمّتَه ، ويقول : أنا من بنى عبدمناف ، جئت لأشهد ابن عَمِّى[2] ، وما به إلا أن يَخْطُب فاطمةَ بنت الحسين فإذا جاء

---

(١) فى الأصل : (أمر مهى مردو لهما) وما صوبناه عن الأغانى .

(٢) فى الأصل : لا أشهد أن عمى والصواب عن الأغانى .

فلا يدخلْ عليّ ، فصاحت به فاطمة : أتسمع ؟ قال : نعم . قالت : كلُّ مملوكٍ لى حُرّ وكل مالٍ لى صدقة إن تزوجتُ بعدكَ أحداً أبدا . قال : فسكن الحسنُ فما تنفسَ ولا تحركَ ، حتى قَضَى ، فلما ارتفع الصياحُ أقبل عبدُ الله على الصِّفة التى ذكرهَا الحسن ، فقال بعض القوم : يدخل ، وقال بعض القوم : لا يدخل ، فقال قوم : ما يَضُرّ من دُخوله ، فدخل وفاطمةُ تَصُكّ وجهها ، فأرسل إليها وَصيفاً معه ، فجاء يتخطّى الناس حتى دنا منها ، فقال : يقول لك مولاى : أبْقِى على وجْهِكِ فإن لنا فيه أرَباً ، فأرسلت يَدَها فى كُمِّها واخْتَمَتْ فعُرِفَ ذلك منها فما لطَمَتْ حتى دُفِن ، فلما انقضتْ عدتُها خطبَها . قالت : كيف لى بنَذْرِى ويمينى ؟ فقال : نُخْلِفُ عليك بكل عبدٍ عَبْدَيْن وبكل شىء شيئين ، ففعل وتزوجته .

وقيل إنه لما خطبها أبَتْ فحلَفَتْ عليها أمُّها أن تتزوجَه ، وقامت فى الشمس ، وآلت لا تبرحُ حتى تتزوجَه ، وكرهت فاطمةُ أن تُحْرِجَ أمَّها فتزوجته .

وكان عبدُ الله بن الحسنِ بن الحسنِ شيخَ أهلِه ، وسيداً من ساداتهم ، مقدّما فيهم ؛ علما وفضلا وكرما .

وحبسه أبو جعفر المنصورُ فى الهاشمية بالكوفة ، لما خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيم ، فمات فى الحبس وقيل: سقط عليه وقيل غير ذلك .

وكان يقال : مَن أحسن الناس ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن . ويقال : من أفضل الناس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن .

وكان يقول : أنا أقربُ الناس إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولدنى مرتين[1] .

وهو أول من اجتمع له ولادةُ الحسن والحسين ، رضوان الله عليهما .

---

(١) وفى الأغانى : ولدتنى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وكان مكتسبا نوراً من قَرْنِه إلى قَرْنِه .

وقال مصعب الزبيرى : انتهى الحُسْنُ إلى عبدِ الله بن الحَسَنِ .

لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار ، الذى يُدْعى رصافةَ أبى العباس، قال لعبد الله ابن الحسن : ادخل فانظر ، فدخل معه ، فلما رآه تمثل:

ألم ترَ حَوْشَباً يبنى قصورا ليبـــقى نفعُها لبنى نُفَيْـله
يُؤَمِّل أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نوح وأمرُ الله يحدثُ كُلَّ لَيْلَهْ

كان أبو العباس قد كتب إلى عبد الله بن الحسن فى تغييب ابنيه ، فاحتمله أبو العباس ولم يبليه بهما :

أُريد حياتَه ويريدُ قتـــلى عَذيرَكَ من خليلك من مراد

فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود ، مولى أبى حسين ، فأجاب عنها فقال :

وكيف يريد ذاك وأنت منــه وزندُكَ حـين يُقدَحُ فى زناد
وكيف يريد ذاك وأنت منــه بمنزِلَةَ النِّياطِ من الفُؤاد
وكيف يريد ذاك وأنت منــه وأنت لهـــاشم رأسٌ وهادِ

قال عبد الله بن الحسن : بينا أنا فى سَمَرِ أبى العباس ، وكان إذا تثاءبَ ، أو ألقَى المروحةَ من يده قمنا ، فألقاها ليلة . فقمنا على الرسم ، فأمسكَنِى ولم يُبْقِ غيرى ، فأدخل يده تحت فراشه ، فأخرج إضبارة كُتُبٍ وقال : اقرأ يا أبا محمد . فإذا كتاب محمدٍ ابنى إلى هشام بن عمرو التغلبى ، يدعوه إلى نَفْسه ، فلما قرأته قلت : ياأمير المؤمنين عهد الله وميثاقُه ألا ترى منهما شيئاً تكرَهُه ما كانا فى الدنيا .

قال عُقْبَةُ بن سَلَمَة : دعانى أبو جعفر فسألنى عن اسمى ونسبى . فقلت له : أنا عقبة بن سَلَمَة بن رافع . قال : إنى لأرى الرهبة ، وإنى أُريدُك لأمر أنا مَعْنِىٌّ به . قلت : أرجو أن أصدقَ ظنك يا أمير المؤمنين . قال : فأَخْفِ شخصَك ، وأْتنى

فى يوم كذا ، فأتيته ، فقال : إن بنى عمِّنا قد أبوا إلا كَيداً لملكنا ، ولهم شيعة بخراسان ، بقرية كذا وكذا ، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات وألطاف ، فاخْرُجْ بكتبى وأَلْطَافِى حتى تأتيهم متنكرا ، بكتاب أكتبه عن أهل القرية ، ثم تسير إلى ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمتَ ذلك ، وإلا كنتَ على حذرٍ منهم ، حتى تلقى عبدَ الله بن الحسن متنتجعا ، فإن جَبَهَك ، وهو فاعل ، فاصبرْ وعاودْه أبداً حتى يأمَنَك[1] ، فإذا أظهر لك ما فى قلبه فاْعجِلْ إلىّ . ففعل ذلك ، وتردد إليه ، وخيبه عبدُ الله بن حسن ، فلم يزل به حتى أنسَ به ، فقال عُقْبَة : الجواب ، فقال: أما الكتابُ فإنى لا أكتُبه ولكن أنتَ كتابى إليهم ، فأقرِئْهم السلام ، وعرفهم أن ابنِى خارجٌ لوقتِ كذا وكذا ، فقدم عقبةُ على أبى جعفر وأخبره الخبر ، فلما حج أبو جعفر جلسَ يتغدى بأوطاس[2] ، ومعه على المائدة عبدُ الله بن الحسن ، وجماعة من بنى العباس ، فأقبل على عبدِ الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، محمدٌ وإبراهيمُ قد استوحشا من ناحيتى ، وإنى لأحب أن يأنسانى ويأتيانى ، وأصلهُما وأزوجُهما وأخلِطهما بنفسى ، قال ، وعبدُ الله مطرق طويلا ، ويقول : والله يا أمير المؤمنين ؛ مالى بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، وقد خرجا عن يدى ؛ فيقول : لا تفعل ، يا أبا محمد ، فاكتب إليهما وإلى من يُوَصِّل كتابك إليهما ، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضِعَهما ، وأبو جعفر يكرر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، وكان أبو جعفر قد قال لعُقْبَةَ بن سَلَمة : إذا فرغنا من الطعام ولَحَظْتُكَ فامْثُلْ بين يدى عبدِ الله فإنه سيصرفُ عنك بَصَرَه فدُرْ حتّى تَغْمِز ظَهْرَه بإبهامِ رجلِك ، حتى يملأ عَينَه منك ، ثم حَسْبُك . وإياكَ إياكَ أن يراك ما دام يأكل ، ففعل

---

(١) يأنس بك (أغانى) .

(٢) أوطاس واد بديار هوازن (مراصد) .

عقبةُ ذلك ، فلما رآه عبد الله وثبَ حتى جَثَا بين يدى أبى جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين أقِلْنى أقالَك الله ، قال : لا أقالنى الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه .

وقيل : إنه لما سأل عبدَ الله عن ابنيه قال : لاعلم لى بهما ، حتى تغالظا ، فأمضّه[١] أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأى أمهاتى تُمِضُّنى[١] ؟ بخديجةَ بنت خويلد ، أم بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمةَ بنت الحسين ، أم بأُمِّ إسحاق بنت طلحة ؟ فقال : ولا بواحدة منهن[٢] ، ولكن بالجرباء بنت قسامة ، فوثب المسيب بن زهير فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنى أضربْ عُنُقَ ابن الفاعلة ، فقام زياد بنُ عبد الله ، فألقى عليه رداءه وقال : يا أمير المؤمنين هبْه لى ، فأنا أستخرج ابنَيه ، فنجا منه .

وكان حج أبى جعفر فى سنة أربعين ومائة .

وتوفى عبدُ الله فى مَحْبِسه ، بالهاشمية فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وسِنُّ عبدُ الله إذ ذاك خمسٌ وسبعون سنة .

ومن شعر عبد الله بن الحسن قوله :

يا هندُ إنــك لو علمتِ ... بعاذِلَــيْن تتابعا
قالا فلم يُسْمَعْ لمــا ... قالا فقلتُ بــل اسمعا
هنــدٌ أحبُّ إلىَّ من ... أهــلى ومالى أجمعـا[٣]
فلقد عَصَيْتُ عــوازلا ... وأطعت قلبــا موجعا

وهندُ هذه التى عناها زوجَتُه ، هندُ بنت أبى عُبَيْدَة بن عبد الله بن زمعة[٤] ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى .

(١) أمضه الأمر : أوجعه وشق عليه .
(٢) فى الأصل : (ولا وابوك جده محهدن) وما نقلناه عن الأغانى .
(٣) مالى وروحى فارجعا (أغانى) .
(٤) فى الأصل ربيعة ، والتصويب عن الأغانى . وجمهرة الأنساب ١١٠ .

وكان أبو عبيدة جواداً سيداً مُمَدَّحاً .

وأم هند قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب .

وكانت هند قبل عبدِ الله بن الحسن تحتَ عبدِ الله بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فمات عنها . وكان عبدُ الملك زَوَّجَ ولدَه عبدَ الله هذا هندا هذه ، وريطةُ بنتُ عبدِ الله بن عبدِ المُدَان لمـا كان يقال إنه كائن فى أولادها فمات عبدُ الله عن هند أو طلَّقها ، فتزوجَ هندا عبدُ الله بن الحسن بن الحسن وتزوج رَيْطَةَ محمدُ بن على فجاءتْ بأبى العباس السفاح . وكانت هندٌ قد ورِثَت من عبد الله بن عبد الملك مالا ، فقال عبد الله بن الحسن لأمه فاطمة : اخطُبى علىّ هنداً فقالت : إذًا تَرُدُّك ، أتطمع فى هند ، وقد ورثت من عبـد الله ما ورثته ، وأنت ترب لا مال لك[1] فتركها ومضى إلى أبى عبيدة أبى [هند] فخطبها إليه ، فقال : فى الرحبِ والسَّعَة أما مِنِّى فقد زوَّجتُك ، ومكانَك لا تبْرَح ، ودخل على هِند فقال لها : يا بُنَيَّة هذا عبدُ الله ابن الحسن قد أتاكِ خاطبا ، فقالت : فما قلت له ؟ قال : زوَّجتُه . فقالت : أحسنْتَ قد أجزتُ ما صنعت ، وأرسلت إلى عبـد الله : لا تَبْرَح حتى تَدْخُل إلى أهلِك ، ونَشَرَتْ له قِبابا فبات مُعَرِّسا بها فى ليلته ، ولا تشعر أمه ، فأقام سبعاً ثم أصبح يوم سابعه غاديا على أمه ، عليه رَدْع الطيبِ وهو فى غير ثيابه التى تعرف . فقالت : يا بُنَىّ أمر بك[2] قال : من عند التى زعمتِ أنها تردنى ولا تريدنى .

ومن شعره فيها :

إن عينى تعودت كُحْل هند   جمعت كفُّها مع الرفق لينا

---

(١) وفى الأصل (وأنت لا مال ترث إلى) .

(٢) يابنى : من أين لك هذا ؟ (أغانى) .

علقمة الفحل[1]

هو علقمةُ بن عَبْدةَ بنِ النعمان بن ناشرة[2] بن قيس بن عبد الله بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وكان زيدُ مناة بنِ تميم ، هو ، وبكر بن وائل لِدةً فى عصرٍ واحد ، فوفدا على بعض الملوك .

وكان زيد مناة شرهاً حسودا . وكان بكرُ بنِ وائل خبيثاً داهية؛ فخاف زيدُ مناةَ أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقلّ معها حظه ، فقال له : يا بكر لا تلقَ الملكَ بثياب سفرك ، ولـكن تأهب للقائه ، وادخل إليه فى أحسن هيئة. ففعل بكرٌ ذلك ، وسبقه زيدُ مناة إلى الملك . فسأله عن بكر ؟ فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدر[3] لهن ، وقد حدّث نفسه بالتصدر[3] لبنت الملك ؟ فغاظه ذلك ؛ ونُمِيَ الخبرُ إلى بكر ابن وائل ؛ فدخل على الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ؛ فصدقه واعتذر إليه .

فلما كان من غد اجتمعا عند الملك [فقال الملك لزيد مناة : ما تحب أن أفعل بك ؟ فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلت بى مثليه][4] ـ وكان بكر أعور العين اليمنى ، أصابه ماء فذهبت . فـكان لا يعلمُ من رآه أنه أعورُ وأقبل على بكر بن وائل فقال له: ما تحبّ أن يُفعل بك يا بكرُ؟ فقال : تفقأُ عينى [اليمنى] فتُضْعِفُ لزيد مناة ؛ فأمر بعينه اليمنى ففُقِئت ، وأمر بعينى زيدمناة ففقئتا ؟ فخرج بكرٌ وهو أعورُ بحاله ، وخرج زيدُ مناة وهو أعمى .

---

(١) الأغانى ٢١ / ١١١ ـ تجريد ٢١٧٦ مهذب ٢/١٧٤ .

(٢) فى الأصل : (ياسره) والتصويب عن الأغانى وجمهرة الأنساب .

(٣) (والتعرض) أغانى .

(٤) ما بين القوسين عن الأغانى وبه يتسق الحديث .

وسُمِّى علقمةَ الفحل ـ لأنه خَلَفَ على امرأةِ امرئ القيس لما حَكَمَتْ له على امرئ القيس بأنه أشعرُ منه فى صِفَةِ فرسه ؟ فطلَّقها ؛ فخلفه عليها . وما زالت العرب تسميه بذلك .

قال حماد الراوية : كانت العرب تَعْرِض شعرها على قريش ؛ فما قَبِلوا منه كان مقبولا ، وماردّوا منه كان مردودا ؛ فقدم عليهم علقمةُ الفحل فأنشدهم قصيدته :

هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ … أم حبْلُها أن نأتْك اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذه سِمْطُ الدهر .

ثم عاد عليهم فى العام المقبل فأنشدهم :

طحابكَ قلبٌ فى الحسان طروبُ … بُعَيْدَ الشباب عصرَ حان مَشيبُ

قالوا : هاتان سِمْطا الدهر .

كانت تحت امرئ القيس امرأةٌ من طَيِّئٍ يقال لها : أمّ جُنْدب ، تزوجها حين حاور فيها ؛ فقَدم عليهم علقمةُ بن عَبدة التّميمى . فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ؛ فتحا كما إليها . فأنشد امرؤ القيس قوله :

خليلىّ مُرّا بى على أمِّ جنــدب … ... ...

حتى انتهى إلى قوله :

فللســـاق أُلهوبٌ وللسوط درّةٌ … وللزجر منه وَقْـعُ أهوجَ مُنْعِبِ

وأنشدها علقمة قوله :

ذهبتَ من الهجران فى غير مذهب … ... ...

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركَ[1] منه ثانيا من عِنانِه … يمـــرّ كمرِّ الرائح المُتَحَلِّبِ

---

(١) فأدركهن ثانيا . . . يمر كغيث رائح متحلب (أغانى) .

فقالت له : علقمة أشعرُ منك . قال : وكيف؟

قالت : لأنك زجرتَ فرسك وحرّكْتَه بساقك وضَرَبْته بسوطك ، وأنه جاء هذا الصيد ثم أدركه ثانيا من عنانه .

فغضب امرؤ [القيس] وقال : ليس كما قلتِ ، ولكنكِ هَوِيتِه ، فطلَّقَها ، فتزوجها علقمةُ الفحل .

تحاكم علقمةُ بن عبدة التميمى والزبرقانُ بنُ بدر والمخبل السعدى وعمر [بن] الأهتم إلى ربيعة بن حُذَار(١) الأسدى ، فقال :

ـ أمّا أنت يازبرقانُ فإن شِعْرك كلحمٍ لا ينضجُ فيؤكل ، ولا يُتركُ نِيئا فينتفع به .

ـ وأما أنت يا عمرو ، فإن شِعرك كَبُرْدِ حِبَرَة ، يتلألأ فى البَصَرِ وكلما أعَدْتَه نَقَص .

ـ وأما أنت يا مخبَّلُ فإنك قصَّرْتَ عن الجاهلية ، ولم تُدرك الإسلام .

ـ وأما أنت ياعلقمة ، فشِعْرُك كمزَادَةٍ قد أُحْكِم خَرْزُها فليس يقطر منها شىء .

مرّ رجلٌ من مُزينَة على باب رجل من الأنصار ، وكان يُتَّهمُ بامرأته ؛ فلما حاذَى بابه تنفّس يتمثل :

هل ما علِمْت وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبْلُها أن نأتْك اليوم مصرومُ

فتعلّق به الرجل ورفعه إلى عمر(٢) ، فاستعداه عليه . فقال له المتمثل : وما علىّ أن أنشدتُ بيت شعر ؟ فقال له عمر : ما لك لم تُنْشِدْه قبل أن تبلغَ إلى بابه ؟ ولكنك عرّضْتَ به مع ما تَعْلَمُ من القالة(٣) فيك ؟ ثم أمر به فضُرِب عشرين سوطا .

---

(١) فى الأصل : جدار والتصويب عن القاموس .

(٢) فى الأصل : عمرو والمراد عمر بن الخطاب (ض)

(٣) فى الأصل : ا ـ ب (السالة) والتصحيح عن الأغانى .

عمر أبو حفص الشطرنجى (١)

هو عمرُ بن عبد العزيز ، مولى بنى العباس .

وكان أبوه من موالى المنصور ، وكان اسمُه اسما أعجميا ؛ فلما نشأ أبو حفص وتأدب(٢) غيّرَه وسماه عبدَ العزيز .

ونشأ أبو حفص فى دار المهدى ، مع أولاد مواليه ، وكان كأحدهم فتأدب ، وكان لاعبا بالشِّطْرِنج مشغوفا به ، فلُقِّب به لغلبته عليه .

ولما مات المهدى انقطع إلى عُلَيّة ، وخرج معها لما زُوِّجَت وعاد معها لما عادت إلى القصر . وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبنى إخوتها من الخلفاء ، فتَنْتَحِلُ بعضَ ذلك وتتركُ بعضه . ومما ينسب إليها من شعره :

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيــةُ الحبِّ ... وكم من بعيدِ الدارِ مستوجبُ القرْبِ

إذا لم يكن فى الحبِّ عَتْبٌ ولا رضاً ... فأين حلاواتُ الرسائل والكُتْبِ

تَفَكَّر فإن حُدِّثْتَ أن أخا الهوى ... نجا سالما فارْجُ النجاةَ من الحبِّ

وأطيبُ أيام الهوى يومُك الذى ... تُرَوَّعُ بالتحريشِ فيــه وبالعَتْبِ

قال محمد بن الجهم البرمكي : رأيت أبا حفص الشطرنجيَّ الشاعرَ ، فرأيت فيه إنساناً يُلْهيك حضورُه عن كل غائب ، وتُسْليك مجالسَتُه همومَ المصائبِ ، قُرْبُه عُرْسٌ ، وحديثُه أُنسٌ ، جِدُّه لَعِبٌ ، ولعبه جِدٌّ [خليعٌ ماجنٌ دَيِّنٌ](٣) إن لبسْتَه على ظاهره لبستَ منه مَوْصُوفاً لا تَمَلُّه ، وإن تتبَّعته لتنظر خَبَرَه وقعتَ(٤) على مروءةٍ

---

(١) أغانى ١٩ : ٦٩ .

(٢) فى الأصل : وقارب والتصويب عن الأغانى .

(٣) فى الأغانى (دين ماجد إن لبسته على ظاهره لبست موموقا لا تمله) .

(٤) فى الأغانى : لتستبطن خبرته وقفت .

ظاهرة ، لا تطير الفواحشُ بجوانبها . وكان ما عَلِمتُه أقلُّ ما فيه الشعر .

ومن شعره :

عَـــرِّضَنْ للذى تُحِبُّ بحبٍّ ثم دعــه يروضــه إبليس
فلعل الزمــانَ يُدْنيـــك منه إن هذا الهوى جليـلٌ نفيسُ
صابر الحب لا يَغُرَّنْك فيـــه من حبيب تحشُّمٌ وعبوسُ
وأَقِلَّ اللجاجَ واْصبرْ على الجهـ ـد فإن الهوى نعيمٌ وبوسُ

قال الأصمعي : ما رأيت قطُّ أثراً لنبيذ فى وجه الرشيد إلّا مرة واحدة ؛ فإنى دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجى ، فرأيت السُّكْرَ فى وجهه ، فقال لنا : من أصاب مافى نفسي فله عشرة آلاف درهم ؛ قال : فأشفقت ومنَعَتْنى هيبتُه . فقال أبو حفص :

كلما دارت الزجاجةُ زادَتْه اشتياقا وحُرْقَةً ونـكالا

فقال : أحسنت ، لك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالت الهيبة عنى فقلت :

لم بتلك البرْحاء أن تحضريني وتجافت أمْنِيَّتِى عن سواكِ

فقال : لله درُّك ، لك عشرون ألفا .

قال : وأطرق رأسه مَلِيّا ثم رفع وقال لنا : والله استق منكما ثم قال :

فتمنيتُ أن يُغَشِّيَنِى اللـ ـهُ نُعاسا لعل عينى تراكِ

كان الرشيد يحب ماردةَ جاريتَه ، وكان خَلَّفَهابالرَّقّة ، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها فـكتب إليها :

ســـلام على النازح المُغْــتَرِبْ تحيـــةَ صبٍّ به مُـكْتَئِبْ
غزالٌ مراتعــه بالبَلِيـــخِ[1] إلى دَيْرِ زَكَّى[2] فقَصرِ الخَشَبْ

---

(١) البليخ : اسم نهر بالرقة .

(٢) دير بالرها — وقيل هو بالرقة قريب من الفرات (مراصد) .

أيَا من أعان على نَفْسِه بتخليفه طائعا من أَحَبْ
سأستر والسِّتْرُ من شيمتى هوى من أُحِبّ بمن لا أحِبْ

فلما ورد كتابُه إليها أمرت أبا حفص فأجاب عنها الرشيد بهذه الأبيات :

أتانى كتـابُك يا سيـدى وفيه العجائبُ كلُّ العجَبْ
أتزعمُ أنك لى عاشـقٌ وأنك بى مستهـامٌ وصَبّْ
فلو كان هـذا كذا لم يكن لتتركَنِى نُهْزَةً للـكُرَبْ
وأنت ببغدادَ ترعى بهـا نباتَ اللذاذةِ معْ من تُحِبّْ
فيا من جفانى ولم أَجْفُه ويامن شجانى بما فى الـكُتُبْ
كتابك قد زادنى صَبْوةً وأسْعرَ قلبى بِحَرّ اللَّهَبْ
فهَبْنى ، نعم ، قد كتمتُ الهوى فـكيف بكتمان دَمْعٍ سَرِبْ
ولولا اتقـاؤك(١) يا سيدى لوافتك بى الناجياتُ النُّجُبْ

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ خادما على البريد حتى حَدَرَها إلى بغداد فى الفرات ، وأمر المغنين فغنَّوْا بهذا الشعر .

دخل أبو حفص الشطرنجيُّ علَى يحيى بنِ خالد ، وعندَه ابنُ جامع ، وهو يُلقِّى على دنانيرَ صوتا ، أمره يحيى بإلقائه عليها ، فقال لأبى حفص : قل فى دنانيرَ بيْتين يُغَنِّى بهما ابنُ جامع ، ولك بكل بيت مائةُ دينار ــ إن جاءا كما أريد . فقال أبو حفص :

أشْبَهَكِ المسكُ وأشْبَهْته قائمةً فى لونه قاعِدَهْ
لا شك إذ لونُـكُما واحدٌ أنـكما من طينةٍ واحدهْ

فأمر له يحيى بمائتى دينار ، وغنى فيهما ابن جامع.

---

(١) فى الأصل بقاؤك

غضب الرشيد على عُلَيّة فأمرت أبا حفص شاعرَها أن يقول شعرا يعتذرُ عنها ويسألُه الرضا عنها . فقال :

لو كان يمنع حسنُ العقلِ صاحبَه ... من أن يكون له ذنبٌ إلى أحَدِ
كانت عُلَيَّةُ أبْرَا الناس كلِّهمُ ... من أن تُكافَا بسوء آخرَ الأبدِ
مالى إذا غبتُ لم أُذكر بواحدة ... وإن سَقِمْت وطال السُّقْم لم أُعَدِ
ما أصعبَ[1] الشيء ترجوه فتُحْرَمه ... قد كنتُ أحسبُ أنى قد ملأتُ يدى

فغنت بهم ، وألقت الغناء على جماعةِ جوارى الرشيد ، فغنَّيْنَه إياه فى أول مجلس ، فبعث إليها فحضرت وقبلت رأسه واعتذرت فقبل عُذْرَها ، وسألها إعادة الصوت ، فأعادته ، فبكى ، وقال : لا ، حسبه — أى : لا غضبتُ عليك أبدا ما عشت .

قال أبو حفص الشطرنجىّ : قال لى الرشيد يوما : ياحبيبى لقد أحسنتَ ما شئتَ فى بيتين قلتهما . قلت : وما هما يا سيدى ؟ فمن شرفهما استحسانك لهما ؛ قال : هما قولك :

لم ألق ذا شَجْوٍ يبوحُ بشَجْوه[2] ... إلا حسِبْتُك ذلك المحبوبا
حذراً عليك وإننى بك واثقٌ ... ألّا يَنَالَ سواى منك نصيباً

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليسا لِى ، بل هما للعباس بن الأحنف . فقال : صدَقْتَ ، والله ، أعْجَبُ إلىّ وأحسنُ منهما حيث تقول :

إذا سرها أمرٌ وفيه مساءتى ... قضيت لها فيما تريد عَلَى نَفْسِى
وما مر يومٌ أرتجى فيه راحةً ... فأذْكُرُه إلا بكيتُ على أمسى

---

(١) ما أعجب .
(٢) لم ألق ذا شجن يبوح بحبه (أغانى ١٩ : ٧٢).

قال عبدُ الله بن الفضل : دخلت على أبى حفصٍ الشطرنجىِّ أَعُودُه فى عِلّته التى مات فيها ؛ فجلست عنده ، فأنشدنى لنفسه :

نعى لك ظلَّ الشبابِ المشيبُ وناداك باسمِ سواك الخطوبُ
فكن مستعداً لداء الفَنَاء فإن الذى هو آتٍ قريبُ
ألست[1] ترى شهوات النفوسِ تفْنَى وتبقَى عليها الذنوبُ
وقبلَك داوى الطبيبُ المريضَ فعاش المريض ومات الطبيبُ
يخاف على نفسه من يتوبُ فكيف ترى حالَ من لا يتوبُ

(١) ألسنا (أغانى) .

عَبيدُ بن الأبرص[1]

هو عبيد بن الأبرص بن جُشَم بن عامر[2] بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث ابن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية ـ وجعله ابنُ سَلَّام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقَرَنَ به طرفةَ وعلقمةَ بن عَبْدة وعديَّ بن زيد .

قال أبو عبيدة : اجتمعتْ بنو أسد بعد قَتْلِهم حُجْرَ بن عمرو ، أبا امرئ القيس ابن حجر ، على امرئ القيس ابنه على أن يُعْطوه ألفَ بعيرٍ ديةَ أبيه ، أو يُقِيدُوه أيَّ رجل شاء من بني أسد ، أو يمهلهم سنة ؛ قال : أما الديةُ فما ظننتُ أنكم تعرِضونها على مثلي ، وأما القود فلو قِيدَ لي ألفُ رجل من بني أسد ما رضيتهم ، ولا رأيتُهم كفؤا لحُجْر ، وأما النَّظِرَةُ فلكم ، ثم إنكم ستعرفونني في فرسان قحطان أُحْكِم ظُبا السيوفِ ، وشبا الأسنة حتى أَشْفِيَ نفسي وأنالَ ثأري ـ فقال عبيد في ذلك :

يا ذا المُخَوِّفُنا بقتـ ... ـل أبيه إذلالا وحَينا
أزعمت أنك قد قتَلْـ ... ـتَ سَرَاتَنا كَذِباً ومَيْنا
هلا على حُجْرِ بن أمْـ[3] ... ـمِ قطام تبكي لا علينا
إنَّا إذا عضَّ الثقا ... فُ برأس صَعْدَتِنا لوَيْنا
نحمي حقيقتَنا وبعـ ... ـض الناس يَسْقُط بينَ بَيْنا

(١) أغاني ١٩ : ٨٤ مهذب ٢/٢٠٣ .
(٢) ابن حزم (جمهرة الأنساب) .
(٣) في الأصل: قحطان ا ـ ب .

هلّا سألتَ جموع كنـ ـدةَ يوم ولّوْا أين أينا
أيام نَضرِبُ هامَهم ببواترٍ حتى انْحَنَيْنا
وجميعُ غسانَ الملو كَ أتيتهُم وقد انطوَيْنا
نُحْفاً[1] أياطِلُهُنّ قد لاقَيْن أسفاراً وأَيْنا
نحن الأُلَى فاجمَعْ جمو عَك ثم وجِّهْهُم إلَيْنا
واعلم بأن جيادَنا آلَيْنَ لا يَقْضِين دَيْنا
ولقد أبحْنا ما حَمَيْـ تَ ولا مُبيحَ لما حَمَيْنا
هذا ولو قَدَرَتْ عليـ ـك رماحُ قومى ما انتَهَيْنا
حتى تنوشك نوشة[2] عاداتُهن إذا انقوينا
نُغْلِى السِّباء بكلِّ عا تقةٍ شَمولٍ ما صَحَوْنا
ونُهينُ فى لذّاتنا . عُظْمَ التلادِ إذا انتَشَيْنا
لا يُدرِكُ البانى أن يرفع دعائم ما بنينا[3]
كم من رئيس قد قتلـ ـناهُ وضَيْمٍ قد أَبَيْنا
ولرُبَّ سيِّد مَعْشَرٍ ضَخْمِ الدسيعةِ قد رَمَيْنا
عقبانُه بظِلالِ عِقْـ ـبانٍ تيَمَمُ من نوَيْنا
ولقد تركنا شِلْوَه جَزَرَ السباعِ وقد مَضَيْنا
إنّا لعمرُك ما يضا مُ حليفُنا أبداً لدَيْنا
وأوانسٌ مثلُ الدُّمَى حورُ العيونِ قد استَبَيْنا

---

(١) فى المهذب (لحقا) أى قد لحقت الخواصر بالأصلاب. والأين : الإعياء .
(٢) فى الأصل : يبوسك بؤسه . وهذه عن الأغانى .
(٣) رواية المهذب : لا يبلغ البانى ولو رفع الدعائم ما بيننا

كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادَمَه رجلان من بنى أسد ؛ أحدهما خالدُ بن المضَلّل ، والآخر عمرُو بن مسعود بن كَلَدَةَ ، فأغضباه فى بعض المنطق ، فأمر بأن يُحْفَر لكل واحدٍ حُفْرةٌ فى ظهر الحِيرَةِ ، ثم يجعلان فى تابوتَيْن ويُدفنان فى الحفرتين ، ففُعِل ذلك بهما ، حتى إذا هو أصبح سأل عنهما ، فأُخبر بهلاكهما فندِمَ على ذلك وهمّه ، وفيهما يقول شاعرُ بنى أسد :

يا قبرُ بين قبور[1] آل مُحَرِّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أما البكاء فقَلَّ عنك كثيرُهُ ولئن بكيت فبالبكاء خليقُ

ثم ركب المنذرُ حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيَّيْنِ[2] عليهما ، فبُنِيا وجعل لنفْسِه يومين من السنة ، يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن سمى أحدَها يومَ نعيمٍ والآخرَ يومَ بؤس . فأولُ من يطلعُ عليه يومَ نعيمه يعطيه مائةً من الإبل سوداءَ ، وأول من يطلعُ عليه يومَ بُؤْسِه يعطيه رأس ظَرِبان أسود[3] ، ثم يأمُر به فيُذْبح ويُغرَى بدمه الغَرِيَّان . فلبث بذلك بُرْهةً من دَهْرِه .

ثم إن عبيدَ بن الأبرص كان أول من أشرفَ عليه يومَ بؤسِه . فقال : هلّا كان الذبح لغيرك يا عبيد ؟ فقال : أتتك بحائنٍ رِجْلاه . فأرسلها مثلا . فقال له المنذر : أوْ أَجَلٌ بلَغَ مداه .

ثم قال المنذر : أنشدنى ، فقد كان شِعْرُك يُعجبنى . فقال : حال الجريضُ دون القَريض ، وبلَغَ الحزامُ الطُّبْيَيْن . فأرسلها مثلا . وقال له بعض القوم : هبلتك أمُّك ، أنشد الملك . فقال : وما قولُ قائلٍ مقتول ؟ فأرسلها مثلا .

---

(١) فى الأصل : تقرأ يافير ويفور .

(٢) الغريان مثنى غرى وهو البناء الجيد وهما بناءان مشهوران كانا قرب الحيرة .

(٣) فى الأصل : ضربان وهذا بالصواب أشبه .

وقال له آخر : ما أشد جَزَعَك من الموت ! فقال : لا يَرْحَلُ رحْلَك من ليس معك. فأرسلها مثلا . فقال المنذر : قد أَمْلَلْتَنى فأرِحْنى قبل أن آمر بك . فقال عبيد : من عَزَّ بَزَّ . فأرسلها مثلا . فقال له المنذر : أنشدنى قولك :

أقفر من أهله ملحوب ... ...

فقال :

أقفرَ من أهله عَبيــدُ والیومَ لا يُبْدِى ولا يُعِيدُ

فقال له المنذر : ويحك يا عبيد !! أنشِدْنى قبل أن أذْبَحَك . فقال عبيد : والله إن مِتُّ ما ضَرَّنى ، وإن عشت ما عشتُ فى واحدِ . فقال له المنـذر : إنه لا بدَّ من الموتِ ، ولو أن النعمانَ عرض لى فى يوم بؤسى لذبَحْتُه ، فاختر إن شئت الأَكحل ، وإن شئت الأبْجَل ، وإن شئت الوريد . فقال عبيد : ثلاث خصالٍ كسحاباتِ عادِ ، وارِدُها شرٌّ واردِ ، وحاديها شرّ حاد ، ومعادُها شرٌّ معاد ، ولا خير فيهن لمُرْتاد ، وإن كنتَ لا محالةَ قاتلى فاسقِنى الخمرَ حتى إذا ماتت مفاصلى ، وذُهِلَتْ لها ذَواهلى ، فشأنَك وما تريد . فأمر له المنذر بحاجته من النبيذ ، حتى إذا أخَذَتْ منه ، وطابت نفسه ، دعا به المنذر ليقتله فلما مثل بين يديه أنشد يقول :

وخَــيَّرَنى ذو البُؤْسِ فى يوم بؤسِه خصالا أَرَى فى كلها الموتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرَتْ عادٌ من الدهرِ مَرَّةً سحائِبَ ما فيها لذى خِيْرَةٍ أَبَقْ
سحائبُ رِيحٍ لم تُوَكَّلْ ببلدة فتترُكُها إلا كما ليــــلة الطَّلَقْ

فأمر به المنذر ففُصِد فلما مات غُرِّى بدمه الغَرِيَّان ، فلم يزل كذلك حتى مَرَّ به رجل من طيءٍ ، يقال له حنظلةُ من بنى عفراء . فقال له : أبيتَ اللعن ، إنى والله أتيتُك سائرا ، ولأهلى من خَيْرِك مائرا ، فلا تَـكن مِيرَتُك قَتْلِى . فقال له : لابد من ذلك ، فاسألنى حاجتَك أقضها لك . فقال له : تُؤَجِّلُنى سنةً أرجعُ فيها إلى أهلى وأُحْـكِمُ من أمرهم ما أُريد . ثم أصيرُ إليك فتُنْفِذ فِىَّ أمرك . فقال :

ومَن يكْفُلُك حتى تعود ، فنظر فى وجوه جُلَسائه فعرف منهم شريكَ بن عمرٍو أبا الحَوْفزانِ بنِ شَريك فأنشأ يقول :

يا شريك يا ابنَ عَمْرو ما مِنَ الموتِ مَحَالَه
يا شريك يا ابنَ عَمرو يا أخا مَنْ لا أخا له
يا أخا شيبانَ فُكَّ الـ ـيوم رَهْنا قد أنى[1] له
يا أخا كلِّ مضافٍ وحَيَا من لا حَيَا لَهْ
إنَّ شيبان قَبيلٌ أكْرَم الله رجالَه
وأبوكَ الخيرُ عمرو وشراحيلُ الحمالَه
وقبال القوم فى المَجْـ ـد وفى حسنِ المقاله

فوثب شريكٌ فقال : أبيت اللعن يَدِى بيده ، ودمى بدمه ، إن لم يعُدْ إلى أجَلِه ، فأطلقه المنذر . فلما كان من قابلٍ جلس فى مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأْتِيه فأبطأ ، فأمر بشريك فقُرِّبَ ليقتله . فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأملوه ، فإذا هو حنظلة قد طَلَع مُتَكَفِّنًا متحنطا ، معه نادبةٌ تَنْدُبه وقد قامت نادبة شَريكٍ تندُبه . فلما رآه المنذر عَجِبَ من وفائهما وكرمهما فأطلقهما ، وأبطل تلك السُّنَّة :

وعبيد القائل يخاطب حجرا أبا امرئ القيس :

أبلغ أبا كَرَبٍ عني وإخْوَتَه قولا سيذهب غَوْراً بعد إنْجادِ
لأَعْرِفَنَّك بعد الموت تَنْدُبنى وفى حياتى مازَوَّدْتنى زادى
إن أمامك يوماً أنت مدرِكُه لا حاضرٌ مفلتٌ منه ولا بادى
فانظر إلى ظِلِّ مُلْكٍ أنت تارِكُه هل تُرسين أواخيه بأوتاد
الخير يَبْقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوْعَيْت من زاد

(١) أنى : حان وقته .

قال سيف الكاتبُ : وليتُ ولايةً ، فمررت بصديقٍ لى فى بعض المنازل ، فنزلتُ به ، فنلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ فنمنا ، فانتبهتُ من نومى ، وإذا بكلبٍ قد دخل على كَلْبِ الرجل فجعل يَبَشُّ به ويسلمُ عليه ، ولا أُنْكر من ذلك منهما شيئًا — ثم جعل الكلب الداخلُ عليه يجره على طريقه وطول شعره — ثم قال له : هل عندك شيء تُطعمنيه فقال : قد بقى لهم فى موضع كذا وكذا طعامٌ ليس عليه شيء . فذهبا إليه فكنت أسمع ولوغهما فيه — ثم سأله نبيذا فقال : نعم ، لهم نبيذٌ فى إناء ليس عليه غطاء ، فذهبا إليه ، ثم شربا منه . ثم قال له هل تُطْرِبُنى بشيء ؟ قال: إى وعيْشِك ، صوتٌ كان أبو يزيد يغنيه فيُجيدُه ، ثم غناه فى شعر عبيد الأبرص :

طاف الخيال علينا ليلةَ الوادى لِآلِ أسماءَ لم يُلْمِمْ بميعاد
إنى اهتديتُ لركبٍ طال سيرهمُ فى سَبْسَبٍ بين ذكوالٍ وأعقادِ

فلم يزل يُغنيه هذا الصوتَ ويشربان مَلِيًا حتى فَنِىَ ذلك النبيذ . ثم خرج الكلب الداخلُ ، فخفت على نفسى أن أذكر ذلك لصاحبِ المنزل فأمْسَكتُ ، وما أذكر أنّى سمعتُ أحسنَ من ذلك الغناء .

عُبَيْدَةُ الطَّنبورية(١)

من المحسنات المتقدمات في الصنعة والآداب . وكانت من أحسن الناس وجها وأطيبهم صوتا .

وكانت لا تخلو من عِشق . ولم تُعرفْ قط امرأةٌ أعطر(٢) منها .

قال جحظة ــ وهب لي جعفرُ بن المأمون طنبورَ عبيدة ، فإذا عليه مكتوب بالأبنوس : « كل شيء ــ سوى الخيانةِ ــ في الُحبِّ يُحتَملُ » .

قال علي بن الهَيْثَم اليزيدي :

كان إسحاقُ بنُ إبراهيم الموصلي يألَفُني ويدعوني ، فمر بي يوماً وأنا مُشرِفٌ من جناحٍ لي ، فوقف عليَّ وقال لي : هل تَنْشَط اليوم للمصير إليَّ . فقلت : ما على وجه الأرض أحدٌ أحبُّ إلي من ذلك . ولكني أخبرك بقصتي ، ولا أكتمُ منها شيئا . فقال : : هاتها . فقلت : عندي اليوم عمرُو بن مَسْعَدة وهَارونُ بن أحمدَ بن هاشم ، وقد دعوْنا عبيدةَ الطنبورية ، وهي حاضرةٌ ، والساعةَ يجيء الرجلان ، فامض في حفظ الله ، فإني أجلسُ حتى تنتظم أمورهم وأروحُ إليك . فقال لي : هلا عرضت عليَّ المقامَ عندك ؟ فقلت : لو علمتُ أن ذلك مما تَنْشَطُ له لرغِبْنا إليك فيه . فإن تفضلتَ بذلك كان أعظم لمنَّتك . قال : افعل ، فإني كنتُ أشتهي أن أسمع عُبَيْدة ، ولكنَّ لي عليك شريطةً . فقلت : هاتها قال : إنها إن عرفتني وسألتموني أن أُغني بحَضْرتها لم يَخْفَ عليها أمري ، وانقطعت ، ولم تصنع شيئا ، فدعوها على جَهْلها . فقلت : أفعلُ ما أمرْتَ به . فنزل وردَّ دابته ، وعرّفتُ صاحبيّ ماجرى ، فكتماها أمره ، فأكلنا ما حضر وقُدِّمَ النبيذُ فغنت لحنا لها :

---

(١) الآغاني : ١٩ : ١٣٤ .

(٢) في الأصل ا ــ ب أعطس وفي الأغاني (أعطر) .

قريبٌ غــيرُ مقتربِ ومؤتلفٌ كمجتنِبِ
له وُدِّى ولى منــه دواعى الهمِّ والكَرَبِ
أُواصِلُه على سَبَبٍ ويهجُرنى بلا سَبَبِ
ويظلمُنى على ثقــةٍ بأن إليه مُنْقَلَبِى

فطرب إسحاق وشرب نصفا ، ثم غنَّتْه وشرب ، ولم يزل كذلك حتى والى بين عَشْرَةِ أنصافٍ ، وشربناها معه ، وقام ليصلى ، فقال لها هارون بنُ أحمد : ويحك يا عبيدةَ ، ما تُبالين متى مت ؟ قالت : ولِمَ ؟ قال : أتدرين من المستحسنُ غناءَك والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله . قال: إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى، فلا تُعَرِّفيه أنكِ قد عرفْته . فلما جاء إسحاق ابتــدأتْ تغنى فلحقها هيبة له واختلاط ، فنقصت نقصا بينا. فقال لنا: أَعَرَّفْتموها من أنا ؟ فقلت: نعم، عرّفها إياك هارونُ بن أحمد . فقال إسحاق: نقوم إذاً فننصرف ، فإنه لا خير فى عِشْرتــكم الليلة ، ولا فائدة لى ولا لــكم ، وانصرف .

وكانت عبيدةُ بنتُ رجل يقال له صَبَاح مَوْلَى بن السمراء الغسَّانى[1] وأبو السمراء أحد العشرة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر فى يوم واحد ، لــكل رجل منهم مائةُ ألف درهم .

وكان الزبيدى الطنبورىُّ أخو قطينَ العمياء يختلفُ إلى أبى السمراء ، فإذا لم يصادِفْه أقام عند صباحٍ أبى عبيدة ، وبات وشرب وغنى وأنس. وكان لعبيدة صوت مديد ، وطبعٌ جيد ، فسمعَتْ غناء الزبيدى ، فوقع فى قلبها واشتهته ، وسمع الزبيدىُّ صوتها ، وعرف طبعها ، فطمعها ، وواظب عليها ، ومات أبوها ، ورقَّتْ حالها ، وقد حَذَقت على الغناء على الطنبور ، فخرجت تغنى وتقنع باليسير .

---

(١) فى الأصل ا ــ ب المغانى ــ وفى الأغانى الغسانى .

وكانت مليحةً مقبولةً خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبُرَ حظُّها واشتهاها الناس ، ورغب فيها الأحداث الفتيان .

وكان أول من تَعَشَّقها على بن الفرج البُرْجُمى أخو عمرو ، كان حسن الوجه ، كثير المال . ثم ولدتْ منه بنتا فجحبها إلى حد[1] ذلك، وكانت تحتال فى الأوقات بِعِلَّة الحمَّام وغيرِه فتلم بمن[2] كانت توده ويودها ، ثم ماتت بنتُها ، وصادف ذلك نكبةَ البرجمى وأهلِه واختلال أحوالِهم فطلَّقها ؛ فخرجت فكانت تخرج بدينارين فى النهار، ودينارين فى الليل ، ونزلت بعضَ دور أبى السمراء ، وتزوجت أُمُّها بوكيل له ، فتعشقت غلاما من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح ، وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد وكان يغنى بالمِزْفة غناءً مليحا ، وكان حسن الوجه لا عيبَ فيه إلا أنه كان مُتَغَيِّرَ النكهة ، وكانت شديدةَ الغُلْمة ، وكانت لا تَحْرِم أحداً ، ولا تكْرَهُه ، من حد الكهول إلى الطفل ، حتى تعشقت شابا يعرف بأبى كرب بن الخطاب[3] متدلى الوجه أفطس قبيح الأُدمة ، فقيل لها : أى شىء رأيتِ فى أبى كرب؟ فقالت : قد تمتعتُ بكل حَسَنٍ من الرجال إلا السودان ، فإن نفسى تتبعهم . وهذا بين الأسود والأبيض ، وبيته خالٍ لما أُريد ، وهو وكيلى إذا أردت ، وصفعانى إذا أردت .

وكان لها غلام يضرب عليها يقال له على ، ويلقب طيز عبيدة ، وكانت إذا اختلت فى البيت وشبقت اعتمدت عليه . وقالت : هو بمنزلة بغل الطحان يصلحُ للحَمْل والطحنِ والركوبِ .

وماتت عبيدة من نَزْف أصابها . وأفرط حتى أتلفها .

وكان إسحاق يقول : الطنبورُ إذا جاوز عبيدة هَذَيان .

---

(١) لأجل ذلك (الأغانى) .

(٢) فى الأصل فتلمه ثم . وما ذكر عن الأغانى .

(٣) فى الأغانى : ابن أبى الخطاب .

عليُّ بن عبد الله بن جعفر[1]

عليُّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

وأمه ولَّادَة بنت الحجَل بن عيينة بن سعيد بن العاص بن أمية ، شاعر ظريف حجازى .

وكان عمرُ بن الفرج بن البرجى يأتى من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع جُمْلةٍ من الطالبيين ، أيام حج المنصور ، فحبسه المتوكلُ معهم ، لأنه كان شيخ القوم وكبيرَهم .

قال علي بن عبد الله : فمكث فى الحبْسِ ، فدخل على رجُلٍ من الكتاب يوما ، فقال : أريد هذا الجعفريَّ الذى تَدَيَّث فى شعره ، فقلت : أنا هو . فعدل إلىّ وقال لى : جعلتُ فداك ، أحب أن تنشدنى بيتيك اللذين تديثت[2] فيهما فأنشدته :

ولما بدا لى أنها لا تريدُنى ... وأن هواها ليس عنى بمُنْجَلِى

تمنيتُ أن تَهوَى سواى لعلها ... تذوقُ حراراتِ الهوى فترقَّ لى

فكتبتُهما ؛ ثم قال لى : اسمع ، جُعلت فداك بيتين قلتهما فى الغيرة . فقلت : هاتهما فقال :

ربما سَرَّنى صدودُك عنى ... فى طِلابيك وامتناعك منى

حذراً أن أكون مفتاحَ غيرى ... فإذا ما خلوتُ كنتَ التمنِّى

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٤١ .

(٢) فى الأصل تديب وتدييت وهذا التصويب عن الأغانى .

ومن شعر على بن عبد الله بن جعفر قولُه :

وقف الهوى بى حيثُ أنت فليس لى ... متأخَّرٌ عنـــه ولا مُتَقَدَّمُ
أجِــدُ الملامةَ فى هواك لذيذةً ... حبًّا لذكرك فَليَلُمْنِى اللُّوَّمُ
أشبهتَ أعدائى فصرتُ أحبهم ... إذ كان حظى منك حظِّىَ منهمو
وأهنْتَنِى فأهنتُ نفسى صاغرا ... ما من يهونُ عليك ممن يُكْرَمُ

عيينة بن مرداس(١)

هو أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم .

شاعرٌ مُقِلٌّ غير معدود فى الفحول ، مخضرم ، أدرك الجاهليةَ والإسلام . هجَّاء خبيث اللسان ، معروفُ المَعَرَّة فى جاهليته وإسلامه .

وابنُ فَسْوَةَ لقب لزِمَه فى نفسه ، ولم يكن أبوه يُلَقَّبَ فَسْوة وإنما لقب هو به . والسبب فى ذلك أن عُيينةَ كان فاحشا كثيرَ الشرِّ فأقبل ابنُ عم له من الحج ، وكان من أهل بيتٍ منهم ، يقال لهم بنو فسوة . فقال له عيينة : كيف أنت يا ابن فسوة ؟ فوثب مُغْضَبا ، فركب راحلته ، وقال : بئس والله ، ما حييْتَ به ابنَ عمك ، قدم عليك من سَفَرٍ ، ونزل دارَك . فقام إليه عيينةُ مستحييا ، فقال : لا تغضب ، يا ابن عم ، فإنما مازَحْتك . فأبى أن ينزل ـ فقال له : انزل ، وأنا اشترى منك هذا الاسم ، فأتسَمَّى به . وظنَّ أن ذلك لا يَضُرّه . فقال : لا أفعل أو تشتريَه بمحضرٍ من العشيرة . قال : نعم . فجمعهم وأعطاه بُرْداً وحملا وكبشا وقال لهم عيينةُ : اشهدوا أنى قبلتُ هذا اللقب وأنْقَدْتُ الثمن ، وأنا ابن فسوة ، فزالت عن ابنِ عمه يومئذ ، وغلبت عليه ، وعُمِّرَ عمراً طويلا .

وكان أوصف الناس للإبل :

أتى عيينةُ بن مرداس عبدَ الله بن عباس ، وهو عاملٌ لعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، علَى البصرةِ ، وتحته شُمَيْلَة بنت جنادة(٢) بن أبى أزهر الزهرانية وكانت قبله تحت مجاشعِ بن مسعود السُّلَمى ، فاستأذن عليه فأذن له . وكان لا يزال يأتى

---

(١) الأغانى : ١٩ : ١٤٣ . مهذب الأغانى ٢ : ١٥٥ .

(٢) فى الأصل جناكره والتصويب عن الأغانى .

أُمراء البَصْرة فيمدَحُهم فيعطونَه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباسٍ قال له : ما جاء إلىَّ بك يا ابن فسوة ؟ قال : وهل عنك معدى ؟ جئتك لتُعيننى على مروءتى ، وتصل قرابتى . فقال له ابن عباس : وما مروءةُ من يعصى الرحمن ؟ ويقولُ الطغيان(١) ويقطع ما أمرَ اللهُ به أن يوصل ؟ والله إن أعطيتُك لأعنتك على الكفر والطغيان والعصيان . انطلِقْ فأنا أُقسم بالله إن بلغنى أنك هجوتَ أحداً من العربِ لأقْطَعَنَّ لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه من حضر . وحبسه يوْمَه ذاك ، ثم أخرجه من البصرة فوفد إلى المدينة بعد قتلِ علىٍّ كرم الله وجهه . فلقى الحسنَ ابن على ، وعبدَ الله بن جعفر ، رضى الله عنهما ، فسألاه عن خبره مع ابن عباس ، فأخبرهما فاشتريا عرضَه منه بما أرضاه . فقال يمدحهما ويلوم ابنَ عباس من قصيدة :

أتيتُ ابن عباسٍ فلم يقضِ حاجتى ... ولم يرجُ معروفى ولم يخشَ مُنْكَرِى
حُبِسْتُ فلم أنْطِقْ بعذرٍ لحاجةٍ ... وشد خصاص البيتِ من كل مَنْظَرِ
وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه ... كصوتِ الحمام فى القليبِ المُغَوَّرِ
وما أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابِه ... بذى صَوْلَةٍ ضارٍ ولا بحَزَوَّرِ
ولو كنت فى زَهرانَ لم تنس حاجتى ... ولكننى مولى جميل بن مَعْمَرِ
وباتت لعبد الله من دون حاجتى ... شميلة تلهو بالحديث المُقَتَّرِ
فليتَ قلوصى عُريت أوْ رحلتها ... إلى حَسنٍ فى وكره وابن(٢) جعفر
إلى ابن رسولِ الله يأمرُ بالتقى ... وبالدين يدعو والكتابِ المُطَهَّرِ

وقدم على عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، وكان جوادا ، فلما استؤذن له عليه أرسل

---

(١) البهتان (أغانى — مهذب) .

(٢) فى الأغانى : داره — وابن جعفر ، وكانت فى الأصل : وأبى جعفر .

إليه : إنك والله لا تسألُ بحسبٍ ولا دينٍ ولا منزلةٍ ولا أرَى لرجل من قريش شيئا أو يأمر به [أن يعطيك][1] فقال ابن فسوة :

وكائن تَخَطَّتْ ناقتى وزميلُها[2] ... إلى ابن كريز من نحوس وأسْعُدِ
وأغبرُ مسحولِ الترابِ ترى له ... خَبًا طردته الريح من كل مُطْردِ
لعمرك إنى عند باب ابن عامر ... لكالظَّبْى عند الرَّمْيَة المتردد
فلم أر يوما مثله إن تكشَّفَتْ ... ضبابَتُه عنى ولم أُقيد

فبلغ قولُه ابنَ عامر نخاف لسانه ، وما يأتى [به] بعد هذا فلَانَ ورجع ، وأحْسَنَ القومُ رفدَه ، وقالوا : هذا شاعرٌ وفارسٌ وشيخ من شيوخ قَوْمِه واليسير يرضيه فقال: ردوه فردوه فقال : ياعيينة ! اردد على ما قلت. فقال : ما قلت إلا خيرا فقال : هاته قال: فقلت:

أتعرف رسم الدارِ من أم معبدِ ... نعم فرماك الشوقُ قَبْلَ التَّجَلُّدِ
فيالك من شَوْقٍ ويالك عَبْرَة ... سوابِقُها مثل الجمان المُبَدَّدِ
وكائن تَخَطَّتْ ناقتى وزميلُها[2] ... إلى ابن كُرَيْزٍ من نحوسٍ وأسعدِ
فتى يشترى حسنَ الثناء بماله ... ويعلمُ أن المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ
إذا ما مُلِمَّاتُ الأُمورِ اعترينه[3] ... تجلَّى الدُّجَى عن كوكبٍ مُتَوَقِّدِ

فتبسم ابنُ عامر ، ثم قال : لعمرى ما كذا قلت ، ولكنه قَوْلٌ لَسْنا[4] نتقيه ، وأعطاه حتى رضى ، وانصرف .

---

(١) فى مهذب الأغانى: « وماأرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئا فأمر به فاسكز وأهين قال »
(٢) فى الأصل : (وكائن نخطب يا فتى ودمثلها) وما أثبتناه عن الأغانى .
(٣) اعتلينه .
(٤) مستأنف (أغانى) .

وكان عبد الله بن عامر بن كُرَيز قد تزوج أُخت بشر بن كَهف أحد بنى خزاعة ابن مازن ، وكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحِمَى ، فسأله ابنُ فَسوة أن يُرْعِيَه ، فأبى ومنعه ، وطرد إبله ، فقال فى ذلك :

ومن يــك أرعاه الحمى أَخَوَاتُه ... فمــالى من أُختٍ عوانٍ ولا بكرِ
وما ضرها أن لم تكن رعت الحمى ... ولم تطلب الخيرَ المُمَنَّعَ من بِشْرِ (١)
فإن تَمنعوها(٢) من حِمــاكم فإنه ... مُباحٌ لها ما بين أنْبَط(٣) فالكُدْر
إذا ما امرؤ أثنى بفضل ابنِ عَمِّه ... فلعنــةُ ربِّ العالمين على بِشْرِ

كان ابنُ فَسْوةَ قد نزل ببنى سعد بن مالك ، من بنى قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، وبعث جاريةً له يقال لها حَوْراء ، فسرقوا عيبةً له فيها ثيابُه وثيابُ جاريته ، فرحل عنهم ، فلما عاد إلى قومه أعلمهم بما فعله به بنو سعد بن مالك ، فركب معه فرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبنى سعد ، فأخذوا منها صرمةً فاستاقوها ، ودفعوها إليه ، فقال يمدح قومَه ويهجو بنى سعد :

جزى اللهُ قومى من شفيعٍ وشاهدٍ ... جزاءَ سليمانَ النبىِّ المُكَرَّمِ
همو القومُ لا قومُ ابن دارةِ ســالمٍ ... ولا ضابئٍ إن أَسْلَما شَرَّ مُسْلَمِ
وما عيبةُ الحوزاءِ إذ غَدَرَتْ بهــا ... سراةُ بــنى قيس بسِرٍّ مُكَتَّمِ
إذا ما لقيتُ الحىَّ سعــدَ بن مالك ... على زَمَّ فانزل خائفا أو تَقَدَّمَ

---

(١) بعده :

متى ما تحا يوما من المــال وارثى ... يجد قبض كف غير ملأى ولا صفر
يجد مُهرة مثـــل القناة طمرةً ... وعضبا إذا ما هُز لم يرض بالهَبْرِ
(أغانى)

(٢) فإن تمنعوا منها (أغانى)

(٣) أنبط بوزن أثمد وأحمد موضع فى ديار كلب بن وبره .

أُناس أجارونا فـكان جوارُهم ... شماعا كلحم الجازر المُتَقَسَّمِ
لقد دُنِّسَتْ أعراضُ سعدِ بن مالكٍ ... كما دُنِّسَتْ رِجْلُ البَغِيِّ من الدَّمِ
لهم نِسْوَةٌ طلسُ الثيابِ مواجِنٌ ... ينادين من يبتـاعُ قِردا بدرهم
إذا أيمتْ قيسيةٌ بعـــد بعلها ... وكان لها جارٌ فليست بأَيِّمِ
تمشّى قريش بينهن مقابلا[1] ... بأير كأير الأحجرى[2] المحرم
إذا راح من أبياتهن كأنمـــا ... طليت بتَنُّومٍ قفاه وخِمْخِمِ

---

(١) يمشى ابن بشر بينهن مقابلا (أغانى) .
(٢) الأرجحى المخزم (أغانى) .

عبد الله بن العجلان النهدى(1)

هو عبد الله بن العجلان بن الأَحَبّ بنِ عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسْلم بن الحاف بن قضاعة .

شاعر جاهلى ، أحد المتيمين [من الشعراء] ومن قتله العشقُ منهم .

وكانت زوجته يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك فزُوِّجَتْ غيره فمات أسفاً عليها .

وكان سيداً فى قومه وابنَ سيّدٍ من ساداتهم .

وكان أبوه أكثرَ بنى نَهْد مالا .

وكانت امرأتُه هندُ من قومه ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، وأحظاهم عنـــده ، فبقيت معه سنين سبعا ، أو ثمانيا ، لم تلد . فقال له أبوه : إنه لا ولد لى غيرك ، ولا ولد لك . وهذه المرأة عاقر فطلِّقها ، وتزَوَّجْ غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلَى لا يكلِّمُه حتى يطلقها . فأقام على أمْرِه ثم عَمَد إليه يوماً ، وقد شَرِب الخمرَ حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه : أن صِرْ إلَىَّ . فقالت له هند : لا تَمْض إليه ، فوالله ما يريدُك لخير ، وإنما يريدك لأنه بَلَغَه أنك سكرانُ فطمِعَ فيك أن يُقْسِمَ عليك فتُطَلِّقنى ، فنَمْ مكانَك ولا تمض . فأبَى وعصاها وتعَلَّقَتْ بثوبه فضربَها بسواك ، فأرْسَلَتْه . وكان فى يدها زعفرانٌ فأثَّر فى ثوبه مكانُ يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده فى أمرها ، وجمع عليه مَشْيَخَةَ الحىِّ وفتيانَهم فنالوه بألسنتهم ، وعيروه بشَغَفِه بها وضَعْفِ حَزْمِه ، ولم يزالوا به حتى طلقها . فلما أصبح أُخْبِرَ بذلك ، وعلمت به هندُ فاحتجَبَتْ عنه ، وعادت إلى أبيها . فأسِفَ عليها أسفاً شديداً .

(1) الأغانى ١٩ : ١٠٢ .

فلما عادت إلى أبيها خطبها رجل من بنى نُمَيْر فزوجَها أبوها منه ، فبنى بها عندهم . وأخرجها إلى بلده ، فلم يزل عبدالله دَنِفاً سقيما ، يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات ، أسفا ، وعرضوا عليه فتياتِ الحَىِّ جميعا فلم يقبل واحدة منهن .

وقال فى طلاقها :

فارقْتُ هنــــدا طائعا　　فندمتُ عنــد فِراقِها
فالعينُ تَذْرفُ دمْعَها　　كالدر فى آماقِها
مُتَحَلِّياً فوق الرداء　　يجــول مِنْ رَقْرَاقِها
خُـــود رَداحٌ طفلةٌ　　ما الفحشُ من أخلاقِها
ولقـــد أَلَذُّ حديثَها　　وأُسَرُّ عنـــد عِناقِها

[وفى هذه القصيدة يقول](١) :

أن كنت ساقية ببــذ　　ل الأدم أو بحقاقها
فاسْقِ بنى نَهــد إذا　　شربوا خيــارَ زِقاقِها
فالخيـــلُ تعلم كيف ألْـ　　ـحَقُها غـــداة لحاقِها
بأسِنَّةٍ زُرقٍ صَبَحْـ　　ـنا القوْمَ حَدَّ رِقاقِها
حتى تَرى قَصْدَ القَنـــا　　والبيضَ فى أعْنَـــاقِها

قالوا : ولما طلق عبدُ الله هندا تزوجها رجل من بنى عامر ، وكان بينهم وبين نَهْدٍ مُغاوراتٌ فجمع بنو عامر مَرَّةً لبنى نَهد ، فقالت هندُ امرأةُ عبدِالله بنالعجلان ، التى كانت ناكحاً فيهم ، لغلام فقيرٍ من بنى عامر : هل لك فى خمس عشرة ناقةً على أن تأتىَ قومى فتنذِرَهم قبل أن تأتيهم بنو عامر . فقال : أفعل ، فحمَلَتْه على ناقةٍ لزوجها ناجيةَ وزوَّدَتْه تمراً وَوَطْبا من لبن . فركب وجَدَّ فى السيرِ ، وفنى اللبن وأتاهم ، والحى خُلوفٌ ، فى غَزْوِ مُرَّة ، فنزل بهم ، وقد يَبِس لسانُه ، فأمر خرَاشُ

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

ابن عبد الله بلبن وسَمْنٍ فَسُخِّن ، وسقاه إياه ، فابتل لسانه ، وتكلم ، فقال لهم : أنا رسول هند إليكم تُنْذِرُكم ، فاجتمع بنو نهد ، واستعدوا ، ووافتهم بنو عامرٍ فلَقُوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالًا شديداً ، فانهزمت بنو عامر ، وقال عبد الله ابن العجلان فى ذلك شعرا .

ولما اشتد ما به من السّقمِ خرج سرا من أبيه ، مخاطرا بنفسه ، حتى أتى أرضَ بنى عامر ، لا يرهبُ ما بينهم من الشر ، حتى نزل ببنى نمير ، وقصد خباء هند ، فلما قاربه رآها وهى جالسةٌ على الحوْض وزوجُها يذود الإبلَ عن مائِه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتد إليها مُسْرِعا ، فأقبلت تَشْتَدّ إليه ، واعتنقا وجعلا يبكيان وينتحبان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما . وأقبل زوج هند لينظر ما حالها ، فوجدهما ميتين .

وقيل : إن أباه خَوّفَه من التغريرِ بنفسه ، ووعده أن يجتمع معهم فى الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، وجاء الوقت ، وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند ، وهو يطوف بالبيت ، وأثر كفها فى ثوبه بخلوق[1] ، فرجع إلى أبيه فأخبره بما رأى ، ثم سقط على وجهه فمات .

قال ابنُ سيرين : وما سمعتُ أحداً مات من العشق غير هذا .

ومن جيد شعره فيها :

خليليّ زُورا قبلَ شَحْطِ النّوَى هندا ... ولا تأمَنا من دارِ ذى لطف بعدا
ولا تعجلا لم يَدْر صاحبُ حاجة ... أغيًّا يلاقى فى التّعَجُّلِ أم رُشْدا
ومُرّا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوَجْهِكُما قَصْدا
وقولا لها ليس الطريقُ أجَازَنا ... ولكننا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا
غدا يكن البا كون منا ومنكمُ ... وتزدادُ دارى من ديارِكُمُ بُعدا

(١) الخلوق : ضرب من الطيب .

العُدَيل بن الفرخ(1)

هو العديلُ بن الفَرْخِ بنِ معن بن الأسود بن عُروة بن عوف بن ربيعة بن جابر ابن ثعلبة بن شني بن الحارث ، وهو العباب بن ربيعة بن عِجْل بن لجيم بن صعب ابن على بن بكر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار .

وكان العباب اسمَ كلبٍ للحارثِ بن ربيعة بن عجل ، فلُقِّبَ باسم كَلْبِه وغَلَبَ عليه .

وكان عِجلٌ من مُحَمَّقِى العرب ، قيل له : إن لكل فرسٍ جوادٍ اسما ، وإن فرسَك هذا جوادٌ سابق فسمه . ففقأ إحدى عينيه وقال : سميتُه الأعورَ .

وفيه يقول الشاعر :

رمتنى بنو عجلٍ بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ فى الناس أحمقُ من عِجْلِ

أليس أبوهم عار عينَ جوادِه ... وسارت به الأمثال فى الناس بالجَهْلِ

والعُديلُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، وكان له ثمانية إخوةٍ ، وأُمهم جميعا من بنى شيبان .

فممن كان منهم شاعراً فارساً : أسودُ وسَوادةُ وشَمْلة ـ وقيل : سَلَمَة ـ والحارثُ، وكان يقال لأُمهم درمنا .

وكان للعديل وإخوتِه ابنُ عم يسمى عَمْرًا ، فتزوج بنتَ عم لهم بغير أمرهم(2)

---

(1) الأغانى ٢٠ : ١١ ـ مهذب ٣ : ٢٢٦ .

(2) فى الأصل عمرا من تيم (وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب) .

فغضبوا فرَصَدوه ليضربوه ، وخرج عمرٌو ومعه عبدٌ له يسمى دابغا فوثب العديلُ وإخوتُه فأخذوا سيوفَهم فقالت أُمهم : إنى أعوذ بالله من شركم . فقال لها ابنها الأسود : وأىّ شىء تخافين علينا ؟ والله لو حمَلْنا أسيافَنا على أهل الِحنْو ، حِنْوِ قُراقر ، لما قاموا لنا . فانطلقوا حتى أتوا عمراً ، فلما رآهم ذُعِرَ منهم ، وناشدهم فأبوا ، فلما أبوا حمل عليه سوادة فضرب عمراً ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله فقال سوادة :

ألا من يشترى رِجْلًا برجلٍ تأبّى للقيام فما تقــوم

وقال عمرو لدابغ: اضرب وأنت حر . فحمل دابغ فقتل رجلا منهم [وحمل عمرو فقتل آخر] وتداولاهم(١) وصاولاهم فقتلا منهم أربعةَ نفر ، وضربا العديل على رأسه ، ثم تفرقوا وهربَ دابغ حتى أتى الشامَ ، فداوى ربضة بنُ النعمان الشيبانى للعديل ضَرْبَتَه ، ومكث مدة ، ثم طرح عليه العديلُ الرصد حتى إذا خرج دابغ ركب العديلُ راحلته وهو متلثم ، فانطلق معه حتى لقيه خلف الرّكاب يحدو بشعر العديل :

يادارَ سلمى أقفرَتْ من ذى قار وهــل بإقفارِ الديار مِنْ عَارِ
وقد كُسِينَ عرقا مثلَ القــار يخرج من تحت ظلالِ الأوتارِ(٢)

فلقيه العديل فحبسَ عليه بعيرَه ، وهو لا يعرفه ، وسار رويدا ودابغ يمشى رويدا ، وتقدمت إبلُه وذهبتْ ، وإنما يريد أن يباعدَه عنها بوادِى حُنَيْن ـ ثم قال العديل : والله لقد استرخى حَقَبُ(٣) رَحْلِى ، انزل فأُغَيِّر الرحل وتعيننى . فنزل وغيَّرَ الرحل وجعل يعينُه حتى إذا شَدَّ الرحلَ أخرجَ العديلُ السيفَ وضرب به دابغا حتى برد . ثم ركب راحلته وأنشأ يقول :

---

(١) فى الأصل : (واحتز وصار لاهم) وما أثبتناه عن الأغانى .
(٢) يخرجن من تحت خلال الأوبار (أغانى).
(٣) الحقب : الحزام الذى يلى حقو البعير .

ألم تَرَنى جلّلْت بالسيف دابغا   وإن كان ثارا لم يُصِبْه غليلى
بوادى حُنَيْن ليلة البدر رُعْتُه   بأبيضَ من ماء الحديد صَقيلِ
وقلت لهم هذا الطريقُ أمامَكم   ولم أكُ أن ساروا لهُمْ بدليلِ

وكان العُديل هجا جُرْثومة [العنزى الجلانى فقال فيه :

أهاجى بنى جلان إذا لم يكن لهـا   حديث ولا فى الأولين قديم

فأجابه جرثومة فقال:](1)

إن امرءاً يهجو الكرام ولم ينل   من الثار إلا دابغـا للئيم

ثم إن مَوْلى دابغ استعدى على العديلِ الحجاجَ بن يوسف ، وطالبه بالقَوَدِ ، فهرب العديلُ من الحجاج إلى مَلِكِ الرومِ ، ولجأ إلى قيصر ، فأمَّنَه فقال فى الحجاج :

ودونَ يدِ الحجاج من أن ينالَنِى   بساط لأيدى الناعجات عريضُ
مَهامه أشباهٌ كأن سرابَها   مُلاءٌ بأيدى الغانيات(2) رحيضُ

فبلغ شعرُه الحجاجَ فكتب إلى قيصر : لتبعثن به أو لأغْزِيَنَّكَ جيشا يكون أوله عندك وآخره عندى . فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجاج لما دخل عليه : أنت القائل :

ودون يد الحجاج من أن ينالنى   ...   .

فكيف رأيتَ أمكنَ الله منك ؟ قال : بل أنا القائل أيها الأمير :

إذا ذُكِرَ الحجاج أَضْمَرْتُ خيفةً   لهـا بين أثناء الضلوعِ نَفِيضُ

فتبسم الحجاج وقال: أولى لك ــ وعفاعنه [وفرض له] .

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٢) الراحضات (أغانى) . والرحيض المغسول من رحض الثوب إذا غسله .

خرج العديلُ يريد الحجاجَ ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب ، فوثب عليه العديل ، وقال له : لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريشٍ أكرمُ منى ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ فأحفظَه ، وانصرف العديلُ إلى باب يزيدَ بن المهلّبِ ، فلما دخل عليه ، أنشأ يقول :

لئن أرْتَجَ الحجاجُ بالبُخلِ بابَه ... فبابُ الفتى الأزدىِّ بالعُرْفِ يُفتَحُ
فتى لا يبالى الدهرَ ماقلّ مالُه ... إذا جعلت أيدى المكارم تَسْبَحُ
يداه يدٌ بالعُرْف تُنهِبُ ماحوَتْ ... وأخرى على الأعداء تَسْطو وتَجْرَحُ
إذا ما أتاه المُرْملون تيقنوا ... بأن الغنى فيهم وشيكا سَيَسْرَح
أقام على العافين حُراس بابه ... ينادونهم والحرُّ بالحرِّ يَفرَحُ
هلموا إلى سيب الأمير وعُرْفِه ... فإن عطاياه على الناس تفْسح
وليس كعلج من ثمود بكفه ... من الجود والمعروف جِذم مُطوَّحُ(١)

فقال له يزيد : عرَّضْت بنا وخاطرت بدمك ، وتالله لا يصل إليك وأنت فى حَيِّزِى ، فأمر له بخمسين ألفَ درهم ، وحمله على فرس ، وقال له: الحق بعلياءِ نَجْد واحذَرْ أن تَعْلَقَك حبائلُ الحجاج أو تحتجنك محاجنه وابعث إلى فى كل عام ، ولك مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحجاج خبره فأحفظه ذلك على يزيد وطلب العديلَ ففاته وقال لما نجا بيتيه الضاديين :

ودون يد الحجاج ... ...

وبالغ الحجاجُ فى طلبه فلفظته الأرض ، ونبا به كلُّ مكان هربا منه ، فأتى بكرَ ابن وائل ، وهم يومئذ بادون ، فشكا إليهم أمرَه ، وفيهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو بكر ، وقال لهم : أنا مقتولٌ أفتسلمونى هكذا ، وأنتم أعز العرب ؟ فقالوا له :

---

(١) الجذم : الأصل والمنبت ــ وفى الأغانى: حزم مطرح .

لاوالله ، ولـكن الحجاجَ لا يراغَم ، ونحن نَستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كُفِيت ، وإن حادّنا فى أمرك منعناك ، وسألنا أميرَ المؤمنين أن يَهَبك لنا ، فأقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل ، فقالوا له : أيها الأمير ، إنا قد جنينا جميعا عليك جناية ، [لا يغتفر مثلها](١) وها نحن قد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فأما إن وَهَبْتَ فأهل لذلك أنت ، وإن عاقبتَ فأنت المُسَلَّطُ الملكُ العادلُ. فتبسم وقال : قدعفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا: مثلك أيها الأمير لا يستَثْنى على أهلِ طاعته وأوليائه فى شىء ، فإن رأيت ألّا تُكَدِّرَ مَنَّك باستثناء ، وأن تهب لنا العديلَ فى أول ما تهب . فقال : قد فعلتُ فهاتوه قبَحَه الله ، فأتوه به فلما مثل بين يديه أنشد :

فلو كنتُ فى سلمى أجا وشعابِها ... لـكان لحجاجٍ عـلى سَبيلُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسَيْفُه ... لـكل إمام صاحبٌ وخليـلُ
بنى قبةَ الإسلام حتى كأنها ... هُدًى الناس من بعد الضلال رسولُ
إذا جارَ حُكْمُ الناس ألجأ حُكْمَه ... إلى الله قاض بالـكتاب فصول
بـه نصرَ الله الخليفةَ منهمو ... وثبّت مُلْكا كاد عنـه يَزول
فأنت كسيفِ الله فى الأرض خالدٌ ... يصولُ بعون الله كيف يصولُ
وجازيت أصحابَ البلَا ببلائهم ... فما منهمو عما تُحِبُّ نكولُ
وصلت بعُرّاقِ العراق فأصبحت ... مناكِبُها للـوطء وهى ذلولُ
أذقتَ الحِمام ابنى عباد فأصبَحا ... بمنزل مَوْهونِ الجَناح ثكول
ومِنْ قَطرِىّ نلتَ ذاك وحوله ... كتائبُ من رجّالةٍ وخيـولُ
إذا ما أتت باب ابن يوسفَ ناقتى ... أتَتْ خـيرَ منزول به ونزيلُ

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

وما خفتُ شيئاً غير ربِّىَ وحدَه إذا ما انتحَيْتُ النفس كيفَ أقول
ترى الثَّقَلَيْن الجنَّ والإنسَ أصبحا على طاعة الحجاجِ حين يقول

فقال له: أَوْلَى لك ، لقد نجوت ، وفرض له وأعطاه عطاءه .

فقال يمدح سائرَ قبائلِ وائل، ويذكر دفعَها عنه ، ويفتخرُ بها ــ قصيدَته التى أولها :

صرَمَ الغوانى واستراح عواذلى وصحوتُ بعد صَبابةٍ وتمائلِ
وذكرتُ يومَ لِوَى عقيقٍ نسوةً يَخْطُرْنَ بين أَكِلَّةٍ ومراحل
لعب النعامُ[1] بهن فى أطلاله حتى لبسن زمانَ عَيْشٍ غافلِ
يأخذْنَ زينتهن أحسنَ ما ترَى فإذا عَطِلْنَ فهن خيرُ عواطلِ
وإذا خَبَأْنَ خدودهن أَرَيْننا حَدَقَ المها وأَرَيْنَ سهمَ القاتلِ
وَرَمَيْننى لا يَسْتترنَ بجُنَّةٍ إلا الصِّبا وعَلِمْن أين مقاتلى
وإذا تطاولَتِ الجبالُ رأيتَنا بفروع أرعنَ فوقها متطاولِ
وإذا سألتَ ابْنَىْ نزارٍ يُنبئا عنِّى[2] ومنزلتِى من ابْنَىْ وائلِ
حَدَبَتْ بنو بكر عَلَىَّ وفيهمو كلُّ المكارم بالعديدِ الكاملِ
خطروا وركبى بالقنا وتجمَّعُوا[3] منهم قبائلُ أُردِفوا بقبائلِ

ونحر فيها بقبائله . قال أبو النجم للعديل: أرأيت قولك :

فإن تك من شيبانَ أمى فإننى لأبيضَ عِجْلِىٍّ عريضُ المفارقِ

---

(١) النعيم (أغانى) .
(٢) بيننا . . مجدى (أغانى) .
(٣) رواية الأغانى :

* خطروا ورائى بالقنا وتجمعت *

أكنتَ شاكاً فى شِعرك حين قلت هذا ؟ فقال له العديل : أشَككْتَ أنت فى نفسك ، وفى شعرك حين تقول :

أنا أبو النجْمِ وهـذا شِعرى ۞ لله دَرِّى ما يجنُّ صـدرى

فأمسك أبو النجم واستحيا .

كان حوشبُ بن يزيدَ بن الحارثِ الشيبانى وعكرمةُ بن ربْعِىٍّ البكرى يتنازعان الشرفَ ويتباريان فى إطعامِ الطعام ، ونحْر الُجزُر فى عسكر مُصْعَب فكان حوشبٌ يغلبُ عكرمة لسَعة يده ، وقدم عبد العزيز بن بشار[1] بسقاء[2] من دقيق ، فأتاه عكرمةُ فقال له : اللهَ اللهَ فىّ ، كاد حوشبٌ أن يغلبنى ويَسْتغلبنى[3] بماله ، فبعنى هذا الدقيق بناجز ولك فيه مثل ثمنه ربحا فقال : خُذه وأعطاه إياه ، فدفعه إلى قومه وفرّقه فيهم ، وأمرهم بعجْنه فعجنوه ، ثم جاء بالعجين كله فجمعه فى هُوَّةٍ عظيمةٍ ، وأمر به فغُطِّىَ بالحشيش ، وجاءوا برَمْكَة[4] فقربوها إلى فرس حوشب ، حتى ألقوها فى ذلك العجين ، ومعها الفرسُ ، حتى تورطا فى ذلك العجين ، وبقيا فيه جميعا ، وخرج قومُ عكرمةَ يصيحون فى المَسْكر : يا معشر المسلمين أدركوا فرسَ حوشب قد غرق فى خميرة عكرمة ! فخرج الناس يتعجبون من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرسٌ ، فلم يبق فى العسكر أحد إلا رَكب لينظر ، فجاءوا إلى الفرس وهو غريقٌ فى العجين ، ما يبينُ منه إلا رأسُه وعنُقُه ، فما خرج إلا بالعمدِ والحبالِ ، وغَلَبَ عليه عكرمة وافتضح حوشب فقال العديل يمدحهما ويفخر بهما :

---

(١) الأغانى (يسار) ١٨ .

(٢) بسفائن (أغانى) وأما السقاء فهو وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما .

(٣) فى الأغانى : « يستعلينى » .

(٤) الرمكة : الفرس أو البرذونة تتخذ للنسل .

وعكرمة الفيّاضُ فينا وحوشبٌ　　هما فَتَيـا الناسِ اللذا لم يعمُرا

هما فتيا الناس اللذا لم يَنَلْهمــا　　رئيسٌ ولا الأقيالُ من آل حميرا

وفى حوشب هذا يقول الشاعر :

وأجـودُ بالمـال من حـاتم　　وأنحرُ للجُزْر من حَوْشبِ

قدم العديلُ البصرةَ ، ومدح مالكَ بن مسمع الَجحْدَرِىّ فوصله ، فأقام بالبصرة واستطابها ، وكان مقيما بها عند مالك ، فلم يزل بها حتى مات. وكان ينادم الفرزدق فقال يرثيه:

ما ولَدَتْ مثلَ العديل حليـلةٌ　　قديما ولا مُسْتَحْدَثَاتُ الحلائلِ

وما زال مذ شَدَّتْ يداه إزَارَه　　به تفتحُ الأبوابَ بكرُ بن وائلِ

عمرٌو ذو الكَلْب

هو عمرُو بن العجلانِ بنِ عامر بن بُرْد بن مُنبه ، أحد بنى كاهِل بن حيّان ابن هُذيل .

وسُمِّىَ ذوالكَلْب لأنه كان خرج غازيا ، ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكَلْب ، فثَبَتَتْ عليه .

وقيل : من الناس من يقول عمرو الكَلْبُ ـ ولا يقول ذو الكَلْب . وكان من رجالات هذيل .

وكان يغزو بنى فَهْم غزوا متصلا ، فنام ليلةً فى بعض غزَواتهم فوثب عليه نِمْران فأكلاه ، فادَّعَتْ فهمٌ قَتْلَه .

وكان عَلقَ امرأةً من فهم يقال لها أم خلنجة فأحبها وأحبّتْه . وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، فطلبوا دمه ـ إلى أنْ جاءهـا عاما من ذلك ، فنذروا به ، وخرجوا فى أثره ، وخرج هاربا ، فتبعوه يومَهم ذلك ، وهم على أثَرِه حتى أمسى ، وهاجت ريحٌ شديدةٌ فى ليلة ظَلماء ، فبينا هو يسير على ظَهْر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأتُ الطريق ، فحار وشَكّ وقصد النارَ حتى أتاها ، وقد كاد يُصْبِح فإذا رجلٌ قد أوقد ناراً ، ليس معه أحد . فقال له عمرو : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من عَدْوان . قال : فما اسم هذا المكان ؟ قال : السَّدّ . فعرف أنه قد هَلَك ، وأخطأ . والسد شىء لا يُجاوَز . فقال : ويلك لم أوْقَدْت ؟ فوالله ما تشتوى ولا تَصْطَلِى ، وما أوقدتَ إلا لِمَنِيَّـة عمرو الشقىّ ، هل عندك شىء تُطْعمنيه ؟ فأخرج له تمرات قد بَقّاها فى يده فقال لما رآها فى يده: تمراتٌ تَتْبَعُها عَبَرات من نسوةٍ خَفِرات،

---

(١) الأغانى : ٢٠ : ٢٢ .

ثم قال : اسقني . قال : ما ذا ؟ ألَبنًا ؟ قال : لا ولـكن ماء فإنى مقتولٌ صباحا ، ثم انطلق فاشْتَدَّ فى السدّ ، ورأى القومَ الذين جاءوا فى طلبه حيث أخطأ ، فاتبعوه حيث وجدوه ، وقد دخل غارا فى السَّدِّ ، فلما ظهروا على السّد علموا أنه فى الغار فنادوه ، وقالوا : ياعمرو ! ! فقال عمرو : ما تشاءون؟ قالوا : اخرج . قال : فَلِمَ دخلتُ إذاً ؟ قالوا : بلى ، فاخرج . قال : لا أخرج . قالوا : فأنشدنا قولك :

ومَقْعَدِ كُرْبة قد كنت منهـا مكان الأَصْبَعَيْن من القِبـال[1]

قال : هاهى ذِهْ أنا فيها . قال : وعنّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله . فقالوا : قتَلْتَه يا عدوَّ الله . قال : أجل ، ولقد بَقِيَتْ معى أربعةُ أسهم كأنها أنياب أُمِّ خلنجة ، لا تصلون إلىّ أو أَقْتلَ بكل منهم[2] واحداً منكم. فقالوا لعبدهم: ياأبا نجاد، ادخل إليه وأنت حر . فتهيأ أبو نجاد ليَدْخُلَ عليه، فقال له عمرو: ويحك يا أبا نجاد، ما ينفعُك أن تـكون حراً إذا قُتِلْت ، فنكص عنه .

فلمارأوا ذلك صمدوا فنَقَبُوا عليه ، ثم رَمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سلبه ، فرجعوا به إلى أم خلنجة ، فإذا هى تَتَشَوّف ، فلما رأوها ، قالوا لها : يا أُم خلنجة ما رأيك فى عمرو ؟ قالت : أرى أنـكم طلبتموه سريعا ، ووجدتموه منيعا ، ووصفتموه مريعا قالوا : قد والله قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتم ، وإن كنتم فعلتم لرُبَّ ثَدْىٍ منـكم قد افترشه وضَبٍّ منـكم قد احترشه ، فطرحوا إليها ثيابه ، وقالوا لها : دونك ثيابَه ، فأخذتها فشمَّتْها وقالت : ريح عطر وثوبُ عمرو ، ووالله ما وجدتموه ذا حُجْزَة جافية ولا عانةٍ وافية ، ولا ضالة كافية .

---

(١) القبال من النعل زمامها .

(٢) بكل سهم منها واحـدا (الأغانى) .

وقالت أُخته ريطة ترثيه :

كل امرئ بمحال العيش مكروبُ ... وكل مَنْ غالبَ الأيامَ مغلوبُ
وكلُّ حيٍّ وإن عَزُّوا وإن سَلِموا ... يوما طريقهمو فى الشر دُعبوبُ
أبلِغ هُذيلا وأبلغْ من يُبَلِّغها ... عنى رسولا وبعضُ القولِ تكذيبُ
بأن ذا الكلبِ عَمْرًا خيْرَهم نسبا ... ببطن شِرْيانَ يَعْوِى حوله الذِّيبُ
الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يَتْبَعُها ... مُثْعَنْجِرٌ(١) من نجيعِ الجوفِ أُسْكوبُ
والتاركُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أناملُه ... كأنه من نجيع الجوفِ مخضوبُ
تمشى النسورُ إليه وهى لاهيةٌ ... مشى العذارَى عليهن الجلابيبُ
والمخرجُ العاتقَ العذراء مُذْعِنَةً ... فى السَّبْىِ ينفَحُ من أردانها الطيبُ

(١) المثعنجر : السائل من ماء أو دمع أو غيره .

عنان الناطفية[1]

مولَّدَةٌ من مولدات اليمامة ، وبها نشأتْ وتأدبتْ ، واشتراها الناطفى ، ورَبَّاها .

وكانت صفراءَ مليحةَ الوجهِ ، والأدب والشعر ، سريعةَ البديهة .

وكان فحولُ الشعراء يساجلونها ويقارضونها فتنْتَصِفُ منهم .

دخل أبو نواس يوما على عِنان فتحدثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت أبياتا .

قالت : هات . فقال :

إن لى أيْرا خبيثا   عارِمَ الرأسِ فَلُوتا
لورأى فى الجو صَدْعا   لَنزَا حتى يَمُوتا
أو رآه حول سَقْفٍ   صار فيه عنكبوتا
أو رآه جوف بَحْرٍ   خِلْتَه فى البحر حُوتا

قال : فما لبِثَتْ أن قالت :

زَوِّجوا هذا بألفٍ   وأظنُّ الألفَ قوتا
إننى أخشى عليه   إن تمادَى أن يَموتا
مادَرَوْا ما حلّ بالمسـ   ـكين خوفاً أن يَفُوتا
قبل أنْ ينتكسَ الداء   فلا يأتِى ويُوتَى

فأخجلته ، ثم قال لها مولاها : اعتذرى إليه . فقال : لا تعتذرى لا أعذرَ اللهُ من عَذَرَكِ ، ثم تفارقا بعد ذلك . وكان كلٌّ واحد منهما لا يصبر عن صاحبه :

ودخل عليها يوما فقال لها :

ماذا تَرَيْن لصَبٍّ   يريدُ منكِ قُطَيْرَهْ

فأجابته :

إياى تعنى بهــذا عليك فاجْلِدْ عُمَيْرَهْ

فقال لها :

أُريد هــذا وأخشى على يدى منك غَيْرَهْ

فخجِلَتْ وقالت : تمست وتعِسَ من يغارُ عليك .

قال مروان بن أبى حفصة : لقينى الناطِفانىُّ فدعانى إلى عِنان ، فانطلقت معه ، فدخل إليها قبلى ، فقال لها : قد جئتُك بأشعرِ الناس مروانِ بن أبى حَفْصَة. فوجدها عليلة . فقالت له : إنى عن مروانَ فى شُغْل ، فأهوى إليها بسوطٍ فضرَبها به ، وقال لى : ادخل ، فدخلت ، وهى تبكى ، فرأيت الدموعَ تتحدر من عينيها فقلت :

بكت عِنــانٌ تَجرَى دمعها كالدُّرِّ إذ يَسْتَنّ من خيطه

فقالت وهى تبـكى :

فليتَ من يَضْرِبها ظالمـــا تَيْبَس يُمنـــاه على سَوْطه

فقلت له : عَتَقَ مروان ما يملكه إن كان فى الجنِّ والإنسِ أشعرُ منها .

ودخل بعضُ الشعراء على عِنانٍ فقال لها مولاها : سا جليه فقالت :

سَقْيا لبغــدادَ لا أرى بلداً يسكنُه السا كنون يُشْبِهُها

فقال :

كأنها فِضَّـــةٌ مُمَوَّهَةٌ أخلصَ تمويهُها مُمَوِّهُها

فقالت :

أمْنٌ وخفضٌ ولا كبَهْجَتِها أرغَدُ أرضٍ عَيْشا وأرفَهُها

فانقطع .

قال بعضهم: تصفحت كُتُباً فوجدتُ فيها بيتاً جَهِدتُ جَهْدى أن أَجدَ من يُجيزُه فقال لى صديقٌ لى : عليك بعنان الناطفانية فجئتها فأنشدتها :

وما زال يشكو الحب حتى رأيته تَنَفَّسَ من أحشائه وتـكلما

فلم تلبث أن قالت :

وَيَبْكِي فأبكي رحمةً لبكائه ... إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دما

قال الأصمعى : بعثت إلىّ أمُّ جعفر أنّ أميرَ المؤمنين قد لَهِجَ بهذه الجارية عنانٍ فإنْ صرَفْته عنها فلك حُكْمُك .

قال : فكنت أتوقع لأن أَجِدَ للقول فيها موضعا ، فلا أجدُه ، ولا أقدم عليه هيبةً له . فدخلت يوما فرأيت فى وجهه أَثَرَ الغضبِ ، فانْخزلت . فقال لى : مالك يا أصمعى ؟ فقلت : رأيت فى وجه أمير المؤمنين أثر الغَضَب ، فلعن اللهُ من أَغْضَبه . فقال : هذا الناطفى ، والله لولا أنى لم أَجُرْ فى حكم قطُّ متعمداً لجعلت على كل جبلٍ منه قِطْعةً ، وما لى فى جاريته من أَرَبٍ غير الشِّعْر . فذكرت رسالةَ أُمِّ جعفر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، واحدةٌ ما فيها غيرُ الشعر ، أَفَتَسُرّ يا أمير المؤمنين أن تَنِيك الفرزدق ؟ فضحك واستلقى ، واتصل قولِى بأُم جَعْفر ، فأجْزَلَت الجائزة .

وكان الرشيدُ استامَ من الناطفى جاريَتَه ، فأبى أن يَبِيعها بأَقَلّ من مائة ألف دينار ، على أن يأخذ بالدينار تسعةَ دراهم ، فامتنع عليه ، فأمر بأن تُحْمَل فدخَلَتْ مجْلِسَه فى هيأتِها تَنْتَظره ، فدخل عليها ، فقال لها : ويلك !! إن هذا قد اشتَطّ علىّ فى أمرك ، فقالت : وما يمنعك أن تُرْضِيَه وتُؤَمِّنَه ؟ فقال : ليس يَقْنَع بما أُعطيه ، وأمَرَها بالانصراف .

فيقال إن الناطفىّ تصدّقَ بثلاثين ألفَ درهم ، حين رجعت إليه . فلم يزل فى قلب الرشيد منها شىء ، حتى مات مولاها .

فلما مات بعث مسرور الكبير فأخرجها إلى باب الكرخ ، وأقامها على سرير ، وعليها رِداء رشيدى قد جللها ، فنودِى عليها فيمن يزيد ، بعد أن شاور الفقهاءفيها،

وقال : هـذه لبدة رطبة ، وعلى الرجل دين . فأشاروا ببيعها ، فكانت تقول وهى فى المصطبة : أهان الله من أهاننى وأرْذَلَ من أرذلنى . فلكزَها مسرورٌ بيده ، وبلَغَ بها مسرورٌ مائتى ألفِ دِرْهم ، فجاء رجل فقال : علىّ زيادةُ خمسةٌ وعشرون ألفا فلكَزَه مسرورٌ وقال : أتزيد على أمير المؤمنين ؟ ثم بلَغَ بها مائتين وخمسين ألفا ، وأخذها له ، ولم يكن فيها شىء تعاب به ، وطلبوا لها عَيْبا لئلا تصيبهَا العين فوضعوا بخنصرها فى ظفر رجلها شينا . وأولدها اثنين . وأظنُّهما ماتا صغيرين ، ثم خرج إلى خراسان ، ومات هناك ، وماتت عنان بعده .

وقال أبو نواس من قصيدة يمدح بها يَزيدَ بنَ مَزْيد وشَبَّبَ فيها بعنان :

عنان يا من تُشبه العِينا أنت على الحب تَلومينـــا[1]
حسنُك حسنٌ لا أرى مثلَه قد ترك النـــاس مجانينا

لما ساوم الرشيدُ بعنانٍ بلغ أمَّ جعفرٍ ذلك ، فشَقّ عليها فدَسَّتْ إلى أبى نواس أن يحتال فى أمرها ، فقال يهجوها :

إن عنـان النِّطافِ جاريةٌ أصبح حِرُها للنَّيْك ميدانا
ما يشتريها إلا ابن زانيــة أو قُلْطُبانٌ يكون من كانا

فبلغ شعرُه الرشيدَ ، فقال : لعن الله أبا نواس وقبَّحه ، فلقد أفسدَ علىَّ لذَّتى فى عنان بما قال ، ومنعنى من شرائها .

(١) أنتم على الحب تلومونا (ديوان ٣٩٨) .

علي بن أُميةَ بنِ أبي أُمية[1]

كان أبوه يكتبُ للمهدي على ديوان بيت المال ، وديوان بيت الرسائل والخاتم . وكان هو منقطعا إلى إبراهيمَ بنِ المهدي ، وإلى الفضل بن الربيع .

ولما قال علي بن أُمية هذه القصيدة :

يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمنِ   كم لك من مَحْوِ منظرٍ حَسَنِ
محَوْتِ آثارنا وأحدَثْتِ آ   ثاراً بربعِ الحبيبِ لم تكنِ
إن تكُ يارَبْعُ قد بَليتَ من الر   يحِ فإنى بالٍ من الحزَنِ
قد كان يا ربعُ فيك لى سَكَنٌ   فصِرْتَ مُذْ بانَ بعده سَكَنى
شبهْتُ ما أبْلَتِ الرياحُ من آ   ثارِ حبيبيَ النائى بِلَى بَدَنى
حاشاك ياريحُ أن تكون على الـ   عاشق عَوْناً لحادثِ الزَّمَنِ
يا ربِّ خذنى وخذ عليا [وخذ]   يا ريح ما تصنعين بالدمن
عَجِّلْ إلى النارِ بالثلاثةِ والـ   رابعِ عَمْرٍو الغزّالِ فى قَرَنِ

ندم وقال : هؤلاء أهلُ بيتٍ ، وهم إخوتى ، ولا أُحِبّ أن تَنْشب بينى وبينهم عداوةٌ وشرٌّ ، فأتى أُميةَ فقال : إنى أذنبتُ فيما بينى وبينكم ذنبا ، وقد جئت مستجيراً بك من فتيانك ، فدعا بعلى بن أُمية ، فقال : هذا عمُّك ، أبو موسى ، قد أتاك مستعيذاً[2] من الشعرِ الذى قاله . قال: وما هو ؟ فأنشده ، فقال: قد ضجرنا [نحن] والله منه كما ضجرت [أنت] وأكثر وأنت آمن أن يكون منا جواب .

وأتى محمد بن أبى أُمية فقال له مثل ذلك .

---

(١) الأغانى ٢٠ : ٦٣ .

(٢) معتذرا (أغانى) .

ومضى أبو أمية ، فأخذ على بن أمية رقعة وكتب فيها :

كم شاعرٍ عنـد نفسه فَطِنٌ ... ليس لدينا بالشاعرِ الفَطِنِ
قد أَخْرَجَتْ نفسُه بغُصّتهـا ... ياريحُ ماتصنعين بالـدِّمَنِ

ودفع الرقعة إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أبى موسى ، وقل له : يقول لك مولاك : اذكرنى بهذه الرُّقْعَةِ إذا انصرفْتَ إلى المنزل ، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامُه بالرُّقعة ، فقال له : هذه الرقعةُ التى بعثتَ بها إلىّ قال : والله ما بعثتُ إليك رقعةً وأظن الفاسقَ قد فَعَلها .

ثم دعا ابنَه فقرأها عليه ، فلما سمع ما فيها قال لى : يا غلام لا تَنْزِعْ عن البغلة ، فرجع إلى عَلِىّ بن أمية فقال : نشدتك اللهَ أن تزيد علـى ما كان . فقال له : أنت آمن .

كان عبيدُ الله بنُ جعفر بن المنصور محبا لعمرو الغزال . وكان عمروٌ يستحق ذلك بكلِّ وجه ، إلا من طريق[1] صنعة الغناء ، فإنه كان ظريفا أديبا حسَنَ الوجـه واللباس ، معه من كل شىء من آلة الفتوة ، وكان عبيد الله قليلَ الفهم بصناعة الغناء فكان يظنُّ أنه قـد ظَفِرَ منه بكنز من الـكنوز . وكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو الغزال وصنعته . فـكان من يحضر مجلسه ممن يَفهم هـذه الصناعةَ يشقى بغم ، ويتنـكدُ من لسانه .

وكان الرشيد قد استحضره وسمع غناءه :

ياريح ما تصنعين بالدمن ... ...

وكان صوتا مليحا خفيفا ، فأطربه ووصله بألف دينار ، وأخذه إليه باتفاق غريب . وذلك أن عيسى أخا عُبَيْدِ الله بن جعفر كان يطعن فى عقل أخيه ، عبيد الله ،

---

(١) إلا ما يدعيه من طريق (أغانى) .

عند الرشيد ، ويقع فيه لديه ، فسمعه يوما عيسى ، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيما ، ليزيد بذلك عبيدَ الله رغبة فيه ، ويجعله سببا قويا عند الرشيد إذا سمعه بضَعْفِ عقله .

فلما سمعه الرشيد كان أول ما سمع منه :

يا ريح ما تصنعين بالدمن ... ...

فاستخفَّه وصار فى عداد مغنيه ، فاتفق أن عبيدَ الله بن جعفر انصرف يوما من الشمَّاسيّة[1] فلقيه الخضرُ بن جبريل . وكان فتى الناس فى العسكر ، فعاتبه عبيد الله على تَرْكه ، وانقطاعه عنه . فقال : والله ما أفعلُ هذا جهلا بحقّك ، ولا إخلالا بواجبك ، ولكنا فى طريقين متباينين ، ولا يمكن معهما اجتماعٌ فقال : وما هما ؟ قال : إنك على نهاية السَّرَفِ فى أمْرِ عمرو الغزّال وحبه ، وأنا على نهاية السَّرف فى بُغْضه ، وأنت تتوهم أنك لا يطيبُ عيشُك إلا به ، وأنا أتوهم أننى إن عاشرته ساعةً مِتُّ وتقطعت نفسى غيظا وكمدا ، فما يستقيمُ بيننا مع هذا عِشْرَةٌ أبداً .

فقال له عبيد الله : إذا كان هذا على هذه الصورةِ فأنا أُعْفيك منه إذا زُرْتنى ، فصر معى الآن آمنا ، ففعل ، ولم يجلس عبيد الله حتى قال لحاجبه : لا تُدخل علىّ اليومَ أحداً ، ولا تستأذنْ علىّ لخلْقٍ ألبتةَ ؛ ودخل .

فلما وُضِعَت المائدة لم يَسْتَقِرّ حتى دخل الحاجبُ ، فوقف بين يديه وأقبل عمروٌ الغزّالُ خلفَه يراه من أقصى الصحن . فقال له عبيد الله : ثَكِلَتْك أُمُّك ، ألم أقل لك لا تُدْخِل علىّ أحدا من خلق الله ؟ فقال له الحاجب : امرأتُه طالق إن [كان] عنده إنّ عمراً عندك فى هذا المَجْرَى ، ولو كان الملائكةُ لم يدخلوا عليك إلا بإذنٍ سوى عَمْرٍو ومن قبل أمرتنى ألا أستأذِنَ له خاصَّةً ، وأن يدخل متى شاء على كل حال .

(١) الشماسية : صحراء كانت بأعلى بغداد ينسب إليها باب من أبوابها .

ولم يَفرُغ الحاجبُ من كلامه حتى دخل عمرو فجلس على المائدة ، وتغير وجه الخضْرِ وبانت الكراهيةُ فيه فما أكل أكْلا فيه خيرٌ . وتبين عبيدُ الله ذلك فرُفعت المائدة ، وقُدِّم النبيذُ ، فجعل الخضرُ يشرب شربا كثيرا شديداً لم يُمْهَدْ بِشُرْبِ مثله ، فظَنَّ به أنه يريد بذلك أن يستريح من عمرو الغزّال ، وعمرٌو يُغَنِّى لا يفْتُر وكلما تغنَّى قال له عبيد الله : لمن هـذا الصوت يا حبيبي ؟ فيقول : لى ، وفى المجلس جـوارٍ مطرباتٌ محسناتٌ ، وعمرٌو يقْطَعُ غناءهن بغنائه ، وتبين فى وجه الخضْر العربدةُ إلى أن قال عمرو ، عَقِبَ صوتٍ غنّاه : هذا لى ، فوثب الخضرُ فكشف استه وخَرَى فى وسط المجلس على بساط خَزٍّ لم يُرَ مثلُه لأحد ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك فهذا الخراء لى . فغضب عبيدُ الله وقال : يا خَضْر أكنت تستطيع تفعلُ أكثرَ من هذا ؟ قال : أى والله ، أيها الأمير ، ثم وضع رجليه على سَلْحِه ومشى على البساط مقبلا ومدبرا ، وهو يقول : وهذا لى ، وهذا لى ، وتفرق الجماعة على أسوأ حال ، وشاع الخبرُ ووصل إلى الرشيد ، فضحك حتى غلب عليه ودعا بالخضْرِ فجعله فى ندمائه منذُ يومئذ . وقال: هذا أطيبُ خلق الله ، وانكشف عنه عوارُ عمرو الغزّال وحُجِب، فسقط منذ يومئذ وسقط غناؤه فلم يُذْكَرْ منه حرف إلا غناؤه :

يا ريحُ ما تصنعين بالدمن ... ...

قال أبو هَفّان : كنا فى مجلس ، وعندنا مغنيةٌ تغنينا ، وصاحب المجلس يهواها، فجعلت تكايدُه وتومئ إلى غيره بالمَزْح والتجميش ، وتَغيظُه بجهدِها ، وهو يكاد يموت قَلَقاً وهمًّا ، وتنغص عليه يومه والْحَتْ فى أمرها ، ثم سقط المضرابُ من يدها، فأكبَّتْ على الأرض ، فضرطت ضرطةً سمِعَها جميعُ من حضر ، وخَجِلَتْ فلم تدرِ ما تقول ، فأقبلَتْ على عشيقها فقالت له : أى شىء تشتهى أن أغنى لك ؟ قال : غنى :

يا ريح ما تصنعين بالدمن ... ...

فخجلَت ، وضحك القومُ حتى أفرطوا فبَكَتْ ، وقامت من المجلس ، وقالت : أنتم قومٌ سفل، فلعنةُ الله على من يعاشِرُكم ، وغضبت ، وخرجت، وانقطع ما بينهما .

قال الحسين بن الضحاك :

كنتُ فى مجلس قد دُعينا إليه ، ومعنا علىّ بن أُمية ، فملِقَتْ نَفْسُه بقَيْنة دُعِيَتْ يومئذ إلى مجلسنا فأقبل عليها ، فقال : أتغنّين :

خَبِّرينى مَنِ الرسولُ إليك　　　واجعليه من لا يَنِمُّ عليك

وأشيرى إلى من هو باللّحْظِ　　　ليَخْفَى على الذين لديك

فقالت : نعم وغنته لوقتها وزادت فيه [هذا البيت] :

وأقل المزاحِ فى المجلس اليـ　　　ـوم فإن المزاح بين يديك

ففطِنَ لما أرادت ، وسُرَّ بذلك ، ثم أقبلت على خادم واقف ، فقالت له : يا مسرور اسقنى ماء فسقاها ، ففطن ابنُ أبى أُمية أنها أرادت أن تُعْلمه أن مسرورا هو الرسولُ ، فخاطبه فوجَدَه كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردد فى الرسائل بينهما .

عبدُ الله بن يحيى الكندى[1]

أحدُ بنى عمرو بن معاوية ، من حضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، فكان يقول قبل أن يخرج : لقِيَنى رجلٌ فأطال النظرَ إلىّ . وقال : ممن أنت ؟ قلت : من كِنْدة قال: من أيهم؟ قلت: من بنى سَيْبان[2] قال: والله لتَمْلِكَنّ ولتَبْلُغَنّ خَيْلُك وادى القرى. وذلك بعد أن تذهبَ إحدى عينيك ، فقد ذهبت وأنا أتخوفُ ما قال ، وأستخيرُ الله عز وجل .

ورأى باليَمَنِ جَوْراً ظاهراً ، وعسفا شديدا ، وسيرةً فى الناس قبيحة . فقال لأصحابه: مايحلّ لنا المُقامُ على ما نرى ، ولا يَسَعُنا الصبرُ عليه ، وسنكتب إلى أبى عبيدة ومسلمة بن أبى كريمة الذى يقال له كودين مولى بنى تميم ، وكان ينزل فى الأزد ، وإلى غيره من الأباضية فى البصرة ، ليشاورَهم فى الخروج . فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألّا تقيم يوما واحداً فافعل ، فإن المبادرةَ بالعمل الصالحِ أفضلُ ، ولست تدرى متى يأتى عليك أجلُك ، ولله خِيَرَةٌ من عباده يبعثُهم متى شاء لنَصْرِ دِينِه ويختصُّ بالشهادة منهم من يشاء ، وشخص إليه أبو حمزةَ المختارُ بن عوف الأزدى أحدُ بنى سَلَمَةَ وبلج بن عُقْبة فى رجالٍ من الأباضية ، فقدموا عليه حضرموت ، فحثّوه على الخروج ، وأتَوْه بكتبِ أصحابه ، وفيها : إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتَدوا بسلَفِكم الصالحين وسيروا سيرَتَهم .

فدعا أصحابه فبايعوه ، وقصدوا دار الإمارة بحضرموت سنة ثمان وعشرين ومائة، فدخلها ، وأقام بها أشهراً ، فكثُرَ جمْعُه ، وسموه طالبَ الحق ، وكان على حضرموت

---

(١) الأغانى ٢٠ : ٩٧ .

(٢) فى الأصل (سهمان) والتصويب عن الجمهرة والقاموس .

إبراهيمُ بن جَبَلة بن مَخْرمة الكِنْدىّ فأخذوه وحبسوه يوما، ثم أطلقوه فأتى صنعاء، ثم كتب إلى من كان من أصحابه بصنعاء : إنى قادم عليكم ، واستخلفَ على حضرموتَ عبدَ الله بن سعد الحضرمىّ ، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة ، فى ألفين .

وبلغ الخبرُ القاسمَ بن عمرٍو ، أخا يوسف بن عمرو ، وهو عاملُ مروانَ بنِ محمد على صنعاء ، فالتقيا ليلا على مسيرة يومين من صنعاء ، فقال الناس للقاسم : أيها الأمير لا تُقاتِلْ الخوارجَ ليلا ، قال : فقاتَلَهم ، فقتَلوا من أصحابه كثيرا ، وانهزم ليلا ، فمر بعسكره ، فأمَرَهم بالرحيل ، ومضى إلى صنعاء ، فأقام يوما ، ثم خرج فعسكر قريبا من صنعاء ، فخندق ، وخَلَّفَ بصنعاء الضحّاكَ بنَ زيْد . فأقبل عبدُ الله بن يحيي فنزل على مِيلين من عسكرِ القاسم فوجّه القاسمُ يزيدَ بن الفَيْض ، فى ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا ، فرجع يزيدُ إلى القاسم، فاستأذنه فى بَياتِهم فأبى أن يأذن له ، فقال له يزيد : لئن لم تُبيِّتْهم ليُبيِّتُنَّك. فأبى ، فأقاموا يومين لا يلتقون ، فلما كان فى الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيي ، فوافاه مع طلوع الفجر ، فقاتلهم الناسُ على الخندق ، فغلبتهم الخوارجُ عليه ، ودخلوا عسكرهم ، والقاسم يصلى ، فركب وقاتلهم الصلتُ بنُ يوسف ، فقُتِلَ فى المعركة. وقام بأمر الناس يزيدُ بن الفَيْض ، وقاتلوا حتى ارتفع النهار ، فانهزم أهلُ صنعاء فأراد أبرهة بن الصبّاح اتباعَهُم فمنعه عبدُ الله بن يحيي ، واتبع يزيدُ بنُ الفَيْضِ القاسمَ بن عمرو ، وأخبره الخبر ، ودخل عبدُ الله بن يحيي صنعاء ، وأخذ الضحاكَ بنَ زيد وإبراهيمَ بنَ جبلةَ ابنِ مَخْرَمة فحبسهما ، وجمع الخزائنَ والأموالَ فأحْرَزَها ، ثم أطلق الضحاكَ وإبراهيم . وقال : إنما حبستكما خوفا عليكما من العامّة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما إن شئتما أو اشخصا ، فخرجا .

ثم إن عبدَ الله بن يحيي لما استولى على اليمن خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وحذّر ووعَظَ وذَكَّر ، ثم قال :

إنا ندعوكم إلى كتاب الله ، عز وجل، وسنةِ نبيِّه ، وإجابة من دعا إليهما . الإسلامُ ديننا ، ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم نبيُّنا ، والكعبة قبلتُنا ، والقرآن إمامُنا ، رضِينا بالحلال حَلَالًا لا نبتغي به بَدَلا ، ولا نشترى به ثَمنا ، وحرَّمْنا الحرامَ ، ونبذْناه وراءَ ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكَى ، وعليه المُعوّل . من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمرَ فهو كافر ، ومن شَكَّ فى أنه كافر فكافر . ندعوكم إلى فرائضَ بَيِّنات ، وآياتٍ محكماتٍ ، وآثار نقتدى بها ، ونشهد أن الله صادقٌ فيما وَعَد ، عدلٌ فيما حَكَم ، وندعو إلى توحيد الربِّ، واليقينِ بالوعيدِ والوَعْدِ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والولايةِ لأهْل ولاية الله، والعدواة لأعدائه .

أيها الناس ، إن مِنْ رحمة الله أن جعل فى كل فَتْرةٍ بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون على الألم فى جَنْب الله، يُقبلون على الجدّ فى سالفِ الدهور، فلم يَنْسَهم ربُّهم « وما كان ربُّك نَسِيًّا » .

أُوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلكم به ؛ فأبْلوا فى الله بلاء حسنا بالقيام فى أمْرِه وزَجْره .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وأقام عبد الله [بن يحيي] بصنعاء أشهراً ، يحسن السيرةَ فيهم ، ويُلِينُ بالقيام جانِبَه لهم ، ويكف عن الناس فكثُرَ جمْعُه ، وأتته الشُّراة من كل جانب .

فلما كان وقتُ الحج ، وجه أبا حمزة ، المختارَ بن عوف ، وبلج بن عُقْبة وأبرهة ابن الصباح إلى مكة فى ألف[1] رجل ، وأمَرَه أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ، ويوجِّه بلجاً إلى الشام . فأقبل المختار إلى مكة فقدمها يومَ الترْوية ، وعليها عبدُ الواحد ابن سليمانَ بن عبد الملك وأمه بنتُ عبد الله بن خالد بن أسيد فكَرِه قتالَهم .

(١) فى تسعمائة وقيل بل فى ألف ومائة (أغانى) .

وكان أول أمر المختار بن عوف الأزدى السَّلَمِيِّ من أهل البصرة أن كان يوافى كل سنة يدعو إلى خلافة مروان ، فلم يزل يختلفُ فى كل سنة حتى وافى عبدَ الله ابن يحيى فى سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له : يارجل . إنى أسمعُ كلاما ، وأراك تدعو إلى الحق ، فانطلق معى ، فإنى رجلٌ مطاع فى قومى[١] فبايعه على الخلافة .

وخرج فى سنة تسع وعشرين ومائة حتى أتوا مكةَ يومَ التروية ، فلم يشعر الناسُ وهم بعرفة حتى طَلَعَتْ أعلامٌ سود فى رءوس الرماح ، ففزع الناس حين رأوهم ، وقالوا لهم : مالَكم وما حالُكم ؟ فأخبروهم بخلعهم مروانَ ، وآل مروان والتبرِّى منهم ، فراسلهم عبدُ الواحد بن سليمان يومئذ ، وهو على المدينة ومكة ، والموقف ، ودعاهم إلى الهُدنة ، فقالوا : نحن لحجِّنا أضْونُ ، وعليه أشَحُّ . فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون ، بعضهم من بعض ، حتى يَنْفِر الناس النَّفْرَ الأخير ، وأصبحوا من غَدٍ فوقفوا بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالناس ، فلما كانوا بمنى ، قالوا لعبد الواحد : قد أخطأت فيهم ، ولو حمل عليهم الحاجُّ ما كانوا إلا أكلةَ رأس ، فنزل أبو حمزة بقرن[٢] الثعالب من منى ونزل عبد الواحد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر ورجال من أمثالهم فلما دَنَوا من قرن الثعالب لقيهُم مشايخُ أبى حمزة فأخذوهم ، فدخلوا بهم على أبى حمزة ، فوجدوه جالسا ، وعليه إزار قطرىٌّ ، فلما دنوا منه تقدم إليه عبدُ الله بن حسن ، ومحمدُ بنُ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبهما ، فلما انتسبا عَبَس فى وجوههما ، وأظهر الكراهةَ لهما ، ثم تقدم بعدهما البكرىُّ والعُمَرِىُّ فنسبهما ، فلما انتسبا هش لهما وتبسم فى وجوههما ، وقال لهما : ما خرجنا إلا لنسيرَ بسيرة أبويكما . فقال له

(١) فخرج حتى ورد حضرموت (أغانى) .

(٢) قرن الثعالب هو قرن المنازل ، ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة (مراصد) وكانت قرن فى الأصل قرى .

عبدُ الله بن حسن : ما جئناك لتفاضل(١) بين أبوينا ، ولكن بعثنا الأمير إليك برسالة ، وذكروا له نقْضَ العهدِ . قال بلج وأبرهة : الساعةَ الساعةَ ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن ننقض العهد ، وأن نبخس به ، والله لا أفعلُ ولو قُطعت رقبتى هذه ، ولكن تنقضى هذه الهدنة بيننا وبينكم ، فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبدَ الواحد ، فلما كان النفْرُ الأول نَفَر عبد الواحد ، وخلت مكةُ لأبى حمزة ، فدخلها بغير قتال ، فقال بعض الشعراء يهجو عبدَ الواحد بن سليمان :

وأرى الحجيجَ عصابةً قد خالفوا ... دينَ الإلـه ففرَّ عبـدُ الواحدِ
تركَ الإمارةَ والحلائلَ هـاربا ... ومضى يخبط كالبعيرِ الشـاردِ
لو كان والدُه تخَـيَّر أمَّه ... لصفتْ خلائله بعِرْقِ الوالد

ثم مضى عبدُ الواحد فدخل المدينة ، وضرب على الناس البعث وزادهم فى العطاء عشرةً عشرةً ، واستعمل على الناس عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وخرجوا ، فلما كانوا بالحرَّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة ، فمضوا ، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسَمرة ، فانكسر الرمح ، وتشاءم الناس بالخروج ، ثم ساروا حتى نزلوا قديداً ، ليلا ، فنزل قوم يتمثرون ، ليسوا بأصحاب حرب ، فلم يرعهم إلا والقومُ قد خرجوا عليهم .

وقيل : إن خزاعة دلت أبا حمزة على عَوْرتهم ، فأدخلوهم عليهم فقتلوهم ، وكانت المَقْتَلَةُ على قريش ، وكانوا أكثرَ الناس فيهم ، ولهم كانت الشوكة . فأصيب منهم عدد كثير .

ثم ورد الخبرُ إلى المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ، فكانت المرأة تقيم على حميمها النوائح ، والنسوة عندها ، فيأتى النسوةَ أيضا خبر حَميمهن فينصرفن حتى لا يبقى إلا صاحبةُ المأتم .

---

(٢) فى الأصل : (إلا لتفاضل) وظاهر الكلام يقتضى حذف إلا .

وكانت الوقعة يوم الخميس لسبع خَلَوْن من صفر سنة ثلاثين ومائة .

وبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا ، منهم من قريش أربعةٌ وخمسون رجلا ، ومن الأنصار ثمانون رجلا ، ومن الموالِي والقبائلِ ألفٌ وتسعُمائة رجل .

ودخل بلجٌ المدينةَ بغير حرب ، فدخلوا فى طاعته ، وكَفَّ عنهم ، ورجع أبو حمزة إلى مكة ، وكان على شُرْطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة ، من بنى عَدِىّ ، فكان أهلُ المدينة يقولون : لعن الله السُّراقِىّ ولعن بَلْجًا العراقىّ .

وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم :

ما للزمان وما ليه أَفْنَتْ قديدُ رجاليه

فلأبكين[1] سريرة ولأبكين[1] علانيه

ولأبكين[1] إذا خلوت مع الكلاب العاويه

ولأثنين[2] على قديد بسوء ما أبلانيه

وقال عمرو بن الحُصَين الأباضىُّ الكوفىُّ ، مولى بنى تميم ، يذكر وقعةَ قَديد وأمرَ مكة ، وأنشدها الأخفشُ عن السُّكَّرىّ[3] والأحول وثعلب وكان يستجيدها ويفضلها :

ما بالُ هَمِّك عنك ليس بعازبِ تمرى سوابقُ دمْعِك المتساكبِ

وتبيت تكتلئ النجومَ بِقُلَّةٍ عَبرى تُسَرُّ بكل نجم آيبِ

حذرَ المنية أن تجىء بداهةً لم أقض من بيع الشُّراةِ مآربى

---

(١) فى الأصل فلا تبكن فى ا ـ ب، وما ذكرناه عن الأغانى .

(٢) فى الأصل : (ولا يدى) .. والشطر الثانى بياض فى الأصل ثم (ابلانيه) والتصويب عن الأغانى

(٣) فى الأصل : اليشكرى وفى الأغانى ما ذكرناه .

فأقودُ فيهم للعدا شَنِج النَّسا[1] عبلَ الشَّوَى أسوانَ ضمرَ الحالبِ
فى فتيةٍ صُبر ألَّفهمو به لف القداحِ يد المفيض الضاربِ
فتــدور عن وهم وفيهم بيننــا كأسُ المنون تقولُ هل مِنْ شاربِ
فيظل يسقيهم ويَشربُ من قنا سُمْرٍ ومُرْهَفةِ النصولِ قواضبِ
بينا كذلك نحن حَارَتْ طعنةٌ نجلاء بين رهائبٍ وترائبِ
جوفاء منهرة ترى تامورَها[2] ظُبتا سنانٍ كالشهاب الثاقب
ومُبَرِّزين من القانب[3] أحرزوا خُصَلَ المكارم أتقياء أطايبِ
هزوا صوارمَ للجلاد وباشروا حَدّ الظُباة بآنُفٍ وحواجبِ
ناطوا أمورَهمُ بأمرِ أخٍ لهم فرمى بهم أَمَمَ الطريق اللاحبِ
مُتَسَرْبلِى حلق الحديد كأنهم أُسْدٌ على لحقِ البطونِ سلاهبِ
قيدت [من] أعلَى حضرموتَ فلم تزل تنفى عداها جانبا عن جانب
تحمى أعنتَّها وتحوى نهبهـا لله أكرمُ فتيــةٍ وأشائبِ
حتى وردن حياضَ مَكَّةَ قطبنا يحكين واردةَ الهِمام القاربِ
ما إن أتين على أخى جَبْرية إلا تركنهمو كأمسِ الذاهبِ
فى كل معترك لها من هامِهم فلق بقَضٍّ عُلِّقَت بعنــاكبِ
سائل بيوم قديدَ عن وقعاتهم تُخْبِرْكَ عن وقعاتهم بعجائبِ

ودخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة .

ومضى عبدُ الواحد بن سليمان إلى الشام ، فرَقى أبو حمزةَ المنبرَ فحمد الله تعالى وأثنى عليه .

---

(١) الشنج محركة: تقبض فى الجلد وفرس وشنج النساء مدح لأنه إذا شنج لم تسترخ رجلاه، قاموس
(٢) التامور : النفس وحياتها والقلب وحبته وحياته والدم .
(٣) فى الأغانى (ومبرئين من المعايب) .

ثم بَكَّتَ أهلَ مكةَ وأهلَ المدينة بما فعلوه حرفا حرفا ، وما فعله بهم بنو مروانَ ، وذمَّهُم وذمَّ سيرتَهم ، ومدح أصحابه وأثنى عليهم .

ففعل ذلك فى غيرِ مَرَّة فى كلها، ذلك دأْبُه .

ثم رقى المنبر يوما فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

تعلمون يا أهلَ المدينة أنا لم نخرجْ من ديارنا وأموالنا أشَراً ولا بَطَراً ولا عَبثا ولا لهوا ، ولا لدولة مُلْكٍ نريد أن نَخُوض فيه ولا لثأر قديم نِيلَ منا ، ولكنا لما رأينا مصابيحَ الحقِّ قد عُطِّلت ، وعُنِّفَ القائلُ بالحق ، وقُتِلَ القائم بالقِسْط ، ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبَت وسمِعنا داعيا يدعو إلى طاعةِ الرحمن، وحُكْمِ القرآن، فأجَبْنا داعى الله « ومَن لا يُجِبْ داعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فى الأرض » فأقبلْنا من قبائلَ شتى النفر منا على بعير واحد ، عليه رداؤهم وأنفُسهم يتعاورون لحافا قليلون مستضعفون فى الأرض فآوانا الله عز وجل وأيدنا بنصره فأصبحنا ـ والله حميد ـ بنعمته إخوانا ، ثم لقينا رجالَكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعةِ الرحمن ، وحُكْم القرآن ، ودَعَوْنا إلى طاعة الشيطان ، وحكم مروان وآل مروان ، فشتانَ ، لعمرُ الله، ما بين الغَيِّ والرُّشْد .

ثم أقبلوا يُهْرَعون ويزفّون ، فضرب الشيطانُ عليهم بجِرَانه وغَلَتْ بدمائهم مراجِلُه ، وصدق عليهم ظَنُّه ، وأقبلتْ أنصارُ الله عصائبَ وكتائبَ ، بكل مهند ذى رَوْنَق ، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم ، بضَرْبٍ يرتابُ منه المبطلون .

وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآلَ مروان يُصِبْكم الله بعذاب من عنده ، أو بأيدينا ، ويَشْفِ صدورَ قوم مؤمنين .

يا أهلَ المدينة ، أوَّلُكم خيرُ أوَّل ، وآخركم شرُّ آخر .

يا أهل المدينة ، الناس مِنّا ونحن مِنْهم إلا مشركا أو عابدَ وَثَن ، أو كافرا من أهل الكتاب ، أو إماماً جائرا .

يا أهلَ المدينة ، من زعم أن اللهَ كلَّفَ نفسا فوقَ طاقتها ، أو سألها عمَّا لم يُؤْتِها فهو لله عَدُوٌّ ، ولنا حَرْب .

يا أهل المدينة ، أخبرونى عن ثمانية أسْهمٍ فَرَضَها الله فى كتابه على القوىّ والضعيف ، فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سهمٌ واحد ، فأخذ جميعَها لنفسه ، مكابراً جائرا ، محاربا لربه ، فما تقولون فيه وفيمن عاونَه على فِعْله ؟

يا أهل المدينة ، بلغنى أنكم تَنْتَقصون أصحابى ، قلتم : هم شبابٌ أحداثٌ وأعراب جفاة .

وَيْحَكم يا أهل المدينة ، وهل كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا شبابا أحداثا !!

شبابٌ والله مُلْهمون(١) فى شبابهم ، غضيضةٌ عن الشر أعينهُم ، ثقيلةٌ عن الباطل أقدامُهم ، قد باعوا أنفسا تموت غداً بأنفس لا تموت أبدا .

قد خَلَطوا كَلَالَهم بكلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيام نهارِهم ، منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآيةِ خَوْفٍ شَهَقُوا خوفا من النار ، وإذا مروا بآية شَوْق شَهَقوا شوقا إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف انْتُضِيَتْ ، وإلى الرماح أُشْرِعت ، وإلى السهام فُوِّقَتْ ، وأرعدت الكتائبُ بصواعقِ الموت ، استخفوا وعيدَ الكتيبة عند وعيد الله عز وجل ، ولم يستخِفُّوا وعيدَ الله ، عز وجل ، عند وعيدِ الكتيبة . فطوبى لهم وحُسْنُ مآب .

فكم مِنْ عَيْنٍ فى منقارِ طائر(٢) طالما بكى صاحبُها من خَشْية الله .

---

(١) مكتهلون (أغانى) .

(٢) فى الأصل طار والتصويب عن الأغانى .

وكم من يد أُبينَتْ عن ساعدها ، طالما اعتمد عليها صاحبُها راكعاً وساجداً .

أقول قولى هذا وأستغفرُ الله فى تقصيرنا .

وما توفيقُنا إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب .

ورَقِىَ المنبَر مرةً أخرى ، وهو مُتنكب قوسا عربية ، فحمِدَ الله ، ثم أثنى عليه ثم قال :

قد بلغنى مقالتكم فى أصحابى ، ولولا معرفتى بضَعْف رأيكم وقِلَّة عقولكم لأحسنتُ آدابَكم ، بحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلَّ ، أُنزِلَ عليه الكِتابُ ، وبُيِّن له فيه السِّيَر ، وشُرِعَ فيه الشرائع ، وبُيِّن له فيه ما يأتى وما يَذَر ، فلم يكن يتقدّم(١) ولا يُحْجِم حتى قبضه الله ، عز وجل إليه ، صلى الله عليه وسلم . وقد أدّى الذى عليه ، ولم يَدَعْكم من أمرِكم فى شُبهة ، ثم قام من بعده أبو بكر ، فأخذ بسُنَّته ، وقاتلَ أهلَ الرِّدة ، وشمّر فى أمر الله ، حتى قَبَضَه الله إليه . والأُمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرتُه .

ثم ولى بعده عمر ، فأخذ بسُنَّة صاحبه ، وجند الأجنادَ ، ومصر الأمصار ، وجبى الفىء ، وقسَمَه بين أهله ، وشمّر عن ساق اجتهادِه ، وحَسَر عن ذراعه ، وضربَ فى الخمرِ ثمانين ، وقام فى شهر رمضان ، وغَزا العدُوَّ فى بلادهم ، وفتح المدائنَ والحصون ، حتى قبضه الله تعالى إليه ، والأُمةُ عنه راضون ، رحمة الله ورضوانُه عليه .

ثم وَلِىَ بعده عثمانُ بن عفان ، فعمِل فى ست سنين بسُنَّةِ صاحبيه ، ثم أحدَثَ أحداثا ، أبطل الآخرُ منها الأولَ ، فاضطرب حبلُ الدين معَه(٢) وطلبها كلُّ امرئ لنفسه ، وأسَرّ كلُّ رجلٍ سريرةً ، وأظهرها اللهُ وأبداها ، حتى مضَوْا على ذلك .

(١) إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن أمر الله (أغانى) .

(٢) بعدها (أغانى) .

ثم وَلِيَ علىٌّ بن أبى طالب[1] ـ فضَعَّفه وذكره رضى الله عنه بما نتبرأ عن حكايته .

ثم ولى معاويةُ بن أبى سفيان لَعِينُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وابنُ لَعِينه ، وجلْفٌ من الأعراب ، وبقيةٌ من الأحزاب ، مؤلف طليق ، فسَفَكَ الدمَ الحرامَ ، واتخذ عبادَ الله خَوَلا ، ومالَ الله دوَلا ، وبغى دينه عِوَجا ، ودَخَلا[2] ، وأحلّ الفرجَ الحرامَ ، وعمل بما يشتهيه ، حتى مَضَى لسبيله فعلَ الله به وفعل .

ثم ولى بعده يزيد الُخمور ، يزيد الصقور ، يزيد الفهود ، يزيد الصيود ، يزيد القرود ، فخالف القرآن ، واتبع الكُهّان ونادم القرد[3] وعمل بما يشتهيه ، حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل .

ثم ولى مروان بن الحكم ، فضيض[4] لعنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وابنُ لَعِينه ، فاسقٌ بطنِه وفَرجِه ، فالعنوه والعَنوا أباه .

ثم تداولها بنو مروانَ بعده ، أهلُ بيت اللعنة وطرداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقومٌ من الطُّلقاء ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار ، ولا التابعين بإحسان ، فأكلوا مالَ الله أكلا ، ولعبوا بدين الله لَعِباً ، واتخذوا عباد الله عبيدا ، يورثُ الأكبرُ منهم الأصغر ، فيالها من أُمَّةٍ ما أضيَعَها وأضْعَفَها ، والحمد لله رب العالمين .

ثم مَضَوا على ذلك من أعمالهم ، واستخفافهم بكتاب الله ، عز وجل ، ينبذونه وراء ظهورهم ، فالعنوهم كما يستحقون .

وقد وَلِيَ منهم عمرُ بن عبد العزيز ، فبلغ ولم يَكَدْ ، وعجز عن الذى أظْهَرَ ، حتى مضى لسبيله ـ ولم يذكره بخير ولا شر .

(١) فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ومضى . . . (أغانى) .

(٢) دغلا (أغانى) .

(٣) فى الأصل : ونادى القود، وما ذكرناه عن الأغانى .

(٤) طريد (أغانى) .

ثم ولى يزيدُ بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه ، غيرُ مأمون على شئ من أُمور المسلمين ، لم يبلغ أشُدَّه ، ولم يُؤْنَسْ رُشْدُه ، وقد قال الله عز وجل : « فإن آنَسْتم منهم رُشْدا فادفعوا إليهم أموالهم » فأمْرُ أُمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فى أحكامها وفروجها ودمائها أعظمُ من ذلك كله ، وإنْ كان ذلك عندَ الله عظيما .

مأبونٌ فى بطنه وفرجه ، يشربُ الحرامَ ويأكل الحرام [ويلبس الحرام] .

يلبس بُرْدَيْن قد حيكا له ، فَقُوِّما على أهلِهما بألف دينار ، وأكثر وأقل ، وأُخذت من غير حِلِّها ، وصرفت فى غير وَجْهِها ، بعد أن ضُرِبَتْ فيها الأبشار ، وحُلِّقَتْ فيها الأشمار ، واستُحِلّ ما لم يَحلّ لعبد صالحٍ ولا لنبيٍّ مُرْسل ، ثم يجْلِسُ — حَبابة عن يمينه ، وسَلّامة عن يساره ، يُغَنِّيانه بمزامير الشيطان ، ويشربُ الخمر الصُّراحَ المُحَرَّمة نصا بعينها ، حتى إذا أخذت مأْخَذَها وخالطت دَمَه وروحَه ، وغلبت سَورتُها على عَقْله مَزّق حُلَّتَه ، ثم التفت إليهما وقال : أتأذنان لى أنْ أطير ؟ نَعَمْ فطر إلى النار ، إلى لعنة الله ، حيث لا يَرُدُّك الله .

ثم ذكر بنى أُمية وأعمالَهم وسِيَرَتهم فقال :

أصابوا إمارةً ضائعةً ، وقوما طَغاماً جُهَّالا ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالةِ والهُدى ، ويَرَوْن أن بنى أُميةَ أربابلهم ، فملَكوا الأمرَ ، وتسلطوا فيه تَسَلُّط ربوبية ، بطشُهم بطشُ الجبابرة ، على الهدى(١) ، يقتلون على الغضب ، ويأخذون بالظَّنِّ ، ويُعَطِّلون الحدودَ بالشفاعات ، ويأتمنون الخونةَ ، ويقصون ذوى الأمانات ، ويأخذون الصدقةَ من غير فرضها ، ويضعونها فى غير موضِعها .

فتلك الفِرْقةُ الحاكمةُ بغير ما أنزل الله عز وجل ، فالعنوهم لَعَنَهم الله .

وأما إخوانُنا من هذه الشيعة وليسوا بإخواننا فى الدين الذين سمت الله عز وجل قال فى كتابه : « يا أيها الناسُ إنّا خَلَقْنا كم من ذكرٍ وأُنثى وجعلنا كم شعوباً وقبائل » .

(١) يحكمون بالهوى (أغانى) .

شيعةً ظاهرين بكتاب الله فأعلنت الفرية على الله ، لا يرجعون إلى نظرٍ نافذٍ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغٍ في الفقه ، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب ، قد قلّدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عَصَبية لِحزْبٍ لزموه . وأطاعوه ، في جميع مايقوله لهم ، غيًّا كان أو رُشْدًا أو ضلالةً أو هدى ، ينتظرون الدول في رَجْعَةِ الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبلَ الساعة ، ويدَّعون علمَ الغيبِ لمخلوقين ، لا يعلمُ أحدُهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلمُ ما ينطوي عليه ثوبُه ، أو يحويه جسمُه ، يَنْقِمُون المعاصيَ على أهلها ، ويعملون إذا ظَهَروا بها ولا يعرفون المَخْرَج منها .

جفاةٌ في الدين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلَّدوا أهلَ بيت من العربِ دينَهم وزعموا أن موالاتهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنْجيهم من عقاب الأعمال السيئة . قاتلهم الله أنَّى يُؤْفَكُون .

فأيُّ هؤلاء الفرقِ يا أهل المدينة تَتَّبِعون ؟

أو بأي مَذاهِبِهم تَقْتَدون ؟ !

ثم إنَّ مروانَ بَعَثَ من عسكره بأربعة آلاف ، ليفتحهم واستعمل عليهم ابنَ عَطِيَّة ، وأمَرَه بالجدِّ في السير ، وأعطى كلَّ رجل من أصحابه مائةَ دينار ، وفرسا عربية وبغلا لثِقْله ، وأمره أن يَمضِيَ فيقاتلَهم .

وقيل : بعثَ معهم ألفَ رجل من أهل الجزيرة ، فشَرَطوا على مروان أنهم إن قتَلوا عبدَ الله وأصحابه رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز . فأجابهم إلى ذلك . فخرج حتى نزل بالعلاء(١) فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له العلاء بن أَفْلَح مولى لأبي الغيث(٢) يقول :

(١) بالمعلى (أغاني) .

(٢) في الأصل لبني العبث، وما أثبتناه عن الأغاني، ويؤيده ما جاء بعد ذلك بقليل، وإن كانت العبث كررت ، وهي الغيث .

لقيني ، وأنا غلام ، رجلٌ من أصحاب ابنِ عطية ، فسألني : ما اسمُك يا غلام ؟ قلت : العلاء . قال : ابنُ مَنْ ؟ قلت : ابن أفْلَح . قال : عربي أم مَوْلى ؟ قلت : مولى . قال : مَوْلَى مَن ؟ قلتُ : مولى أبي الغيث . قال : فأين نحن ؟ قلت : بالعلاء قال : وأين نحن غدا ؟ قلت : بغالب ، فما كلَّمني حتى أرْدفني خلفَه ، ثم مضى بي حتى أدخلني على ابنِ عطية . فقال : سل هذا [الغلام] عن اسمه فرددت عليه القولَ كالذى قلتُ فسُرَّ بذلك ، ووهب لى دراهم .

فبعث أبو حمزة بلجا في ستمائة رجل ، ليقاتل ابنَ عطية ، فلقيه بوادِى القُرى لأيام خلت [من جمادى الأولى][(١)] سنة ثلاثين ومائة . فتوافقوا ، ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة ، وذكروا بنى أُميةَ وظُلْمَهم ، فشتَمَهم أهلُ الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداءَ الله بهذا أحقُّ ممن ذكرتموه . فحمل عليهم بلجٌ وأصحابه ، فانكسرت[(٢)] طائفةٌ من أهل الشام ، وثبَتَ ابنُ عطية فى عُصْبة ، صبروا معه ، فنادى أهلَ الشام : يا أهلَ الحفاظِ ناضلوا عن دينِكم وأميركم ! فكَرُّوا وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قتالا شديداً ، فقُتِلَ بلجٌ وأكثرُ أصحابِه ، وانحازَت قطعةٌ من أصحابه ، نحو المائة، إلى جبل فاعتصموا به . فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثةَ أيام ، فقتل منهم سبعين رجلا ، ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبى حمزة ، ونصبَ ابنُ عطية رأسَ بلج على رُمح ، وجزع الذين انهزموا إلى أبى حمزة ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لكم فئة ، وإلىَّ انحَزْتُم .

وخرج أبو حمزةَ من المدينة إلى مكة ، واستخلف عليها رجلا يقال له المفضل فقام عليه أهلُ المدينة ، فقُتِلَ جماعةٌ من أهلِ بيته ، وهرب الباقون ، فلم يبق منهم بالمدينة أحد .

(١) ما بين القوسين ، بياض بالاصل ، وهو عن الأغانى .

(٢) فانكشفت (أغانى) .

ولما قدم ابنُ عطية المدينةَ أقام بها شَهرًا ، وأبو حمزة مقيمٌ بمكة ثم توجه إليه فقَدِمها فصَيَّر أصحابَه فرقتين ، ولقى الخوارجَ من وَجْهَيْن فانهزم أهلُ الشام إلى عَقَبَةِ مِنًى ، فوقفوا عليها . ثم كَرُّوا[1] وقاتلوهم . فقُتِل أبو حمزة وأبرهة بن الصباح وتفرق الخوارجُ وتبعهم أهلُ الشام يقتلونهم[2] حتى دخلوا المسجد . وأسر أهلُ الشام منهم أربعمائة غلام . فدعاهم ابنُ عطية فقال : ويلكم ، ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضمن الكَنَّة — يريدون : الجنة [وهى لغتهم][3] فقتلهم وصلب أبا حمزة وأبرهة وصَلَبَ معهما غيرَهما على فم شعب[4] .

وبعث برأس أبى حمزة إلى مروان مع عروةَ بنِ عَطِيّة ولم يزالوا مصلوبين حتى أفضى الأمرُ إلى بنى العباس .

وحج مُهَلْهَلٌ الهُجَيْمى فأنزل أبا حمزة ليلا فدَفَنه ، ودفن خَشَبه .

ولما بلغ قتلُ أبى حمزة عبدَ الله بنَ يحيى بصنعاء أقبل ومعه أصحابه ، يريد قتالَ ابنِ عطية ، وشخَصَ إليه ابنُ عطية ، فالتقوا وأكثرَ أهلُ الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أثقالَهم وأموالهم ، وتشاغلوا بالنَّهْب ، فركب عبدُ الله بنُ يحيى فكَشَفَهم ، وقتل منهم نحو مائةِ رجل ، وقتل قائداً من قُوَّادِهم ، يقال له يزيدُ بن حَمَل القشيرىّ ، وأمسوا ، فكف بعضُهم عن بعض .

ثمّ التقَوْا من الغد فى موضع كثير الشجر والكَرْم والحِيطان ، وطال القتال بينهم وكَثُر[5] القتل فى الشُّراة فتَرَجَّل عبدُ الله بن يحيى فى ألف رجل فقاتلوا حتى

---

(١) فى الأصل ذكروا .

(٢) فى الأصل يقتلوهم .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) الشعب ، شعب الخيف (أغانى) .

(٥) استحر (أغانى) .

قُتلوا جميعا عن آخرهم ، وانهزم الباقون ، فتفرقوا فى كل وجـه ونجا[1] من نجا منهم بصنعاء .

فقال أبو صخر الهذلى :

قتلنا دعيسا والذى يَكْتَنِى الكُنَى · أبا حمزةَ الغاوى المضـلَّ اليمانيا
وأبرهةَ الكِنْدِىَّ خاضتْ رماحُنا · وبلجا صَبَحْنا الحتـوفَ القواضيا
وما تركَتْ أسيافُنا منذُ جُرِّدَتْ · لمروانَ ختَّارا[2] من الأرض عاديا

ثم بعث عبدُ الملك بنُ عطية رأسَ عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد بن عطية إلى مروان .

وقال عبدُ الله بن الحُصَين ، ويقال الحَسَن العَنَزِىّ ، مولًى لهم ، يرثى عبدَ الله بن يحيى وأبا حمزة ، من قصيدة طويلة منها :

هَبَّتْ قُبيـلَ تبَلُّجِ الفَجْرِ · هنـدٌ تقولُ ودمعُها يجرى
إذ أبصرت عَيْنِى وواكِفُها[3] · يَنْهَلُّ منحدرا على النَّحْرِ[3]
أنّى اعتراكَ وكنتَ عَهْدِى لا · سَرِبَ الدموع وكنتَ ذا صَبْرِ
أقذىً بعينـك لا يفارقُها · أم عائرٌ أم مالَها تَدْرِى
أم ذِكْرُ إخوانٍ فُجِعْتَ بهم · سلكوا سبيلَهمُ علـى خُبْرِ ؟
فأجبتُها بل ذِكْرُ مَصْرَعِهم · لا غـيرُه عَبَرَاتُها تَجْرِى
يارَبِّ أَسْلِكْنِى سبيلَهمُ · ذا العَرْشِ واشْدُد بالتُّقَى أَزْرِى
فى فتيةٍ صَـبَرُوا نفوسهمُ · للمَشْرَفيّة والقنـا السُّمْرِ
تاللهِ ألقى الدهرَ مثلَهمُ · حتى أكونَ رَهِينةَ القَبْرِ

---

(١) ولحق (أغانى) .

(٢) الختار : الغادر — وفى الأغانى جبار .

(٣) مدامعها . . . ينهل واكفها . .

أوفى بذِمّتِهم إذا عَقَدوا　　وأعفّ[١] عند اليُسْر والعسر
متأهِّلين لكل صالِحَةٍ　　ناهين من لاقَوْا عن النُّكْرِ
كم من أخٍ لك قد فُجِعْت به　　قوّامِ ليلته إلى الفجر
ومُبَرَّإٍ من كل سَيِّئَةٍ　　عفٍّ الهوى ذى مِرَّةٍ شَزْرِ
متأوهٍ يتلو قوارع من　　آى الكتابِ مُفزَّعِ الصدرِ
نخليلك المختار أوْل به　　من معتقد فى الله أو مسر
خواض غمرة كل متلفة　　فى الله تحت العثير الكدر
وابنُ الحُصَيْن وهل له شَبَهٌ　　فى العُرْف أنّى كان والنُّكْرِ
ومُخالِطى بَلج وخالِصَتِى　　سُم العداةِ وجابرُ الكَسْرِ
وأخيك أبرهةَ الهجانِ أخى الـ　　حَرْبِ العوانِ مُلَقَّح الجمْرِ
وولى حِلمهمُ[٢] فجعت به　　عمرو فواندى[٣] على عمرو
ومُسَيّبٍ فاذْكُرْ وصيَّتَه　　لا تَنْسَها إن كُنْت ذا ذُكر
فى محسنين[٤] ولم أُسَمِّهمُ　　كانوا يَدِى وهمُ أُولو النصر

وكتب مروانُ إلى ابن عطيةَ يأمره بالمسيرِ إلى صنعاء ، ليقاتلَ من بها من الخوارج ، فاستخْلفَ ابنَه ، محمدَ بنَ عبد الملك ، على مكة وتوجه إلى صنعاء ، ورجع أهلُ الجزيرة جميعا إلى بلدهم ، كما كان مروانُ شَرَطَ لهم .

فلما قَرُبوا من صنعاء هرب عاملُ عبدِ الله بن يحيى منها ، وأخذ أهلُ صنعاء أثقالَه وحِملين من مال ، كانا معه ، وسلموا ذلك إلى ابن عطية ، وتبع أصحابَ

---

(١) فى الأصل وألف .
(٢) حكمهم (أغانى) .
(٣) فوا كبدى (أغانى).
(٤) مخبتين (أغانى) .

عبدِ الله بن يحيي فى كل موضع يَقتُلهم ، وأقام بصنعاء أشهرا ــ وخرج عليه عِدّةُ نفرٍ من الخوارج وظفر بهم .

ثم ورد عليه كتابُ مروان يأمره بالتعجيل إلى مكة ، ليحجّ بالناس ، فصالح أهلَ حضرموتَ على أن يَرُدَّ عليهم ما عرفوا من أمــوالهم ، ويُوَلِّى عليهم من يختارون ، ويسالموه ، فرضي بذلك وصالحهم .

وشَخَص إلى مكة متعجلا ــ ولما نفذ مروان الــكتابَ ندم بعد ذلك بأيام ، وقال: إنّا لله ، قتلتُ ، واللهِ ، ابنَ عطية ، فإنه الآن يخرج مخفًّا متعجلا ليلحقَ الحج فتقتلَه الخوارج، فــكان كما قال. تعجَّلَ فى بضعةَ عشرَ رجلا ، فلما كان بأرض مُرَادٍ تلقَّفَتْه عليه جماعةٌ فمن كان فى تلك الجماعة أباضيا عرفه فقالوا : ما ننتظرُ بهذا أن ندرك ثأرَ أصحابنا فيه ، ومن لم يكن أباضيا ظنَّه منهم ، فلما علم أنهم يريدونه قال لهم : ويلــكم ، إنى عاملُ أمير المؤمنين على الحج ، فلم يلتفتوا إليــه وقتلوه ، ونصبت الأباضيةُ رأسَه ، فلما فتشوا متاعه وجدوا فيه الــكتاب بولايته ، فأخذوا من الأباضية رأسه ودفنوه مع جسده .

عبد الله بن أبى معقل(١)

هو عبدُ الله بن أبى مَعْقل بن نَهيك بن أَسَاف بن عدى بن زيد بن جُشَم بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كَهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

حجازىٌّ شاعرٌ مقل من شعراء الدولة الأُموية .

وكان يقال لأبيه مُنْهِب الوَرِق .

وقيل : بل جَدُّه المسمى بذلك لأنه كَسَب مالا فعَجِبَ أهل المدينة من كَثْرَته ، فأباحهم إياه ، فنهبوه .

وكان عَبَّادُ بن نُهيك بن أساف عَمُّ أبيــه أدركَ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وصحبه وصلى معه إلى القبلتين ، وصلى معه الظهرَ ، وصلى ركعتين منها إلى البيت المقدس ، وركعتين إلى الكعبة .

وأدرك النبىّ ، صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ كبير لا فَضْل عنده ، فوضع عنه الغزو .

وكان نَهيك بن أسافٍ يهاجِى أبا الخضْر الأشْهَلِىَّ فى الجاهلية ، وأشعارهما موجودة فى أشعار الأنصار .

وكان ابنُ أبى مَعْقل محْسودا فى قومه ، يجاهرونه بالمداوة ، ليسارِه وسعةماله ، ويحسدونه .

وكان بَنَى قصْرًا فى بنى حارثة وسماه مرْغما . فقال له قائل : ما لَك ولِقَوْمِك ؟

---

(١) الأغانى : ٢٠ : ١١٦ .

فقال : ما لِىَ لهم ذَنْبٌ إلا أنى أثْرَيْتُ ، وكنت معدما ، فبنيتُ مُرْغما ، وأنكحت مريم ومريما ـ يعنى : ابنَتَه وابنةَ ابنه .

فأما ابنتُه مريم فتزوجها حبيبُ بن الحكم بن أبى العاص بن أمية . وبنتُ ابنِه تزوجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوّام .

وكان حبيبُ بن الحكم ومحمدُ بنُ خالد قد خطبا إلى عبد الله بن أبى مَعْقل ابنَتَه مريمَ فأرغبه حبيبٌ فى الصداق فزوجه إياها .

ثم شبّت مريمُ بنت مسكين بن عبد الله بن أبى معقل ، فرغب فى جمالِها فلَقِيَ محمدَ بنَ خالد ، فقال له : يا ابن خالد إن تكن مريمُ قد فاتَتْك فقد يَفَعَتْ مريمُ بنتُ أخيها ، وما هى بدونها فى الجمال ، وقد آثَرْتُك بِها ـ قال: فتزوجها على عشرين ألفا .

وكان ابن أبى مَعْقِل كثيرَ الأسفار فى طلب الرزق ، فلامَتْه امرأتُه أم نهيك ، وهى بنتُ عمه على ذلك ، وقد قدم من مصر ، فلم يلبث أن قال : جَهِّزِينى إلى الكوفة ، إلى المغيرة بن شُعْبة ، فقد وَلِيَها ، وهو صديق ، فَجهَّزَتْه ثم قالت له : لم تَزَلْ فى أسفارِكَ هذه تترددُ حتى تموتَ فقال لها : أو أثْرِى ، ثم أنشأ يقول :

أأم نُهَيْك ادفعى الظعنَ[1] صاعدا ولا تيأسِى أنْ يُثْرِىَ الدّهْرَ بائسُ
سيغنيكِ سَيْرِى فى البلاد ومَطْلَبِى وبَعْلُ التى لم يَخْطُ فى الدارِ جالسُ
فلولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى وجَدِّكِ لم أحْفِلْ متى قام رامسُ
فمنهن تحريكُ الكميتِ عِنانَه إذا ابتدر النهبَ البعيدَ الفوارسُ
ومنهن سبقُ العاذلاتِ بشربةٍ كأن أخاها وهو يقظانُ ناعسُ
ومنهن تحريكُ الأوانسِ كالدُّمَى إذا ابْتُزَّ عن أكفالِهِن الملابسُ

(١) ارفعى الطرف (أغانى) .

سأكسبُ مالا أو تَبيتن ليـــلة بصدْرِك من وَجْدٍ علىّ وساوس[1]
ومن يطلب المالَ المُمَنَّعَ بالقنـا يَعِشْ مُثْرِياً أو يُوَدَ فيما يُهارِسُ

ثم قدم المدينة فلم يزل مقيما بها حتى ولى مصعبُ بن الزبير العراقَ فوفد إليه ، ولقيه ، فدخل إليه وهو يَنْدُبُ الناسَ إلى غزوة زَرَنْج[2] ويقول: مَنْ لها ؟ فوثب عبدُ الله بن أبى معقل ، وقال : أنا لها . فقال له مصعب : اجلس ، ثم نَدَبَ الناسَ ، فانتدبَ لها مرّة ثانيةً . فقال له مصعب : اجلس . ثم نَدَبَ الناسَ ثالثةً فقال عبد الله : أنا لها ، فقال له: اجلس ، فقال : له أَدْنِنِى حتى أُكَلِّمَك ، فأدناه ، فقال له : قد علمتُ أنه لا يمنعُك منى إلا أنك تَعْرِفُنى ، ولو انْتَدَبَ لها رجلٌ ممن لا تعرِفُه لبَعَثْتَه، فلعلك تجدنى[3] أن أُصيب خيرا أوأُسْتَشْهد فاستريحَ من الدنيا والطلب لها، فأعجبه قوله وجزالتُه فولاه ، فأصـاب فى وَجْهه ذلك مالا كثيرا ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : أَلَمْ أُخبرْك فى شعرى أنه :

سيُغْنِيك سَيْرِى فى البلادِ ومَطْلَبِى وبعلُ التى لم يَحْظُ فى الدارِ جالسُ

فقالت : بلَى !! والله قد أخبرتَنى ، فصدق خبَرُك .

وفى الغَزاة يقول ابن قيس الرقيات :

إن يعش مصعبٌ فنحن بخَيْرٍ قد أتانا من عَيْشِنا ما نُرَجِّى
مَلِكٌ يطعمُ الطعامَ ويَسْـقى لبنَ البُخْتِ فى عساسِ الخَلَنْجِ
جَلَبَ الخيلَ من تِهـامة حتى بلغَتْ خيـلُه قصورَ زَرَنْج

(١) فى الأصل : ملابس .
(٢) زرنج : مدينة هى قصبة سجستان .
(٣) تحسدنى (أغانى) .

عمير القطامى(١)

هو عُمَيْرُ بن شُيَيْم وكان نصرانيا ـ وهو إسلامى .

شاعرٌ فحل مُقِلٌّ مجيد .

قال عبد الملك بن مروان للأخطل : ياأبا مالك أتحب أن يكون لك بشِعْرِك شِعرُ شاعرٍ من العرب ؟ قال: اللهم لا، إلا شاعر منا مغدف القناع خاملُ الذكْرِ ، حديثُ السّنّ ، إن يكن فى أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولوددت أنى سَبَقْت إلى قوله :

يَقْتُلْنَنَا بحـديث ليس يَعْلمـه   من يَتقـين ولا مـكنونُه بادِى

فهن يَنْبِـذْنَ من قول يُصبْنَ به   مواقعَ الماء من ذى الغُلَّةِ الصادى

كان القطامىُّ أول من لقّبَ صريع الغوانى بقوله :

صريـعُ غوانٍ راقهـن ورقْنَه   لَدُنْ شَبَّ حتى شابَ سودُ الذوائبِ

نزل القطامىُّ ببعض أسفارِه بامرأةٍ من محاربِ قَيْس ، فنسبها . فقالت : أنا من قومٍ يَشوون القدَّ من الجوع ، قال : ومَنْ هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب ، ولم تَقْرِه ، فبات عندها بأسوإ ليلة . فقال فيها قصيدته التى أولها :

نأتْك بليلى نِيَّـةٌ لم تُقارِب   وما حُبُّ ليلى من فؤادى بذاهبِ

ولا بد أن الضيفَ يخبر ما جرى   مُخَـبِّرَ أهلٍ أو مُخَـبِّرَ صاحبِ

سأُخبِرُكَ الأنباءَ عن أُمِّ مَنْزِلٍ   تَضَيَّفْتُها بين العُذَيْبِ فراسبِ

تَلَفَّعْتُ(٢) فى طلٍّ وريحٍ تَلُفُّنى   وفى طِرْمساء(٣) غير ذات كواكب

---

(١) أغانى ٢٠ : ١١٨ .

(٢) تقنعت (ابن قتيبة) .

(٣) الطرمساء : الظلمة الشديدة .

إلى حَيْزبونٍ توقِدُ النار بعد ما ... تلفّفتِ الظلماءُ من كل جانبِ

تَصَلّى به بَرْدَ الشتاء ولم تكن ... تخال وميضَ النار يبدو لراكبِ

فما راعها إلا بُغام مَطِيَّةٍ ... تُرِيحُ بمَحْسور من الصوت لاغب

تقول وقد قربتُ كُورى وناقتى ... إليكَ فلا تَذْعَرْ علىَّ ركائبى

فلما تنازعنا الحديث سألتُها ... مَنِ الحيُّ؟ قالت: مَعْشَرٌ من مُحارِبِ

من المشْتَوِينَ القِدَّ مما تراهمُ ... جياعا وريفُ الناسِ ليس بعازبِ

فلما بدا حرمانُها الضيفَ لم يكن ... على مناخُ السُّوءِ ضربةُ لازبِ

كان أول ماحَرَّكَ من القطامى ورفع ذِكْرَه أنه قَدِمَ فى خلافة الوليد بن عبدالملك دمشقَ ليمدَحه ، فقيل له : إنه بخيلٌ لا يعطى الشعراء .

وقيل : بل قَدِمَها فى خلافة عمرَ بن عبدالعزيز ، فقيل له : إن الشعرَ لا يَنْفُقُ عند هذا ، ولا يعطِى عليه شيئا . وهذا عبدُ الواحد بن سليمان ، فامتَدِحْه فمدَحه بقصيدة :

إنا محيوكَ فاسْلَمْ أيها الطلل ... وإن بليتَ وإن طالت بك الطِّيَلَ

يمشين زهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجازِ تَتَّكِلُ

فقال له : كم أمَّلْتَ من أمير المؤمنين ؟ قال : أمّلت أن يُعْطِيَنى ثلاثين ناقة . قال : قدأمرتُ لك بخمسين ناقة ، وأن تُوقَرَ لك بُرًّا وتمراً وثياباً. ثم دَفَع ذلك إليه.

قال أبو عمرو الشيبانى : لو قال القطامىُّ بيته :

يمشين زهوا فلا الأعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجازِ تَتَّكِلُ

فى صِفةِ النساءِ لكان أشعرَ الناس .

ولو قال كُثَيِّرٌ بيتَه :

فقلتُ لها يا عزُّ كل مصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوما لها النفْسُ ذَلَّتِ

فى مرثيةٍ أو صفةِ حربٍ لكان أشعرَ الناس .

حدَّث رجل كان يُديم الأسفارَ قال : سافرت مرة إلى الشام فتمثلت بهذا البيت:

قد يدركُ المتأنِّى بعضَ حاجتِه   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعى أعرابى قد استأجرتُ منه مَرْكَبى . فقال لى : ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبَّطَ الناسَ عن الحزم ، فهلّا قال بعدَ بيتِه هذا :

وربما ضرَّ بعضَ الناسِ رَيْثُهُمُو   وكان خيراً لهم لو أنهم عَجِلوا

عبد الله بن صخر الهذلى(١)

هو عبدُ الله بن سَلْم السَّهْمى أحد بنى مُرْمِض .

شاعرٌ إسلامى من شعراء الدولةِ الأُموية .

وكان مواليا لهم مُتَعصِّباً لهم .

وله فى عبدِ الملك بنِ مروان عدةُ مدائح ، وفى أخيه عبد العزيزِ(٢) فى الحَبْس إلى أن قُتِلَ .

لما ظهر عبدُ الله بنُ الزبير بالحجاز ، وغَلَبَ عليها بعد موتِ يزيدَ بن معاوية ، وتشاغل بنو أُمية بالحرب [بينهم] فى مرج راهط وغيره ، دخل عليه أبو صخر الهُذَلى فى هُذَيْـل ، وقد جاءوه ليَقْبضوا عطاءهم ، وكان عارفا بهواه فى بنى أُمية ، فنمعه عطاءه . فقال : علامَ تمنعنى حقِّى ، وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت فى الإسلام حدثا ، ولا أخْرَجْت من طاعة يدا ؟ قال : عليك ببنى أُمية ، فاطلبْ عندهم عطاءك . قال : إذاً أجدُهم سِباطا أكفُّهم سَمْحَةً أنفسُهم،بذلاء لأموالِهم ، وهابين لمُجْتَدِيهم ، كريمةً أعراقُهم ، شريفةً أُصولُهم ، زاكيةً فروعُهم ، قريبا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم نسبُهم ، وسبَبُهم ، ليسوا إذا نُسِبوا بأذناب ولا وشائظَ ولا أتباعٍ ، ولا هم فى قريش كفَقْعَةِ القاع ، لهم السؤدَد فى الجاهلية ، والملكُ فى الإسلام ، لا كَمَنْ لا يُعَدّ فى عِيرِها ولا نَفيرِها ، ولا حَكَم أولوه(٣) فى نَقيرِها ولا قِطْميرِها

---

(١) الأغانى ٢١ : ٩٤ ــ المهذب ٦ : ٩٢ (هو أبو صخر الهذلى) .

(٢) رواية الأغانى والمهذب (وفى أخيه عبد العزيز وعبدالعزيز بن خالد بن أسيد، وحبسه ابن الزبير إلى أن قتل) .

(٣) آباؤه (أغانى)

ليس من أحلافها المُطَيِّبين ، ولا من ساداتها المطعمين ، ولا من جودائها الوهابين ولا من هاشمها المنتَخَبين ، ولا من عبد شمسها المُسَوَّدين .

وكيف تقاس الرءوسُ بالأذناب ، وأين النَّصْلُ من الجَفْن والسنانُ من الزُّجِّ والذُّنابَى من القُدَامَى .

وكيف يُفَضَّلُ الشحيحُ على الجواد ، والسوقةُ على المَلِك ، والمجيع[1] بُخْلاً على المطعمِ فضلا .

فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصُه وعَرِقَ جبينُه واهتزَّ من قَرْنه إلى قَدَمِه وامتُقِع لونُه وقال :

يا ابن البوَّالة على عَقِبَيْها ، يا جلفُ ، يا جاهلُ ، أمَا والله لولا الحُرماتُ الثلاثُ: حرْمةُ الإسلام ، وحُرْمةُ الحرم ، وحرمة الشهرِ الحرامِ لأخذتُ الذى فيه عيناكَ .

ثم أمر به إلى سِجْنِ عارم فسُجن به مدة ، ثم استوهَبَتْه قريشٌ وهذيلٌ ومن له من قريش خُئُولةٌ فى هُذَيْل ، فأطلقَه بمدسنة ، وأقسم ألا يعطيَه عطاءً مع المسلمين أبداً .

فلما كان عامُ الجماعة ، وولى عبدُ الملك ، وحج ، لقيه أبو صخر ، فلما رآه عبدُ الملك قرَّبه وأدناه ، وقال له : لم يَخْفَ علىّ خبرُك مع المُلْحِد، ولا ضاع لك عندى هواكَ ومُوالاتُك ، فقال له : أما إذ شَفَى الله نفسي منه ورأيته قتيلَ سَيْفِك ، صريعَ أوليائك ، مصلوبا مَهْتوكَ السِّترِ مفرق الجماعة[2] ، فما أُبالى ما فاتــــنى من الدنيا .

ثم استأذنَه فى الإنشاد ، فأذن له ، فمثل قائما وأنشَد :

عفت ذاتُ عرق عُصْلُها فرئامهـا ... فصحياؤها وحش قد أجلى سوامها

---

(١) والجامع (أغانى ــ مهذب) .

(٢) الجمع (أغانى ــ مهذب) .

فلمّا فرغ منها أمرَ له عبدُ الملك بما فاته من عطائه ، ووصَلَه بمثله من ماله ، وكساه ، وحمله .

وكان أبو صخر منقطِعا إلى أبي خالدٍ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أُسيد مدّاحا له ، فقال له يوما : ارْثِنِي وأنا حى ، أسمعْ كيفَ تقولُ وأينَ مراثِيك لى بَعْدِى من مدحك إياى فى حياتى . فقال : أعيذك بالله أيها الأمير ، بل يُبْقِيك الله ، ويُقدِّمُنى قبلك . فقال : ما من ذلك بد .

فرثاه بقصيدته التى يقول فيها :

أبا خالدٍ نَفْسِى وقت نفسَك الرَّدَى ... وكان بها من قبـل عَثْرَتِك العُثْرُ
لتَبْكِك يا عبدَ العزيز قـلائصٌ ... أضرَّ بها نَصٌّ الهواجِر والزَّجْرُ
سَمونَ بنا يحثثن كل تنـوفةٍ ... تَضِلُّ بها عن بيضهن القَطَا الكُدْرُ
فما قَدِمت حـتى تواتر سَـيْرُها ... وحتى أُنِيخَتْ وهى طالعـة دُبْرُ
ففَرّجَ عن رُكْبانِها الهمَّ والطَّوَى ... كريمُ المحيا ماجدٌ واحـدٌ صَقْرُ
أخو شَتَواتٍ[1] تَقْتُلُ الجوعَ دارُه ... لمن جاء لا ضيقُ الفِنـاءِ ولا وَعْرُ
فلا يهـنئ الفتيانَ بعـدك لذةٌ ... ولا بَلَّ هـام الشامتين بك القَطْرُ
وإن تُمْسِ رمسا[2] بالرصافة ثاويا ... فما ماتَ يا ابن العيص[3] نائلُك الغَمْرُ
وذى ورق[4] من فضـل مالِك مالُه ... وذى حاجة قد رِشْتَ ليس له وَفْرُ
فأضحى[5] مريحا بعـد ما قد يؤوبه ... وكلَّ به المولَى وضـاقَ به الأمرُ

فأضعف له عبدُ العزيز جائزَته ووصَله .

(١) فى الأصل : سنوات .
(٢) فى الأصل : رمسى .
(٣) فى الأصل : الفيض .
(٤) فى الأصل : (رزق) .
(٥) فى الأصل : فامسى.

وكان لأبى صخر ولد يقال له دَاودُ ، ولم يكن له غيرُه فمات فجزع عليه جزَعاً شديداً حتى خُولِطَ عقلُه وقال يرثيه :

لقد هاجنى طيفٌ لداود بعــــد ما دنت فاستقلّتْ تالياتُ(١) الكواكبِ
ولولا يقينى أنما الموتُ عَزْمَةٌ من الله حتى يبعثوا للتَّحاسُبِ(٢)
لقلت له لما أَلَمَّ برَمْسِه(٣) هل أنت غـداً غادٍ معى فمُصاحِبى

وكان أبو صخر يَهْوَى امرأة من قضاعةَ مجاورةً فيهم ، يقال لها لَيْلَى بنتُ سعد ، وتكنى أُمَّ حكيم ، وكانا يتواصلان بُرْهَةً من دهرهما ثم تزوجَتْ ورَحَلَ بها زوجُها إلى قومه فقال فيها أبو صخر :

ألم خيالٌ طارقٌ متأوِّبُ لأُم حكيم بعد ما نمت مُوصِبُ
وقد دنت الجوزاء وهىَ كأنها ومِرْزَمُها(٤) بالغَوْرِ ثَوْرٌ ورَبْرَبُ
فبات سرار فى المنام مــع المنى عريض لمن يسعى من الحزن أشيبُ(٥)
قضاعية أدنى ديارٍ تَحُلُّهــا قناةٌ وأنَّى من قناةِ المُحَصَّبُ
دميثةُ ما تحت الثيابِ عميمةٌ هضيم الحشا بكر المجسّة ثيبُ
تعلقتها خَوْدًا لذيذاً حــديثُها ليالى لا تَحْمِى(٦) ولا هى تُحْجَبُ
فكان لها ودى ومحض(٧) علاقتى وليدا إلى أنْ راسىَ اليومَ أشيبُ
فلم أر مثلى أيأستْ بعد علمهـا بودى ولا مثلى على اليأس يَطْلب

---

(١) فى الأصل : باكيات .
(٢) للمحاسب (أغانى ـ مهذب)
(٣) فيا ألم برمسه (أغانى ـ مهذب) .
(٤) المرزمان : نجمان مع الشعريين .
(٥) رواية الأغانى والمهذب : فبات شرابى ... غريض اللمى يشفى جوى الحزن أشنب ،
(٦) لا تعدى (مهذب) .
(٧) وريعة ميعتى (مهذب) .

ولو تَلْتَقِى أصداؤنا بعـــد موتنا ومن دون رَمْسَيْنا من الأرض سَبْسَبُ
لظلَّ صدى رسْمى[1] ولو كنت رِمَّة لصوت صدى لَيلَى يَهَشُّ ويَطْرَبُ

ومن مختار شعر أبى صخر قوله :

لليلى بذات العرق[2] دارٌ عَرَفْتُها وأُخْرَى بذات الجيس آياتها سطر
وقفت بِرَسْمَيْها فلمَّا تنكرا صَدَفْتُ وعَيْنِى دمعُها سَرِبٌ هَمِرْ
وفى الدمع إن كُذِّبْتُ بالحبِّ شاهدٌ يُبَيِّنُ ما أُخْفِى كما بَيَّنَ البدرُ
صبرتُ فلما غال نفسى وشَفَّهـا عجاريف[3] تأتى دونها غلب الصبر
إذا لم يـكن بـين الخليلَين[4] ردّة سوى ذِكْرِ شىء قد مضى دَرَسَ الذكر
إذا قلتُ هـذا حين أسلو يَهيجنى نسيم الصِّبا من حيثُ يطـلعُ الفجْرُ
وإنى ليَعْرونى لذكراكِ هِـــزَّةٌ كما انتفض العصفورُ بلَّلَهَ القطرُ
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتُـك حتى قيـل ليس له صَبْرُ
صدقت أنا الصّب المصابُ الذى به تباريحُ حبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ
أما والذى أبكَى وأضحكَ والذى أماتَ وأحيَا والذى أمرُه الأمرُ
لقد تركَتْنِى أحسدُ الوحشَ أن أرى أليفَيْنِ منهـا لا يَرُوعهما الذُّعْرُ
فياهجر لَيلى قد بلغتَ بِىَ المـدىَ وزدتَ على مالم يكن بَلَغَ الهَجْرُ
ويا حبّها زدنى جوًى كلَّ ليـلةٍ ويا سلوةَ الأيام موعِدُكِ الحَشْرُ
عجبتُ لسعى الدهرِ بينى وبينهَـا فلما انقضى ما بينَنا سكَنَ الدهرُ
وليستْ عشياتُ الحِمَى برَواجعٍ لنا أبدا ما أوْرَقَ السَّلَمَ النَّضْرُ

---

(١) صوتى .
(٢) الجيش (أغانى) — البين (مهذب) .
(٣) عجاريف : حوادث .
(٤) الحبيبين (أغانى) .

وإنى لآتيها لكيما تثيبنى ... وأوذنها بالصوم ما وضح الفجر(١)
فما هو إلا أن أراها فُجَاءَةً ... فأُبْهَتَ لا عُرْفٌ لدى ولا نُكْرُ
تكاد يدى تَنْدَى إذا ما لَمَسْتُها ... وينبُتُ فى أطرافها الورَقُ الخضْرُ

ومن شعر الهذلى :

بيد الذى شَغَفَ الفؤاد بكم ... تفريجُ(٢) ما ألقَى من الهَمِّ
همٌّ من اجلِك ليس يكشفهُ ... إلا مليكٌ جائر الحُكْمِ
ولما بَقيت ليبقَيَنَّ جوًى ... بين الجوانح مُسْقِمُ الجِسْمِ
قد كان صرم فى الممات لنا ... فعجلت قبل الموتِ بالصَّرْمِ
ويُقر عينى وهى نازحةٌ ... دارى وليس كذا أخو الحكم(٣)
أطلال نُعْمٍ إذ كلِفْتُ بها ... بادين هذا القلبِ من نُعْمِ
ولو اننى أُسْقى على سَقَمِى ... بلَمَى عوارِضها شَفت سَقَمِى
ولقد عُجِبت لنَيْلِ مُقْتَدِرٍ ... بَسطُ الفؤادِ بها ولا يُدْمِى
يرمى فيَجْرَحُنِى برَمْيَتِهِ ... فلو اننى أَرْمى كما يَرْمى
فاستيقنى أن قد كلفت بكم ... ثم افعلِى ماشئْتِ عن عِلْمِ

---


(١) رواية الأغانى والمهذب :


(.. لآتيها وفى النفس هجرها ... بتاتا لأخرى الدهر ماوضح الفجر)

(٢) فرج الذى.

(٣) ما لا يقر بعين ذى الحلم (أغانى ـ مهذب).

فهرست تراجم الكتاب






Bibliotheca Alexandrina
06150048